صعيد مصر
فى عهد الحملة الفرنسية
١٧٩٨ - ١٨٠١

نبيل السيد الطوخى
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
بآداب المنيا

الطبعة الأولى
١٩٩٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

[وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون]

صدق الله العظيم

سورة التوبة الآية/ ١٠٥

إهـــداء

إلى أرواح الشهداء من أبناء الصعيد

الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل مصر

وهم يناضلون من أجل تحريرها

من أول استعمار أوروبي لمصرنا الحديثة

الباحث

الموضوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

المقدمة

المقدمــــة

تعتبر الحملة الفرنسية أول غزوة أجنبية تعرضت لها مصر فى العصر الحديث، ولقد قامت الحملة الفرنسية أساسا على الرغبة فى توسع استعمارى جديد يعوض على فرنسا ما فقدته من مستعمرات فى أمريكا الشمالية والهند من ناحية، وللإضرار بالمصالح البريطانية من ناحية ثانية، إذ أرادت أن تجعل من مصر قاعدة لتهديد بريطانيا فى الهند وتحويل التجارة الشرقية إلى طريق مصر .

ولقد استرعت الحملة الفرنسية انتباه العديد من المؤرخين والباحثين فى مصر، فقاموا بدراستها وإعداد مؤلفات وأبحاث عن عهد الحملة الفرنسية، ولكن بالرغم من كثرة هذه المؤلفات إلا أننا لا نجد فى المكتبة العربية مؤلفا يحمل اسم "صعيد مصر فى عهد الحملة الفرنسية" وإن كانت هذه المؤلفات قد ضمت بين صفحاتها بعض الأحداث التى جرت فى الصعيد بشكل عابر أحيانا، وبالتفصيل فى نقطة معينة أحيانا وبإهمال بعض النواحى المتعلقة بالصعيد فى أحيان أخرى، هذا بالرغم من دور الصعيد الواضح فى تلك الفترة لهذا رأى الباحث أن يقوم بدراسة هذا الموضوع من كل الاتجاهات فى دراسة علمية أكاديمية تسد فراغا فى المكتبة العربية حول هذا الموضوع.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وفصل تمهيدى وستة فصول وخاتمة.

وتناولت فى الفصل التمهيدى "**أوضاع الصعيد قبيل قدوم الحملة الفرنسية**"حيث قمنا بعرض للأوضاع الإدارية للصعيد فعرضنا للكاشفيات فى الوجه القبلى، والإدارة المركزية فى صعيد مصر والتى نقصد بها الجهاز الإدارى فى عاصمة الولاية أو مركز الكاشفية، وتناولنا الجهاز الإدارى من خلال حديثنا عن حاكم الولاية، والكشاف، والقاضى، والأوجاقات العسكرية، ثم عرضنا للإدارة المحلية فى صعيد مصر ونقصد به الجهاز الإدارى فى الريف وعرضنا لدور هذا الجهاز من خلال الدور الذى لعبه أفراده وعلى رأسهم الملتزم ويليه القائمقام ثم المباشر، فشيخ القرية والشاهد، والصراف، والمساح والمشد، والخفير، والخولى، والوكيل، والكلاف والسقا.

ثم عرضنا للأوضاع الإقتصادية للصعيد وقمنا بعرض للضرائب على الأراضى الزراعية حيث كانت الأرض فى ذلك العهد مثقلة بالضرائب والإتاوات وإن كان المقرر أصلاً من الضرائب أربعة أنواع وتشمل ضريبة المال الحر، وضريبة الكشوفية، وضريبة المضاف، وضريبة البرانى وتشكل هذه الضرائب الجانب الرسمى من الأعباء المالية التى كان الفلاح مطالبا بدفعها للملتزم، حيث كانت هناك أعباء أخرى غير رسمية أصبح الفلاح يرزح تحتها وهى ما عرفت بالفرد والكلف والمغارم ورفع المظالم، وأدى تعسف السلطات المحلية فى جمع الضرائب إلى قيام الفلاحين فى منطقة طهطا عام ١٧٧٨م بالتمرد ضد السلطات المحلية ورفضوا دفع الضرائب وألحقوا بالقوات المحلية هزيمة نكراء٠

وعرضنا للحاصلات الزراعية فى صعيد مصر حيث ساهم الصعيد بانتاج الكثير من الحاصلات الزراعية، وكانت أهم هذه المحاصيل القمح والذى كان يمثل المحصول الرئيسى فى صعيد مصر ٠ وانتشرت زراعته فى أماكن عديدة، إلى جانب الذرة الذى كان يشكل غذاء رئيسيا للفلاحين، وزراعة الفول الذى كان ينتج بكثرة ويصدر منه كميات كبيرة إلى بلاد الجزيرة العربية، والحمص الذى انتشرت زراعته فى كثير من مناطق الصعيد، وهناك العديد من المحاصيل الزراعية التى انتشرت زراعتها بالصعيد مثل البرسيم والبصل والسمسم٠ وهناك محاصيل زراعية ذرعت خصيصا للصناعة بجانب الاستهلاك المحلى مثل زراعة قصب السكر الذى استخدم فى صناعة السكر، والكتان الذى قامت عليه صناعة المنسوجات، كما كان القطن يستخدم أيضا فى صناعة المنسوجات، كما كانت النيلة من الحاصلات ذات الربح الوفير حيث يستخرج من أوراقها صبغة زرقاء تستخدم لصباغة أقمشة الثياب التى ترتديها الطبقة الدنيا، كما كانت أشجار الورد تزرع بالفيوم بكثرة وذلك بقصد انتاج الروائح٠

وساهم الصعيد فى انتاج الثروة الحيوانية، فاهتم الفلاح فى صعيد مصر بتربية الحيوانات التى تعينه فى عمله الزراعى والتى تزوده بقدر من المواد الغذائية كاللبن والزبد والجبن، أما عن حيوانات النقل فتمثلت فى ذلك الوقت فى الجمال والحمير٠ حيث لعبت هذه الحيوانات دورا كبيرا فى نقل الحاصلات الزراعية، أما عن الصناعة فى الصعيد فقد كانت بدائية وتعتمد اعتمادا كليا على الخامات المحلية ومن أهم الصناعات المنتشرة فى تلك الفترة فى صعيد مصر صناعة الأوانى الفخارية التى اشتهرت بها بعض مدن الصعيد مثل قنا،

وصناعة الغزل والنسيج حيث اشتهرت إسنا وقوص وقنا وبنى سويف بانتاج المنسوجات القطنية فى حين اشتهرت مدينة الفيوم بصناعة المنسوجات الكتانية من الكتان المحلى، كما انتشرت صناعة الحصر فى مناطق عديدة من الصعيد، كذلك صناعة الطوب، وصناعة الزيوت، وصناعة ماء الورد التى تركزت فى مدينة الفيوم، وصناعة السكر التى تركزت فى فرشوط وأخميم. ووجدت صناعة تفريخ الدجاج فى كثير من مدن وقرى الصعيد كما انتشرت صناعة ملح البارود فى الصعيد ثم عرضنا بإيجاز لنظام طوائف الحرف، وقد تم التعرض لأسباب تدهور الصناعة فى تلك الفترة.

وعن التجارة فلقد ساهم الصعيد بدور هام فى تجارة مصر الداخلية والخارجية، وعرضنا للتجارة الداخلية فى الصعيد من خلال حديثنا عن أسواق القرى والمدن، وتحدثنا عن ضريبة السوق، وعن التبادل التجارى بين الصعيد والقاهرة الذى كان يتم عن طريق نهر النيل فى أغلب الأحيان، ثم عرضنا للعوامل التى أدت إلى الحد من انتشار واتساع التبادل التجارى بين الأقاليم، وعن دور الصعيد فى التجارة الخارجية لمصر قمنا بتوضيح هذا الدور من خلال عرضنا للتبادل التجارى بين مصر والسودان، ودور الصعيد فى هذه التجارة، كما قمنا بعرض للتبادل التجارى بين مصر وبلاد العرب وتوضيح دور الصعيد فى هذا المجال وقد تعرضنا لذلك بالتفصيل، أما عن الأوضاع الاجتماعية للصعيد قبيل الحملة فقد تعرضنا لها من خلال عرضنا للحياة الدينية التى تعددت مظاهرها فى تلك الفترة، وتميزت بانتشار التصوف بصورة واسعة وكيف اندفع الفلاح للانخراط فى سلك الطرق الصوفية وأسباب ذلك، كما تأثرت الحياة الدينية بظهور الدجل والشعوذة، وانتشار العديد من البدع مثل النذور والموالد، ومما يتصل بالناحية الدينية الأعياد الدينية الخاصة بالمسلمين والمسيحيين ولقد تعرضنا لها بالتفصيل أما الحياة العلمية والثقافية فقد تمثلت فى انتشار الكتاتيب حيث لعب الكتاب دورا هاما فى حياة التعليم سواء عند المسلمين أو المسيحيين.

كما كانت المدارس تعتبر من أهم المراكز الثقافية والعلمية فى صعيد مصر فى تلك الفترة، وكان من أبرز مدارس الوجه القبلى : مدارس قوص وقنا وطهطا، وكان الطلاب النابهون فى هذه المدارس يلتحقون بالأزهر حيث كان لطلبة الصعيد رواق خاص بهم بالأزهر، ووصل البعض من طلاب الصعيد بالأزهر إلى مصاف كبار العلماء مثل الشيخ

على الصعيدى وغيره كثيرون عرضنا لهم بالتفصيل، أما عن الثقافة التى كانت سائدة فى ريف الصعيد فتمثلت فى الفن الشعبى الذى حرص الأهالى على سماعه من شاعر الربابة.

أما العادات والتقاليد فقد كان لها سيادة تشبه سيادة القانون، ولقد تحدثنا عن الأفراح والمآتم وعادة الثأر، ثم عرضنا للأمراض والأوبئة والمجاعات، حيث كان مرض الطاعون على رأس الأمراض المنتشرة فى تلك الفترة يليه مرض الجدرى ثم الرمد، وضاعف من هذه الأمراض والأوبئة سوء الحالة الاقتصادية وخاصة فى أواخر القرن الثامن عشر.

وعرض الباحث للدور الذى لعبه الصعيد فى أحداث مصر السياسية قبيل مجئ الحملة، وكيف كان الصعيد ملجأ لكل الأمراء المنفيين من قبل السلطة الحاكمة بالقاهرة أو المتمردين على السلطة، حيث كان هؤلاء الأمراء الفارين إلى الصعيد يحاولون الاستعانة بسيوف العرب وسواعدهم فى استعادة مراكزهم وما كانوا يتمتعون به من نفوذ وهذا ما دفع بعلى بك الكبير إلى التخلص من الشيخ همام بن يوسف الهوارى "عظيم بلاد الصعيد" الذى كان يتمتع بنفوذ كبير يدعو إلى القلق، هذا إلى جانب مساندته للأمراء المماليك الفارين من قبل السلطة الحاكمة بالقاهرة، وإذا كان الصعيد قد لعب دورا سياسيا كبيرا فى عهد همام فإن ذلك الدور لم ينته بنهاية همام فى عام ١٧٦٩ بل ظل الصعيد يلعب دورا كبيرا فى الأحداث السياسية لمصر حتى قدوم الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨.

وإذا كان الباحث قد أطال فى هذا الفصل بعض الشئ فعذره أنه تناول فى هذا الفصل الأوضاع الإدارية والإقتصادية والاجتماعية والسياسية للصعيد قبيل الحملة وذلك لأهميتها فى إلقاء الضوء على ما سيلحق هذه الأوضاع من تغيرات فى عهد الحملة.

أما الفصل الأول فقد تناولت فيه "**الحملة الفرنسية على شمال الصعيد**" ومهدت له بذكر أسباب الحملة الفرنسية وكيفية الإعداد لها ثم تحدثت عن معركة إمبابة (٢١ يولية ١٧٩٨) وفرار مراد بك إلى الصعيد بعد هزيمته فى موقعة امبابة، فشكل ذلك خطرا على الفرنسيين لأن وجود قوة معادية فى الصعيد يهدد سلطة الحكومة المركزية، ويكون مثابة للمقاومة الأهلية، ويعطل الملاحة فى النيل ويحبس الغلال عن الوجه البحرى، فيستهدف سكان القاهرة والدلتا وجنود الحملة للمجاعة، لهذا فكر نابليون فى إرسال حملة بقيادة

الجنرال ديزيه لمقاتلة مراد بك والقضاء على قواته من جهة، وإخضاع الوجه القبلى من جهة أخرى وبدأ ديزيه سيره جنوبا لمطاردة مراد بك يوم ٢٥ أغسطس ١٧٩٨ ووصلت حملته يوم ٣١ أغسطس إلى بنى سويف واحتلتها بدون مقاومة، وتحدثنا عن احتلال الجنرال ديزيه وجنوده للبهنسا وتعقب حملته لأسطول المماليك حتى أسيوط للاستيلاء عليه، ثم تحدثنا عن رجوع ديزيه؛ إلى الفيوم بعد أن علم بوجود مراد بك بمماليكه وحلفاؤه من أهالى الصعيد بالفيوم لتدور بين الجيشين الجيش المصرى بزعامة مراد بك، والجيش الفرنسى بزعامة الجنرال ديزيه معركة هامة ألا وهى معركة سدمنت (٧ أكتوبر ١٧٩٨) والتى انتهت بانتصار الفرنسيين على المصريين، ولقد عرضنا لهذه المعركة بالتفصيل نظرا لأهميتها حيث تعد أكبر موقعة دارت فى الضعيد بين القوات الفرنسية والقوات المصرية، ولذلك فهى تعد من أهم المعارك التى خاضها الفرنسيون فى صعيد مصر، إذ أنها كانت كانت المعركة البرية الثانية فى أهميتها بعد معركة امبابة، لأنها قضت على أمال مراد بك فى أن ينتصر فى معركة منظمة، كما أنها أعطت للفرنسيين حكم منطقة بنى سويف والفيوم وهى منطقة غنية بمنتجاتها الزراعية التى كانت لازمة لتموين القاهرة.

ثم عرضنا للموقف الحربى فى بنى سويف والفيوم والمنيا، كما تعرضت لاحتلال الفرنسيين لمدينة الفيوم وقيامهم باخماد الثورة فى القرى المجاورة لها، وتحدثنا عن هجوم الثوار من أبناء الصعيد على مدينة الفيوم للاستيلاء عليها والقضاء على القوة الفرنسية الموجوذة بها، وكان هذا دليلا على استهانة أبناء الصعيد بقوة الفرنسيين ومقاومتهم لها، وهنا أدرك الجنرال ديزيه أن قلة جنوده كانت من أهم أسباب الحالة الثورية التى ذاعت فى البلاد، فأرسل يطلب المدد من نابليون لاستئناف الحملة حيث عرضنا لهذه النقطة بالتفصيل، وعرضنا بعد ذلك لحادثة الفقاعى، هذه الحادثة التى تدل على شجاعة أحد غلمان الصعيد فى مواجهة العدوان الفرنسى، ثم ختمنا هذا الفصل بالحديث عن موقعة أبو جرج.

أما الفصل الثانى فقد تناولت فيه "**الحملة الفرنسية على الصعيد الأوسط وحركات المقاومة**" حيث سارت حملة الجنرال ديزيه فى طريقها لإخضاع وسط الصعيد، ولم تكن مهمتها سهلة حيث اشتعلت روح الثورة فى مديريات المنيا، وأسيوط، وسوهاج، وشكل الأهالى مع المماليك بالإضافة إلى عرب الحجاز قوة عمل الفرنسيون لها حساب كبير، ولقى الفرنسيون مقاومة عنيفة فى سوهاج، وطهطا، وبرديس، وجرجا، وجهينة، وبنى عدى،

والمنيا حيث عرضنا لهذه المعارك التى نشبت بين الأهالى والمماليك وعرب الحجاز من جهة والفرنسيين من جهة أخرى بالتفصيل.

أما الفصل الثالث فقد تناولت فيه "**الحملة الفرنسية على الصعيد الأعلى وحركات المقاومة**" وعرضت فى هذا الفصل لمحاولة الجنرال ديزيه وحملته لإخضاع مصر العليا ولثورات الأهالى فى هذه المنطقة ضد الفرنسيين حيث اشتعلت الثورة فى كل مكان، ودارت معارك بين الأهالى والمماليك وعرب الحجاز من جهة، وبين الفرنسيين من جهة أخرى فى كل من سمهود، وجزيرة فيلة، والردسية، وقنا، وأبو مناع، وإسنا.

كما عرضنا لمعركة أبنود النيلية، وهذه التسمية ترد لأول مرة فى المكتبة العربية، وكانت خسارة الفرنسيين فى هذه المعركة هى أكبر خسارة تعرض لها الجيش الفرنسى فى حملته على صعيد مصر كما عرض الباحث لمعركة قفط، ومعركة أبنود التى كانت من أشد معارك الحملة الفرنسية هولا وأطولها مدة، فلقد كانت سلسلة معارك دموية دامت ٧٢ ساعة، وكان حريق أبنود وما أصابها من الدمار أفظع مأساة وقعت فى معارك الحملة الفرنسية.

كما عرضنا لمعركة بئر عنبر، ثم معركة أسوان، وختمنا هذا الفصل باحتلال الفرنسيين للقصير فى ٢٩ مايو سنة ١٧٩٩، حيث اعتبر الفرنسيون احتلالها ختام الحركات الحربية التى تم بها فتح الصعيد، ولم يكن معنى ذلك أن الفرنسيين قد حققوا السيادة فى الصعيد، بل ظل الاضطراب فى صعيد مصر حتى عقد معاهدة الصلح بين الجنرال كليبر ومراد بك فى ٥ إبريل سنة ١٨٠٠.

أما الفصل الرابع فقد تناولت فيه "**الأوضاع الإدارية فى صعيد مصر فى عهد الحملة الفرنسية**" وقمت بعرض للتقسيم الإدارى للصعيد حتى ٥ إبريل سنة ١٨٠٠، ثم عرضت بالتفصيل لمعاهدة الصلح بين كليبر ومراد بك فى ٥ إبريل سنة ١٨٠٠، تلك المعاهدة التى وجد فيها كل من كليبر ومراد بك مصلحته، فإذا كان كليبر قد أمن بعقده هذه الاتفاقية قيام أى ثورة فى الوجه القبلى وهو إقليم مترامى الأطراف لم تستقر فيه دعائم الحكم الفرنسى فإن مراد بك قد وجد فيها أيضا ما يحقق مصالحه حيث أنه ضمن لنفسه حكم النصف

الجنوبى من الصعيد تحت حماية فرنسا، وهكذا حقق مراد بك مكاسب شخصية ولكن على حساب المصلحة العليا لمصر التى أوته وجعلت منه أميرا، ثم تحدثنا بعد ذلك عن الصعيد بين الإدارة الفرنسية والمملوكية حيث كانت فى الصعيد إدارة فرنسية فى النصف الشمالى يقوم على إدارتها جنرالات فرنسيون تحت قيادة القائد الأعلى الفرنسى، أما النصف الجنوبى من الصعيد فكان يدار بواسطة إدارة مملوكية بقيادة مراد بك. كما أشرت إلى نظام الدواوين فى صعيد مصر، وأوضحت أن هذه الدواوين لم تكن سوى مجالس استشارية يعرض عليها القائد العام ما يرى عرضه عليها من شئون البلاد وهو غير ملزم باتباع ما يقرره الأعضاء، وكانت دواوين الأقاليم تقوم بمعاونة حاكم الإقليم أو المديرية فى تصريف شئون المديرية، وكانت هذه الدواوين تقوم بتنفيذ الأوامر الصادرة إليها وعمل اللازم كلما كانت هناك ضرورة لذلك، كما تعرضت لتنظيم البريد فى الصعيد حيث كان من مصلحة الفرنسيين أن تكون الحاميات الفرنسية فى المدن على اتصال دائم بعضها ببعض ليقيها شر المفاجآت، ومن ثم كان اهتمامهم بتنظيم حركة البريد فى صعيد مصر، كما ذكرت وثائق الحملة الفرنسية أن إدارة الاتصالات فى الصعيد كانت ذات مستوى عال.

أما الفصل الخامس فقد تناولت فيه **"الأوضاع الاقتصادية للصعيد فى عهد الحملة الفرنسية"** وتعرضت لاهتمامات الفرنسيين بالزراعة من خلال ثلاثة محاور : الأول منها يتعلق باهتمام الفرنسيين بالرى لأنهم أدركوا أن ثروة مصر تتوقف على تدبير مياه النيل وأنه بدون نظام ملائم للرى لا يمكن تحقيق أقصى ربح من زراعة الأرض، أما المحور الثانى فيتعلق بالحملة الفرنسية وملكية الأرض حيث استحوذ الفرنسيون بواسطة مصادرة حصص التزام المماليك على ثلثى أراضى مصر وأخضعوا باقى الحصص لرسم تسجيل ٢٪ من قيمة الأراضى وأعطوا مهلة محددة لذلك، وعلى أية حال فإن كل النظم التى قامت بها الحملة الفرنسية نحو الملكية لم تكن تقصد من ورائها إلا الحصول على أموال تسد بها بعض أوجه نفقاتها، أم المحور الثالث فيتمثل فى الضرائب على الأراضى الزراعية فى عهد الفرنسيين، ولقد أوضحنا أن وضعية الفلاح فى صعيد مصر لم تلحقها أى تغييرات أو تحسينات فى فترة حكم الفرنسيين، بل ظل يعانى من ثقل الضرائب التى لم تعرف انخفاضا بل زادت عما كانت عليه قبيل مجئ الحملة الفرنسية.

أما بالنسبة للصناعة فلقد أوضحنا أن الحملة الفرنسية لم تحاول إحداث تغيير فى الصناعة المصرية فى الفترة التى قضتها بمصر، وفى الصعيد ظلت الصناعات الأهلية التى كانت سائدة قبيل مجئ الحملة الفرنسية سائرة فى طريقها متبعة أساليبها العتيقة ونظمها القروية والمحلية المعروفة ولم يعمل الفرنسيون على تطويرها.

وبالنسبة للتجارة الداخلية فى الصعيد فقد أدى اضطراب الأحوال بالصعيد فى بداية عهد الحملة إلى كساد فى السوق التجارية مما جعل قطع حبل التجارة أمرا محتوما فى تلك الفترة، وبعد أن تم إبرام الصلح بين الفرنسيين ومراد بك بمقتضى معاهدة كليبر - مراد (٥ إبريل سنة ١٨٠٠) أنشأ الفرنسيون جمركا بأسيوط، وكان غرض الفرنسيين من ذلك هو تحصيل أكبر ما يمكن من الضرائب كى يعوضوا دخل جمرك القصير التى توجد بيد مراد بك، ولكن فى نفس الوقت فإن إقامة الفرنسيين لجمرك أسيوط قد حد نوعا ما من نشاط التجارة والمبادلات بين الوجه القبلى والوجه البحرى، تلك التجارة التى كانت مزدهرة قبل مجيئهم.

وفى مجال التجارة الخارجية فقد قل ورود قوافل دارفور وسنار فى عهد الحملة عما كانت عليه قبيل مجئ الحملة، كما تأثرت تجارة بلاد العرب عبر ميناء القصير خصوصا بعد أن ترك الفرنسيون دخل هذا الجمرك لمراد بك.

وتناولت فى الفصل السادس "**موقف القوى الإجتماعية فى صعيد مصر من الحملة الفرنسية**" حيث بدأت بعرض لموقف المماليك فى الصعيد من الحملة ذلك الموقف الذى بدأ فى البداية برفض الوجود الفرنسى ومن ثم الثورة عليه ومحاولة طرده من البلاد، ثم سرعان ما تغير موقف المماليك فى الصعيد بزعامة مراد واتفقوا مع الفرنسيين بمعاهدة سلام فى ٥ إبريل سنة ١٨٠٠ وظل مراد بك مخلصا للفرنسيين حتى وفاته فى ١٨ إبريل سنة ١٨٠١، واختير عثمان بك الطنبورجى خلفا لمراد بك واعتمده الفرنسيون خليفة لمراد بك وأميرا على الصعيد، ولكنه سرعان ما انضم إلى الانجليز والأتراك عندما رأى كفتهم راجحة، ويدل هذا على أن المماليك كانوا يرتبطون بالطرف الأقوى وكانوا يبحثون دائما عن مصالحهم الشخصية.

أما عن موقف الفلاحين فقد اتسم بالرفض للوجود الفرنسى منذ البداية حتى النهاية، وقام الفلاحون بالتعبير عن رفضهم للوجود الفرنسى على أراضيهم بالثورات الدائمة على الفرنسيين فى شتى أنحاء الصعيد حتى ليستحيل على المرء أن يذكر قرية على جانبى النهر لم تسجل صفحة بطولة فى سجل مقاومة الغزو الفرنسى ولم تقدم أكثر من شهيد وشهيدة.

وأكدت وثائق الحملة الفرنسية أن شعب الصعيد قد دافع بقوة عن حريته، كما أشارت المصادر المعاصرة بشجاعة الفلاحين من أبناء الصعيد. أما عن موقف العربان فلقد وقف العربان المستقر منهم والمتجول موقف الرفض للوجود الفرنسى فى صعيد مصر، وتعرضت قوات الجنرال ديزيه فى الصعيد لهجمات هؤلاء العربان حتى أصبحت قواته تعمل حسابا لهم فى كل منطقة اتجهت إليها بشهادة رجال الحملة أنفسهم، واشترك العربان فى معظم المعارك التى حدثت فى صعيد مصر بين الفرنسيين من جهة وبين الأهالى والعربان والمماليك من جهة أخرى.

وظل العربان متحالفين مع مراد بك حتى عقد مراد بك معاهدة صلح مع الفرنسيين فى ٥ إبريل سنة ١٨٠٠ فانضم معظم شيوخ القبائل العربية إلى مراد بك لكى يتفقوا على معاهدة سلام مع الفرنسيين.

أما عن موقف الأقباط فلقد اتسم بالتعاطف تجاه الفرنسيين، وكان ذلك بسبب ما أحاطهم به الجنرال ديزيه من عناية وكرم حتي أطلقوا عليه لقب العادل Juste، وكان المعلم يعقوب هو أبرز الشخصيات القبطية التى تعاونت مع الفرنسيين بإخلاص شديد ووفاء لا مثيل له. حيث كان الساعد الأيمن للجنرال ديزيه فى حملة الصعيد ضد مراد بك وعرب الحجاز وأبناء الصعيد، وكافأه الجنرال منو بترقيته إلى رتبة جنرال General نظير خدماته للفرنسيين أثناء حملة الصعيد وأثناء حصار القاهرة وقت اشتعال ثورتها الثانية (٢٠ مارس - ٢١ أبريل سنة ١٨٠٠).

واستعان الفرنسيون بعدد وافر من أقباط الصعيد ليسدوا بهم النقص فى صفوفهم، وأنشأ الفرنسيون الفرقة القبطية، وقاموا بتدريبها وتسليحها لتكون أداة لتثبيت الاحتلال

الفرنسى فى مصر من جهة، ولفصم عرى الوحدة الأبدية بين عنصرى الشعب المصرى من جهة أخرى٠

ويرى الباحث أن غالبية الأقباط فى الصعيد قد شاركوا فى الثورات جنبا إلى جنب مع مواطنيهم المسلمين ضد الغزاة الفرنسيين، وتعرضوا لما تعرض له المسلمون٠ وأن الحملة الفرنسية قد فشلت فى محاولتها وضع ما يمكن أن نطلق عليه إسفين بين الوحدة الوطنية المصرية بتقريبهم الأقباط ظنا منهم أنهم بهذا يضمنون خلق طائفة ذات ولاء لهم ولكنهم لم يدرسوا واقع المجتمع المصرى على حقيقته٠

أما الخاتمة فاحتوت على أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج لهذه الدراسة٠

أما عن المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى البحث فهى كثيرة ومتنوعة، وأهمها وثائق الحملة الفرنسية المحفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة، وهى تقع فيما يقرب من خمسين محفظة اطلع الباحث عليها جميعا واستغرقت تلك العملية وقتا طويلا – حوالى ثلاث سنوات – وفى بداية الاطلاع على هذه الوثائق وجد الباحث العديد من الصعوبات حيث أن هذه الوثائق مكتوبة بخط اليد الرفيع جدا، إلى جانب أنها كتبت باللغة الفرنسية، حيث اقتضى الاطلاع عليها وترجمتها وقتا طويلا من الباحث، كما اعتمدت على أوامر منو Ordres du jour du gènèral en chef Menou المحفوظة فى دوسيه يحتوى على أربعة وتسعين وثيقة مطبوعة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل٠

ومن المصادر الهامة التى اعتمدت عليها الدراسة : سجلات المحاكم الشرعية الخاصة بإسنا، ومنفلوط والمحفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل، ومن الوثائق الهامة التى اعتمدت عليها الدراسة محفظة بدون رقم ولا تاريخ محفوظة فى مكتبة جامعة القاهرة ولقد عثرت على هذه المحفظة بعد عناء شديد، وقيمة هذه المحفظة فى كونها تحتوى على مجموعة كبيرة من المراسلات الهامة التى يبلغ عددها ٦٩ خطابا مرسلة من مراد بك إلى الجنرال دنزلوه صارى عسكر أسيوط ومنفلوط والمنيا، وهذه الخطابات مكتوبة باللغة العربية وأغلبها يحمل تاريخ سنة ١٢١٥هـ (١٨٠٠م) وتحمل خاتم مراد بك، وهذه المراسلات كشفت لنا مشاعر الود الخالص والصادق من مراد بك تجاه الفرنسيين٠

وإذا كانت الوثائق السالفة الذكر تمثل الوثائق غير المنشورة فإن الباحث قد اطلع أيضا على مجموعة من الوثائق المنشورة مثل تقرير الجنرال ديزيه عن حركات الجيش الفرنسى فى الصعيد والمعارك التى دارت بينه وبين الأهالى والمماليك وعرب الحجاز، وهذا التقرير قد بعثه الجنرال ديزيه من أسيوط إلى الجنرال بونابرت وهو مؤرخ فى ٢٠- ترميدور من العام السابع الجمهورى (٧ أغسطس ١٧٩٩) ومنشور فى Pieces Diverses Relative aux opérations militaires et politiques du général Bonaparte, Paris an VII كما استفاد الباحث من الوثائق المنشورة ضمن كتاب حملة مصر L'Expédition d'Egypte للكابتن دى لا جونكيير De La Jonquiére ويعتبر هذا الكتاب أكبر عمدة فى تاريخ حملة بونابرت على مصر، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه كان ضابطا فى الجيش الفرنسى، ولقد قام لاجو نكيير بتأليف كتابه تحت رعاية وزارة الحرب الفرنسية مستندا إلى وثائق محفوظات وزارة الحربية الفرنسية ووزارات البحرية والخارجية، وهذا الكتاب يقع فى خمسة مجلدات تضم أكثر من ثلاثة آلاف صفحة كبيرة مطبوعة بحروف صغيرة، ولقد نشر لاجونكيير كما هائلا من الوثائق فى هذا الكتاب إلى حد أنه يعتبر مؤلف وثائقى بالدرجة الأولى، ولقد اعتمدت على الجزء الثالث من هذا المؤلف الضخم، واستفدت من الوثائق المنشورة فى هذا الجزء والتى لم نجد منها أية نسخة ضمن محافظ الحملة الفرنسية المحفوظة بدار الوثائق بكورنيش النيل. ومن الوثائق المنشورة عن فترة حكم كليبر ومنو تلك التى نشرها Rousseau بعنوان :

Kléber et Menou en Egypte depuis le Départ de Bonaparte (Aout 1799-Septembre 1801) Documents....etc. Paris 1900.

ولقد استفاد الباحث من هذه الوثائق الهامة، كما استفاد أيضا من الوثائق التى نشرها هنرى لورنس Hnery Laurens فى جزأين بعنوان Kléber en Égypte 1798-1800 وقام بنشر هذا المؤلف الوثائقى الهام المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة عام ١٩٨٨.

كما رجع الباحث إلى مجموعة الوثائق الهامة التى نشرها صلاح الدين البستانى Sala Din Boustany بعنوان The Journals of Bonaparte in Egypte, Cairo, 1971 وهى تقع فى عشرة مجلدات تحتوى على كم هائل من الوثائق الهامة، ولقد اعتمدت على المجلد التاسع والعاشر من هذه المجموعة الهامة.

ولقد لعبت الوثائق المنشورة دورا كبيرا فى إمداد الباحث بكثير من المعلومات الغير متوفرة أصلا فى الوثائق غير المنشورة والموجودة بمحافظ الحملة الفرنسية بدار الوثائق بكورنيش النيل.

كما اعتمد الباحث على الجزء الخامس من مراسلات نابليون Correspondance de Napoléon وهى مصدر على جانب عظيم من الأهمية طبعت بأمر الإمبراطور نابليون الثالث فى اثنين وثلاثين مجلدا فى الفترة من ١٨٥٨ إلى ١٨٧٠ وهى تحتوى على جميع المراسلات والأوامر والقرارات والمنشورات والوثائق التى صدرت من نابليون فى جميع أدوار حياته، كما اطلع الباحث على الصحف التى أصدرتها الحملة الفرنسية والمتمثلة فى جريدة لوكوربييه دى ليجيبت Le Courrier de L'Egypte، وجريدة لا ديكاد اجبسيين La Décade Egyptienne وإذا كانت الجريدة الأولى قد اهتمت بالنواحى السياسية، فإن الجريدة الثانية قد اهتمت بالنواحى الأدبية والاقتصادية فهى صحيفة للآداب وللاقتصاد السياسى، ولقد اهتمت لاديكاد بنشر أبحاث المجمع العلمى ومناقشات أعضائه.

ولا شك فى أن هاتين الجريدتين لا غنى عنهما لدارسى تاريخ مصر فى تلك الحقبة.

ومن المصادر الفرنسية الهامة التى اعتمدت عليه الدراسة **مذكرات الجنرالات الفرنسيين الذين شاركوا فى أحداث الحملة الفرنسية**، حيث اعتمدت على مذكرات المارشال برتييه Mémoires du Maréchal Berthier وأهمية هذه المذكرات ترجع إلى كون صاحبها كان رئيس أركان حرب الحملة الفرنسية، كما اعتمدت على مذكرات الجنرال ديفرنوا Mémoires du général Desvernois وترجع قيمة هذه المذكرات إلى كون صاحبها قد شارك فى المعارك التى دارت فى الصعيد، هذا إلى جانب أن ديفرنوا يتميز بالموضوعية عند عرضه للمعارك التى دارت فى الصعيد، فعلى سبيل المثال نجد ديفرنوا يصف أبناء بنى عدى بأنهم أشجع رجال مصر وذلك عند حديثه عن ثورة بنى عدى التى تكلمنا عنها بالتفصيل فى الفصل الثانى، وفى نفس الوقت نجد ديفرنوا ينصف الكولونيل دوبليسى ويصفه بالشجاعة فى نفس الوقت الذى اتهمه فيه الجنرال ديزيه فى تقريره الذى بعثه إلى نابليون بعدم الحرص وعدم إطاعة الأوامر، وتضايق ديفرنوا من وصف ديزيه هذا وذكر عند حديثه عن معركة بئر عنبر التى أشرنا إليها بالتفصيل فى الفصل الثالث "أنه لولا

شجاعة وإخلاص دوبليسى لكانت انتهت حياة الجنرال ديزيه على هضبة بئر عنبر" لذلك يرى الباحث أنه إذا كانت مذكرات الجنرال ديفرنوا لها قيمة بصفته معاصر للأحداث واشترك فيها، فإن موضوعيته جعلت لمذكراته قيمة أكبر .

كما استفاد الباحث من الأبحاث والدراسات المنشورة ضمن كتاب وصف مصر Description de L'Egypte الذى ألفه علماء الحملة الفرنسية، واطلع الباحث على معظم المصادر والمراجع العربية التى تناولت عهد الحملة الفرنسية، ومن أهم المصادر العربية المعاصرة مؤلفات المؤرخ الكبير . عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، وكتاب : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، ويليها فى الأهمية مذكرات نقولا ترك .

كما اطلع الباحث على عدد كبير من المراجع العربية والأجنبية بالإضافة إلى عدد من الرسائل العلمية غير المنشورة .

ومن واجبى وقد وفقت إلى إتمام هذا البحث وعرضه فى هذه الصورة أن أنوه بفضل من هيأوا إلى بعونهم سلوك دربه الشاق، فيسرنى أن أسجل شكرى للسادة المشرفين والعاملين بدار الوثائق القومية، كما أتقدم بالشكر للسادة أمناء دار الكتب المصرية وأمناء مكتبة جامعة القاهرة، وأمناء مكتبة جامعة عين شمس، وأمناء مكتبة جامعة المنيا، وأمناء مكتبة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، وأمناء مكتبة المجمع العلمى المصرى كما أتوجه بالشكر لأمناء مكتبة الجميعة المصرية للدراسات التاريخية، والجمعية المصرية الجغرافية .

وبعد فهذه محاولة قمت بها جادا مخلصا، وأرجو أن يساهم هذا الجهد المتواضع فى سد ثغرة من ثغرات تاريخنا الحديث وعلى الله قصد السبيل .

المؤلف/ نبيل السيد الطوخى

الفصل التمهيدي

أوضاع الصعيد قبيل قدوم الحملة الفرنسية

الفصل التمهيدى
أوضاع الصعيد قبيل قدوم الحملة الفرنسية

أولا : الأوضاع الإدارية للصعيد قبيل قدوم الحملة الفرنسية :

١- الكاشفيات فى الوجه القبلى
٢- الإدارة المركزية فى صعيد مصر
٣- الإدارة المحلية فى صعيد مصر

ثانيا : الأوضاع الإقتصادية للصعيد قبيل قدوم الحملة الفرنسية :

- الضرائب على الأراضى الزراعية فى صعيد مصر
- الحاصلات الزراعية فى صعيد مصر
- الثروة الحيوانية
- الصناعة
- التجارة الداخلية فى الصعيد
- دور الصعيد فى التجارة الخارجية لمصر

ثالثا : الأوضاع الاجتماعية للصعيد قبيل الحملة الفرنسية:

١- الحياة الدينية
٢- الحياة العلمية والثقافية
٣- العادات والتقاليد
٤- الأمراض والأوبئة والمجاعات

رابعا : الأوضاع السياسية للصعيد قبيل قدوم الحملة الفرنسية :

١- على بك والصعيد
٢- الصعيد فى عهد ابراهيم بك ومراد بك (١٧٧٥-١٧٩٨)

أوضـــاع الصعيـد قبيـل قـــدوم الحملــة الفرنسيــة

تمهيـــد :

سنتناول فى هذا الفصل الأوضاع العامة للصعيد قبيل قدوم الحملة الفرنسية، وسنقوم بعرض موجز للأوضاع العامة للصعيد سواء كانت ادارية أم اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية لنرى فيما بعد مدى التغير الذى أحدثته الحملة الفرنسية فى صعيد مصر فى هذه المجالات.

وسنعرض فى هذا الفصل لأربعة عناصر أساسية وهى :

أولا : الأوضاع الادارية للصعيد قبيل الحملة الفرنسية :

سوف نتناول الأوضاع الادارية للصعيد قبيل الحملة الفرنسية من خلال ثلاثة عناصر كالتالى :

١- الكاشفيات فى الوجه القبلى.

٢- الإدارة المركزية فى صعيد مصر.

٣- الإدارة المحلية فى صعيد مصـــر.

وسوف نتناول هذه العناصر بشئ من التفصيل

١- الكاشفيات فى الوجه القبلى :

قبل أن نتحدث عن الكاشفيات تجدر الاشارة إلى انه كان بالصعيد ولاية كبرى هى ولاية جرجا وعاصمتها جرجا(١)، وكانت هذه الولاية مطمع البكوات المماليك وذلك لأهميتها الاقتصادية فى ذلك الوقت حيث كانت تعتبر مركز التموين الأول للبلاد بالغلال وبخاصة القمح(٢).

---

(١) ليلى عبد اللطيف : الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٨، ص ٣٨٠.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر، القاهرة ١٩٧٤، ص ص ١٥، ١٦.

أما عن الكاشفيات فى الوجه القبلى، فلقد استأثر الصعيد بعدد كبير من هذه الكاشفيات، فلقد وجد بمصر الوسطى سبع كاشفيات وهى :

أطفيح (شرق النيل) - الجيزة - الفيوم - بنى سويف - المنيا - أشمونين - منفلوط (غرب النيل)٠

كما وجدت أربعة عشر كاشفية فى مصر العليا وهى :

اسيوط - ابو تيج - طما - طهطا - أخميم - فرشوط - برديس - هو - بهجورة - قنا - قوص - اسنا - ابريم - الواح أى الواحات (١)٠

وواضح أن المنطقة الممتدة إلى الجنوب من منفلوط بها الكثير من الكاشفيات، وربما كان القصد من ذلك هو تفتيت وحدة الصعيد الإدارية بعد كثرة الاضطرابات التى قام بها العربان فى القرن الثامن عشر وخاصة عربان هوارة(٢)٠

وكان يحكم الولاية أحد البكوات المماليك، أما الكاشفية فكان يحكمها أحد الكشاف، وبينما كانت الولاية تضم أكثر من كاشفية، فإن الكاشفية هى الأخرى كانت تضم أكثر من مقاطعة أو ناحية٠

ثانيا : الإدارة المركزية فى صعيد مصر :

المقصود بالادارة المركزية فى صعيد مصر أى الجهاز الادارى فى عاصمة الولاية أو مركز الكاشفية، وسنتناول الجهاز الادارى من خلال حديثنا عن حاكم الولاية، والكشاف، والقاضى، والاوجاقات العسكرية٠

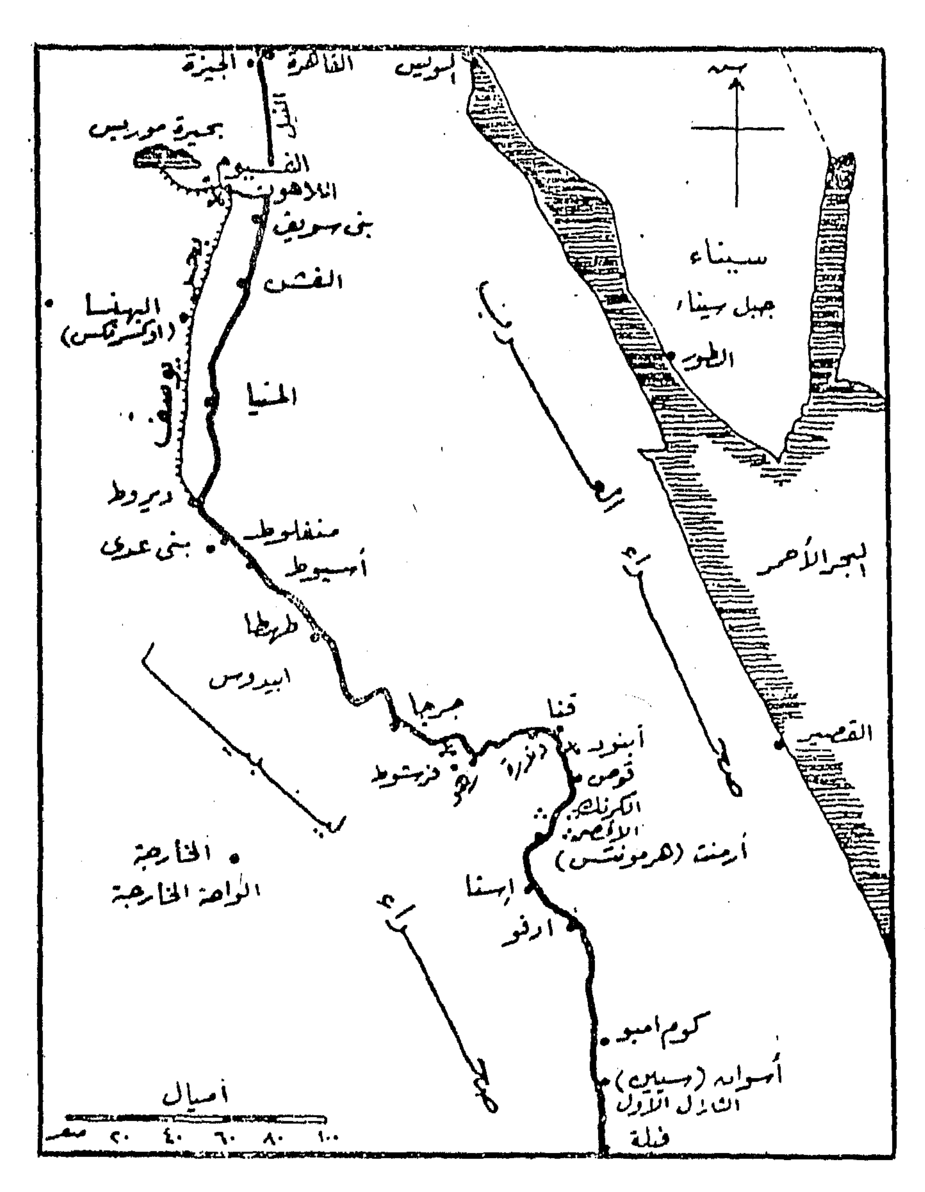
١- حاكم الولاية :

لم يكن بالصعيد فى العصر العثمانى سوى ولاية كبرى، وهى ولاية جرجا، وكان حاكم هذه الولاية يعين من بين الأمراء المماليك من السناجق أو البكوات٠

---

(١) ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق : ص ص ٣٨٠، ٣٨١ ٠

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص ١٥ ٠



مصر الوسطى والعليا

وتتلخص مهام حاكم الولاية فى العناية بالمورد الرئيسى لثروة الإقليم وهو الزراعة، فيهتم بتقوية جسور الترع والمصارف المائية وتطهيرها من حين لآخر، وعليه اقرار الأمن بالولاية، ومنع اعتداءات العربان خاصة فى أوقات الحصاد، والاشراف على أعمال الكشاف التابعين له، وحل المشاكل التى تنشب بين الأهالى والملتزمين أو بين بعضهم البعض، أو بينهم وبين أجهزة الإدارة، والتى يصدر إليه فرمان من الباشا بشأنها(١).

كما كان من واجباته أيضا حماية الملتزمين فى تحصيل دخولهم(٢) وكان حاكم جرجا يعين بمرسوم من الباشا، وبعد التعيين يلبس خلعة المنصب ويذهب إلى مقر منصبه بموكب كبير، يحف به الامراء والأغوات والاختيارية، وكثير من رجال الأوجاقات العسكرية، وكان يقيم فى "خيمة" كبيرة قبل أن يذهب إلى إقليمه بحيث يفد إليه المهنئون بالمنصب وتوديعه(٣) وكان يصحب حاكم جرجا فى ذهابه إليها عددا من رجال الفرق العسكرية لمساعدته فى أداء واجباته (٤).

وبالإضافة لرجال الفرق كان يصحب حاكم جرجا أيضا قواته العسكرية المؤلفة من مجموعة كبيرة من مماليكه وأتباعه الذين كانوا يعيشون معه على نفقته الشخصية(٥).

وكانت مدة حكمه فى الإقليم سنة واحدة، وأحياناً تصل إلى أكثر من عام بشرط أن يؤدى خدمات للدولة تؤدى إلى استقرار الحكم فى إقليمه، مثلما حدث مع عبد الرحمن بك

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق : ص ص ٤٦، ٤٧

(٢) Lancret, Miche -Ange, Mémoire sur Le systéme d'imposition territoria le et sur l'administration des provinces de L'Egypte dans Les derniers années du gouvernement des Mamlouks, en description de L'Egypte, Etat moderne sconde Edition, T.11, Paris 1822. P. 493.

(٣) صلاح أحمد هريدى : دور الصعيد فى مصر العثمانية ١٥١٧-١٧٩٨م دار المعارف ١٩٨٤ ص ١٢٦ .

(٤) ليلى عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ٤٠٢ .

(٥) نفس المرجع، ص ٤٠٣ .

حاكم جرجا الذى قام بالقضاء على تمرد الهوارة، وكانت نتيجة ذلك أن استمر فى حكم ولاية جرجا من عام ١١١٠ - ١١١٣هـ - ١٦٩٨ - ١٧٠١م (١)٠ وكان لحاكم جرجا ديوانا عرف بديوان جرجا ويتكون من قاضى الإقليم، ونقيب الأشراف، وقائمقام الحاكم، وأعيان الإقليم(٢)٠

وكان حاكم جرجا يعقد هذا الديوان كلما دعت الحاجة للمشاورة فى تنفيذ أمر من السلطة المركزية أو مناقشة مشكلة من مشاكل الإقليم، وكان مقر هذا الديوان فى بندر جرجا عاصمة الولاية، وكان حاكم جرجا يتمتع بسلطة واسعة فى الأحكام، يعاقب بالسجن، وله سلطة فرض ضرائب إضافية فى إقليمه(٣)، ولم يكن بك جرجا يستطيع دخول القاهرة عند عزله من منصبه إلا ومعه حجة اشهاد من قاضى الولاية وأعيانها تشهد برعايته وأدائه لواجباته(٤)٠

وكان إقليم جرجا من أهم الأقاليم الادارية فى مصر العثمانية بالاضافة إلى كونه من أغناها، وامتد هذا الاقليم واتسع حتى أصبح يضم أراضى الصعيد من المنيا إلى أسوان وبذلك الاتساع والشمول غدا حاكم جرجا الشخص الثانى فى الأهمية والقوة والثراء بعد شيخ البلد وزعيم المماليك فى القاهرة٠

٢ - *الكشاف :*

والكشاف(٥) أتباع الصناجق من مماليكهم الممتازين، وكانوا يحكمون الوحدات الإدارية الصغرى التى لم تبلغ مرتبة الصنجقية وتسمى كاشفيات، كما كانوا ينوبون عن

---

(١) أحمد الدمرداشى : الدرة المصانة، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨٩، ص ٤٥ ٠

(٢) أحمد الدمرداشى : المصدر السابق، ص ٤٨ ٠٠

(٣) ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ٤٠٤ ٠

(٤) حسين أفندى الروزنامجى : ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية، تحقيق : محمد شفيق غربال بعنوان مصر عند مفرق الطرق ١٧٩٨-١٨٠١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٨، ص ١٧ ٠

(٥) سمى الكاشف كاشفا لأنه يكشف عن الأقاليم الموضوعة تحت سلطته بواقع نزلتين فى السنة، نزلة فى الصيف ونزلة فى الشتاء، والكاشف رجل عسكرى رفيع الرتبة ينتمى إلى إحدى الأوجاقات السبعة٠=

البكوات فى حكم الولايات إذا ما آثروا البقاء فى القاهرة على الذهاب إلى مقر ولاياتهم أو يديرون بعض مناطق من صنجقياتهم(١).

ولقد عدد لنا قانون نامة اختصاصات الكشاف بطريقة تفصيلية نختصرها على النحو التالى :

أولا : على الكشاف الترميم المناسب للجسور فى موعده وموسمه وعمل "الجرافة" أى تطهير القنوات فى كشوفية كل واحد منهم على أن ينبهوا شيوخ القرى التى تحت تصرفهم وأهاليها إلى ترميم وتعمير جسور بلادهم كما ينبغى، وذلك حتى لا تكون هناك شراق بسبب عدم تعمير الجسور أو تطهير القنوات، وعليهم كلما فاض النيل وبلغ الذروة أن يؤمروا طائفة الفلاحين بكاملها بتخضير الأرض التى غمرتها المياه كلها بالزراعة.

وعلى الكاشف إذا أصيبت قرية فى كشوفيته أن يجد ويجتهد لتعميرها بكل الطرق الممكنة، وعليه أن يشرف على عملية جمع الضرائب، وجمع الأموال فى كشوفيته، ثم يقوم بإرسالها إلى الخزينة العامرة فى القاهرة (٢).

أما الواجب الثالث على الكشاف فكان ينحصر فى الإشراف على الأمن، فكان عليهم أن يحفظوا البلاد ويحرسونها من شر البدو والعربان العصاة وعدوانهم(٣). وكان من اختصاصات الكشاف أيضا الإشراف على تنفيذ أحكام القضاء، وحل المنازعات بين أهل القرى(٤).

- انظر ابراهيم المويلحى : الأرض والفلاح فى العصر العثمانى ضمن الأرض والفلاح فى مصر على مر العصور، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة ١٩٧٤، ص ٢٤٣ .

(١) حسن عثمان : تاريخ مصر فى العهد العثمانى ١٥١٧-١٧٩٨م ضمن المجمل فى التاريخ المصرى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٢، ص ٢٥٤ .

(٢) قانون نامة مصر الذى أصدره السلطان سليمان القانونى لحكم مصر : ترجمة وقدم له وعلق عليه أحمد فؤاد متولى، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٦، مادة رقم ٨، ص ص ٢٩، ٣٠ .

(٣) نفس المصدر، مادة ١٢، ص ٣٣ .

(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٤٨ .

أما عن مدة تولية الكشاف فإنها كانت سنة واحدة، وقد تمكن بعض أمراء المماليك من تقلد منصب الكشوفية خمس مرات فى اقليم واحد مثل الامير "قانصوه بك القاسمى تابع "قيطاس بك الكبير" الذى تولى منصب كشوفية بنى سويف خمس مرات(١).

وكان الكشاف يحتلون مركزاً هاماً فى البلاد، وكان بعضهم يتمتع بما يتمتع به كبار البكوات من سلطة ومن نفوذ، وكان لكل كاشف قوة عسكرية فى كشوفيته يصل عددها إلى بضع مئات من جنود الأوجاقات، كما كانت له مماليكه وكانت الدولة هى التى تنفق على القوة العسكرية ويتحمل الكاشف أمر الإنفاق على مماليكه بنفسه.

٣- قاضى الشرع :

بدخول مصر تحت الحكم العثمانى أصبح القضاة الموكلة اليهم مهمة إقامة العدالة فى مصر مرتبطين بالهيئة القضائية الإسلامية التى مقرها القسطنطينية(٢)، وكان السلطان يرسل إلى مصر قاضى القضاه المعروف باسم "قاضى عسكر أفندى".

وفى بدء الحكم العثمانى كان السلطان يرسل قضاة عثمانيين يعاونون قاضى العسكر فى تطبيق العدالة فى مصر(٣)، ومعظم هؤلاء القضاة كانوا يجهلون لغة البلاد، ومن ثم كانوا يستعينون بتراجمه كانوا يقرأون النصوص ويترجمونها كما يحلو لهم كما كانوا يحصلون على إتاوات شتى(٤)، هذا إلى جانب أن بعضهم لم يكن على قدر من العلم الذى يؤهلهم لهذه الوظيفة(٥) وكان قاضى العسكر يقوم بتعيين نواب له فى محاكم الأقاليم من بين القضاة العثمانيين الذين يرسلهم السلطان العثمانى لمعاونته(٦)، وفى حالة وفاة أحد القضاة العثمانيين كان قاضى العسكر يعين مكانه قاضيا مصريا حتى يحضر قاضى من السلطنة(٧).

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن، المرجع السابق، ص ٤٨ .

(٢) Chabrol, de, : Essai sur les moeurs des habitans modernes de L'Egypt, dans Description de L'Egypte, Tome, 18, Premiére Partie, Seconde Édition, Paris, 1826, P.229

(٣) حسن عثمان : المرجع السابق، ص ٢٥٨ .

(٤) Chabrol. Op. Cit. P. 231

(٥) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٤٠ .

(٦) نفس المرجع، ص ص ٣٩، ٤٠ .

(٧) ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ٢٧١ .

ولقد تغير هذا النظام فى مصر فى عصر تأخر الدولة العثمانية واضطراب الأحوال فى مصر، فلم يعد قضاة الأقاليم يأتون من استانبول، بل أصبح معظمهم من القضاة المصريين حتى إذا ما وصلنا إلى السنوات السابقة للحملة الفرنسية أى فى أو اخر القرن الثامن عشر لم يكن بمصر من القضاة العثمانيين سوى قاضى العسكر، وقاضى المحلة الكبرى وقاضى رشيد والمنصورة والجيزة والإسكندرية(١)٠

ولقد كان المذهب السائد فى مصر العثمانية هو المذهب الحنفى، وإن لم يمنع ذلك من وجود مفتين على المذاهب الأخرى يرجع إليهم القضاة عند الحاجة(٢)٠

وكان اختصاص القاضى يشمل على الآتى :

١- الفصل فى القضايا٠

٢- اختيار الأشخاص للوظائف فى المساجد٠

٣- إدارة الأوقاف الخيرية٠

٤- قسمة المواريث٠

٥- تحصيل الرسوم المقررة على بيع ونقل الملكيات(٣)٠

كما يدخل ضمن اختصاص قضاة الأقاليم تنصيب مشايخ الطوائف الحرفية بعد موافقة أفراد الطائفة الحرفية، والإشراف على الأسعار وفقا لما يتفق الأعيان والحكام وأفراد الطائفة(٤)٠

ويضاف إلى كل هذه الاختصاصات الفصل فى القضايا العادية التى كانت تحدث بين الناس، مثل قضايا الزواج والطلاق والوصايا والاختلافات المدنية والبيوع والعقود وإثبات حالات الوفاة وحصر التركة وتحديد الورثة واشهار إسلام بعض الأشخاص الراغبين فى الدخول فى الإسلام(٥)٠

---

(١) ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ٢٧٢ ٠

(٢) حسن عثمان : المرجع السابق، ص ٢٥٨ ٠

(٣) Chabrol. Op. Cit. P. 234.

(٤) محمد نور فرحات : القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى، سلسلة تاريخ المصريين، عدد رقم ١٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨، ص ٥٥ ٠

(٥) ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ٢٨٤ ٠

وكان القاضى يجلس فى المحكمة طوال أيام الأسبوع بما فيها أيام الجُمع وذلك حتى يتمكن من ممارسة اختصاصاته الواسعة ويتمكن المتقاضون من رفع شكاواهم فى أى وقت(١).

أما عن مدة شغل القاضى لوظيفته فتذكر المصادر أنها كانت تصل إلى عامين، بل أنه فى بعض الأحيان كان القاضى يخرج من وظيفته بعد عام(٢).

ولم يكن للقضاة بصفة عامة بما فيهم قاضى عسكر أفندى مرتبات ثابتة كالقضاة فى عصرنا الحالى، بل كان قاضى العسكر أو ممثلوه يحصلون على ٢,٥٪ من قيمة الأشياء موضوع النزاع ولكن فى بعض الأحيان كانت تصل رسوم القضايا إلى ٨٪ أو ١٠٪ بما فى ذلك أجور الكتبة والمترجم، وجدير بالذكر أن القاضى لم يكن يتقاضى شيئا من الفقراء، ومن المبادئ التى تشيع بين القضاة أن الفقر طرف له قداسته وهكذا وضع العرف والأخلاق حدوداً لجشع القضاة(٣).

وإلى جانب القضاة فى الإقليم وجد معهم بعض الشخصيات الدينية الأخرى مثل المفتون على المذاهب الأربعة، وكانوا يحضرون مجالس الشرع فى المحاكم الإقليمية حينما يكون موضوع الجلسة متعلقا بإدارة الإقليم، أما عن مدة خدمة هؤلاء فكانت مدى الحياة(٤).

ولقد تدهور النظام القضائى فى مصر فى أواخر القرن الثامن عشر ويمكن إرجاع هذا التدهور إلى العوامل التالية :

أولا : شراء مناصب القضاء حيث أن القضاة ابتداء من قاضى عسكر نفسه إلى قاضى الإقليم كانوا يشترون مناصبهم من أصحاب الحق فى تعيينهم فى هذه المناصب.

---

(١) ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ٢٨٦، عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٤٢.

(٢) Chabrol. Op. Cit. P. 231

(٣) Ibid, P. 235.

– ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ص ٢٦٣–٢٨٦، محمد نور فرحات، المرجع السابق، ص ٧٣.

(٤) ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ص ٢٩٠، ٢٩١

ثانيـا : اهتمـام بعض رجـال القضـاء بجمـع الأمـوال أكـثر مـن اهتمـامهم بـالعمل القضـائى نفسه(١) ولا شـك أن سـوء حالـة القضـاء انعكسـت علـى المجتمـع المصـرى بصـورة عامة، حيث بدأ القادرون على دفع الرشاوى يصلون إلـى مـا يريـدون بأسـاليب غير مشروعة مما ترتب عليه وبخاصة فى الريف قيام كثير من المنازعـات بين السكان، وكان ذلك أكبر الأثر على حالة السكان الاقتصادية والاجتماعية(٢).

٤- الأوجاقـــات العسكريـــة :

وقد كـان عـدد هـذه الأوجاقـات سبعة وهـم علـى النحـو التـالى متفرقـة، وجاوشـان، وجمليان وتفكشيان، وجراكسة ومستحفظان وعزبان، ومهمتهـم الأساسية الدفـاع عـن مصـر ضد أى غزو تتعرض له ومساعدة الجهاز الادارى، فى مصر علـى أداء مهامـه، والمسـاهمة فى حكم وإدارة الأقاليم وجمع الأموال الأميرية.

فكانت مهمة أوجاق متفرقة تنحصر فى الدفاع عن حدود مصر وثغورها، وكان يقوم بإمداد القلاع المحيطة بمصر بالجند.

وتجدر الإشارة إلى أن القلاع التى كانت موجودة بالصعيد هى قلعـة أسوان، وقلعـة أبريم، وقلعة القصير كما كان لوجاق المتفرقة حامية صغيرة فـى ولايـة جرجـا وأبريـم مثل باقى الفرق، ورغم أن رجـال القـلاع كـانو يؤخـذون مـن فـرق مصـر العسـكرية، فقد كـانوا يمثلون هيئة خاصة مستقلة عن الفرق تتقاضى مرتبات منفصلة من الخزينة.

أما عن حالة القلاع المذكورة فإنها قد تدهورت فى أواخر القرن الثامن عشـر(٣) أمـا أوجاق جاوشان فكان العمل الرئيسى له يتمثل فى تحصيـل الأمـوال الأميريـة مـن الملـتزمين

---

(١) لمزيد من التفصيل. انظر : ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ص ٢٨٧-٢٨٩ .

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : فصـول مـن تـاريخ مصـر الاقتصـادى والاجتمـاعى فـى العصـر العثمانى، سلسلة تاريخ المصريينن عدد رقم ٣٨، الهيئة المصرية العامـة للكتـاب، القـاهرة ١٩٩٠، ص ٣٤٣-٣٤٩ .

(٣) لمزيد من التفصيل انظر : ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ٢٠٣-٢١٤ .

وتوريدها إلى خزينة الروزنامة[1] وكان للانكشارية حامية هامة فى ولاية جزجا ومنطقة الحدود فى أبريم على الحدود الجنوبية لمصر، وكانت هذه الحامية تستمد رجالها من فرقة الانكشارية الرئيسية فى القاهرة ولكنها تحصل على مرتبات خاصة من الخزينة وليس من فرقتها الأصلية[2].

وكانت هذه الفرقة على صلة طيبة بقبيلة الهوارة أهم قبيلة عربيه فى الصعيد خلال القرن الثامن عشر، فكانت هذه القبيلة تمد الإنكشارية بالمساعدات القيمة عسكريا وماليا، وفى مقابل ذلك كان الإنكشارية يقومون بدور الدفاع عنها فى الديوان العالى عندما كانت تتجه نية الإدارة إلى إرسال حملات عسكرية ضدها[3].

أما أوجاقات السباهية الثلاثة فقد شاركت فى إدارة الريف بصورة بارزة، وكانت المهمات المنوطة بكل منها على النحو التالى :

١- *أوجاق جمليان :* وكانت المهمة المنوطة بأفراد هذا الأوجاق فى الريف تتمثل فى توطيد الأمن فى الأقاليم، ومنع البدو من غزو المناطق لزراعية وتهديد طرق المواصلات.

٢- *أوجاق تفكجيان :* أى حملة البنادق من الفرسان، واقتصرت مهمتهم على الاشتراك فى ادارة الريف وتوطيد السلطة العثمانية وأجهزتها فى الأقاليم.

٣- *أوجاق الجراكسة :* واقتصرت مهمتهم على مراقبة الأراضى الزراعية، والمحافظة على شبكات الرى، والإشراف على توزيع المياه على القرى[4].

تلك كانت أهم عناصر الادارة المركزية فى صعيد مصر فماذا عن الادارة المحلية فى الصعيد؟ هذا ما سنتناوله بالتفصيل فى النقطة التالية :

ثالثا: الإدارة المحلية فى صعيد مصر :

نقصد بالإدارة المحلية فى صعيد مصر الجهاز الادارى ودوره فى إدارة الريف فى صعيد مصر، حيث لعب هذا الجهاز دورا فى حياة السكان فى الريف، ويمكن دراسةهذا الجهاز على النحو التالى :

---

(١) ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ٢١٩، حسن عثمان : المرجع السابق ص ٢٥٦ .

(٢) ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ١٨١ - ١٨٣ .

(٣) نفس المرجع، ص ١٨٤ .

(٤) لمزيد من التفصيل انظر : عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الريف المصرى فى القرن الثامن عشر، ص ٥٤-٦١، صلاح أحمد هريدى، المرجع السابق، ص ١٣٦-١٣٨.

١- الملتــــزم :

وهو الموظف المكلف بإدارة القرية وتنظيم شئونها، وتوطيد الأمن فيها(١)، والإلـتزام فى المصطلح الإدارى والمالى العثمانى هو التعهد من قبـل فـرد أو عـدة أفراد بسـداد المـال الميرى السنوى المربوط على قرية أو جزء من قرية أو عدة قرى بواقع سعر مبدئى يتراوح بين ٤٠ و ٤٠٠ بارة للفدان الواحد حسب جودة أرضه، ثم يطرح للمزاد فى أول شـهر تـوت من كل عام، نظراً لسير الزراعة وفق الأشهر القبطيـة، مـع ضـرورة ذكـر التـاريخ العربـى الموافق للقبطى فى وثيقة الالتزام، لأن السداد كان يتم حسب الأشهر العربية، علـى أن يـأخذ لنفسه مقابل جبايته الأموال الأميرية جعـلا مـن الفلاحيـن لا يزيـد علـى مبلـغ المـال الميـرى موضوع المزايدة، وعلى أن يسدد أيضا لخزينة الروزنامة ثلث المال الميرى مقدمـا بمجـرد تسجيل الالتزام(٢) وكان الروزنامجى يسلم كل ملتزم تقسيطا يذكر فيه المال الميرى الواجـب سداده واسم القرية أو القرى الملتزمة وعدد قراريطها ومساحة هذه القراريط، كما كان يسـلم والملتزم تمكينا ينص على "ضرورة رعاية أرض الالتزام، وأن يكون متسامحا مع الفلاحيـن وألا يظلم احدا منهم(٣) .

وتتلخص مهمة الملتزم وواجبه الأول فى جمع الدخل الواجب على القريـة أو القـرى التابعة له، وتسليمه للخزانة المركزية أو لخزانات الولايات(٤).

• ويقوم الملتزم بتوزيع الأرض (أرض الفلاحة) على الفلاحين فى نظير الايجار الـذى يتفق عليه الملتزم مع الفلاحين، وكان الجزء الذى يقوم الفلاح بزراعته يطلق عليه فى الوجه البحـرى "أرض الأثـر" وذلـك لعـدم تـأثر مسـاحات الأرض فـى غـالب الأحيـان باخطـار

---

(١) Esteve, Comte, Mémoire sur les finances de L'Égypte depuis sa conquéte par le sultan Selym Ier jusqua celle du général en chef Bonaparte, in description de L'Egypte Etat moderne. T. 12, Seconde Édition, Paris, 1823. P. 65.

(٢) ابراهيم المويلحى : المرجع السابق، ص ٢٣٦ .

(٣) Ibrahim El Mouelhy Le Paysan D'Égypte atravers L'histoire, Le Caire, 1954, P. 42.

(٤) هاملتون جب، هارولدبوون: المجتمع الاسلامى والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفـى، مراجعـة أحمد عزت عبد الكريم، الجزء الثانى، القاهرة، دار المعارف ١٩٧١، ص ٩٠ .

الفيضانات، وتبقى هذه الأرض فى حوزة الفلاح مادام يسدد الأموال المقررة عليها، وذلك بعكس ما كان عليه الحال فى الوجه القبلى، حيث كانت مساحات الأرض تتأثر بالفياضانات، ولذا فإن عمليات مسح الأرض وتوزيعها على الفلاحين بمعرفة مشايخ القرى والملتزمين وأجهزة الإدارة كانت تتم سنويا بعد انحسار مياه الفيضان عنها حيث توزع على الفلاحين الأرض الصالحة للزراعة فقط وذلك حسب مقدرة كل منهم على زراعتها، ولذا سميت "أرض المساحة" نظراً لأن توزيعها يتم بناء على مسح الأرض سنوياً(١).

وهكذا نرى أن الفلاح فى مصر العليا كان أحسن حالاً من فلاح مصر السفلى، فالملتزم لم يكن له الحق فى إرغامه على البقاء فى الأرض لزراعتها، لأن الفلاح كان ملزما بزرعها لعام واحد فقط(٢). وكان الملتزم يستقى جزءاً من ربحه من الضرائب التى كان يحصلها من أرض الفلاح "الفايظ" وفى القرن الثامن عشر "المضاف" و"البرانى"، ولكن معظم ربحه يستقى من استغلال أرض الالتزام المخصصة له شخصيا لاستغلالها (أرض الوسية) على أن الوسية لم تصبح ملكاً خاصاً له، وكان يمكن استغلالها لصالحه فقط طالما يحتفظ باستئجاره للالتزام، يضاف إلى ذلك أنه كان ملزما بأن يقتطع من ربحه الإجمالى النفقات الادارية الخاصة بجباية الضرائب ونفقات تقديم الضيافة للمسافرين، وصيانة بعض المنشئات العامة وصيانة نظام الرى(٣). ولقد كان من حق الملتزمين تسخير الفلاحين للعمل فى أرضهم الخاصة "الوسايا" دون أجر(٤).

وكانت الدولة تبقى فى يدها ملكية رقبة الأرض، بحيث لا يكون للملتزم سوى حق الانتفاع "التصرف"(٥) وهو نفس الحق الذى كان يتمتع به الفلاحون أيضاً، فلقد كان الفلاح

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٧٦ .

(٢) فاطمة الحمراوى : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى عهد الحملة الفرنسية، رسالة ماجستير غير منشورة، بقسم التاريخ، كلية الأداب جامعة القاهرة ١٩٨٨، ص ٢٧ .

(٣) هيلين آن ريفلين : الاقتصاد والإدارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصطفى الحسينى، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨، ص ٤١.

(٤) محمود عودة : الفلاحون والدولة. دراسات فى أساليب الانتاج والتكوين الاجتماعى للمجتمع التقليدى، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٣، ص ١٢٩

(٥) هيلين آن ريفلين : المرجع السابق، ص ٤١ .

يتمتع بالانتفاع بالأرض وكان محرما عليه بيعها أو إهمالها(١) ونظرة شاملة لنظام الالتزام نلمس من خلالها أن نظام الالتزام هو التنظيم الاجتماعى لاستنزاف فائض الانتاج الزراعى من خلال أشكال متنوعة من الضرائب لا ضابط لها بالاضافة إلى كونه أيضا الشكل الاجتماعى الذى يتم من خلاله استنزاف فائض العمل الزراعى واستهلاكه(٢) وإذا كان نظام الالتزام قد جلب البلاء للفلاح، والذى أصبح فى ظل هذا النظام يدفع أكثر مما عليه من الأموال وبالتالى ساءت أحوال الزراعة، فإن ذلك يرجع إلى أن هذا النظام قد طبق بطريقة مخالفة لقانون نامة شوهت ملامحه(٣).

٢- القائمقـــــام :

وهو عادة أحد كبار ملاك الفلاحين المزارعين، وهو المسئول الأول أمام الملتزم عن جباية المال ومن اختصاصه ايضا القيام بدور قاضى المصالحات فى حالة نشوب نزاع بين فلاحى القرية، كما كان عليه أن يحمى مصالح الملتزم(٤).

وكان القائمقام يحضر إلى العاصمة مرتين أو ثلاث مرات فى السنة لمقابلة الملتزم وتسليمه الأموال المقبوضة من الفلاحين(٥).

٣- المباشـــــر :

وهو بمثابة وكيل القائمقام ويباشر اختصاصاته حين يسافر القائمقام إلى العاصمة لمقابلة الملتزم، وكان يسجل كل ما يدفعه فلاحو الالتزام فى سجل خاص به(٦).

٤- شيـــخ القريـــة :

وكان الملتزم يختاره من بين أغنى أسر تابعيه من الفلاحين وكان بكل قرية سواء تولاها ملتزم واحد أو عدة ملتزمين عدد يتراوح بين ثمانية وعشرة شيوخ للبلد، وفى بعض

---

(١) ابراهيم زكى : الحالة المالية والتطور الحكومى والاجتماعى فى عهدى الحملة الفرنسية ومحمد على، القاهرة، دون تاريخ، ص ٢٨ .

(٢) محمود عودة : المرجع السابق، ص ١٢٨ .

(٣) حسن عثمان : المرجع السابق، ص ص ٢٦٤، ٢٦٥، - ابراهيم المويلحى: المرجع السابق، ص ٢٣٥.

(٤) ابراهيم المويلحى : المرجع السابق، ص ٢٣٨ .

(٥) هيلين آن ريفلين : المرجع السابق، ص ٤٨ .

(٦) صلاح أحمد هريدى : المرجع السابق، ص ١٤٤ .

الأحيان يصل هذا العدد إلى عشرين أو أكثر، وكان أبرزهم يعرف باسم "شيخ المشايخ" وكان يمارس تجاه زملائه نفس السلطة التى يمارسها هؤلاء ازاء الفلاحين الواقعين تحت إشرافهم(١)٠ وبمرور الزمن أصبحت وظيفة شيخ البلد شبه وراثية، وكان الشيوخ أقباطاً في القرى القبطية ومسلمين فى القرى المختلطة(٢)٠

وتتلخص مهام شيخ البلد فى الإشراف على الفلاحين الذين يزرعون الأرض تحت إمرته، ويقوم بجمع الضريبة المفروضة على الفلاحين ويسلمها للملتزم، وكان الشيخ له الحق فى ضرب الفلاحين بالعصا أو حبسهم فى منزل أرض الوسية حتى يسددوا ما عليهم من ضرائب، وكان الشيوخ يتبعون كل السبل التى من شأنها أن تؤدى بالفلاحين إلى أن يدفعوا ما عليهم من ضرائب، ذلك لأن الملتزم سوف يوقع جزاءه عليهم إذا ما أحسن منهم بأى تراخ فى تحصيل الضرائب(٣)٠

كما كان من مهام شيخ البلد الفصل فى المنازعات التى تنشب بين أبناء القرية، وكان شيخ مشايخ البلد يعمل بمثابة قاضى وحكم، وكانت له سلطة ليس فقط على الزراع، بل على كل السكان، وكان مركزه يحظى باحترام سكان القرية والملتزمين، وينبغى الإشارة أيضا إلى أنه كان أكثر نفوذا وسلطانا فى مصر العليا عنه فى مصر السفلى(٤)٠

كما كان على مشايخ القرى أن يقوموا بمهمة المحافظة على الأمن فى قراهم، وكانوا يقومون بتبليغ أوامر الملتزم إلى الفلاحين ثم عرض طلباتهم والتماساتهم عليه وهم بذلك بمثابة وسطاء بين الملتزم والفلاحين(٥)٠

---

(١) Esteve. Op. Cit. P. 66.

(٢) Lancret. Op. Cit. P. 478.

(٣) Ibid. P. 478, esteve, Op. Cit. P. 66.

(٤) هيلين آن ريفلين : المرجع السابق، ص ٤٩ ٠

(٥) Shaw, S.J. The financial and Administrative organization and development of Ottman Egypte 1517-1798, Princeton, New Jersy, 1962. P. 54.

وكان المشايخ يحصلون مقابل خدماتهم على امتيازات تتمثل فى إعفائهم من دفع ضرائب على الأراضى المسموحة لهم، كما أن جزءاً من أراضيهم الأخرى، كان معفيا من دفع "البرانى" وهى الضرائب الجديدة التى أدخلها البكوات والملتزمون فى خلال القرن الثامن عشر، وكان مشايخ القرى فى مصر العليا معفون تماما من الزيادات الضريبية هذه، وإلى جانب ذلك فإن لهم عوائد معترف بها فى نظير خدماتهم، وفى نظير حضورهم إلى القاهرة لمقابلة الملتزم، وفى نفس الوقت فإن الملتزمين كانوا يقدمون لهم المنح والهدايا كدليل على تقديرهم لخدمات الشيخ(١)٠

ونتيجة لذلك تمكن مشايخ القرى من تكوين ثروات ضخمة ولم يكن ذلك إلا على حساب الفلاحين، الذين تعرضوا لكثير من الظلم فى هذا العصر، وخصوصا فى أواخر القرن الثامن عشر٠

٥- الشاهـــد :

وكان يتم اختياره من قبل فلاحى القرية وبموافقة الملتزم على هذا الاختيار، وحيثما وجد عدد من الملتزمين فى إحدى القرى، كان كبيرهم يصدق على اختيار الشاهد(٢)٠ وكان المؤهل الرئيس للشاهد هو معرفة القراءة والحساب وكانت مهمته تتلخص فى تسجيل أطيان القرية فدانا بفدان وحوضا بحوض، وأسماء الفلاحين، والمال المقرر على أهل البلد وهو الذى يربط جميع الأمور على الصراف، ولذا فإن عمل الشاهد كان يعد الأساس الحقيقى لعمل الصراف الذى يقوم على أساسه بجمع المال الميرى والضرائب الأخرى(٣)٠

---

(١) Lancret. Op. Cit. PP. 485, 486.

- حسين أفندى الروزنامجى : المصدر السابق، ص ٤٠ ٠
- بير : دراسات فى التاريخ الاجتماعى لمصر الحديثة : ترجمة وتقديم عبد الخالق لاشين، عبد الحميد فهمى الجمال، القاهرة٠ ١٩٧٦، ص ١٠٨ ٠

(٢) هيلين آن ريفلين : المرجع السابق، ص ٤٩ ٠

(٣) حسين أفندى الروزنامجى : المصدر السابق، ص ٢٣، عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٢٣٠

وكان الشاهد يحصل فى مقابل ذلك على إعفائه من البرانى عن جزء من أراضيه، ومن ناحية أخرى كان يحصل على أجر ضئيل من الفلاحين بحسب مقدار الضريبة المقررة على كل منهم لكن الأمر يختلف كثيرا من قرية لأخرى(١).

٦- الصـــــراف :

وكان يقوم بتقسيم الضريبة بين الفلاحين وجمعها منهم وغالبا ما كان من الأقباط، وذلك لأمانتهم وخبرتهم فى المسائل الحسابية والمالية(٢).

وكان من عمل الصراف- حيث أنه هو الذى يتسلم الأموال- دفع النفقات الادارية التى تتطلبها مصلحة الالتزام(٣)، وكذلك كان من اختصاصه أيضا حضور عمليات المسح التى تتم فى حصته حيث أن الضرائب كانت لا تفرض إلا على الأراضى المروية التى تتم زراعتها، ولذا فإنه كان عليه أن يسجل المقاييس والحسابات اللازمة والتى يتم على أساسها جباية الأموال المقررة على الفلاحين(٤).

وكان الصرافون يتقاضون أجراً على عملهم، ويأخذون أجرا من الفلاحين أنفسهم(٥)، ولكنهم استغلوا مركزهم أسوأ استغلال، وفرضوا سلطانهم على الفلاحين واستخدموا كل الطرق الممكنة لابتزاز الفلاحين المغلوبين على أمرهم(٦).

٧- المســـــاح :

وكان يقوم بمسح الأرض بمعرفة القصاب أو حاملى المقياس (القصبة) ويدون مذكرة بذلك، ويخبر كل فلاح مقدما بما ينبغى عليه أن يدفعه مستقبلاً(٧).

---

(١) Lancret. Op. Cit. P. 486

(٢) صلاح أحمد هريدى : المرجع السابق، ص ١٤٦ .

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٢٦ .

(٤) هيلين آن ريفلين : المرجع السابق، ص ٤٩ .

(٥) حسين أفندى الروزنامجى : المصدر السابق، ص ٤٠ .

(٦) لمزيد من التفصيل انظر :

Girard, P.S.,: Mèmoire sur L'Agriculture L'industrie et le commerce de L'Egypte, in Description de L'Egypte, Seonde èdition, Tome 17. Paris 1824. P. 196.

(٧) Lancret. Op. Cit. P. 490.

وكان يتم اختيار المساح بمعرفة الوكيل الرئيسى أو كتبة الكاشف وكان كل من الشاهد والخولى يساعدان المساح فى أعماله، ويتوخان أن تكون هذه الأعمال منصفة وغير متميزة، والمساح فى العادة قبطى، ومع ذلك فبعض منهم مسلمون(١).

وفى الصعيد كان يحل سجل المساحة محل سجل الشاهد بشكله الموجود فى الوجه البحرى، فسجل المساحة كان يستخدم أساساً لتوزيع الضريبة(٢).

وكان المساح وقصابه يحصلان معاً من الفلاحين من ٦ إلى ١٠ مدينى عن كل فدان من الأرض التى قاما بقياسها(٣) ويذكر أحد علماء الحملة الفرنسية أن عملية مسح الأرض كان يتجلى فيها أكبر عمليات الغش والخداع التى يقوم بها الأقباط والتى تعود عليهم بالأرباح الطائلة، كما أن أسهل ما يمكن ارتكابه من عمليات الغش وأكثرها فى نفس الوقت صعوبة فى إمكانية إكتشافها، ولذلك كان الفلاح يساوم المساح بل ويقدم له مبلغاً من المال كى يسجل فى سجل المساحة، المساحة الحقيقية التى يستغلها الفلاح فى الواقع(٤).

وهذا دليل على الظلم الواقع على الفلاح من قبل المساح.

٨- المشـــــد :

كان المشد مجرد موظف تابع لشيخ البلد، وتتلخص مهامه فى أنه كان يحضر الفلاحين إلى الديوان فى وقت طلب المال(٥)، وهو المنفذ لأوامر الملتزم حين يريد أن ينزل العقاب Sèvir على الفلاحين عندما يخطئون أو يتأخرون فى سداد ما عليهم، كما أنه موكل بأن يخطر القرية بأوامر الملتزم(٦) وكان المشد يحصل مقابل خدماته هذه على بضع مئات من المدينى يدفعها له الملتزمون، لكنه يعرف كيف يزيد من امتيازاته عن طريق الهدايا التى يحصل عليها مقابل الخدمات التى يؤديها(٧).

---

(١) Girard. Op. Cit. P. 194, Esteve Op. Cit. P. 89, Lancet. Op. Cit. P. 490.

(٢) Esteve. Op. Cit. P. 91.

(٣) Lancret. Op. Cit. P. 490.

(٤) Girard. Op. Cit. PP. 195, 196.

(٥) حسين أفندى الروزنامجى : المصدر السابق، ص ٤١ .

(٦) Esteve. Op. Cit. P. 67.

(٧) Lancret. Op. Cit. P. 485.

٩- الخفيـــــر :

والخفراء هم حراس القرية، ويتفاوت عددهم من قريـة لأخرى، وهم مكلفون بمنـع السرقات، ومنع كل ما يمكن أن يرتكب فى القرية مما يعد خروجاً علـى النظـام، كمـا أنهم ينذرون القرية عند اقتراب العربان، ويسهر الخفراء بصفة خاصة على حراسة بيت الوسية التابع للملتزم والذى يستخدم مخزناً للمحاصيل، ويدخل ضمن واجباتهم كذلك حراسة الجسور ومراعاة ألا يقوم الفلاحون بإحداث الثغرات فيهـا فـى الأوقـات التـى تحرم خلالهـا هـذه الأعمال[١] .

كما كان على الخفير أن ينفذ أوامر المشد فى المناداة بـالخروج للعونـة وغيرهـا مـن الأوامر التى يأمره المشد بالمناداة عليها وكذلك عليه إبـلاغ الأوامـر التـى يريد شيخ القريـة إبلاغها إلى الفلاحين[٢] ويمكن القول بأن الخفـراء قد قـاموا بـدور هـام فـى معظـم الأحـوال بحماية الريف وزراعاته، وإن كانوا فى بعض الأحيـان يـد ظلـم ضـد الفـلاح فهم قـد قـاموا بدورهم فى إطار أنهم جزء من أجهزة الادارة فى القرية التى أصبح شـاغلها الأول اسـتغلال نفوذها لمصـالحها الشخصية دون الاهتمام بمصـالح الرعية[٣] .

١٠- الخـولـــى :

وتتلخص مهام الخولى فى كونـه كـان ملزمـاً بمعرفـة حـدود القريـة، والحـدود التـى تفصل بين أراضـى الملاك، كما يحسم كل المنازعات Contestations التى تنشب حول هذا الموضوع[٤] .

كما كان من مهامه القيـام بـإدارة أراضـى الوسية وهـى الأرض الخاصـة بـالملتزم، فكان يسهر على زراعتها وحصادها، كما كان يقوم بمساحة الأرض وقياسـها[٥]، وبالإضافـة إلى ذلك كان الخولى مسئولا عن صيانة نظام الرى فى الالتزام[٦] .

---

(١) Esteve. Op. Cit. P. 67.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٣٤ .

(٣) نفس المرجع، ص ٣٥ .

(٤) Esteve. Op. Cit. P. 67.

(٥) كانت عملية مسح الأرض تتم فى البداية على يد موظف قبطى هو "المساح" ثم أصبحت بمرور الزمـن تتم على يد "الخولى" لمزيد من التفصيل انظر : عبـد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السـابق، ص ص ٢٨، ٢٩ .

(٦) Lancret. Op. Cit. P. 480.

ويحصل الخولى من الملتزم نظير خدماتـــه على ما يلى :

١- الإعفاء من البرانى على جزء من أرضه.

٢- كما يعطيه كل واحد من الفلاحين مقدارا من الحبوب باعتباره مساح القرية(١).

١١- الوكيـــــل :

كان الملتزم هو الذى يعين الوكيل لكى يقوم بحفظ غلال الأوسية، فعندما يحين وقت الحصاد، كان يسجل كمية الغلال المودعة لديه، وهذا الإجراء كـان يتم بحضور شيخ البلد كشاهد(٢).

كما كان عليه حفظ تعلقات الأوسية مثل النوارج والمحاريث وخلافه(٣) ويحصل الوكيل على أجره من الملتزم ولقد ذكر أحد علماء الحملة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر أنه كان يحصل على أجره عيناً، ويصل أجره السنوى من أربعة إلى عشرة آرادب من الحبوب(٤).

١٢- الكـــــلاف :

ويعمل الكلاف – أى الراعى – تحت إشراف الوكيل، وهو موكل بحراسة قطعان الماشية والعناية بها، ويفترض فى مهنته الإلمام بفن الطب البيطرى مما يعود بالفائدة على القرية كلها، وبالتالى فهو ملزم بأن يقدم هذه الرعاية لمن يلتمسها من الفلاحين لعلاج ماشيتهم(٥).

وكان الكلاف يأخذ أجره من الملتزم لأنـه يعد عاملا تابعاً له، وإن كان فى نفس الوقت يحصل على أجر من الفلاحين وذلك نظير قيامه بخدمتهم عند الحاجة(٦).

---

(١) Lancret. Op. Cit. PP. 486, 487.

(٢) Ibid. P. 482.
Estéve. Op. Cit. P. 68.

(٣) حسين أفندى الروزنامجى : المصدر السابق، ص ٤١ .

(٤) Lancret. Op. Cit. P. 487.

(٥) Estéve. Op. Cit. P. 68.

(٦) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٣٦ .

١٣- السقـــا :

وكان عليه ملء أزيار الوسية بماء الشرب أو صهريجها إن وجد(١)، وكان يحصل على أجره من الملتزم(٢)٠

ثانيا : الأوضاع الإقتصادية للصعيد قبيل قدوم الحملة الفرنسية :

ساهم الصعيد فى كافة الأنشطة الإقتصادية والمتمثلة فى الزراعة والصناعة والتجارة، ففى مجال الزراعة تميز الصعيد بزراعة المحاصيل العديدة وعلى رأسها الحبوب التى كان يزود القاهرة منها بجزء كبير، وفى مجال الصناعة فإننا نلاحظ قيام عدد كبير من الصناعات فى الصعيد قام أغلبها على المواد الخام المنتجة محلياً٠

أما فى مجال التجارة، فلقد ساهم الصعيد بدور هام فى تجارة مصر الداخلية والخارجية وهذا ما سنتناوله فيما يلى :

أولا : الزراعـــة :

الزراعة هى مصدر ثروة مصر فى كل العصور، وقبيل مجى الحملة الفرنسية كانت الزراعة هى وسيلة الانتاج الأولى فى البلاد، وكانت الأرض فى ذلك الوقت تعتبر من الناحية القانونية ملكاً للسلطان، ولم يكن أصحاب الحيازة يتمتعون إلا بحق الانتفاع بالأرض نظير ما يؤدونه عنها من ضرائب فماذا عن الضرائب على الأراضى الزراعية فى ذلك الوقت؟

الضرائب على الأراضى الزراعية فى صعيد مصر :

كانت الضرائب المفروضة على الأراضى الزراعية بالوجه القبلى تسدد إما نقداً وإما عيناً "أى من المحصولات الزراعية" وتسدد فى بعض المناطق نقداً فى جزء منها وعيناً فى جزئها الآخر، وتدفع هذه وتلك إلى الملتزمين٠

وكانت الأراضى فى ذلك العهد مثقلة بالضرائب والإتاوات وإن كان المقرر أصلاً من الضرائب أربعة أنواع كالتالى :

---

(١) ابراهيم المويلحى : المرجع السابق، ص ٢٤٠ ٠

(٢) Lancret, Op. Cit. P. 486.

١- ضريبة المال الحر وتشمل "الميرى والفائض" :

أما ضريبة الميرى فكانت ثابتة ومقررة بموجب قانون إدارى قديم، ويتحمل الفلاحون هذه الضريبة أكثر مما يتحملون الضرائب الأخرى، لأن عائدها مخصص لخزانة السلطان الخاصة ومن ثم كانت فى نظرهم اعتراف بسيادة السلطان، وأما "الفائض" فكان يمثل الجزء من الضريبة المخصص للملتزم كربح له بشرط أن يسدد الملتزم الميرى أولاً وما يتبقى بعد ذلك من ضريبة المال الحر فهو للملتزم(١).

ويذكر أحد علماء الحملة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر أن هناك قائمة بالضرائب أضيفت إلى المال الحر، ووصل عدد هذه العادات إلى سبعة عشر عادة، وفرضت كلها على وجه التقريب لصالح فرق الأوجاقات، وهى تبدو كما لو كانت فى الأصل مجرد إتاوات تحولت بمرور الزمن إلى ضرائب قانونية(٢).

٢- ضريبة الكشوفية :

وهى الضريبة المخصصة لسد نفقات الإدارة المحلية فى الأقاليم، مثل مرتب الكاشف وترميم الجسور، وشق الترع، ومرتبات العسكر المحليين(٣) ويفرض جزء من مال الكشوفية على الملتزم، ويفرض الجزء الآخر وهو الأكثر على الفلاحين(٤).

٣- ضريبة المضاف :

وواضح من الاسم أن هذه الضريبة أضيفت أو زيدت على الضرائب المشروعة(٥) وهذه الضريبة أصبحت تشكل جزءاً من المال الميرى بل إن جميع الزيادات التى حدثت فى المال الميرى كانت تتم عن طريق فرض مضافات جديدة، وكانت الاضطرابات السياسية، إلى جانب فساد الجهاز الإدارى وراء فرض المضافات، فمرة بحجة إكمال المال المقرر

---

(١) Lancret. Op. Cit. P. 468, Chabrol. Op. Cit. PP. 244, 245.

(٢) لمزيد من التفصيل عن هذه العادات انظر :

Lancret. Op. Cit. PP. 498-501.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ١١٤ .

(٤) لمزيد من التفصيل انظر :

Lancret, Op. Cit. P. 494-496.

(٥) Chabrol. Op. Cit. P. 244.

للسلطان، ومرة أخرى بحجة إعداد وتجهيز التجاريد التى كانت ترسلها مصر لمساعدة الدولة العثمانية فى حروبها الخارجية ضد أعدائها(١). وشيئاً فشيئاً أصبحت هذه الضريبة التى فرضت فى البداية لظروف استثنائية تفرض بشكل قانونى كل عام، ويذكر أحد علماء الحملة الفرنسية أن هذه الضريبة لم تقرر إلا منذ بداية القرن الثامن عشر تقريباً(٢).

٤- ضريبة البـراني :

والبرانى ضريبة مستحدثة أضافها الملتزمون وهى لم تكن فى البداية إلا نوعاً من الهدايا التى كان يقدمها الفلاحون إلى الملتزم، لكنها تأكدت بالتدريج حتى أصبحت إجبارية واجبة الأداء بل وزادت حتى أصبحت فى بعض الجهات تدر أكبر مما يدره الفايض(٣)، وفى مناطق أخرى كانت تدر قدراً من المال أكثر من مقدار المالى الميرى(٤) ويذكر Lancret "لانكريه" أن هذه الضريبة لم تتقرر بشكل منتظم إلا منذ بداية النصف الثانى من القرن الثامن عشر تقريباً، أى فى تلك الفترة التى وصل فيها جشع الملتزمين وبخاصة المماليك منهم مداه(٥).

وهكذا كان الفلاح يئن من ثقل عبء الضرائب المفروضة عليه وإذا كانت الضرائب السالفة الذكر تشكل الجانب الرسمى من الأعباء المالية التى كان الفلاح مطالباً بدفعها للملتزم، فإن هناك أعباء أخرى غير رسمية. أصبح الفلاح يرزح تحتها وهى ما عرفت بالفرد والكلف والمغارم ورفع المظالم(٦). وقد ارتبط فرض هذه الضرائب غير الرسمية بالصراعات العسكرية المستمرة التى كانت تنشب بين البيوت المملوكية المتنازعة على السلطة، وبخاصة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، حيث إزداد نفوذ الأمراء وأصبح يفوق نفوذ الباشوات، ولاشك فى أن نفقات الحروب أدت إلى تفاقم الضرائب(٧).

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ص ١٠٨، ١٠٩ .

(٢) Lancret. Op. Cit.P. 469.

(٣) Ibid., P. 469

(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ١١٣ .

(٥) Lancret. Op. Cit. PP. 469, 470.

(٦) عبد الرحيم عبد الرحيمن : المرجع السابق، ص ١١٧ .

(٧) س.ف.فولنى : ثلاثة أعوام فى مصر وبر الشام ترجمة إدوار البستانى، الطبعة الثانية - بيروت ١٩٤٩ ص ٩٤ .

وفي أواخر القرن الثامن عشر كانت الأرض تئن تحت وطأة كل أنواع الضرائب التى يمكن أن تتحملها، وأدى تعسف السلطات المحلية فى جمع الضرائب إلى قيام الفلاحين والعربان فى منطقة طهطا سنة ١٧٧٨م بالتمرد ضد السلطات المحلية ورفضوا دفع الضرائب وألحقوا بالقوات المحلية هزيمة نكراء(١) ولا شك فى أن ثورة الفلاحين فى هذه المنطقة تدل على أن الفلاح لم يكن خاضعاً على الدوام لظلم حكامه، بل أنه كان يقوم بين الحين والآخر بثورة ضد الظلم والطغيان وذلك عندما يبلغ صبر الفلاح مداه.

وبعد أن عرضنا لنظام الضرائب على الأراضى الزراعية ولمسنا من خلال العرض مدى المشقة والظلم الواقع على الفلاح نعرض الآن لأهم المحاصيل الزراعية التى كان يقوم الفلاح بزراعتها قبيل مجئ الحملة الفرنسية.

الحاصلات الزراعية فى صعيد مصر :

كانت أهم الحاصلات الزراعية فى صعيد مصر تتمثل فى :

١- القمح :

كان يمثل المحصول الرئيسى فى صعيد مصر، وأكثر الأماكن التى تنتشر فيها زراعته ولايات طيبة وجرجا وأسيوط والمنيا، ويزرع فى أوائل أكتوبر ويحصد فى أخر مارس أو أوائل إبريل، ويتراوح إنتاج الفدان ما بين ستة أو سبعة آرادب(٢).

٢- الذرة :

وكانت تمثل الغذاء الرئيسى للفلاحين فى الصعيد، وكان إنتاج الفدان يتراوح ما بين ستة أو عشرة آرادب، وأغلب الأراضى المزروعة ذرة فى الصعيد كانت من النوع المسمى بالذرة الرفيعة، أما الذرة الشامية والتى تزرع فى الوجه البحرى فلم تكن فى الصعيد إلا زراعة مساعدة(٣).

---

(١) ج.بير : المرجع السابق، ص ص ٢١٩، ٢٢٠.

(٢) Girard, Op. Cit. P. 48 - 53.

(٣) Ibid. P. 54-59.

٣- الشعيــر :

ويزرع فى كل أنحاء الصعيد وكان إنتاج الفدان يتراوح ما بين خمسة وعشرة آرادب(١).

٤- العــدس :

ويزرع فى المنطقة الممتدة من إدفو إلى الجيزة بما فى ذلك منطقة الفيوم، ويختلف محصول الفدان باختلاف السنين فيكون ما بين ستة أو سبعة آرادب فى بعض السنين ويهبط أحياناً إلى ثلاثة أو أربعة آرادب(٢).

٥- الحمــص :

وتكثر زراعته فى كثير من مناطق الصعيد، ويتراوح إنتاج الفدان ما بين أربعة إلى ثمانية آرادب ويستخدم كغذاء للفلاحين(٣).

٦- الفــول :

ويزرع بوفرة فى ولايات جرجا وأسيوط والمنيا، وينتج الفدان عادة حوال سبعة آرادب فى السنوات الطيبة، ومن إثنين إلى ثلاثة آرادب فى السنوات غير المواتية، وتصدر منه كميات كبيرة إلى بلاد الجزيرة العربية عن طريق القصير(٤).

٧- البصــل :

وتجود زراعته فى الوجه القبلى، وتصدر منه كميات إلى شبه الجزيرة العربية عن طريق القصير وينتج الفدان من عشرين إلى ثلاثين أردب(٥).

---

(١) Girard. Op.Cit. P. 59-73.

(٢) Ibid. P. 73-75.

(٣) Ibid. P. 75.

صلاح هريدى : المرجع السابق، ص ٢٥٢ .

(٤) Girad. Op. Cit. P. 76, 78.

(٥) Ibid. P. 78-80.

٨- البرسيم :

يزرع فى أنحاء الصعيد عدا المنطقة الواقعة جنوب فرشوط، ويستخدم علفاً للحيوانات وكانت مساحة الأراضى المزروعة برسيماً فى الوجه القبلى تبلغ سدس الأراضى فى الوجه القبلى[١].

٩- السمسم :

ويزرع فى ضواحى قنا، وهو محصول صيفى، ويبلغ متوسط محصول الفدان نحو ستة أرادب من البذور، وتستخدم بذوره فى إنتاج زيت الطعام، وتستخدم سيقانه كوقود[٢].

١٠- القرطم :

وتنتشر زراعته ابتداءً من "إسنا" حتى القاهرة، والقرطم من المحصولات المربحة، حيث تستخرج من زهوره صبغة صفراء كانت تصدر للخارج[٣].

١١- الكتان :

وكان يزرع فى بعض مناطق الوجه القبلى وبخاصة فى أسيوط والمنيا والفيوم، ولمحصول الكتان فائدة مزدوجة، فلقد كان جزء كبير من الكتان يستعمل فى صناعة المنسوجات وذلك على يد نساجين من أهل البلاد يوجدون بكثرة فى مدن وقرى مناطق أسيوط والفيوم، هذا إلى جانب أن بذور الكتان تستخدم فى إنتاج زيت يستخدم فى الإضاءة[٤] Abruler .

---

(١) أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٥، ص ١٥

(٢) Girard. Op. Cit. PP. 92-93.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ١٨٣ .

(٤) Girard. Op. Cit. P. 104-106.

١٢- القطـــن :

ويزرع القطن في صعيد مصر وخصوصا في المنطقة المدارية أي في أقصى الجنوب، وكانت أشجار القطن تمكث في الأرض لمدة عشر سنوات، وكان إنتاج الفدان يصل أحياناً إلى ثلاثمائة رطل من القطن، وكان الإنتاج يستخدم محليا في صناعة المنسوجات(١).

١٣- قصب السكر :

وتتركز زراعته في ولاية "جرجا" وخصوصاً في أراضي "فرشوط وأخميم"، وكان إنتاج الفدان يصل في العادة إلى عشرين قنطاراً من السكر(٢).

١٤- النيـلة :

وتزرع بصفة أساسية في المناطق الجنوبية من الصعيد، وفي كل من "بني سويف والجيزة"، ويستخرج من أوراق النيلة صبغة زرقاء، كانت تستخدم لصباغة أقمشة الثياب التي ترتديها الطبقات الدنيا، والنيلة من الحاصلات ذات الربح الوفير(٣).

١٥- التبـــغ :

ويزرع بشكل خاص في كل ولايات مصر العليا، وكان الناتج يستهلك في داخل البلاد(٤).

---

(١) Girard. Op. Cit. P. 98-103.

(٢) Ibid. P. 113-115.

(٣) Ibid. PP. 108-113.

أمين مصطفى عبد الله : تاريخ مصر الإقتصادي والمالي في العصر الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥١، ص ٤٧ .

(٤) Girard. Op. Cit. PP. 115, 116.

١٦- الأشجـــار :

أما أهم الأشجار التى كانت تزرع فى الصعيد، فكانت النخيل وتنتشر زراعته فى كافة أنحاء الصعيد(١)، كما تزرع أشجار الورد فى "الفيوم" بكثرة وذلك بقصد إنتاج الروائح، ويبلغ متوسط إنتاج الفدان ٨ قناطير من الورد(٢).

الثروة الحيوانية :

كان إهتمام الفلاح في صعيد مصر منصباً على تربية الحيوانات التى تعينه فى عمله الزراعى أو التى تزوده بقدر من المواد الغذائية كاللبن والزبد والجبن، فعمليات رفع مياه الرى ودرس الحبوب، وبشكل عام كل العمليات الزراعية كانت تتم بواسطة الثيران فى الصعيد، كما تربى الجاموس فى مصر العليا من أجل الألبان التى توفرها(٣).

أما عن حيوانات النقل فتتمثل فى الجمال والحمير فأما الجمال فتقوم بنقل الحاصلات الزراعية عندما يتعذر نقلها نهراً عن طريق النيل أو الترع، وكانت تربية الجمال واحدة من الاهتمامات الرئيسية للقبائل العربية فى الصعيد، ويمتلك العرب فى مصر الوسطى من الخيل والجمال أعداد كبيرة(٤).

وكان المزارعون يستأجرون الجمال من البدو لنقل المحاصيل أما الوسيلة الثانية للنقل فهى الحمير، وكانت الحمير أكثر دواب الحمل استعمالاً فى القرى، وقل أن يوجد فلاح ليس لديه حمار، ومما شجع الفلاح على اقتناء هذا الحيوان، صبره وقناعته فى الأكل ونفعه الكبير له فى عمله(٥).

---

(١) Girard. Op. Cit. P. 118-120.

(٢) Ibid. PP. 117-118.

(٣) Girard, Op. Cit. P. 125-127.

(٤) Jomard. Observations. Sur Les arabes de L'Egypte moyenne, in Description de L'Egypte, Etat moderne, T.12, Seconde édition. Paris. 1823 P. 270.

(٥) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ١٨٩ .

وكانت الماعز تربى فى مصر العليا لألبانها ولعمل القرب التى تستخدم فى نقل المياه، وكانت كمية كبيرة من الأغنام تربى كذلك فى الفيوم(١).

ثانيا : الصناعـــة :

كانت الصناعة فى ذلك الوقت تعتمد أساساً على المواد الخام التى تنتجها المنطقة التى تقوم فيها تلك الصناعة، ولقد انحصرت الصناعة فى أقاليم مصر فى ذلك الوقت فى الحرف التى تفى بالضرورات الأولى، وفى الأعمال اليدوية التى تتناول بعض المنتجات الزراعية التى تفى بإشباع حاجات الاستهلاك اليومى، والتى تكون موضوع تبادل محدود للغاية، وإن كانت هناك فى المدن الكبرى صناعات رئيسية منظمة على مدى واسع بغرض تصديرها إلى الخارج.

أما الصناعات المنتشرة فى صعيد مصر فى تلك الفترة فكانت كالتالى :

١- صناعة الأوانى الفخارية :

إنتشرت هذه الصناعة بصفة خاصة فى الصعيد، حيث يوجد الطمى الصالح لصناعة الأدوات المنزلية كالبرام والأزيار والقدور والأوانى الكبيرة التى تعبأ فيها النيلة والعسل، وكان إنتاج الأصناف الجيدة قاصراً على جنوب الصعيد، حيث تتوافر الأحجار والخامات الصلبة فى المحاجر المتاخمة للنيل عند أسوان، كما تركزت صناعة القلل فى قنا، وكانت أسعارها فى أسواق القاهره مرتفعة(٢).

٢- صناعة الغزل والنسيج :

وكانت من أهم الصناعات المنتشرة فى الصعيد، واشتهرت مدن معينة بإنتاج المنسوجات القطنية مثل إسنا وقوص وقنا وبنى سويف، فى حين اشتهرت مدينة الفيوم بصناعة المنسوجات الكتانية من الكتان المحلى(٣).

---

(١) Girard. Op. Cit. P. 128-130.

(٢) على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٢، ص ١٧ .

(٣) لمزيد من التفصيل : انظر Girard. Op. Cit. P. 207-224.، أمين مصطفى عبد الله : المرجع السابق، ص ٨٤ .

٣- صناعة الحصر :

وكانت هذه الصناعة منتشرة فى مناطق عديدة من الصعيد، إذ لا غنى لمنزل من منازل الريف عن استعمالها، ولهذا السبب لا توجد قرية واحدة ليس بها نساجون عديدون لصناعة الحصر، وأكثر هذه الحصر خشونة وأكثرها شيوعاً فى الصعيد هى التى تصنع من الحلفا، كما تصنع الحصر فى كل مكان من سعف النخيل، ويوجد فى الفيوم قرى كانت متخصصة فى هذه الصناعة مثل قرية "طمية وقريتى "المعصرة وسنورس"، وكانت هذه القرى تنتج الأنواع الجيدة من الحصر والتى يشيع استعمالها فى المدن الكبرى(١).

٤- صناعة الطوب :

وكانت منتشرة فى جميع أنحاء القطر من الطين المخلوط بالقش والمجفف فى الشمس ومن ذلك الطوب كان سكان الريف يبنون مساكنهم(٢).

٥- صناعة الزيوت :

وانتشرت هذه الصناعة فى الصعيد حيث تتوفر المواد الخام المحلية مثل بذور الخس والقرطم والكتان والسمسم، وتستعمل مختلف أصناف الزيوت استعمالاً مزدوجاً للطعام والوقود(٣).

٦- صناعة ماء الورد :

وهى من الصناعات الصغرى، وتركزت فى مدينة الفيوم، حيث كانت مصانع التقطير تستعمل أزهار الورد التى تنتجها تلك المنطقة(٤).

---

(١) Girard. Op. Cit. PP. 226,. 227.
أحمد الحتة : المرجع السابق، ص ٢٣ .
(٢) نفس المرجع، ص ٢٢ .
(٣) Girard. Op. Cit. P. 229-233.
هاملتون جب وهارولدبوون : المرجع السابق، جـ٢، ص ١٤٤ .
(٤) أحمد الحتة : المرجع السابق، ص ٢٣ .

٧- صناعـــة السكـــر :

تركزت فى الوجه القبلى وبخاصة فى "فرشوط وأخميم"، وكانت الآلات المستخدمة فى هذه الصناعة بدائية تديرها الثيران(١)، كما كانت صناعة السكر من الصناعات الرئيسية لعرب مصر الوسطى(٢)٠

٨- صناعة تفريخ الدجــاج :

انتشرت هذه الصناعة فى كثير من مدن وقرى الصعيد، حيث كانت معامل الدجاج تقوم بعملية التفريخ، فيورد الفلاحون البيض إليها ويأخذون عن كل ١٠٠ بيضة من ٢٥ إلى ٥٠ كتكوتاً، وكانت معامل الدجاج فى الغالب ملكاً لحكام الأقاليم من البكوات والكشاف(٣)٠

٩- صناعة ملح البـــارود :

وتبلغ هذه الصناعة درجة كبيرة من الأهمية بسبب استخدام هذا الملح فى صناعة بارود البنادق وقامت مصانع نترات البوتاسيوم والبارود فى صعيد مصر(٤)، وأهم هذه المصانع كان يوجد فى "الدهاشنة" بالقرب من قنا(٥)٠

تلك أهم الصناعات التى كانت موجودة فى صعيد مصر قبيل مجئ الحملة الفرنسية٠- وقبل أن ننهى حديثنا عن الصناعة نود أن نشير إلى أن المشتغلون فى الصناعة فى ذلك الوقت كانوا ينتظمون فى طوائف، وكانت الطائفة تضم أصحاب الحرفة الواحدة، ولكل طائفة شيخ يرعى مصالحها، ويقع على عاتق هذا الشيخ أيضاً مهمة تحصيل الضريبة المفروضة على الطائفة، وفض المنازعات التى قد تنشأ بين أعضائها، وكان منصب شيخ الطائفة وراثياً فى بعض الأسر، بحيث يستمر ما دامت الأسرة مشتغلة بالصناعة(٦)٠

---

(١) أمين مصطفى عبد الله : المرجع السابق، ص ص ٨٥، ٨٦، على الجريتلى : المرجع السابق، ص ٢١ ٠

(٢) Jomard. Op. Cit. P. 280.

(٣) أحمد الحتة : المرجع السابق، ص ص ٢٤، ٢٥ ٠

(٤) La Decade Egytienne, Tome Ier, Beyrouth, Sans date, P. 19.

(٥) Girard. Op. Cit. P. 256.

(٦) أحمد الحتة : المرجع السابق، ص ١٨ ٠

ويمكن القول بأن شيخ الطائفة كان يمثل حلقة الإتصال بين أبناء طائفته وبين السلطة الحاكمة، فكلما أرادت الحكومة النظر فى نظام تلك الطوائف، أو تحصيل ما تفرضه عليها من الضرائب أو القروض الإجبارية خاطبت فى ذلك شيوخ الطوائف الذين يقومون بتوزيع المطلوب على أفراد الطائفة وجمعه وتسليمه للسلطة الحاكمة(١).

ويمكن القول أن الصناعة المصرية، كانت متدهورة فى أواخر القرن الثامن عشر ويرجع ذلك لأسباب منها اختلال الأمن، وعدم توافر رؤوس الأموال، ومنافسة المنتجات الأوروبية(٢).

ولعل أهم العوامل التى أثرت فى تأخر الصناعة المصرية فى ذلك الوقت تتمثل فى حالة العزلة التى عاشتها مصر فى العصر العثمانى، وبالتالى عدم تأثرها قليلاً أو كثيراً بالتطورات الإقتصادية الهامة التى مهدت السبيل فى القرنين السابع عشر والثامن عشر لظهور نظام الصناعة الحديثة فى غرب أوروبا وما صاحب ذلك من تطور كبير فى الأساليب الفنية الصناعية التى لم تكن مصر تعلم عنها شيئاً، وستكون الحملة الفرنسية كما سنرى فيما بعد فرصة للمجتمع المصرى ليتعرف على أحدث ما وصل إليه التقدم الصناعى فى أوروبا.

ثالثا : التجارة :

أسهم الصعيد بدور هام فى تجارة مصر الداخلية والخارجية نوضحه على النحو التالى :

١- التجارة الداخلية فى الصعيد :

قامت التجارة الداخلية فى الصعيد فى أسواق القرى وأسواق المدن، وكان لاختلاف أحوال الإنتاج الزراعى والصناعى فى بلد عنه فى بلد آخر أثره فى إيجاد نوع من أنواع

---

(١) ليلى عبد اللطيف أحمد : دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام إبان العصر العثمانى، مكتبة الخانجى، القاهرة ١٩٨٠، ص ٦٥ .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر : أمين مصطفى عبد الله : المرجع السابق، ص ص ٨٣، ٨٤، على الجريتلى، المرجع السابق، ص ٢٤، أحمد الحتة : المرجع السابق، ص ص ١٦، ١٧ .

التبادل التجارى والشراء والبيع وقيام الأسواق، وعلى هذا الأساس قامت الأسواق فى القرى، وكانت كل قرية تعقد سوقها فى يوم معين من أيام الأسبوع، فقرية تعقد سوقها يوم السبت، والأخرى يوم الأحد وهكذا، ولم يكن سوق القرية مقتصراً على سكانها فقط، بل كان يشارك فيه سكان القرى المجاورة الذين يرغبون فى تسويق منتجاتهم وفى كثير من الأحيان كانت مجموعة من القرى تتخذ لها سوقا واحدة تعقد فى إحداها، ويكون مركزاً لتسويق منتجات هذه القرى فى تلك السوق(١)٠

وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك أسواق سنوية موسمية لعبت العقيدة الدينية فيها دوراً كبيراً، حيث كانت هذه الأسواق تعقد بالقرب من أضرحة الأولياء والصالحين فى موالدهم، وكان لانعقاد مثل هذه الأسواق على مقربة من مكان له مكانته الدينية أثره على نفوس الأهالى والمشترين حيث يعتقدون أن مشترواتهم تحفها بركة هذا الولى أو ذاك الصالح تبعا لاعتقادهم فيه، ومن أمثلة هذه الأسواق الدينية فى الصعيد سوق مولد سيدى عبد الرحيم القنائى بقنا وسوق مولد سيدى ابراهيم الشلقامى بقرية شلقام فى البهنساوية الذى يأتى له الناس من كل جهة للزيارة والتجارة فيباع فيه كل شئ مما فى القطر من حيوانات وحرير وغير ذلك(٢)٠

أما أهم أسواق الوجه القبلى والتى كانت تقام فى المدن الكبرى فمن أهمها أسواق إسنا وقوص والفيوم حيث كانت مدينة إسنا من المراكز الهامة للتجارة فى الصعيد وكان يقوم بها سوق كل أسبوع، كما كانت إسنا مركزا لتجارة مصر مع القبيلتين العربيتين العبابدة والبشارية اللتين تمتلكان الصحراء المتاخمة، وكان هؤلاء العربان يأتون إلى سوق إسنا ليحصلوا على الحبوب وبخاصة الأرز وكذلك الحديد والمعادن الأخرى التى يحتاجون إليها، ويبيع العربان فى مقابل ذلك الجمال والعبيد السود الذين يختطفونهم من القوافل التى تعبر صحراءهم(٣)٠

---

(١) أمين مصطفى عبد الله : المرجع السابق، ص ١٢٥، عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٢٠٢ ٠

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٢٠١ ٠

(٣) Girard. Op. Cit. P. 261, 264.

أحمد الحتة : المرجع السابق، ص ٢٦ ٠

كما كانت مدينة إسنا تستخدم كمستودع لبعض البضائع الواردة من قوافل سنار مثل ريش النعام والعاج والأبنوس كما كان يرسل من إسنا إلى القاهرة عن طريق النيل زيت الخس بكميات كبيرة، وكمية قليلة من زيت القرطم والقمح والحبوب الأخرى وكذلك البلح والفحم والسنامكى والشبة ونظير ذلك كانت ترسل من القاهرة إلى مراكز التجارة فى الوجه القبلى ومنها إسنا السلع المعدنية والمنسوجات وغير ذلك من الواردات الأوروبية(١). أما مدينة الفيوم فكان يقام فيها سوقا هائلة يأتى إليها العرب الذين استقروا على تخوم هذا الإقليم ليتزودوا بما يحتاجون إليه فى حياتهم، ويبيع هؤلاء الجمال التى يربونها والبلح الذى جمعوه من الواحات، أما الفلاحون فيأتون إلى السوق ليس فقط ليبيعوا الخضر والفاكهة، بل ليبيعوا أيضاً شيلان الصوف التى يصنعونها(٢).

وكان كل من يبيع سلعة عليه أن يدفع ضريبة تسمى ضريبة السوق، وكانت هذه الضريبة تختلف من سوق إلى آخر، وكان النظام المتبع فى جباية هذه الرسوم المقررة على هذه الأسواق هو نظام الإلتزام، فكان لكل سوق ملتزمها الذى يقوم بتحصيل الضرائب على السلع المباعة بما يحقق له الربح الذى يريده(٣).

وكان نقل السلع بين الوجه القبلي والقاهرة يتم عن طريق نهر النيل فى أغلب الأحيان وذلك لأنه طريق اقتصادى لحد كبير، إلى جانب أنه أكثر ضماناً وأمناً من الطريق البرى وكانت مصر القديمة لوقوعها على الشاطئ الشرقى للنيل الميناء الرئيسى للوارد والصادر إلى الوجه القبلى، وكانت المراكب النيلية من الوسائل الهامة للتجارة الداخلية، وتعد كل المدن الواقعة على النيل، وكذلك بعض القرى محطات تتوقف فيها القوارب التى تأخذ منها أو تفرغ فيها حمولتها أثناء موسم الفيضان(٤).

---

(١) Girard. Op. Cit. P. 262.
أحمد الحتة : المرجع السابق، ص ٢٦ ؛

(٢) Girard. Op. Cit. PP. 269, 270.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٢٠٣ .

(٤) Girard. Op. Cit. PP. 267, 268.
أحمد الحتة : المرجع السابق، ص ٢٧ .

وبالرغم من أن التجارة الداخلية والتجارة بين الأقاليم كانتا مزدهرتين لدرجة ما، فقد كانت تعوقهما عدة عوامل حدت من انتشار واتساع دائرة التبادل التجارى ومن هذه العوامل، اختلال الأمن، وضعف القوة الشرائية، واختلال نظام النقد، وعدم ثبات قيمة العملة، هذا إلى جانب كثرة الرسوم التى كانت تفرض على المتاجر كالدخولية والعوائد النهرية، ورسوم دخول المدن والخروج منها[1] ولاشك فى أن هذه العوامل كانت عائقاً فى سبيل إزدهار التجارة الداخلية لكن ماذا عن دور الصعيد فى التجارة الخارجية؟

٢- *دور الصعيد فى التجارة الخارجية لمصر :*

ساهم الصعيد فى تجارة مصر الخارجية من خلال موقعه الجغرافى ومنتجاته الزراعية والصناعية، ولعبت مدن الصعيد دوراً فى هذا المجال، فكان لموقع أسيوط وإسنا دور فى مجال التبادل التجارى بين مصر والسودان، حيث كانت إسنا نهاية طريق القوافل القادمة من سنار، كما كانت أسيوط مركزاً هاماً للتجارة لأنها نهاية قافلة دارفور، وبالتالى فإن مصر كانت تحتكر طريق القوافل مع شرق السودان، بالإضافة إلى أنها كانت تحتكر طريق القوافل مع بلاد العرب الواقعة على البحر الأحمر، كما كان لوقوع قوص وقنا عند نهاية الطريق الصحراوى من القصير أثره الكبير فى التبادل التجارى بين مصر وبلاد العرب، ولعب ميناء القصير دوراً فى هذا المجال فلقد كان التبادل التجارى عبر ميناء القصير وميناثى بلاد العرب ينبع وجده مزدهراً إلى حد ما٠

ومن هنا يمكن القول بأن الصعيد ساهم بقدر كبير فى تجارة مصر الخارجية، وهذا ما سنتحدث عنه من خلال نقطتين تتمثلان فيما يلى :

١- التبادل التجارى بين مصر والسودان٠

٢- التبادل التجارى بين مصر وبلاد العرب٠

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : أحمد الحتة : المرجع السابق، ص ٢٥، على الجريتلى : المرجع السابق، ص ١٥، عبد الرحيم عبد الرحمن، المرجع السابق، ص ٢٠٣، هاملتون جب وهارولدبوون، المرجع السابق، جـ٢، ص ١٤٧، صلاح أحمد هريدى : المرجع السابق، ص ١٨٩ ٠

١- **التبادل التجارى بين مصر والسودان :**

كان لمنطقتين من مناطق السودان دور رئيسى فى العلاقات التجارية بين مصر والسودان، والمنطقتان هما دارفور التى تقع فى أقصى الغرب للسودان – أى إلى الجنوب من مصر ومملكة سنار فى الشرق – أى تقع فى الجنوب الشرقى من مصر، حيث كانت القافلتان تغدوان وتروحان ما بين دارفور وسنار والقاهرة(١)٠

وما يهمنا هنا هو أن نوضح أثر الصعيد على هذه العلاقات ودوره فيها من خلال حديثنا عن هاتين القافلتين٠

أولا : قافلة دارفور :

وكانت هذه القافلة بمثابة القافلة الرئيسية فى مجال التبادل التجارى بين مصر والسودان، وكانت القافلة تسير عبر الصحراء الغربية فى الطريق المعروف بدرب الأربعين، وتستغرق المسافة بين دارفور وأسيوط ما بين أربعين وخمسين يوما وتتكون القافلة من حوالى خمسة ألاف جمل محملة بالسلع الآتية :

العاج والتمر الهندى، وبعض جلود النمور، والصمغ وسن الفيل، وريش النعام، ولكن تجارتها الرئيسية كانت تتمثل فى العبيد من الجنسين، وكان مايأتى سنوياً من دارفور إلى مصر يقدر بخمسة إلى ستة آلاف من العبيد أربعة أخماسهم من النساء، تتراوح أعمارهن بين ستة إلى سبعة أعوام حتى ثلاثين أو أربعين عاماً، وإن كانت أعمار غالبيتهن تتراوح بين عشرة وخمسة عشر عاما وكانت هذه القافلة تتوقف فى الصحراء فى مكان يسمى بيريس Beyrys وهى قرية هامة تقع على مسيرة اثنى عشر يوماً من مدينة أسيوط، فكانت القافلة تضطر للتوقف هناك انتظاراً للكاشف الذى يرسله البكوات فى القاهرة للتفتيش عليها وكان شيخ بيريس مسئولاً عن القافلة حتى تحصل على الإذن بمواصلة طريقها نحو مصر كما كانت القافلة تتوقف مرة أخرى على مسيرة ستة أيام من أسيوط عند قرية تسمى الخارجة، وهناك يقوم الكاشف بتقدير الرسوم التى ينبغى على القافلة أن تسددها بينما يقوم قائد القافلة بتقدير نصيب كل تاجر من تجار القافلة من هذه الرسوم، لكن الرسوم لم تكن تسدد إلا على بعد مسيرة نصف فرسخ من أسيوط فى مكان تتوقف فيه القافلة لآخر مرة، حيث تقوم ببيع كمية من بضائعها تكفى للحصول على الرصيد اللازم لسداد هذه الرسوم،

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن : فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى : ص ٢٣٣ ٠

ولم يكن يسمح للقافلة بالتقدم إلى شمال أسيوط إلا بعد أن تكون قد سددت بالفعل الرسوم المطلوبة منها بالكامل وهذه الرسوم كانت كالتالى :

٤ زر محبوب[١] عن كل رأس عبد و٢,٥ زر محبوب عن كل رأس جمل محمل كان أو غير محمل، وكانت هذه الرسوم تدفع للبك، كما كان الكاشف عند الخارجة يحصل كذلك رسماً قدره ٩ مدينى[٢] عن كل عبد و ٤ مدينى عن كل جمل[٣] وكانت القافلة تشحن عند وصولها إلى أسيوط بضائعها عن طريق النيل حتى القاهرة، أما الجمال فيباع معظمها فى منطقة أسيوط، ويبقى نحو خمسها فقط لرحلة التجار فى أثناء رجوعهم إلى دارفور[٤].

وتستريح القافلة أثناء سيرها من أسيوط إلى القاهرة فى بنى عدى ومنفلوط والمناطق المحيطة بهما حيث تبيع جزءاً من بضاعتها، وعند وصولها إلى مصر القديمة تدفع الرسوم الجمركية التى يقدرها رجال الجمرك ثم يسمح لها بدخول القاهرة حيث تنزل أحمالها فى الوكائل التى تباع فيها السلع السوادنية، وتبدأ عمليات تسويق بضائعها وشراء ما تأخذه معها من السلع المتوفرة فى أسواق القاهرة من المصنوعات المصرية والشرقية والأوربية وأهم هذه السلع ***المنسوجات القطنية والحريرية والشيلان والبن والسكر والأسلحة والمعادن والزجاج الملون من البندقية والمرايا والحلى*** [٥].

---

(١) المحبوب (زر محبوب) نقد ذهب تركى ضرب فى عهد السلطان مصطفى الثانى (١٦٩٤-١٧٠٣م) وهو يزن أربعين حبة أى ٢,٦جرام وحدد الجبرتى سعره عام ١١٤٨هـ-١٧٣٦م بمائتى نصف فضة لمزيد من التفصيل انظر : عبد الرحمن فهمى : النقود المتداولة أيام الجبرتى : بحث ضمن ندوة عبد الرحمن الجبرتى : دراسات وبحوث، تحت إشراف أحمد عزت عبد الكريم : الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦، ص ص ٥٧٤، ٥٧٥ .

(٢) المدينى : قطعة نقود تساوى ٣,٥ Centimes والسنتيم Centime (هو جزء على مائة من الفرنك الفرنسى) انظر :

Correspondance de Napolèons Ier, publièe par ordre de L'Empereur Napolèon III, Paris 1858-1870, 32.Vols, Tome 5, doc. No. 3509. P. 81.

(٣) Girard. Op. Cit. P. 278-286.

فاطمة الحمراوى : المرجع السابق، ص ٧٤ .

عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٢٤٣ .

(٤) أحمد الحتة : المرجع السابق، ص ٣٦ .

(٥) Girard. Op. Cit. P. 287-290.

وكانت القافلة تمكث فى القاهرة عادة فترة من الزمن تقع بين ٦ أشهر و٨ أشـهر(١)، وبالتالى فإن القافلة التالية القادمة من دارفور كانت تلحق سابقتها قبل مغادرتها القاهرة.

ثانيا : قافلــة سنـــار :

وهى القافلة الثانية التى تأتى من بلاد السودان إلى القطر المصرى أكثر من مرة فـى السنة، ولكنها لم تكن لها نفس الأهمية بالنسبة لقافلة دارفور إذ كانت لا تتكون فـى العـادة إلا من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ جمل(٢).

ويسلك التجار الذين يكونون هذه القافلة عدة طرق باتباع ومحاذاة شـاطئ النيـل عنـد مدينة تسمى أبريم، وابتداء من نقطة التلاقى هذه فإنها تسير خـلال الصحـراء موازيـة الشـط الأيمن للنيل داخل أراضى عـرب البشارية الذين يقطنون ما بين النيل والبحر الأحمـر، ولمـا كانت القافلة تتعرض لعمليات النهب من قبل عربان البشارية لذا فإن رجال القافلة اتخذوا لهم حراسا من عربان العبابدة يسيرون أمامهم حتى أبريم ثم يقودونـهم حتى قرية دراو(٣) وكانوا يحصلون على أجر مقابل ذلك(٤).

وكانت المدة التى تستغرقها القافلة فـى السير مـن سـنار إلـى أبريـم تسـتغرق ثمانيـة عشر يوما، والمدة من أبريم إلى دراو تقدر بحوالى خمسة عشر يوما.

أما عن السلع التى تجلبها معهـا القافلـة فهـى كالتـالى : ***عبيد مـن الذكـور والإنـاث، الصمغ العربى، ريش النعام، سن الفيل، تراب الذهب، الكرابيج، القرب المصنوعة من جلد الثيران والجمال، ويشكل الصمغ العربى*** المادة الأكثر أهمية فى بضائع هذه القافلة(٥).

---

(١) أمين مصطفى عبد الله : المرجع السابق، ص ١٨٨ .

(٢) نفس المرجع، ص ١٨٩ .

– فاطمة الحمراوى : المرجع السابق، ص ٧٥ .

(٣) دراو : قرية كبيرة على الضفة الشرقية للنيل وتبعد بمسيرة عشر ساعات إلى الشمال من اسوان

(٤) Girard. Op. Cit. P. 291.

(٥) Ibid. P. 293.

نعود إلى مسيرة القافلة، فعندما تصل إلى دراو تتخذ طريقها بعد أن تترك الصحراء إلى وادى النيل، ثم تسير شمالا حتى تصل إلى إسنا، وفى إسنا تدفع القافلة إلى الجمرك الذى تحصل الحكومة عوائده ما يلى :

٤ زر محبوب عن كل رأس عبد، و٢ زر محبوب عن كل جمل فيما عدا الجمال المحملة بريش النعام وسن الفيل إذ تدفع القافلة عن كل واحد من هذه الجمال رسماً غير اعتيادى يبلغ ٥,٥ زر محبوب، وبعد أن تسدد القافلة فى إسنا كل هذه الرسوم المختلفة، تبقى فى هذه المدينة المدة التى تلزمها لكى تبيع جزءاً من جمالها، ثم تبحر عن طريق النيل مع بضائعها فى حراسة رئيسها وعشرين من أهم تجارها الذين يذهبون معه إلى القاهرة، أما بقية التجار والجمالة الأخرون فيقيمون فى دراو أو إسنا فى انتظار عودة رفاقهم، وعند مرور القافلة بمنفلوط فإنهم يسددون عن كل رأس عبد من الجنسين رسم مرور يبلغ ٢٢ مدينى ثم يدفعون فى المنيا رسماً يبلغ ١٢ مدينى، كما يدفعون عند وصولهم إلى بولاق رسماً يبلغ ١٠ مدينى(١) وهنا يسمح للقافلة بدخول القاهرة، لتقوم بعمليات التسويق والتبادل التجارى داخل أسواقها وبخاصة فى الوكائل المخصصة لبيع السلع السودانية، وكانت تصل إلى القاهرة من سنار عدة قوافل(٢)٠

وكانت قافلة سنار تحمل معها الصابون والأقمشة القطنية المصبوغة باللون الأحمر، وحلياً زجاجية واردة من البندقية، والمرايا والملابس المصنوعة من الجوخ والتوابل والعطور، وواضح أن معظم السلع التى تحملها قافلة سنار كانت من البضائع التى ترد من الهند ومن أوروبا(٣) ومن خلال العرض السابق لقوافل دارفور وسنار يتبين لنا أن هذه القوافل كانت تتكلف أعباء مالية باهظة ولاشك فى أن هذه الأعباء المالية كان لها تأثيرها على ارتفاع أسعار السلع المختلفة التى تجلبها القوافل أو التى تحملها معها فى طريق العودة٠

---

(١) Girard. Op. Cit. P. 292.

- فاطمة الحمراوى : المرجع السابق، ص ص ٧٦، ٧٧ ٠

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٢٣٦ ٠

(٣) Girard. Op. Cit. P. 294-296.

- أمين مصطفى عبد الله : المرجع السابق، ص ١٨٩ ٠

ومما يلفت النظر أن هذه القوافل كانت تقوم ببيع العبيد أو معظمهم فى إسنا وأسيوط وبعض بلدان الصعيد بالجملة للتجار الجلابة الذين كان معظمهم من أبناء الصعيد وهكذا وجدت طائفة من التجار من أبناء الصعيد كانوا يجلبون هؤلاء العبيد إلى القاهرة ليبيعونهم بالرأس فى السوق المخصصة لذلك والتى عرفت باسم وكالة الجلابة(١).

هذا إلى جانب عمليات البيع التى كانت تقوم بها القوافل فى كثير من مدن وقرى الصعيد وهي فى طريقها إلى القاهرة فكانت فرصة للكثير من أبناء الصعيد لشراء المنتجات السودانية، ثم إنها كانت فرصة للأخذ والعطاء والتأثير والتأثر، ولاشك فى أن ذلك كان له بصمات واضحة على نواحى الحياة الأخرى الحضارية والاجتماعية فىتاريخ العلاقات بين مصر والسودان، ومن هنا يمكن القول أن الصعيد قد قام بدور فعال فى تاريخ هذه العلاقات.

٢- التبادل التجارى بين مصر وبلاد العرب :

كانت التجارة بين مصر وبلاد العرب رائجة إلى حد كبير وتتم التجارة بين مصر والجزيرة العربية بحراً بواسطة سفن صغير تأتى من مينائى جدة وينبع لترسو فى ميناء القصير أو ميناء السويس، أو تتم براً بواسطة قوافل تعبر الصحراء الواقعة بين النيل والبحر الأحمر، وما يهمنا هنا هو العلاقة التجارية بين مصر والجزيرة العربية عبر ميناء الصعيد ألا وهو ميناء القصير.

ومعظم سكان المنطقة القريبة من القصير من التجار العرب حيث يتلقى هؤلاء التجار الوافدين فى معظمهم من ينبع وجدة من عملائهم فى هاتين المدينتين سلع الجزيرة العربية والهند ويمررونها إلى مصر عن طريق قوافل يصحبونها عادة بأنفسهم وبالتالى فإن هؤلاء العرب كانوا يقومون بدور هام فى الحركة التجارية بين مصر من جهة وبلاد العرب من جهة أخرى(٢).

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٢٤٨-٢٥٠.

(٢) Girard. Op. Cit. P. 318-321.

- أمين مصطفى عبد الله : المرجع السابق، ص ١٩٢.

ويكاد يكون بن اليمن هو السلعة الوحيدة التى يتم استيرادها إلى مصر عن طريق ميناء القصير، ويرسل إلى هناك عن طريق ميناء ينبع وجدة، وتتم الرحلة إلى القصير عادة فى ثلاثة أيام، ويتراوح عدد السفن القادمة من جدة وينبع والتى ترسو كل شهر بالقصير ما بين ١٠ إلى ٢٠ سفينة بحسب الفصول، وتحمل السفن القادمة من جدة على الدوام كميات أكبر بكثير من تلك التى تحملها السفن القادمة من ينبع(١).

ويدفع على بن ينبع فى القصير عينا رسما قدره ٤,٥ أرطال عن القنطار الواحد ويدفع زيادة على ذلك ٤٧ مدينى نقدا، وبعد أن تسدد هذه الرسوم ينقل البن من القصير إلى قنا على جمال مستأجرة(٢).

وكانت المسافة بين القصير وقنا تستغرق أربعة أيام وكان يقوم بحراسة القوافل عرب العبابدة مقابل مبلغ وقدره ٢٣ بارة عن كل جمل، وتحصل الرسوم الجمركية فى قنا وتبلغ ثلاثة قروش ونصف القرش عن القنطار وبعد ذلك يتم نقل البن من قنا إلى القاهرة فى سفن عن طريق النيل(٣).

أما بضائع الهند التى تشكل عادة جزءاً من حمولة سفن ينبع وجدة فتجلب إلى هاتين المدينتين بواسطة قوافل الهنود الذين يأتون إلى مكة للحج، وكذلك بواسطة سفن الهند التى يركبها فى بعض الأحيان أبناء هذه البلاد وإن كان يركبها فى الغالب انجليز.

وفى القصير تسدد الرسوم عن أقمشة الهند والتوابل والبخور والصمغ، وتبلغ هذه الرسوم ١٠٪ عينا وهذه هى الرسوم الوحيدة التى تتحملها البضائع حتى تصل إلى القاهرة(٤) وفى مقابل البن وعقاقير الجزيرة العربية التى تصل إلى مصر عبر ميناء القصير

---

(١) Girard. OP. Cit. P. 321.
- هاملتون جب وهارولدبوون : المرجع السابق، جـ٢، ص ص ١٥٥، ١٥٦.

(٢) Girard. Op. Cit. P. 321.

(٣) أمين مصطفى عبد الله : المرجع السابق، ص ١٩٢.

(٤) Girard. Op. Cit. PP. 322, 323.

بواسطة السفن العربية، تقوم هذه السفن عند عودتها بحمل القمح والدقيق والفول والعدس والسكر والزبدة وزيت الخس وزهور القرطم ونسيج الكتان[1] ويرسل جزء من هذه السلع إلى ينبع وجدة مباشرة أو بواسطة سماسرة مستقرين فى القصير أو قنا، ويعهد بهذه السلع إلى قباطنة السفن التى تنقلها فوق ظهرانيها أو يحملها معهم كأمتعة سفر عدد من المسافرين جميعهم من سكان الصعيد وأواسط أفريقيا الذاهبين لأداء فريضة الحج إلى مكة، وتشكل الزبد Le beurre موضوعاً هاماً لحد ما فى تجارة الصادرات وتجلب هذه من قرى مصر العليا الواقعة بين المنيا وإسنا، وتنقل فى قرب من جلد الجاموس وتباع بسعر ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ مدينى للقنطار، كما يباع فى أسواق قنا وقوص وأبنود الحبوب المخصصة للتصدير إلى الجزيرة العربية، ومن الملاحظ أن ما يصدر عن طريق مصر إلى الجزيرة العربية يتمثل فى المنتجات الزراعية المصرية، وكذلك الأقمشة وبعض المنتجات الأخرى من صناعات مصر[2].

وتجدر الإشارة إلى أن ما تصدره مصر سنوياً إلى بلاد العرب عن طريق ميناء القصير[3] والسويس إلى مينائى جدة وينبع يقدر بـ ٤٠ إلى ٥٠ ألف أردب من القمح والفول والعدس.

وواضح من قائمة الصادرات السابقة إلى بلاد العرب أن أغلبها كان من منتجات الصعيد، كما كانت منتجات الصعيد ضمن صادرات مصر الخارجية لدول أخرى، حيث كان موقع مصر الجغرافى لا يزال يضفى عليها مزايا طبيعية ضخمة بصفتها مخازن للتجارة بين أوروبا وأسيا وأفريقيا وفى نفس الوقت فإن الصعيد كان يستفيد من وإرادات مصر من تلك الدول، وعلى كل فلقد قام الصعيد بدور هام فى مجال التجارة الداخلية والخارجية.

---

(١) أحمد الحتة : المرجع السابق، ص ٣٥، أمين مصطفى عبد الله : المرجع السابق، ص ١٩٢.

(٢) Girard. Op. Cit. P. 334-337.

(٣) تجدر الاشارة إلى أن ايرادات جمرك القصير كانت متروكة لبكوات مصر العليا، وقدرت عوائد جمرك القصير فى أواخر القرن الثامن عشر بما يساوى ١١٠,٦٣٥ بوطاقة حسب تقديرات علماء الحملة الفرنسية وقد كانت رسوم القصير تحصل لصالح كاشف قنا انظر :
Girard. Op. Cit. P. 379, 395.

٣- الأوضاع الإجتماعية للصعيد قبيل الحملة الفرنسية :

سوف نتناول فى دراستنا للأوضاع الاجتماعية للصعيد قبيل الحملة الفرنسية عدداً من النقاط تشمل الآتى :

١- الحيـــــاة الدينيـــة٠
٢- الحياة العلمية والثقافية٠
٣- العــــادات والتقاليـــد٠
٤- الأمراض والأوبئة والمجاعات٠

وسوف نعرض لهذه النقاط بشئ من التفصيل كالتالى :

أولا : الحيـــاة الدينيـــة :

تعددت مظاهر الحياة الدينية فى صعيد مصر، ومن بين السمات التى ميزت الحياة الدينية فى ذلك الوقت انتشار التصوف بصورة واسعة، وبلغ عدد الطرق الصوفية فى مصر العثمانية نحو الثمانين فرقة، كان لكل منها معسكرات قائمة فى القرى والأقاليم، واستبد نفوذها بهوى الألوف من الأتباع والمريدين، وامتد سلطان كبار شيوخها حتى ارتفعوا فوق قواعد الدين ومقتضيات التقاليد ونظم الدولة(١)، وكان لكل طريقة شعارها وأورادها الخاصة بها، وكان أتباع كل طريقة يحرصون على ترديد الأوراد الخاصة بهم، ويتلونه جماعة فى الأوقات التى حددها شيخ الطريقة(٢)٠

وكون أرباب الصوفية جماعات قائمة بذاتها ولها قوانين ترسم الحدود فى حياة أفرادها، وتحدد عقوبة المذنب منهم ولا دخل للحكومة بها(٣)٠

ويمكن القول أن سوء الأحوال الاقتصادية كانت من أهم أسباب انتشار الطرق الصوفية وتغلغلها فى داخل المجتمع المصرى وبين كل فئات المجتمع٠

---

(١) توفيق الطويل : التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى، سلسلة تاريخ المصريين، عدد رقم ٢١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨، ص ٩٠ ٠

(٢) نفس المرجع، ص ٧٩ وما بعدها٠

(٣) حسن عثمان : المرجع السابق، ص ٢٧٧ ٠

لذلك نجد بعض الناس يقبلون على دخول الطريق مدفوعين بما سيصيبوه فى رحاب الزوايا من اطمئنان البال واستقرار الحال، كما كان من العوامل التى أدت إلى انتشار التصوف شيوع الرأى القائل بأن الولى يسقط عنه كل ما أمر به ويحل له أن يفعل كل ما نهى عن فعله، وكان طبيعيا أن يشيع هذا الرأى بين ناس قد انحلت أخلاقهم فى عصر شابه الذل وساده الفقر، ومست الحاجة إلى أسباب الترويح عن النفس، فنزع بعض الناس إلى الهرب من ضغط التقاليد، وتضييق الرأى العام على حرية الناس بالتماس الحرية فى رحاب التصوف، وادعاء الولاية التى ترفعهم عن سائر البشر وتجعلهم كذلك فوق قواعد الدين وأوضاع العرف ومقتضيات التقاليد(١).

كما كان من عوامل انتشار التصوف والطرق الصوفية الرغبة فى الانضواء ضمن جماعة بغرض الحماية التى لا يوفرها جهاز الحكومة بشكل كبير(٢).

ومن الجدير بالذكر أن جميع أفراد الطرق الصبوفية لم يكونوا مخلصين فى الزهد والتقشف، بل على العكس خرج البعض منهم على قواعد الدين، وتمتعوا بنعيم عز على أغنياء ذلك العصر وقاموا بأنواع من الشعوذة والدجل والتهتك(٣) ولقد انتشرت الطرق الصوفية فى الريف انتشاراً واسعاً وساعد على ذلك ارتباط هذه الطرق بأسماء بعض الأولياء الذين يعتقدون فيهم وفى صلاحهم مثل الطريقة الأحمدية نسبة إلى السيد أحمد البدوى، والطريقة الرفاعية نسبة إلى أبى العباس المعروف بالرفاعى(٤).

وبما أن الفلاح كان يعيش فى حالة سيئة وكان يعانى من آلام الفقر والفاقة، كل هذا دفعه لأن يجد له متنفساً من هذه الأعباء الملقاة على عاتقه، ووجدها فى تقربه إلى الله والانخراط فى سلك الطرق الصوفية، ولكن يبدو أن الفلاح كان سيئ الحظ فى كل شئ فى ذلك العصر المظلم، لأن مشايخ الطرق الصوفية وأتباعهم قد فرضوا لأنفسهم على الفلاحين

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : توفيق الطويل : المرجع السابق، ص ١٥٠- ١٥٧ .

(٢) فاطمة الحمراوى : المرجع السابق، ص ١٥٤ .

(٣) حسن عثمان : المرجع السابق، ص ٢٧٦ .

(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر، ص ٢١٨ .

المنتمين إلى طرقهم عادات وإتاوات يأخذونها منهم حين يحلون عليهم، وكان الفلاحون يضطرون إلى إقامة الحفلات والولائم لمشايخ هذه الطرق، ويقدمون الهدايا لهم من سمن وزبد وجبن واغنام، فيجمع هؤلاء مقادير كبيرة من هذه الأشياء(١)، وما كان ذلك إلا على حساب الفقراء من الفلاحين الذين ازدادت متاعبهم المادية بانضمامهم إلى الطرق الصوفية.

ولقد تأثرت الحياة الدينية بشكل واضح بظهور الدجل والشعوذة والسحر والخرافات، فى وقت صار الناس لا يفرقون فيه بين الشعوذة والدين والعلم، ومن أهم الأسباب التى ساعدت على ذلك التخلف والجهل الذى خيم آنذاك على الناس ولقد استغل كثير من الدجالين والمشعوذين تلك الأوضاع لصالحهم، بعد أن أضفوا عليها صبغة دينية، واتخذوا منها وسيلة للتحايل على عقول الفلاحين، حتى أصبح الاعتقاد فى الأحجبة والتمائم والإيمان بالكرامات وغير ذلك من البدع مظهراً من مظاهر الحياة الدينية فى الريف(٢).

ولقد ذكرت المصادر المعاصرة الكثير عن هؤلاء الدجالين وأدعياء الولاية وكان أحدهم من الفيوم، وحضر إلى القاهرة لنشر أباطيله بين الناس والتف حوله جمع هائل من النساء والرجال، ونشأ عن اختلاطهم مفاسد عظيمة "فقامت عليه العسكر وقتلوه"(٣).

ولقد تأثرت الحياة الدينية فى صعيد مصر بهذا الدجل وهذه الشعوذة التى اتخذت صبغة دينية سيطرت على عقول فلاحى الصعيد، وكانت هذه آفة من آفات المجتمع الريفى فى ذلك العهد كما تميزت الحياة الدينية فى صعيد مصر بانتشار كثير من البدع مثل النذور والموالد، حيث انتشرت أضرحة الأولياء فى قرى ومدن الصعيد، ولاتخلو قرية من ضريح لولى يزوره الأهالى، ولا سيما النساء فى يوم خاص من الأسبوع، واعتقد الناس فى أصحاب

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٢٢٠ – ٢٢٣.

(٢) نفس المرجع، ص ٢١٤.

(٣) أحمد شلبى بن عبد الغنى : أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات : تقديم وتحقيق وضبط وتصحيح عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : القاهرة ١٩٧٨، ص ٢٠٤، عبد الرحمن الجبرتى : تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، الجزء الأول، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ، ص ٥٠.

هذه الأضرحة وظنوا أنهم سيشفونهم من الأمراض، وأنهم سينزلون عليهم البركات واعتقدوا أنهم سيشفعون لهم عند الله لهذا كانوا يقدمون لهم النذور بين الحين والآخر(١).

وعادة ما كان الضريح يقام خارج القرية، والرجل الذى يعنى بالضريح تكفله الجماعة أو يعيش من دخل الأوقاف الكثيرة التى كان يقوم أصحاب الاعتقاد فى أصحاب هذه الأضرحة بوقفها عليهم، فلقد قام الشيخ همام بإصلاح مسجد سيدى عبد الرحيم القنائى أشهر أولياء الصعيد، وجدد همام المسجد والمقام، وأنشأ خلفه مخزنا ودورة مياه وأوقف عليه أوقافاً كثيرة(٢).

كما نجد فى سجلات المحاكم الشرعية الكثير من الوثائق المتعلقة بالوقف على الأضرحة الأخرى مثل ضريح "سيدى جلال الدين"(٣) وضريح "الشيخ ابراهيم الشهير بالحاوى" كما كانت وظيفة النظر والتحدث على المساجد والأضرحة تنتقل من الأباء إلى الأبناء كما تذكر المصادر المعاصرة(٤).

وهكذا أصبحت النذور تشكل جزءاً من المعتقد الدينى لدى الغالبية من أهل القرى والمدن، بل وأصبحت تمثل ظاهرة بارزة من ظواهر الحياة الدينية فى المجتمع المصرى.

كذلك تميزت الحياة الدينية بالاحتفال بموالد بعض الأولياء الصالحين، ومن الموالد التى كانت تشهد جمهوراً كبيراً من الزوار والمريدين، مولد سيدى عبد الرحيم القنائى(٥)

---

(١) إدوارد وليم لين : المصريون المحدثون، شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر : ترجمة عدلى طاهر نور، مطبعة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٥٠، ص ص ١٦٨، ١٦٩ .

(٢) ليلى عبد اللطيف أحمد : الصعيد فى عهد شيخ العرب همام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧، ص ١١٥ .

(٣) سجلات محكمة منفلوط الشرعية، سجل رقم ١، فترته التاريخية من ٢٧ جماد أول ١٢١٥هـ إلى ١٢ شوال ١٢١٦هـ، وثيقة رقم ١٦٣، ص ١٣١ .

(٤) سجلات محكمة منفلوط، سجل رقم ١، وثيقة رقم ٣٢، ص ص ٢٥، ٢٦ .

(٥) جلال يحيى : المجمل فى تاريخ مصر الحديثة، الطبعة الثانية، الإسكندرية ١٩٨٤،ص ٨٠ .

ومولد الشيخ يوسف أبى الحجاج بالأقصر ومولد الشيخ مبارك فى أسيوط[١]، ومولد سيدى جلال الدين بمنفلوط[٢] وهناك كثيرمن الموالد الأخرى لا حصر لها والتى كانت تقام فى أغلب القرى والمدن التى كانت تنتشر فيها الأضرحة الخاصة بالمشايخ والأولياء المعتقد فى كراماتهم من قبل الأهالى فى ذلك العصر الذى أمن فيه الناس ايمانا تاماً ببركة الأولياء والمشايخ، ولإحساسهم بالظلم الإجتماعي والغبن والحرمان كانوا يتضرعون إلى الله بالشكوى بجوار هذه الأضرحة آملين فى أن يتقبل الله دعاءهم ببركة هؤلاء المشايخ والأولياء وجدير بالذكر أن الأقباط كانوا يحتفلون بموالد القديسين الأقباط مثل "ستى" دميانة، القديس باكوم، ومارى جرجس[٣] وغيرهم.

أما الأعياد الدينية فقد تركزت حول الإحتفال بحلول شهر رمضان ثم الإحتفال بعيد الفطر فى نهاية شهر رمضان، ثم الإحتفال بعيد الأضحى، وعلى مدار السنة الهجرية كانت هناك مواسم ومناسبات دينية ومن هذه المناسبات نذكر الإحتفال بليلة عاشوراء (العاشر من المحرم) والاحتفال بذكرى المولدالنبوى، والاحتفال بليلة النصف من شعبان كما كان المسلمون يحتفلون برأس السنة الهجرية ويحتفلون به فى غرة المحرم من كل عام[٤].

كما كان للأقباط أعيادهم التى يحتفلون بها، وبلغت هذه الأعياد أربعة عشر عيداً منها سبعة أعياد كبار وسبعة أعياد صغار، وأول الأعياد الكبار هو عيد البشارة فى التاسع والعشرين من برمهات فى ذكرى البشارة التى ساقها غبريال (جبريل عليه السلام) إلى مريم العذراء بمولد المسيح عليه السلام، والعيد الثانى هو عيد الزيتونة فى ذكرى دخول المسيح إلى القدس ثم دخوله الهيكل، والعيد الثالث هو عيد الفصح الذى يفطرون فيه ويحتفلون فيه بذكرى قيام المسيح من قبره - حسب اعتقادهم - واجتماعه مع حوارييه وتناول الطعام معهم، والعيد الرابع يسمى عيد خميس الأربعين، والعيد الخامس هو عيد الخميس، والعيد

---

(١) عيروط اليسوعى : الفلاحون : نقله إلى العربية محمد غلاب القاهرة ١٩٤٣، ص ١٣٥ .

(٢) سجلات محكمة منفلوط : سجل رقم ١، وثيقة رقم ١٦٣، ص ١٣١ .

(٣) عيروط اليسوعى : المرجع السابق، ص ١٣٥ .

(٤) لمزيد من التفصيل انظر : ليلى عبد اللطيف أحمد : المجتمع المصرى فى العصر العثمانى : الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٧، ص ١٩١ وما بعدها.

السادس هو عيد الميلاد والذى يحل فى التاسع والعشرين من كيهك، أما العيد السابع فهو عيد الغطاس(١)٠

أما الأعياد الصغار فكانت سبعة أيضا وهى عيد الختان، وعيد الأربعين، وعيد خميس العهد، وعيد سبت النور، وخامس هذه الأعياد هو "حد الحدود" والعيد السادس هو "عيد التجلى"، أما سابع الأعياد الصغار فهو "عيد الصليب"(٢)٠

كما كانت للطوائف اليهودية فى مصر عدة أعياد يتصل بعضها بشريعتهم ويتعلق البعض الآخر بتاريخهم وتراثهم ، وكانت الأعياد اليهودية الشرعية خمسة أعياد أولها "عيد رأس السنة" وثانيها "عيد صوماريا أو الكبور" وثالثها عيد المظلة، ورابعها هو عيد الفطير الذى سمى أيضا بعيد الفصح، وخامس أعياد اليهود هو عيد "الأسابيع" أو عيد "العنصرة" أما أشهر الأعياد التى استحدثها اليهود من واقع تاريخهم فهى عيد الفوز "اليوريم" وعيد "الحنكة" أو "الحانوكة"(٣)٠

٢- الحياة العلمية والثقافية :

نود أن نشير فى بداية حديثنا عن الحياة العلمية أن فلسفة العثمانيين فى حكم الولايات التابعة لهم – ومنها مصر – كانت تقوم على عدم التدخل فى شئون خدمات المرافق مثل الصحة والتعليم والمواصلات، وكانت تتركها للمجهودات الفردية والمؤسسات الأهلية، ومن ثم كانت الدولة تتخفف بقدر ما تستطيع من أعباء الحكم المباشر، وكانت تترك الرعية يديرون شئونهم بأنفسهم طالما ظلوا على ولائهم لها، فإذا احتاجوا إلى شئ من تعليم التمسوه عند بعض من يحسنونه(٤) وهكذا لم تتدخل الدولة لرسم سياسة تعليمية من شأنها أن

---

(١) قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى "دراسة وثائقية" الطبعة الثانية، دار المعارف ١٩٧٩ ص ص ١٢٠، ١٢١ ٠

(٢) نفس المرجع، ص ص ١٢١، ١٢٢ ٠

(٣) قاسم عبد قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الإجتماعى عصر سلاطين المماليك، الطبعة الثانية، دار المعارف ١٩٨٣، ص ١٠٢-١٠٤ ٠

(٤) أحمد عزت عبد الكريم وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربية، القاهرة، دون تاريخ، ص ٥٧٢ ٠

تحدث نهضة فكرية تكون سبيلاً إلى تقدم المجتمع ورفاهيته، وهكذا أصبحت مهمة استمرار الحياة العلمية فى البلاد تقع على عاتق المصريين دون تدخل من الدولة وانتشرت الكتاتيب فى ذلك العصر فى قرى ومدن الصعيد، وكان الكتاب يقوم مقام مدارس المرحلة الأولى فى وقتنا الحالى، حيث يبدأ الطفل مرحلة التعليم الأولى، ولقد اقتصرت مهمة الكتاتيب على تعليم الأطفال القرآن الكريم وتلقينهم مبادئ القراءة والكتابة(١)، وبالتالى كانت الكتاتيب بمثابة الينبوع الأول الذى يطلبه الناس لتعليم أبنائهم، واعداد النابهين من الطلاب لدخول المدارس ثم الأزهر، وكان يقوم على شأنها فقهاء أنفقوا بالأزهر شطراً من حياتهم، أو تلقوا العلم على متخرج فيه(٢)٠ وكانت للأقباط بعض الكتاتيب الخاصة بهم فى بعض القرى لأن الكتاتيب الخاصة بأبناء المسلمين كان اهتمامها الأول بالقرآن وبعض الموضوعات الدينية، لذلك لم يكن أمام أبناء الأقباط سوى الذهاب إلى كتاتيب خاصة بهم، وكانت هذه الكتاتيب توجد فى داخل الكنائس الموجودة بالقرى والمدن التى يوجد بها أقباط(٣)٠

وطبيعى أن العلوم الأولية التى كان الطفل المسيحى يتلقاها فى المكاتب كانت تشمل مبادئ الديانة المسيحية، وبعض القصص الدينى فضلاً عن مبادئ اللغة العربية،وبعض العلوم التى برع فيها النصارى واكتسبت مكاتبهم شهرة بسببها مثل الحساب(٤) أما التعليم عند اليهود فلم يكن له نظام ثابت، وكان التعليم يبدأ لديهم بشكل عام بتعليم أطفالهم فى المنازل تعليما خاصا أو فى مدرسة أعدت لغرض التعليم الأولى(٥) ويمكن القول بأن التعليم عند أهل الذمة (يهودا أو نصارى) كان يتميز بطابعه الدينى فى الغالب، وهو الطابع الذى غلب على تعليم المسلمين آنذاك أيضا بحكم المفاهيم الدينية التى كانت تحكم ذلك العصر٠

كما كانت المدارس تعتبر من أهم المراكز الثقافية والعلمية فى صعيد مصر، وكانت هذه المدارس تقوم فى رحاب المساجد الكبرى أو تلحق بها، وكانت الدراسة تسير فيها على نمط الدراسة فى الأزهر، وإن كانت أدنى فى مستواها العلمى من مستوى الدراسة فى

---

(١) حسن عثمان : المرجع السابق، ص ٢٧٥ ٠

(٢) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٣٨، ص ١٣ ٠

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٢٣١ ٠

(٤) قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى، ص ١٤٢ ٠

(٥) نفس المرجع، ص ١٤٢ ٠

الأزهر، وقد أسس الأثرياء هذه المدارس، وأوقفوا عليها الأوقاف زلفى إلى الله، وكان يجلس للتدريس فيها شيوخ ممن درسوا فى الأزهر، ثم عادوا إلى بلادهم يشتغلون بالتدريس فى هذه المدارس على مقربة من ذويهم ويباشرون مصالحهم العائلية، وكان من أبرز مدارس الوجه القبلى مدارس قوص وقنا وطهطا وكان الطلاب النابهون فى هذه المدارس يلتحقون بالأزهر(١).

ويبدو أن كل مدينة من مدن الصعيد كان بها مدرسة واحدة على الأقل حيث قامت مدارس أخرى فى كل من الفيوم وأسيوط وقفط وأبريم(٢)، ولاشك فى أن هذه المدارس كانت فرصة لأولئك الذين لم تمكنهم ظروف الحياة من النزوح إلى القاهرة طلباً للعلم.

ومما هو جدير بالذكر أن كثيرا من كبار العلماء بالأزهر كانوا يزورون الصعيد ويلتقون بعلمائه وطلابه ومن هؤلاء العلماء الشيخ مرتضى الزبيدى(٣) الذى سافر إلى الصعيد ثلاث مرات، واجتمع بأكابرة وأعيانه وعلمائه، وأكرمه شيخ العرب همام، وإسماعيل أبو عبد الله، وأبو على، وأولاد نصير وأولاد وافى، وهادوه وبروه(٤).

---

(١) عبد العزيز محمد الشناوى : دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر إبان الحكم العثمانى، من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس-أبريل ١٩٦٩، دار الكتب، القاهرة ١٩٧٢، ص ٢٠،ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ١٥٤ .

(٢) صلاح أحمد هريدى : التعليم فى مصر فى القرن الثامن عشر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٩، ص ٣٩ .

(٣) عن ترجمته انظر : عبد الرحمن الجبرتى : تاريخ عجائب الأثارفى التراجم والأخبار، الجزء الثانى، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ، ص ١٠٣-١١٤ .

(٤) نفس المصدر، ص ١٠٤ .

كما زار الصعيد الإمام الفاضل المحدث الفقيه البارع السيد محمد بن أحمد بن محمد أفضل صفى الدين أبو الفضل الحسينى الشهير بالبخارى، ومكث فى نواحى جرجا مدة وقرأ عليه هناك بعض الأفراد فى أشياء ثم رجع إلى مصر، ويذكرالجبرتى عنه "أنه كان انسانا حسنا مجموع الفضائل، رأسا فى فن الحديث يعرف فيه معرفة جيدة (١).

ويمكن القول أن زيارة هؤلاء العلماء الكبار للصعيد تركت أثرا ثقافيا فىعقول الطلاب والمدرسين بالمدارس الموجودة بالصعيد، حيث يقوم هؤلاء العلماء بإلقاء المحاضرات فىهذه المدارس ويقومون بالرد على أسئلة الطلاب وصغار العلماء، ولاشك فى أن هذه اللقاءات كانت تثير همم الطلاب على التفكير فى مواصلة دراساتهم العليا بالأزهر الذى كان يمثل المرحلة الخاصة بالتعليم العالى.

وكان بالأزهر أروقة لمختلف أجناس الطلاب وكان لطلبة الصعيد رواق خاص بهم، وبه مرافق ومنافع ومطبخ ومخادع وخزائن كتب(٢)، ويتعلم الطلبة من الدروس التى يلقيها المدرسون، ومن محتويات الكتب الموجودة بالأروقة، ومن بين طلبة الصعيد بالأزهر الذين وصلوا إلى مصاف كبار العلماء، وشاركوا فى الحياة العلمية بالأزهر والمدارس المنتشرة بالقاهرة نذكر على سبيل المثال العالم الكبير الشيخ على الصعيدى الذى ذكر عنه الجبرتى أنه "كافح حتى وصل إلى درجة عالية من العلم، وله مؤلفات دالةعلى فضله، وقبل ظهور الشيخ على الصعيدى لم تكن المالكية تعرف الحواشى على شروح كتبهم الفقهية، فهو أول من خدم تلك الكتب بها"(٣) وبذلك يعتبر الشيخ على الصعيدى من العلماء الذين تركوا أثرا فى تخصصهم وبصمة واضحة فى مجاله العلمى.

ومما يدل على مكانته أن على بك الكبير زعيم المماليك وشيخ البلد والرجل الأول فى مصر كان لا يدخن فى حضرة الشيخ على الصعيدى وكان يلبى له طلباته، وكان محمد بك أبو الذهب لا يرد شفاعته فى شئ أبداً ومن علماء الصعيد الذين سلكوا طريق الأدب

---

(١) لمزيد من التفصيل عن ترجمته انظر : الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ص ٦٥٢، ٦٥٣.

(٢) نفس المصدر، ص ٤٩٢.

(٣) لمزيد من التفصيل عن ترجمته انظر : الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ٤٧٦-٤٧٩.

السيد العالم الأديب الماهر الناظم الناثر محمد بن رضوان السيوطى الشهير بابن الصلاحى وذكر الجبرتى عنه "وله شعر عذب يغوص فيه على غرائب المعانى، وربما يبتكر مالم يسبق إليه"(١).

وهناك من علماء الصعيد من وصل إلى درجة عالية من العلم أهلته لأن يكون شيخاً للأزهر وهو الامام العالم أوحد وقته فى الفنون العقلية والنقلية شيخ أهل الإسلام الشيخ أحمد بن محمد بن أحمدبن أبى حامد العدوى المالكى الأزهرى الخلوتى الشهير بالدردير "(٢).

وهكذا استطاع أبناء الصعيد أن يساهموا فى الحياة العلمية فى تلك الفترة، ولكن يجب أن نشير فى نهاية حديثنا عن الحياة العلمية أن مستوى الحياة العلمية فى مصر عموماً كان أميل إلى الهبوط والتأخر بصفة عامة، ومن مظاهر ضعف الحياة العلمية التركيز بصفة مطلقة على علوم الدين دون علوم الدنيا، تلك العلوم التى تفيد صاحبها فى زراعة أو صناعة أو تجارة وستظل معاهد العلم فى مصر قاصرة على تعليم الدين، دون أن تدرى شيئاً عن التقدم العلمى المبنى على المشاهدة والتجربة وتطبيق العلوم الطبيعية فى الزراعة والصناعة، وسيندهش عامة المصريين بل وأعظم علماء الأزهر عندما يشاهدون التجارب العلمية التى كان يقوم بها علماء الحملة الفرنسية.

أما عن الثقافة التى كانت سائدة فى زيف الصعيد فتمثلت فى الفن الشعبى الذى حرص الأهالى على سماعه من شاعر الربابة الذى كان دائما يتغنى بأمجاد الماضى مثل عنترة بن شداد، وسيف بن ذى يزن، وأبى زيد الهلالى وغيرهم، وكان هناك المنشد المتخصص فى هذا النوع من الانشاد، وكان الفلاحون يرون الكثير من المثل التى يراد تطبيقها فى حياتهم التى يعيشونها، وعلى هذا فقد تفنن شاعر الربابة فى إنشاد المواويل التى تطابق حال الفلاح وبؤسه، وكان الفلاح يطلب دائماً من الشاعر أن يذكر له موالا يتناسب

---

(١) عن ترجمته انظر الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ٣٣٢ .

(٢) عن ترجمته انظر الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٢-٣٥ .

مع ما وقع عليه من ظلم وغبن، وكان دائماً يحفظها وينشدها فى عمله وفى أوقات حزنه(١)٠

٣- العادات والتقاليد :

تنتقل العادات والتقاليد من جيل إلى جيل ويتوارثها الأبناء عن الأباء، لذلك سوف تظل للعادات والتقاليد سيادة تشبه سيادة القانون، وسوف نتحدث عن العادات الخاصة بالأفراح والمآتم وعادة الثأر ٠

أما عن الأفراح، فمن المعروف أن المجتمع المصرى تميز بكثرة احتفالاته وأفراحه، وأول الأفراح الأسرية في صعيد مصر هى الاحتفال بالزواج، وكانت عملية الزواج فى الريف فى ذلك الوقت تمر بمراحل متعددة، وتتبع كل مرحلة مراسيم معينة فالمرحلة الأولى هى عملية اختيار العروس حيث يشترك العريس وأهله فى هذه العملية، إن لم ينفرد الأهل دون العريس بهذه العملية، وكان العريس يرضخ لاختيار الأسرة بل يمكن القول أن الأبناء كانوا يقرون اختيار الأباء فى معظم الأحيان، حيث أن وسائل الاختلاط بين الجنسين لم تكن متوفرة فى ذلك الوقت، وبالتالى لم يستطع الأبناء اقامة زواج على أساس من الاختيار أو العاطفة المتبادلة(٢)، وكان اختيار الأسرة يتم فى معظم الأحوال من بين العائلة أو من بين العائلات المتقاربة فى العزوة على حد تعبيرهم(٣)٠

وكان سن الزواج يتراوح دائما ما بين ١٦، ١٨ سنة بالنسبة للولد، والبنت ما بين ١٢، ١٤ سنة(٤)٠

أما الصداق أو المهور فكانت تختلف من طبقة لأخرى حسب المستوى الإقتصادى والوضع الاجتماعى لكل طائفة، وبعد أن تتم عملية اختيار العروس، وتتفق عائلتا العريس والعروس على المهر وخلافه، كانت هناك بعض العادات المتبعة في قرى الصعيد، فقد كان

---

(١) صلاح أحمد هريدى : دور الصعيد فى مصر العثمانية، ص ٣٧٥ ٠

(٢) Chabrol. Op. Cit. P. 83.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم . المرجع السابق، ص ٢٤٢ ٠

(٤) صلاح أحمد هريدى : المرجع السابق، ص ٣٨١ ٠

من الشائع فى بعض القرى فى الصعيد أن العريس بعد عقد القران يذهب بمصاحبة بعض أفراد أسرته وأصدقائه إلى بيت والد العروس، وبعد أن يستقر بهم المقام كان يؤتى له بأوعية مملوءة بالحمص المقلى والتمر وخلافه، ويوزع على الحاضرين فيأكلون وينصرفون، ويكون هذا اللقاء بمثابة فتح الباب للعريس للتردد على منزل أصهاره، وحين يحل يوم الزفاف، تقام الأفراح وفى العصر يحضر الحلاق فيحلق للعريس بعض رأسه، ويترك قطعا متفرقة يسمونها "الجزائر"، يرفض أن يحلقها إلا إذا أخذ من الحاضرين شيئاً من النقود يسمى النقطة، ثم بعد صلاة العشاء فى المسجد يزف العريس بالدف والكؤوس وأمامه الموالدية يرددون الموشحات والأوراد إلى أن يدخل بيت الزوجية، فإذا وصلت العروس إلى بيت العريس يغمسون قدمها اليمنى ويدها اليمنى فى اللبن تفاؤلا باليمن والبركة وأن يكون مقدمها منزل الزوجية مقروناً بالخير، وفى الصباح يذهب أصدقاء العريس ويلزموه بما يريدون من مأكل ومشرب ويقدمون له النقوط، وكان من المعتاد ألا يخرج العريس من منزله إلا بعد انقضاء ثلاثة أيام وكان عليه بعد هذه المدة أن يذهب إلى سوق القرية ليأتى لعروسه بجزء من خيرات السوق(١)٠

وهناك عادات خاصة بالعربان فى صعيد مصر، ومن هذه العادات التى تتعلق بالزواج، نلاحظ أن عربان مصر الوسطى لا يتصاهرون إلا فيما بينهم، كى يحتفظوا بدمهم نقيا خلق خصيصاً لحكم مصر كما يتصورون(٢)، ولعرب الهوارة بالصعيد عادات وتقاليد خاصة بهم مثل امتناعهم عن مصاهرة غيرهم بالنسبة لبناتهم فقط، فهم يفضلون للفتاة أن تظل عانسا (إذا لم تتزوج هوارياً مثلها)(٣) ولا تتزوج رجلاً من أسرة أخرى٠

وفى أفراح البدو كانت العروس تركب جملاً وتصحبها الماشية والاثاثات وكل الأشياء التى أهديت لها كمهر، وتخرج فى موكب بطئ حيث يطلق البدو الأعيرة النارية من بنادقهم ويعزفون الموسيقى وتغنى نساؤهم غناء بهيجاً(٤) ولم تكن الاحتفالات الأسرية

---

(١) ادوارد وليم لين : المصدر السابق، ص ١١٣، ليلى عبد اللطيف :المرجع السابق، ص ص ١٣٨، ١٣٩ ٠

(٢) Jomard. Op. Cit. P. 304.

(٣) ليلى عبد اللطيف : الصعيد فى عهد شيخ العرب همام، ص ٣٨ ٠

(٤) ليلى عبد اللطيف : المجتمع المصرى فى العصر العثمانى، ص ١٣٧ ٠

والأفراح التى تعم الأسرة قاصرة على الاحتفال بالزواج فقط، بل كانت هناك مناسبات سعيدة أخرى تحيط الأسرة بجو من الفرح والسرور ومن هذه الاحتفالات الاحتفال بختان الأطفال، فلقد كان هذا اليوم بمثابة عيد عائلى(١) Un fete de famille ومن الاحتفالات الاسرية أيضاً احتفال الأسر بخروج أحد أفرادها للحج أو عودته منه، وعلى كل حال فإن هذه الاحتفالات كانت تصحبها مظاهر وعادات تتسم بالبذخ الذى يتناسب وأصحاب هذا الحفل ومستواهم الاقتصادى ووضعهم الاجتماعى.

أما عن العادات الخاصة بالمآتم، فلقد جرت العادة عند فلاحى الصعيد أن يجتمع قريبات المتوفى والصديقات معاً بالقرب من منزله فى كل يوم من الأيام الثلاثة بعد الجنازة ويقمن هناك مناحة، ويلطخن وجوههن وصدورهن وبعض ملابسهن بالطين، وبعداليوم الثالث يزور النساء القبر ويضعن عليه أحزمتهن، ويذبح هناك عادة جمل أو ماعز تفدية وتقام مأدبة بهذه المناسبة(٢).

ومن العادات المتبعة أيضاً زيارة المقابر يوم الجمعة، حيث تذهب الأسرة إلى المقابر عند شروق الشمس، ويمضون فترة الصباح كلها فى الصلوات والدعوات الدينية، ويتحدثون بمرارة عن الخسائرالتى حدثت برحيل المتوفى ويتحدثون عن فضائل الفقيد وكفاءاته ومميزاته(٣).

وكان أهل القرية، وبخاصة عائلة الميت يقدمون لأسرته فى أيام المآتم المأكل والمشرب مواساة منهم لأفراد أسرته، بل أنهم كانوا يوزعون تقديم الوجبات الغذائية التى يجب أن تقدم للفقهاء وأهل الميت الأقربين بين أسر العائلة الأخرى(٤).

---

(١) Chabrol. Op. Cit. P. 21.

(٢) ادوارد وليم لين :المصدر السابق، ص ٣٩٧ .

(٣) Chabrol. Op. Cit. P. 192.

(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق، ص ٢٤٦ .

وتشبه مآتم الأقباط مآتم المسلمين، فالجسد يحمل في نعش يتبعه النساء وهن يولولن على طريقة السلمات في مثل هذه المناسبة، ويستخدم النائحات المستأجرات ليندبن في منزل المتوفى ثلاثة أيام بعد وفاته، ويجدد الندب هناك في اليومين السابع والرابع عشر من الوفاة، ويزور الأقباط رجالاً ونساءً مقابر الأهل زيارة منتظمة ثلاث مرات في العام في عيد الميلاد، وعيد الغطاس، وعيد القيامة، وهم يذهبون إلى المقابر عشية كل من هذه الأعياد الثلاثة، ويبيتون هناك، اذ هم يملكون في المقابر منازل تعد لاستقبالهم في هذه المناسبات(١).

ومن العادات والتقاليد والحرمات الموروثة في صعيد مصر عادة الثأر، ولقد ساعد على نمو هذه العادة استقرار كثير من القبائل العربية في الصعيد، وحيث لا توجد شرطة عمومية، وحيث يسود الخلاف والشقاق الدائم بين الفلاحين وقبائل العربان التي تعمر الريف، فإن حوادث القتل تكون أكثر انتشاراً(٢).

ويساعد على انتشار هذه العادة أيضاً أن الصعيدي يشبه البركان الذي ينفجر في اقل الأوقات انتظاراً لهذا الانفجار، فأحياناً تنشأ المشاكل لأسباب تافهة، وأحياناً أخرى لأسباب جوهرية وتنتهي هذه المشاكل بقتل أحد الأفراد مما يجعل الطرف الآخر لا يهدأ له بال حتى يثأر لنفسه من القاتل، فإذا لم يستطيع فإنه يقبل الدية(٣)، وإن كان الصعيدي يفضل دائما الانتقام فالمال لا يشفي غليله، لهذا فهو يحاول دائماً أن يثأر لنفسه.

وعلى كل حال فإن عادة الثأر إن دلت على شئ فإنما تدل على الحدة أكثر من دلالتها على الشر، فإن الدماء الحارة تجعل صاحبها يندفع إلى الشر دون أن يدري مما يقعه في مأزق هو وأسرته، حيث تطاردهم أسرة أخرى تسعى للإنتقام وللثأر، وهكذا تستمر

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : ادوارد وليم لين : المصدر السابق، ص ٤١٥، أ.ب. كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر، الجزء الثالث، ترجمة محمد مسعود، دار الموقف العربي، الطبعه الثانية١٩٨٢، ص ١٣٧.

(٢) Chabrol. Op. Cit. P. 277.

(٣) الدية: هي مبلغ من المال تدفعه اسرة القاتل لأسرة المقتول إذا ما تم الصلح بينهما، على أن لا تحاول أسرة المقتول أن تثأر لقتيلها.

الخلافات بين عائلة وأخرى، ويستمر القتال بينهما لسنين عديدة، ويورث الأبناء عن الآباء تلك الخلافات التى تستمر لعدة أجيال، وفى النهاية يمكن القول بأن قضية الثأر مازالت موجودة حتى الآن فى صعيد مصر ٠

٤- الأمراض والأوبئة والمجاعات :

لم تتعرض مصر فى العهد العثمانى إلا لعدد قليل من الأمراض وذلك بسبب اعتدال الجو فيها، ولكن ذلك العدد القليل من الأمراض كان من النوع الفتاك الذى يثير الفزع لمجرد سماع اسمه، وكان على رأس هذه الأمراض مرض الطاعون(١) La peste ٠

وغالبا ما كانت الكوارث الطبيعية التى تحل بالبلاد كالمجاعات والسيول سببا فى وقوع وباء الطاعون وفتكه بالألوف من الأهالى ومثال لذلك ماحدث عام ١١٠٧هـ/١٦٩٥م(٢)٠

ولقد كانت هذه الطواعين من الكثرة حيث يذكر أحد الرحالة "أن مصر تنكب بالطاعون كل أربع سنوات أو خمس"(٣) ومن أشد الطواعين فتكا بالناس فى أواخر القرن الثامن عشر طاعون عام ١٢٠٥هـ/١٧٩١م(٤)٠

كما تعرض المصريون لأمراض العيون مثل الرمد وساعد على انتشار هذا المرض الإهمال من جانب الأهالى، فكانوا ينامون فى الهواء الطلق، فساعدت الرطوبة مع برودة الجو على تكوين التقيحات التى تسبق علل العيون أو فقدان البصر(٥) ومن أبشع الأمراض التى كانت منتشرة فى مصر فى تلك الحقبة مرض الجدرى، ونادرا ما يفلت الأطفال فى سن مبكرة من مخاطره وخبثه، وإذا ما كان بعض الرجال الناضجين يشفون منه فإنه يترك على أجسامهم ندوبا عميقة٠

---

(١) Chabrol. Op. Cit. P. 43.

(٢) أحمد شلبى : المصدر السابق، ص ص ١٩٧، ١٩٨ ٠

(٣) فولنى : المصدر السابق، جـ١، ص ١٦٣ ٠

(٤) الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٩٥ ٠

(٥) Chabrol. Op. Cit. P. 45.

- ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٢٤٠ ٠

ومن الأمراض الشائعة فى مصر أيضاً الفتاق والدمامل(١) ، ومما ضاعف من هذه الأمراض والأوبئة سوء الحالة الاقتصادية وخاصة فى أواخر القرن الثامن عشر ، حيث عم البلاد الخراب والفناء، وتتابعت المجاعات فى فترات متقاربة، ومن أسوأ المجاعات التى حدثت فى تلك الفترة ما حدث عام ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م حيث اشتد الغلاء من تتابع مظالم المماليك، وأدى قصور النيل إلى خراب البلاد وشتات أهلها وزحفهم إلى القاهرة "حتى ملأوا الأسواق والأزقة رجالاً ونساءً وأطفالاً يبكون ويصيحون ليلاً ونهاراً من الجوع، ويموت من الناس كل يوم جملة كثيرة من الجوع"(٢).

كل هذا والأمراء المماليك فى تنازعهم وخلافهم وحروبهم لا يبالون بما يعانيه المصريون من أمر هذه المجاعات وتلك الأوبئة وهكذا عانى المجتمع مصرى من متاعب وآلام ومظالم ومجاعات وأوبئة كان السبب فيها بالدرجة الأولى مظالم المماليك وجشعهم واهتمامهم بالحياة المرفهة لأنفسهم وما كان ذلك إلا على حساب الشعب المصرى الذى عانى كثيراً فى هذا العصر المظلم الذى يعتبر أسوأ عصر شهدته مصر فى تاريخها الحديث والمعاصر .

رابعا : الأوضاع السياسية للصعيد قبيل الحملة الفرنسية :

لقد تمتع الصعيد بوضع خاص فى العصر العثمانى، وكانت له أهمية بالغة لكونه مركز تموين القطر كله بالغلال، ولوجود كثير من القبائل العربية به، ولكونه ملجأ لكل الأمراء المنفيين والمتمردين يهربون إليه ويحاولون الاستعانة بسيوف العرب وسواعدهم فى استعادة مراكزهم وما كانوا يتمتعون به من نفوذ .

ولقد لعب الصعيد دوراً فى أحداث مصر السياسية إبان الحكم العثمانى، ولكننا هنا سنقتصر فى حديثنا عن هذا الدور منذ بداية النصف الثانى من القرن الثامن عشر وحتى قدوم الحملة الفرنسية .

---

(١) Chabrol. Op. Cit. P. 46.

(٢) الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، ص ١٤٣ .

وسوف نتحدث عن دور الصعيد السياسى فى تلك الفترة من خلال النقاط الآتية :

١- على بـك والصعيـد .

٢- الصعيد فى عهد ابراهيم بك ومراد بك (١٧٧٥-١٧٩٨).

١- على بـك والصعيـد :

تم اختيار على بك شيخا للبلد فى أوائل عام ١٧٦٠م(١) ومنذ ذلك الوقت بدأ يفكر فى الاطاحة بمنافسيه على السلطة فنجده ينفى عبد الرحمن كتخدا إلى الحجاز، ثم يحاول بعد ذلك أن يوقع بين اثنين من كبار منافسيه وهما صالح بك شاهين حاكم جرجا، وحسين بك كشكش، فنفى الأول إلى رشيد وعين الثانى صنجقا لجرجا(٢).

واستطاع صالح بك أن يفر إلى المنيا، وأن يحصل على تأييد الأمير همام بن يوسف(٣) شيخ عرب الهوارة، والذى أمده بكل ما يحتاج إليه من ذخيرة وعتاد ورجال، فأرسل على بك حملة بقيادة حسين بك كشكش لمحاربة صالح بك بالصعيد حتى يضربهما الواحد بالآخر ولكن هذه الحملة لم تصل إلى نتيجة حاسمة.

وسرعان ما أصدر على بك أمرا بنفى حسين بك الذى لم يمتثل لذلك الأمر، بل عاد إلى القاهرة ومعه مماليكه وأتباعه، ففكر على بك أن يتخلص منه بالسم، ولكنه فشل لعلم حسين بك بتلك المؤامرة، وحينئذ اضطر على بك أن ينفذ رغبة خصمه فخرج من القاهرة منفيا إلى الشام عام ١٧٦٥(٤)، ثم عاد على بك إلى القاهرة، واستطاع بدهائه أن يحصل على حكم النوسات (من أعمال الدقهلية) وذهب إليها، وفى نفس الوقت تم نفى رجاله الذين قدموا معه إلى أسيوط(٥).

---

(١) جلال يحيى : مصر الحديثة ١٥١٧-١٨٠٥، الإسكندرية، دون تاريخ، ص ٢٣٦ .

(٢) نفس المرجع، ص ٢٣٦ .

(٣) ولد شيخ العرب همام بن يوسف فى قرية فرشوط بمحافظة قنا حوالى عام ١٧٠٩ وتوفى سنة ١٧٦٩ – لمزيد من التفصيل انظر : ليلى عبد اللطيف : الصعيد فىعهد شيخ العرب همام، ص ١٠٢ .

(٤) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ص ٣١٣-٣١٦ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣١٦ .

وفى تلك الأونة كان صالح بك قد وطد نفوذه فى الصعيد كحاكم لجرجا بعد أن كسب ثقة زعيم الهوارة الشيخ همام، وبعد أن وقف بكل قوة ضد الحملات التى بعثها حسين بك كشكش إلى الصعيد للقضاء عليه والتى انتهت بعقد الصلح مع صالح بك فى عام ١٧٦٦ على أساس "أن يذهب صالح بك إلى جرجا ويأخذ ما يكفيه هو ومن معه ويمكث بها ويقوم بدفع المال والغلال"(١).

وتم نفى على بك إلى أسيوط، والتف حوله رجاله المنفيين بالصعيد وأراد على بك أن يتفق مع صالح بك خصمه وأحد منافسيه من أجل العودة إلى القاهرة، ولكنه لم يجد ترحيباً من صالح بك للإتفاق بينهما وأخيراً اتجه على بك إلى شيخ العرب همام ليتوسط بينه وبين صالح بك، ووفق شيخ العرب همام فى الصلح بينهما "فتحالفا وتعاقدا وتعاهدا على الكتاب والسيف"(٢).

ولا شك فى أن هذا التحالف كان له تأثير كبير على أصحاب السلطة فى القاهرة، فأعدوا تجريدة وأرسلوها إلى الصعيد بقيادة حسين بك كشكش للقضاء على علىّ بك وصالح بك، ووقعت معركة بين الفريقين فى بياضة ببنى سويف فى جمادى الأولى سنة ١١٨١هـ/أكتوبر ١٧٦٧م، وانتهت بهزيمة حسين بك كشكش ومن معه، وزحف على بك وصالح بك إلى القاهرة ودخلاها، ففر منها شيخ البلد خليل بك وحسين بك كشكش واتباعه، وخلع الباشا على علىّ بك ليصبح علىّ بك شيخاً للبلد عام ١٧٦٧م(٣).

وبالرغم من مؤازرة كل من صالح بك وشيخ العرب همام لعلىّ بك الكبير إلا أنه غدر بهما، وبدأ بصالح بك فدفع بعض أعوانه إلى اغتياله فى شهر سبتمبر ١٧٦٨م(٤)

---

(١) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ٣١٧

(٢) نفس المصدر، جـ١، ص ٣١٧.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٢٠- ٣٢٢، - جلال يحيى : المصدر السابق، ص ٢٣٧.

(٤) عن ترجمة الأمير صالح بك القاسمى، انظر الجبرتى : المصر السابق، جـ١، ص ص ٣٧٢، ٣٧٣.

وبذلك تخلص عليّ بك من آخر صنجق قوى كان يمكن أن ينافسه على مشيخة البلد ولعل من أهم الأسباب التى جعلت عليّ بك يعجل بالقضاء على صالح بك خوفة من خطورة صالح بك لاستناده إلى حليفه القوى المسيطر على الصعيد شيخ العرب همام(١). ثم عزم عليّ بك بعد ذلك على أن يزيل من الوجود شخصية همام الساحرة التى كانت تجتذب ولاء كل من صادفها من الأهالى أو العرب أو المماليك(٢).

فلقد كان همام بن يوسف الهوارى "عظيم بلاد الصعيد" كما يذكر الجبرتى(٣) وكان لشيخ همام مسيطراً على معظم آراضى الصعيد من المنيا إلى أسوان بالإلتزام، ولاشك فى أن سيطرة همام على تلك المساحة الهائلة من الصعيد قد وفرت للشيخ همام سلطة واسعة ونفوذاً كبيراً إلى حد أن سلطته أصبحت مطلقة فيما بين جرجا وأسوان(٤).

وإذا علمنا أن الصعيد كان مركز تموين القطر، إلى جانب كونه منفى البكوات وميدان الحروب الداخلية بين من يضطر من الأمراء المماليك إلى مغادرة القاهرة فراراً من شر زبانيتها(٥)، وما يجده هؤلاء البكوات من مساندة الشيخ همام لهم، وبالتالى تهديد الإدارة المركزية بالقاهرة لهذا عندما فكر عليّ بك فى القضاء على همام ونفوذه، كان يفكر فى الإستيلاء على الصعيد، أو بمعنى آخر كان يريد الإستيلاء على الوكر الذى تنبت منه الفتن، وأن يخرب الحصن الذى يستجير به المنفيون، وأن يقضى على المورد الذى يمول منافس شيخ البلد(٦).

---

(١) ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ص ١٣٩، ١٤٠ .

(٢) محمد رفعت رمضان : على بك الكبير، القاهرة ١٩٥٠، ص ٥٠ .

(٣) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص٣٨٤ .

ولمزيد من التفصيل عن ترجمة الأمير همام أنظر نفس المصدر، ص ٣٨٤-٣٨٧ .

(٤) محمد رفعت رمضان : المرجع السابق، ص ٤٩ .

(٥) صبحى وحيدة : فى أصول المسألة المصرية، مكتبة مدبولى، القاهرة، دون تاريخ، ص ١٣٣ .

(٦) محمد رفعت رمضان : المرجع السابق، ص ٥٠ .

كل هذه الأسباب السالفة الذكر جعلت عليّ بك يعجل بضرب همام والقضاء على نفوذه لأن همام كان يتمتع بنفوذه كبير يدعو إلى القلق فأراد عليّ بك أن يتخلص منه[1]، فأرسل تجريدة بقيادة محمد بك أبو الذهب ضد همام بحجة أنه أنكر الإتفاق الذى كان قد عقده مع إبراهيم كتخدا (جاويش) استاذ عليّ بك بشأن التنازل له عن التزام برديس[2]، وما أن تقابلت طلائع قوات أبى الذهب مع طلائع رجال الشيخ همام حتى اتفق الطرفان على أن يقتصر حكم همام من حدود برديس ولا يتعدى حكمه لما بعدها، ثم تصادف أن ولد لمحمد بك أبو الذهب مولود فى ذلك الوقت فأعلن همام تنازله عن برديس انعاما منه للمولود[3]. وخرجت بذلك جرجا عاصمة الصعيد من نفوذ الشيخ همام وأسرع على بك بتعيين أيوب بك حاكماً على جرجا، ثم اشترط عليّ بك على همام طرد المماليك الموجودين بالصعيد وفى دائرة نفوذ همام بالذات مقابل اقرار عليّ بك لنصوص الاتفاق السابق الذكر، وحينئذ أدرك همام أن على بك يريد القضاء عليه وعلى نفوذه بالصعيد، فجمع همام المماليك المنفيين واللاجئيين إليه وطلب منهم أن يخرجوا إلى أسيوط ويتحصنوا بها فهى مفتاح الصعيد، ووعدهم همام أن يمدهم بالمال والرجال، وتمكن حلفاء همام من دخول أسيوط وسيطروا على مواقع هامة بها، ووصل الخبر إلى على بك الذى أدرك خطورة المعركة القادمة، إذ أنه كان يعرف أن معركة الصعيد ستقرر له مستقبل السيطرة على البلاد دون منازع[4] لذلك أرسل على بك حملة ضخمة بقيادة محمد بك أبو الذهب للقضاء على همام، وانتصرت قوات على بك وقوات الدولة على قوات همام وحلفائه من المماليك خارج اسيوط وفرت فلول المهزومين إلى فرشوط واتجه محمد بك وقواته جنوبا بقصد محاربة همام وباقى قواته، وفى نفس الوقت لجأ محمد بك إلى الحيلة فراسل اسماعيل أبا عبد الله وهو ابن عم همام واستماله ومناه ووعده برياسة بلاد الصعيد عوضاً عن شيخ العرب همام، ونجحت حيلة أبو الذهب وركن إسماعيل أبا عبد الله إلى قوله وتقاعس وتثبط عن القتال وخذل طوائفه، ولما بلغ همام

---

(١) س.ف. فولنى : المصدر السابق، جـ١، ص ٨٤ .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر : ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ١٤٢-١٤٤ .

(٣) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ٣٦٢ .

(٤) محمد رفعت رمضان : المرجع السابق، ص٥١، جلال يحيى : المرجع السابق، ص ٢٤١ .

ما حدث من خيانة أقرب الناس إليه مات مكموداً مقهوراً قرب إسنا فى ٨ شعبان ١١٨٣هـ/١ نوفمبر سنة ١٧٦٩م(١)٠

وبذلك تقرر النصر النهائى لأبى الذهب، وأصبح علىّ بك بنهاية همام والقضاء على نفوذه بالصعيد صاحب النفوذ المطلق فى جميع أنحاء القطر المصرى٠

وإذا كان الصعيد قد لعب دوراً سياسياً كبيراً فى عهد همام فإن ذلك الدور لم ينته بنهاية همام، فالصعيد بموقعه الجغرافى وموارده الهائلة ظل الملجأ للبكوات الفارين من وجه السلطة المركزية بالقاهرة، ولعبت موارد الصعيد الاقتصادية دورا فى تمكين كل من يلجأ إليه فى استعادة مركزه مرة أخرى، حدث ذلك عندما تدهورت علاقة محمد بك أبو الذهب بعلىّ بك الكبير فخرج محمد بك أبو الذهب من القاهرة إلى الصعيد فى أوائل عام ١٧٧١م وكلف علىّ بك أيوب بك حاكم جرجا بالتخلص من محمد بك أبو الذهب، لكن سرعان ما اكتشف محمد بك تلك المؤامرة فتخلص هو من أيوب بك(٢)، وهنا بدأ العداء بين محمد بك وعلىّ بك يأخذ شكلاً علنياً، فانضم إلى محمد بك أبو الذهب بالصعيد الأمراء المماليك المعارضين "لعلىّ بك" والمنفيين بالصعيد ومنهم أتباع صالح بك وكثير من الهوارة الذين شردهم علىّ بك وسلب نعمتهم، وسيطر محمد بك على الصعيد، واغتم علىّ بك لما علم بذلك وأسرع فى تجهيز تجريدة كبيرة بقيادة إسماعيل بك وأرسلها إلى الصعيد للقضاء على محمد بك، ولكن حدث مالم يتوقعه علىّبك إذ انضم اسماعيل بك بمن معه من القوات إلى محمد بك وصاروا حزباً واحداً(٣) عازمين على المضى فى طريقهم للزحف على العاصمة، وحينئذ جهز علىّ بك تجريدة أخرى بقيادة علىّ بك الطنطاوى، والتقت قوات الطنطاوى بطلائع قوات أبى الذهب شمال بنى سويف، ومنيت قوات الطنطاوى بهزيمة اضطر بعدها الطنطاوى إلى العودة إلى سيده علىّ بك الذى لم يجد أمامه مفراً إلا الهروب ففر إلى بلاد الشام، وتقدم محمد بك أبو الذهب فى طريقه إلى القاهرة التى دخلها فى ٢٦ محرم سنة

---

(١) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ص ٣٧٦، ٣٧٧، محمد رفعت رمضان : المرجع السابق، ص ٥٢، ليلى عبد اللطيف : المرجع السابق، ص ص ١٤٦، ١٤٧ ٠

(٢) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ص٤٠٧، ٤٠٨ ٠

(٣) نفس المصدر ، جـ١، ص ص ٤٠٨، ٤٠٩ ٠

١١٨٦هـ/١٣ إبريل سنة ١٧٧٢م(١) ليتولى زمام السلطة بها ويصبح شيخاً للبلد فى نفس العام، وعاد علىّ بك من الشام على رأس حملة يقودها بنفسه بهدف استعادة حكم مصر مرة آخرى، لكنه هزم أمام قوات محمد بك أبو الذهب فى معركة الصالحية، وتوفى متأثراً بجراحه فى ١٥ صفر ١١٨٧هـ- ٨ مايو ١٧٧٣م(٢)، ثم توفى محمد بك أبو الذهب فى ٨ يونية ١٧٧٥م(٣)، لتدخل مصرمرحلة آخرى تحت حكم إبراهيم بك ومراد بك، ولكن ماذا عن دور الصعيد السياسى فى تلك الفترة من تاريخ مصر٠

٢- الصعيد فى عهد ابراهيم بك ومراد بك (١٧٧٥-١٧٩٨) :

بعد وفاة محمد بك أبو الذهب خلص حكم مصر لمراد بك وإبراهيم بك، وكان كلاهما من مماليك محمد بك أبو الذهب ولهذا يطلق الجبرتى عليهما الأمراء المحمدية(٤) نسبة إلى سيدهم محمد بك أبو الذهب، وتولى إبراهيم بك مشيخة البلد، بينما أصبح مراد بك أمير للحج(٥)، ولكن سرعان ما عادت البلاد مسرحاً للصراع بين المحمدية وعلى رأسها إبراهيم بك ومراد بك، والعلوية (نسبة إلى علىّ بك الكبير) وكان على رأس هذا الحزب إسماعيل بك والذى استطاع بعد صراع مع الأمراء المحمدية أن ينتصر عليهم ويصبح شيخاً للبلد عام ١١٩١هـ-١٧٧٧م(٦)، وبناء على ذلك فر كل من إبراهيم بك ومراد إلى الوجه القبلى فى محاولة منهم لاستعادة مركزهم بالعاصمة مرة أخرى٠

وعين حسن بك الجداوى حاكما لجرجا عام ١١٩١هـ-١٧٧٧م(٧) وفى نفس الوقت كان كل من إبراهيم بك ومراد بك ورجالهما قد استولوا على جزء كبيرمن بلاد

---

(١) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ص ٤١٥، ٤١٦ ٠

(٢) نفس المصدر، جـ١، ص ص ٤٢٥، ٤٢٦ ٠

Louis Bréhier : L'Égypte de 1798 à 1900, Paris, 1900, P 10.

(٣) محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وظهور محمد على، القاهرة، دون تاريخ، ص ٣١ ٠

(٤) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ص ٤٨٥، ٤٨٦ ٠

Holt, P.M. The Pattern of Egyptian history from 1517-1798 in political and social change in modern Egypt, London 1969. P. 89.

(٦) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ص ٤٩٨-٥٠٢ ٠

(٧) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ٥٠٦ ٠

الصعيد، وقبضوا الخراج من الفلاحين ومنعا إرسال الغلال إلى العاصمة، وفشل حسن بك حاكم الصعيد فى القضاء على نفوذهما بالوجه القبلى(١)، وحينئذ ارسل اسماعيل بك شيخ البلد تجريدة لوقف نشاطهما بالصعيد، ولكن بمجرد علم مراد وإبراهيم بأمر التجريدة حتى فرا جنوباً، وهنا أحس رجال التجريدة باليأس فى اللحاق بهما، وما أن وصلوا إلى المنيا حتى وهنت قواهم، فأمر اسماعيل بك رجال التجريدة بالرجوع إلى القاهرة(٢)، فانتهز ابراهيم ومراد هذه الفرصة وتقدموا لدخول القاهرة، وأصبح إبراهيم بك شيخاً للبلد فىعام ١١٩٢هـ/١٧٧٨م(٣).

وعندما اشتدت شوكة البكوات المماليك بالصعيد عام ١١٩٣هـ-١٧٧٩م بزعامة كل من حسن بك ورضوان بك وقوى أمرهم بانضمام أولاد همام والجعافرة إليهم وتجمع الجميع فى جرجا، ولاشك فى أن تجمعهم يشكل خطراً على الإدارة المركزية بالقاهرة، لذلك جهز مراد بك تجريدة وتوجه بها إلى جرجا، فلما علم البكوات المماليك بأمر التجريدة فروا جنوباً، بينما قبض مرادبك على اسماعيل أبو على شيخ قبيلة الهوارة وقتله ونهب ماله وفرق بلاده على كشافه وجماعته(٤).

ولكن سرعان ما عاد حسن بك ورضوان بك إلى ما كانا عليه بعد عودة مراد بك إلى القاهرة، واستفحل أمرهما بانضمام كثير من الأجناد إليهم، وحينئذ تم تجهيز تجريدة وأميرها مراد بك، وفى هذه المرة تأثر التجار فى القاهرة وتعرضوا للضرر بل صودرت أموالهم بحجة الانفاق علىهذه التجريدة كما تم الاستيلاء على كثير من المراكب(٥).

كل هذا حدث نتيجة لتمرد الفارين فى الصعيد مما يجعلنا نلمس إلى أى مدى كانت اضطرابات المماليك الفارين إلى الصعيد وتمردهم على الإدارة المركزية بالقاهرة تؤثر على

---

(١) نفس المصدر، ص ٥٠٨ .

(٢) نفس المصدر، ص ٥٠٨ .

(٣) نفس المصدر، ص ص ٥١٨، ٥١٩ .

(٤) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ٥٣٨، صلاح أحمد هريدى : دور الصعيد فى مصر العثمانية، ص ٢٣٤

(٥) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ٥٤٩

الأهالى بالقاهرة وتحرك مراد بك بمن معه من رجال التجريدة متوجها فى طريقة إلى الصعيد للقضاء على الأمراء المماليك المتمردين، ولكن لم تقع بينه وبينهم مناوشات كما يذكر الجبرتى، بل كانوا يتقدمون كلما هم باللحاق بهم ويتوقفون كلما توقف، وفى تلك الأثناء كان اسماعيل بك قد وصل من استانبول إلى الصعيد ولم يتمكن مراد بك من إبادة هذا الفريق، لهذا عقد صلحاً معهم منح على أساسه اسماعيل بك اخميم وأعمالها وحسن بك قنا وقوص، ورضوان بك اسنا، وتم هذا الصلح فى عام ١١٩٥هـ/١٧٨١م ورجع مراد بك إلى القاهرة مصطحبا معه ابراهيم بك قشطة صهر اسماعيل بك وسليم بك أحد صناجق اسماعيل بك كرهائن(١)، ولكن سرعان ما فر اسماعيل بك وسليم بك إلى الصعيد ومعهم حوالى ثمانين من أتباعهم فى عام ١١٩٦هـ/١٧٨٢م وحصل ارتباك لدى ابراهيم بك ومراد بك وتأثر أهالى القاهرة بما حدث فلقد تم التنبيه عليهم من قبل الوالى بعدم التجول بعد صلاة العشاء(٢)٠

وعزم مراد بك على تجهيز تجريدة لمطاردة الفارين إلى الصعيد وتأثرت أحوال الناس نتيجة لذلك، فلقد انتهز مراد بك الفرصة وصادر أموال كثير من التجار، بل وتم سلب ما بأيدى الكثير من مساتير الناس كما يذكر الجبرتى(٣)، حتى أن مراد بك جمع من المال زيادة عن المطلوب بكثير، وهذا يدل على تعرض الناس فى القاهرة للسلب والنهب بحجة القضاء على نفوذ البكوات الفارين إلى الصعيد٠

وتوجه مراد بك بمن معه من رجال التجريدة إلى الصعيد، لكن سرعان ما رجع إلى القاهرة، وتم تعيين عثمان بك الشرقاوى حاكماً على جرجا سنة ١١٩٧هـ/١٧٨٣م(٤)، وتوالى بعد ذلك هروب البكوات من الوجه البحرى إلى الصعيد(٥)٠

---

(١) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ص ٥٥١، ٥٥٢، فولنى : المصدر السابق، جـ١، ص ١٠٣ ٠

(٢) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ٥٦٥ ٠

(٣) نفس المصدر، ص ٥٦٥ ٠

(٤) نفس المصدر، ص ص ٥٦٧، ٥٦٨ ٠

(٥) نفس المصدر، ص ص ٥٦٨، ٥٦٩ ٠

وتم تجهيز تجريدة وأميرها إبراهيم بك وانتهز البكوات الفرصة لسلب الأموال من الملتزمين والفلاحين، وحدث ارتباك توقفت على أثره حركة النقل والمواصلات، واستطاع ابراهيم بك أن يتوصل مع الأمراء الفارين بالصعيد إلى صلح بينه وبينهم، ورجع إبراهيم بك إلى مصر ومعه الأمراء الفارين، فلم يرضى مراد بك ما صنعه ابراهيم بك، فحمل متاعه وتوجه بمن معه من كشافه وطوائفه إلى الصعيد، ووصل مراد بك إلى بنى سويف وأقام فيها فترة قام خلالها بأعمال سلبية من قطع الطريق على المسافرين ونهب ما فى المراكب المتجهة إلى الوجه القبلى أو القادمة منه[1] مما أثر على حركة النقل والمواصلات وعلى التجارة الداخلية. ونتيجة لهذه الأوضاع اضطر علماء الأزهر إلى التدخل فى الوساطة بين إبراهيم بك ومراد بك، وسافر وفد منهم إلى المنيا حيث يقيم مراد بك، وعاد الوفد ليعرض شروط الصلح التى فرضها مراد بك، وفى نفس الوقت حضر مراد بك إلى الجيزة، ومعه الكثير من الأجناد والعربان والغوغاء من أهل الصعيد والهوارة، وحاول الوفد القيام بعملية الصلح، ولكن أثناء عبورهم بالمراكب أطلق مراد بك النار عليهم مما أدى إلى تبادل اطلاق النار بين الطرفين، ويعنى هذا أن محاولات الصلح قد باءت بالفشل، ولذا فقد استمرت المعارك طوال عشرين يوماً مما جعل حالة البلاد الاقتصادية تزداد سوءاً واشتد بأس وقوة مراد بك مما جعل ابراهيم بك يفكر فى الهروب، ولكنه عاود الكرة مرة أخرى ضد مراد بك ولكنه فى النهاية اضطر إزاء التدهور المستمر إلى الهروب[2].

وأخيراً تم الصلح بين إبراهيم بك ومراد بك فى عام ١١٩٩هـ/١٧٨٥م[3] وساءت حالة البلاد فى عهد كل من إبراهيم بك ومراد بك حتى أصبحت فى حالة يرثى لها وكل هذا بسبب المظالم التى ارتكبها هذين الرحلين، ولم تقتصر مظالمهما على أهل البلاد بل امتدت إلى الاجانب فى مصر، مما جعل رعايا هذه الدول يكتبون إلى سفرائهم بالقسطنطينية مطالبين إياهم بمساعدتهم لرفع الظلم الواقع عليهم، واحتج سفراء هذه الدول (فرنسا والنمسا وهولندا وإسبانيا ونابولى) على معاملة رعاياهم بهذا الأسلوب، فكانت هذه الإحتجاجات من

---

(١) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ص ٥٦٩، ٥٧٠، فولنى : المصدر السابق، جـ١، ص ١٠٣.

(٢) صلاح أحمد هريدى : المرجع السابق، ص ص ٢٣٦، ٢٣٧.

(٣) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ص ٥٩٢، ٥٩٣.

قبل ممثلى الدول الأوروبية، إلى جانب إمتناع مراد وابراهيم عن إرسال الجزية إلىالسلطان وتوقفهما عن إرسال الأموال المخصصة للحرمين الشريفين فى الحجاز، بالإضافة إلى علاقات هذين الأميرين الخارجية والتى تتعارض مع سياسة الدولة العثمانية، كتوقيع مراد بك على معاهدة تجارية مع فرنسا فى ١٠ يناير عام ١٧٨٥م دون أن يحصل على موافقة السلطان العثمانى، واتصالات ابراهيم بك ومراد بك بروسيا وتشجيع روسيا لهما لفصل مصرعن الدولة العثمانية، كل هذه الأسباب جعلت السلطان العثمانى يرسل حملةعسكرية إلى مصر تستهدف كسر شوكة المماليك، ودعم نفوذ الدولة فى مصر، وكانت الحملة بقيادة حسن باشا الجزائرلى، وقد بلغ الإسكندرية فى ٧ من يوليو ١٧٨٦(١)٠ ثم وصل القبطان حسن باشا إلى ساحل بولاق فى ١٢ شوال ١٢٠٠هـ/ ٨ أغسطس ١٧٨٦م ثم دخل القاهرة فى اليوم التالى، فما كان من مراد بك وإبراهيم بك وقد عجزا عن مقاومة الحملة إلا الفرار إلى الصعيد، فأرسل حسن باشا خلفهم عدداً من السفن لملاحقتهم(٢)٠

ولم تبدء المناوشات بين القوتين المتحاربتين (الجيش العثمانى الغازى وقوات المماليك) إلا بعد وصول الجيش البرى، وفى خلال سبتمبر وردت الأنباء بوقوع مصادمة بين القوات البحرية العثمانية والمماليك الذين يسميهم الجبرتى "الأمراء القبالى نسبة إلى انسحابهم إلى الوجه القبلى وتجمعهم هناك" ثم دارت معارك أخرى خلال ذلك الشهر بين أسيوط وطهطا وكذلك خلال شهر أكتوبر لكنها لم تسفر عن نصر حاسم للجيش الغازى(٣)٠

ولم تغير نتائج المعارك شيئاً من الأوضاع، ودخل القبطان حسن باشا فى مفاوضات للصلح مع مراد بك وإبراهيم بك وكانت مطالب حسن باشا بشأن الصلح مع الأمراء القبالى تتضمن شرطين وهما :

---

(١) عبد العزيز الشناوى : عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية، سلسلة أعلام العرب، عدد رقم ٦٧،دار الكاتب العربى، القاهرة ١٩٦٧، ص ص ١٧، ١٨ ٠

(٢) الجبرتى : المصدر السابق، جـ١، ص ص ٦٣٠، ٦٣١، عبد الوهاب بكر : الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، الطبعة الأولى، دار المعارف ١٩٨٢، ص ص١٣٢، ١٣٣ ٠

(٣) عبد الوهاب بكر : المرجع السابق، ص ١٣٤ ٠

١- حضور كل من مراد بك وابراهيم بك إلى القاهرة حتى يراسل القبطان حسن باشا السلطان فى أمرهما على أن تكون إقامتهم خارج مصر .
٢- أما فيما يتعلق ببقية الأمراء والعسكر الآخرين فإنهم إذا جاءوا إلى القاهرة وأقاموا فيها كانوا من عسكر السلطان وإذا رغبوا عن هذا استقروا بالصعيد فى أماكن معينة وإذا لم يوافق القبالى على هذين الشرطين فلا بديل سوى الحرب بينهم وبين القوات العثمانية(١).

وأرسل الأمراء القبالى (إبراهيم بك ومراد بك) إلى حسن باشا رسالة يعلنون فيها الإمتثال لرأيه فيما عدا مغادرة مصر، ولم يصادف هذا الرد استجابة لدى حسن باشا وأصر على رأيه لأنه من إرادة السلطان نفسه(٢).

وكتب المماليك بعد ذلك يطلبون الأمان من جديد، وأن يعينوا لهم أماكن من الوجه القبلى يقيمون بها، فوافق حسن باشا على ذلك، وترك لهم حرية اختيار المكان الذى سيقيمون به ولكنه اشترط عليهم أن يكونوا جماعة قليلة، ويحضر باقى الأمراء بالأمان إلى مصر، فلم يرضوا بالافتراق عن بعضهم واستقروا قرب بني سويف(٣).

وانسحب الأمراء القبالى بعد ذلك إلى أسيوط، وظلت بقية منهم فى المنيا، ثم استمروا فى انسحابهم حتى طهطا(٤)، فتعقبتهم التجريدة التى أرسلها القبطان حسن باشا لمطاردتهم والقضاء عليهم، وتعقبت التجريدة فلول المماليك المنسحبة، ووقعت بينهم واقعة كبيرة استمرت لمدة ست ساعات، وقتل فيها الكثير من الجانبين، وتمكن عابدى باشا من الحاق هريمة بالقبالى بفضل المدافع التى يملكها، ويظهر أن القبالى كانوا يستعينون بعربان الهنادى حيث لقى كثير منهم حتفه ووقع شيخهم فى الأسر(٥).

---

(١) الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٨ .
(٢) عراقى يوسف محمد : الوجود العثمانى المملوكى فى مصر (فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر) الطبعة الأولى، دار المعارف ١٩٨٥، ص ١٥٠
(٣) جلال يحيى : المرجع السابق، ص ٢٩١ .
(٤) الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، ص ص ١٣، ١٤ .
(٥) نفس المصدر، جـ٢، ص ١٧ .

وانسحب الأمراء القبالى بعد هذه الموقعة جنوبا، ولحقت بهم القوات العثمانية حتى أسوان، وسيطرت عليها، وفر الأمراء القبالى حتى ابريم، وعاد عابدى باشا إلى القاهرة بينما ظل حسن بك الجداوى بقنا(١)٠

وسرعان ما عاد الأمراء القبالى فى طريقهم شمالا حتى وصلوا إلى جرجا، ثم حدثت مفاوضات للصلح من قبل القبطان حسن باشا مع الأمراء القبالى، وحدد لهم بلادا معينة يقيمون فيها ويتعيشون منها، ولكن الأمراء القبالى بعثوا يطلبون بلاداً آخرى لأن البلاد التى حددها لهم حسن باشا لا تكفيهم كما جاء فى رسالتهم(٢)٠

واخفق القبطان حسن باشا فى إخضاع الصعيد أو بمعني آخر فشل فى القضاء على ابراهيم بك ومراد بك، ولم يطل به المقام فى مصر فاستدعى إلى تركيا بسبب قيام الحرب بين تركيا وروسيا فى سبتمبر ١٧٨٧م، ثم جاء العفو السلطانى عن إبراهيم بك ومراد بك على أن يقيم الأول فى قنا ويقيم الثانى فى إسنا مع عدم السماح لهم بدخول القاهرة(٣)٠ وغادر القبطان حسن باشا البلاد فى ذى الحجة ١٢٠١هـ سبتمبر ١٧٨٧م فى طريقه إلى استانبول تاركاً لإسماعيل بك – شيخ البلد الذى كان قد حل محل المطرودين – مدافع وآلات حرب، وترك له حامية مؤلفة من ألف وخمسمائة مقاتل للإستمرار فى مقاتلة الأمراء القبالى إذا ما نقضوا الصلح وحاولوا دخول القاهرة(٤)٠

وظهرت أطماع القبالى وقوى عزمهم خاصة بعدرحيل القبطان حسن، فتحركوا من أماكنهم متجهين شمالاً حتى وصلوا إلى أسيوط ثم تقدموا بعد ذلك إلى بنى سويف، فاضطرت سلطات القاهرة أن تأخذ للأمر اهبته وتبدأ فى الدفاع عن العاصمة(٥)٠ وحدثت أثناء ذلك مراسلات بين الأمراء القبالى وأصحاب السلطة بالقاهرة من أجل الصلح والاتفاق،

---

(١) الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، ص ص ١٩، ٢٠ ٠

(٢) لمزيد من التفصيل انظر : نفس المصدر، ص ٢٢-٣٠ ٠

(٣) نفس المصدر، جـ٢، ص ٣١ ٠

(٤) نفس المصدر، ص ٣١ ٠

(٥) نفس المصدر، ص ٤٣-٤٩ ٠

لكن هذه المفاوضات لم تتمخض عن شئ، وحينئذ شرع اسماعيل بك فى عمل متاريس عند طره والمعصرة، وكذلك فى بر الجيزة للدفاع عن القاهرة ضد هجمات الأمراء القبالى(١) ولقد أثرت هذه الأوضاع على حركة النقل من الوجه القبلى إلى القاهرة والعكس، وامتنع ورود الغلال من الوجه القبلى، وبالتالى ارتفعت أسعار الغلال بالقاهرة ثم طلب الأمراء القبالى الصلح على أساس أن تبدأ حدودهم من أسيوط حتى الجنوب، ولم توافق السلطات الحاكمة بالقاهرة على هذا الشرط، لهذا نشب القتال بين الطرفين، وسرعان ما انتهى القتال بينهما دون نتيجة حاسمة لأحد الطرفين(٢).

ثم طلب القبالى الصلح مرة أخرى على أساس أن يكون لهم من أسيوط إلى قبلى شرقا وغربا بشرط أن يدفع القبالى ميرى البلاد من المال والغلال، وأن يطلقوا سراح المراكب والمسافرين بالغلال والأسباب، وعلى أمراء القاهرة أن لا يمنعوا عنهم ما يحتاجونه من القاهرة فيما عدا آلات الحرب، ووافق أصحاب السلطة والنفوذ بالقاهرة على شروط القبالى، وعلى أساس هذا الاتفاق انتهت أزمة ارتفاع أسعار الغلال، بل انخفضت أسعارها إلى درجة كبيرة بسبب ورود الغلال من الصعيد.

ولكن سرعان مانقض الأمراء القبالى هذا الصلح بحجة أن من وقع هذا الاتفاق معهم وال معزول(٣)، وعلى ذلك اضطربت الأمور وارتفعت أسعار الغلال بالقاهرة مرة أخرى وشح الخبز من الأسواق، ولقد أثارت ردود القبالى غضب الباشا فأمر بالقبض على نسائهم وبيع متعلقاتهن، وانفاق تلك الأموال على العسكر(٤)، والجديربالذكر أن الدولة واصلت أوامرها إلى باشا مصر بالتصدى لمحاربة القبالى، على أن يسانده رجال الأوجاقات فى هذا الشأن، ظنا منها بأن الكيان العسكرى للأوجاقات لا يزال قادراً على تأكيد سيادتها بولاية مصر(٥).

---

(١) الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٥٠-٥٩

(٢) نفس المصدر، ص ص ٧٠، ٧١.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٧١-٧٣ . ومن الملاحظ أن الدولة كانت قد عينت اسماعيل كتخدا حسن باشا واليا بدلا من عابدى باشا الذى عقدالصلح مع الأمراء القبالى.

(٤) الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٧٣-٨٥ .

(٥) عراقى يوسف محمد :المرجع السابق، ص ١٥٥ .

وحدث مالم يكن فى الحسبان، فلقد ظهر وباء الطاعون فى مصر عام ١٢٠٥هـ/١٧٩١م وكان من ضحاياه اسماعيل بك شيخ البلد، وبعد موته تنازع الرياسة حسن بك الجداوى وعلى بك الدفتردار ثم اتفقوا أخيراً على أن يصبح عثمان بك طبل تابع اسماعيل بك شيخاً للبلد(١).

وعندما علم الأمراء القبالى بموت اسماعيل بك تحركوا شمالاً فى طريقهم إلى القاهرة، وبعثوا السيد عمر أفندى مكرم الأسيوطى برسالة إلى شيخ البلد والمشايخ والباشا للسماح لهم بدخول القاهرة فى أمان(٢).

وفى يوليو عام ١٧٩١اقتربت جيوش ابراهيم بك ومراد بك من القاهرة ثم دخلتها فى اليوم الثانى والعشرين من يوليو عام ١٧٩١ دون مقاومة، وعاد ابراهيم بك ومراد بك إلى السلطة وأصدر السلطان العثمانى عفواً عنهما فى أوائل أكتوبر سنة ١٧٩١(٣) واستمر حكمهما الجائر وابتزازهما الفاضح، وهكذا جرت سياسة مراد بك وإبراهيم بك على مصر النكبات وتعددت كتابات وتقارير القناصل الفرنسيين عن الفوضى السياسية فى البلاد مما حفز الحكومة الفرنسية على ارسال الحملة الشهيرة على مصر عام ١٧٩٨م(٤).

---

(١) الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٩٥ .

(٢) نفس المصدر، جـ٢، ص ٩٨ .

(٣) عبد الوهاب بكر : المرجع السابق، ص ١٣٨ .

(٤) إلهام محمد على ذهنى : مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر، سلسلة تاريخ المصريين عدد رقم ٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢، ص ١٥٤ .

الفصل الأول

الحملة الفرنسية على شمال الصعيد

الفصل الأول
الحملة الفرنسية على شمال الصعيد

- أسباب الحملة الفرنسية
- إعداد الحملة
- معركة إمبابة أو الأهرام (٢١ يولية ١٧٩٨) وفرار مراد بك إلى الصعيد
- أسباب احتلال الفرنسيين للصعيد
- نابليون ومحاولة الاتفاق مع مراد
- تحرك حملة الجنرال ديزيه واحتلال بنى سويف
- احتلال البهنسا وتعقب اسطول المماليك إلى أسيوط
- رجوع ديزيه إلى الفيوم
- معركة سدمنت (٧ أكتوبر ١٧٩٨)
- الموقف الحربى فى بنى سويف والفيوم والمنيا
- احتلال مدينة الفيوم واخماد الثورة فى القرى المجاورة
- هجوم الثوار على مدينة الفيوم
- ديزيه يطلب المدد من نابليون لاستئناف الحملة
- حادثة الفقاعى
- موقعة أبو جرج

الحملة الفرنسية على شمال الصعيد

أسباب الحملة الفرنسية على مصر :

تعتبر الحملة الفرنسية أول غزوة أجنبية فى تاريخ مصر الحديث، وإذا اعتبرنا أن مصر فى ذلك الوقت كانت ولاية عثمانية، فإن الحملة الفرنسية تعتبر بمثابة أول تعد أوربى على بلد شرقى إسلامى من بلاد الدولة العثمانية، وهنا يمكن القول أن المسألة المصرية تعتبر بداية طور جديد من أطوار الضغط الأوربى على الدولة العثمانية، فقد كان الضغط الأوربى حتى ذلك التاريخ واقعاً على الولايات العثمانية فى أوربا ثم أخذ يتجه نحو الشرق، ويقع على ولايات الدولة الاسلامية، وكانت الحملة الفرنسية على مصر بداية هذا الطور فى المسألة الشرقية، كما كانت بداية دخول عناصر جديدة أخذت تشارك فى الضغط على الدولة العثمانية، وتعمل على اقتطاع أجزاء من أملاكها الواسعة بعد أن كانت تأخذ بمبدأ المحافظة على سلامتها وصونها من عوامل التفكك والانهيار، وقد بدأت فرنسا هذا الطور وهى الدولة التى ظلت حريصة على صداقة السلطان والتى كان لها ولرعاياها من الإمتيازات فى العالم العثمانى مالم يكن لغيرها من الدول الآخرى(١)٠

ولم يأت القرن الثامن عشر إلا وقد أخذت الدول الكبرى الأوربية تفكر جدياً فى كيفية تقسيم ممتلكات الأتراك، وما كان ذلك إلا دليل قاطع على حالة الضعف والانحلال التى ألمت بالاتراك بل كان من ضمن الأسباب التى شجعت فرنسا على إنفاذ حملتها على مصر أن الدولة العثمانية كانت آيلة إلى الانحلال والسقوط قريبا٠

والحملة الفرنسية لا يمكن دراستها إلى بربطها بحوادث التاريخ الأوربى فى أواخر القرن الثامن عشر، فى الوقت الذى كانت الحرب قائمة بين الجمهورية الفرنسية، ودول التحالف الأول، وانتصرت فرنسا فى القارة، ولم يبق من أعدائها سوى النمسا وانجلترا، وكان ميدان الحرب مع انجلترا فى البحار والمستعمرات وميدانها مع النمسا شبه الجزيرة الا يطالية، ولقد ترتب على انتصارات نابليون على النمسا فى ايطاليا وتوقيع معاهدة كامبو

---

(١) حسين فوزى النجار : السياسة والاستراتيجية فى الشرق الأوسط، الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٣، ص ١٧٨ ٠

رميو فى (١١ أكتوبر ١٧٩٧) أن أصبحت بريطانيا العظمى وفرنسا فى موقف المواجهة الصريحة، حينئذ فكر الفرنسيون فى غزو بريطانيا العظمى لكنهم لم يلبثوا أن أدركوا ما يتضمنه هذا المشروع من أخطار بالغة، وأن من الأصوب أن يهاجموا بريطانيا العظمى فى المناطق الضعيفة من ممتلكاتها فيما وراء البحار، وطرح كل من "تاليران" (وزير خارجية فرنسا) ونابليون فكرة غزو مصر على بساط البحث(١).

وأخيراً وافقت حكومة الإدارة(٢) على إرسال الحملة الفرنسية على مصر ساعية بذلك إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية وهى :

أولا : توجيه ضربة مباشرة إلى بريطانيا العظمى بالسيطرة على أحسن طريق إلى الهند.

ثانيا :تأسيس مستعمرة مزدهرة واستغلال موارد مصر العظيمة.

ثالثا : التوصل على ارتياد مصر القديمة والحديثة على أساس علمى(٣).

ولقد قال نابليون فى مذكراته أن هناك ثلاثة أسباب لغزو مصر وهم :

١- تكوين مستعمرة فرنسية فى مصر تعوض فرنسا ما فقدته من مستعمرات فى أمريكا والهند.

٢- فتح سوق لمنتجاتهم فى أفريقيا وبلاد العرب وسوريا وجلب المواد الخام من هذه البلاد إلى فرنسا.

٣- أن يبدأ من مصر بـ ٦٠,٠٠٠ رجل لغزو الهند(٤).

وواضح من الأسباب المذكورة رغبة فرنسا فى توسع استعمارى جديد تعوض به ما فقدته من مستعمرات فى أمريكا الشمالية والهند من ناحية وللإضرار بالمصالح البريطانية من ناحية ثانية، إذ أرادت أن تجعل من مصر قاعدة لتهديد بريطانيا فى الهند وتحويل

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ مصر من الحملة الفرنسية إلى نهاية عصر اسماعيل :١٧٩٨-١٨٧٩. ضمن كتاب المجمل فى التاريخ المصرى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٢، ص ص ٢٨٧،٢٨٨ .

(٢) يطلق اسم حكومة الادارةعلى الحكومة التى تأسست فى فرنسا على أساس دستور ١٧٩٥، وقد بقيت قائمة إلى أن أسقطها نابليون بعدعودته من مصر سنة ١٧٩٩ وحل محلها نظام القنصلية حيث صار نابليون فيها القنصل الأول.

(٣) Louis Brèhier : L'Egypte de 1798 à 1900, Paris, 1900, P. 30.

(٤) نقلا عن : Arthure, P. Brome weigall. A History of events in Egypte frome 1798, To 1914, London, 1915, P. 9

التجارة الشرقية إلى طريق مصر، وإذا كانت هذه هي الأسباب الرئيسية للحملة الفرنسية على مصر، فإن هناك أسباب ثانوية تعد في الدرجة الثانية من الأهمية منها أن همة نابليون قد أبت عليه البقاء في فرنسا من غير عمل، وخشي أن الشعب لا يلبث أن ينساه إذا لم يظفر أمامه بعمل عظيم، لذلك أخذ ينقب عن مشروع تتجلى فيه عبقريته ومواهبه، فلم يجد أمامه سوى الشرق ميدانا لكبار الأبطال من قديم الزمان، وكان نابليون يطمح أن يقلد الاسكندر الأكبر فينشئ في الشرق دولة كدولته(١). كما يدخل ضمن الأسباب الثانوية ما يعتبره بعض المؤرخين من أن حكومة الإدارة كانت تريد أن تبعد نابليون عن مسرح الأحداث في فرنسا نظراً لما أصبح يتمتع به من شعبية ومن ثقة الجيش من كفايته، إذ كان الجيش يعيش نشوة من الانتصارات التي أحرزها على يد نابليون(٢) ولكن ليس من المحتمل أن تحرم أي حكومة نفسها من خدمات جيش وأسطول لمجرد أن تتخلص من احتمال ظهور خصم قوى خطر.

وهناك أسباب صورية من نوع الأسباب التي تتذرع بها الحكومات عادة لتبرير وقفها إزاء القانون العام وأمام غيرها من الدول، فقد تظاهرت فرنسا أنها إنما أرسلت الحملة لتأديب المماليك والاقتصاص منهم بسبب ما وقع على التجار والرعايا الفرنسيين في مصر من الظلم والمصادرة والاضطهاد في عهد ابراهيم بك ومراد بك مما دعا قنصلهم "مجالون" إلى إرسال الشكوى إلى حكومته(٣)، وهكذا استغلت فرنسا ما تعرض له رعاياها في مصر من ظلم واضطهاد لتتخذه سببا ظاهراً يبرر موقفها أمام العالم لحملتها على مصر.

---

(١) محمد رفعت بك : تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، القاهرة ١٩٤٨، ص ٢٠.

(٢) زينب عصمت راشد : تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، دارالفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ، ص ١٦٣.

(٣) محمد رفعت بك : المرجع السابق، ص ٢٠.

إعـــداد الحملـــة

اختلف المؤرخون فى تقديرهم لعدد جنود الحملة، ولكن أقرب الأراء إلى الصحة أن عدد جنود الحملة بلغ ٣٦,٨٢٦ مقاتلا(١)، تم اختيارهم من بين الجنود الذين قادهم بونابرت من قبل بنجاح رائع فى ايطاليا، أما قواد الألوية والفرق، فحرص على أن يكونوا من بين الرجال الذين رقاهم بنفسه أوعينهم فى مناصبهم تلك، وهكذا اختار "ديزيه" و"كليبر" و"برتييه" و"مارمون"(٢) وآخرون غيرهم ممن صحبوا نابليون فى حملته على مصر .

وتألفت الحملة من ٥٥ مركبا حربيا، ٢٨٠ نقالة، وهذا عدا الخيول والمدافع، كما أن الحملة كانت تضم إليها جماعة كبيرة من صفوة علماء فرنسا فى جميع التخصصات العلمية(٣)، وبلغ عدد هؤلاء العلماء ١٤٦ عضوا ما بين عالم وأديب ومهندس ومثال تألفت منهم لجنة العلوم والفنون التى كان لها شأن يذكر فى تاريخ الحملة الفرنسية(٤).وكان فى وجود الرياضيين وعلماء طبقات الأرض والأثريين والكيمائيين ضمن علماء الحملة مما دل على اهتمام نابليون بالأمور المدنية وعلى رغبته فى أن يكون فتح مصر مخالفا للفتوح العادية، والسبب فى ذلك أنه منذ انتخابه عضوا فى المجمع العلمى، فكر فى إماطة اللثام عن أرض الفراعنة بالبحث العلمى، وانتوى كذلك أن يدرس الشرق وشرائعه وعاداته وفنونه ومصنوعاته وديانته وبذلك يصبح الإنجيل والقرآن توءمين فى مكتبته السياسية ويتمكن نابليون من محادثة الشرق بلغته وبما تعوده الناس من الأفكار(٥).

---

(١) محمد فراء شكرى : الحملة الفرنسية وظهور محمد على : القاهرة، دون تاريخ، ص ١٣٢ .

(٢) الان مورهيد : النيل الأزرق ترجمة نظمى لوقا، القاهرة ١٩٦٦، ص ٧٧ .

(٣) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق، ص ١٣٢ .

(٤) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، القاهرة دار المعارف ١٩٨١، ص٨٣ .

(٥) هربرت فيشر : نابليون : نقله إلى العربية، محمد مصطفى زيادة، محمد نوفل، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٢،ص ٦٧ .

لهذا نجد نابليون يأمر بجمع مكتبة كاملة للحملة، وراح يقضى أيامه على ظهر البارجة الشرق مطالعا ساعات طوالا فى كثير من تلك الكتب الثقافية التى تضمنتها مكتبة الحملة وعددها ٢٨٧ كتابا(١)٠

كما أدرك بونابرت منذ اللحظة التى قرر فيها احتلال مصر أن الدعاية هى السلاح الذى قد يكسب به قلوب المصريين، فكان عليه إذن أن يعد العدة لحملة من الدعاية يوطد أركانها بمطبعة يحملها معه لتساعده فيما يرمى إليه، لذلك حرص بونابرت على تزويد المطبعة التى سيحملها معه إلى مصر بالحروف العربية واليونانية والفرنسية، وعنى عناية خاصة برجال المطبعة الجديدة ومعداتها، وليس التحبب إلى المصريين هو الغرض الوحيد من إحضار المطبعة، بل هناك صحيفة "كوربيه دى ليجيبت Courriey de L'Egypte التى سوف تحمل إلى جنده وقواده الأخبار من هنا وهناك فتقوى روحهم المعنوية ومجلة "لاديكاد إيجيبسيين La Decade Egyptienne ذلك السجل الذى سيحوى أبحاث وتقارير علماء الحملة وغيرها من المطبوعات(٢) ومن العرض السابق يتبين لنا كيف أن نابليون قد استطاع بذكائه أن يعد للحملة إعدادا محكماً فلم ينس شيئا مهما، بل يمكن القول بأن الحملة الفرنسية تعتبر أول حملة من الحملات العسكرية فى تاريخ العالم ضمت بين صفوفها بعثة علمية من طراز فريد، والفضل فى ذلك بلا منازع يرجع لنابليون دون سواه، بل إن الحملة أصبح لها مكانا ممتازا فى تاريخ الإنسانية والعلم والحضارة بفضل هؤلاء العلماء الذين رافقوا نابليون فى حملته على مصر٠

معركة إمبابة أو الأهرام (٢١ يولية ١٧٩٨)
وفرار مراد بك إلى الصعيد

قبل أن نتحدث عن معركة امبابة نود أن نشير إلى أن الحملة الفرنسية قد وصلت تجاه الإسكندرية يوم أول يولية سنة ١٧٩٨، وأخذ جنود الحملة ينزلون غرب الإسكندرية ليلة ٢ يولية وزحفوا على المدينة فاحتلوها فى ذلك اليوم، وبعد أن ثبت نابليون قدمه فى الإسكندرية أخذ يزحف على القاهرة عن طريق دمنهور، والتقى مراد بك بالجيش الفرنسى

---

(١) آلان مورهيد : المرجع السابق، ص ٨٣ ٠

(٢) خليل صابات : تاريخ الطباعة فى الشرق العربى، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٨، ص ١٢١ ٠

بالقرب من شبراخيت يوم ١٣ يولية سنة ١٧٩٨ فهزمه نابليون واضطره إلى التقهقر فانثنى مراد راجعا إلى القاهرة استعدادا للمعركة الفاصلة بينهما ألا وهى معركة امبابة فماذا عن أحداث هذه المعركة؟٠

رأى نابليون أن يسرع باحتلال القاهرة، لأنه كان يعتقد أن الاستيلاء على العاصمة هو بمثابة فتح القطر بأجمعه، ومن الضرورى أن يصل القاهرة قبل فيضان النيل حتى يستطيع دخولها دون عوائق طبيعية تعوقه عن سيره وقبل أن يجمع المماليك شملهم ويوحدوا صفوفهم، تلك كانت خطة نابليون الأساسية التى فاق بها جميع من سبقه من القواد وهى الهجوم وتشتيت الأعداء بسرعة زائدة وادخال الفزع والرعب فى قلوب خصومه(١)، ولذلك نجد نابليون وجنوده يواصلون الزحف فى طريقهم إلى القاهرة بعد انتصارهم على المماليك فى شبراخيت، ووصل الجيش الفرنسى إلى أم دينار يوم ١٩ يوليو ١٧٩٨ ٠

وكان المماليك قد اتخذوا العدة لمقابلة الفرنسيين ووزعوا قواتهم إلى قسمين، قسم برئاسة ابراهيم بك ظل مرابطا على الضفة اليمنى للنيل فى بولاق، والآخر بقيادة مراد بك على الضفة اليسرى، وكانت قوات مراد بك تمتد منتشرة من بشتيل وإمبابة إلى الأهرامات ويلاحظ هنا أن المماليك قد أخطأوا فى تقسيم قواتهم ووضع الجزء المهم من هذه القوات على الضفة اليسرى، إذ كان من الأفضل أن يجمعوا قواتهم على الضفة اليمنى ويتركوا للفرنسيين مهمه عبور النيل وهى مهمة لا تخلوا من خطر على الجيش المهاجم ولكن يظهر أن المماليك كانوا قد أعدوا خطة التقهقر قبل أن ينظموا خطط الدفاع(٢) أو قل أنهم قد وضعوا الهزيمة نصب أعينهم فأعدوا وسائل الهرب قبل وسائل الحرب، وجمعوا جواهرهم وحليهم قبل أن يجمعوا بنادقهم ورصاصهم، وفى ذلك يقول الجبرتى "فشرعوا فى نقل امتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة إلى البيوت الصغار التى لا يعرفها أحد، واستمروا طول الليالى ينقلون الأمتعة من البيوت الكبار المشهورة المعروفة إلى البيوت الصغار التى لا يعرفها أحد، واستمروا طول الليالى ينقلون الأمتعة ويوزعونها عند معارفهم

---

(١) أنور الرفاعى : بونابرت فى مصر والشام، دمشق ١٩٤٧، ص ٢٧٠

(٢) محمد رفعت: المرجع السابق، ص ٢٥ ٠

وثقاتهم وأرسلوا البعض منها لبلاد الأرياف، وأخذوا أيضا فـي تشـهيل الأحمـال واستحضار دواب للشيل وأدوات الارتحال"(١)٠

وإذا أضفنا إلى ذلك عدم وجود تعاون بين قيادات المماليك (ابراهيم بك ومراد بك) حيث كان كل فريق يرتاب فى نيات الأخر، وبقى جيش كل منهما بعيدا عن الآخـر، ابراهيم بك فى بولاق ومراد بك فى امبابة ويفصل بينهمـا نهر النيل لأدركنـا أن تخطيط المماليك لخوض معركة امبابة كان تخطيطـا مبنياً على الجهل وعدم النظـام، فى حين كـان جيش نـابليون مجهزاً بـالعلم والنظـام والسـلاح والكفاءةالحربيـة التـى اكسبته النصـر فـى حـروب أوروبا٠

وسرعان ما لحظ بونـابرت بمجرد خروجه من أم دينـار، ضعف ترتيبـات أعدائـه وأظهر ذلك أن المماليك اعتمدوا أكثر الاعتماد على التحصن فى امبابة، فأقاموا بها مدافعهم، وهى قديمة مثبتة على أرصفة أعدت لها ولايمكن نقلها أو تحويل طلقاتها إلى اتجاهـات غير تلك الموجهة أصلاً إليها، فأدرك نابليون أهمية عدم التعرض لإصابات هذه المدافع(٢) وكـان كل همه أن يفصل بين القلب وبين ميمنة أعدائه المركزة فـى امبابـة وأخـذ الجيـش الفرنسـى بقيادة نابليون يتأهب للقتال، ورتب نابليون فرق الجيش على شكل مربعات، ووضـع المدافـع على زوايا كل مربع، وكانت فرقتا الجنرال ديزيه والجنرال رينييه بالميمنة، وفرقتا الجنرال بون وفيال بالميسرة، وفى القلب فرقة الجـنرال دوجـا وفيهـا نـابليون يرسم الخطط ويصدر الأوامر ويرقب حركات الجناحين(٣)٠

ورأى نابليون أن المماليك يتأهبون لمهاجمته مـن الأمـام كعـادتهم، فقسم جيشـه إلـى فرق كل منها على شكل مربع مجوف وساقها على المماليك على هيئـة هـلال يستعد وسـطه للقاء قلب المماليك ويحيط طرفاه بجناحيهم٠

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى: تاريخ عجائب الأثار فى التراجم والأخبار، الجزء الثانى، بيروت، دار الجيل، دون تاريخ، ص ٣٨٦ ٠

(٢) محمد فؤاد شكرى: المرجع السابق، ص ١٣٨ ٠

(٣) عبد الرحمن الرافعى: المرجع السابق، جـ١، ص ٢٠٤ ٠

وإذا كان علم مراد بك بالخطط والحركات الحربية بدائيا، إلا أنه قد وهب بصرا ثاقبا وإلهاماً حربيا، فما أن لحظ الهدف من مناورة بونابرت، وهو اختراق قلب المماليك وقطع خط الرجعة عليه، حتى أمر جميع فرسانه بمهاجمة فرقتى الطليعة الفرنسيين، أى فرقتى ديزيه ورينييه[1] ونفذ الهجوم بسرعة وإصرار لايخطران بالبال، حتى خيل لبونابرت أن "ديزيه" أصبح فى خطر، وأنه ليس لديه الوقت الكافى للاصطفاف للقتال، ولكن لحسن حظه كانت الفئة الأولى من المماليك الذين هاجموه قليله، قتل نصفها بطلقات المدافع فتمكن فى وقت سقوطها وارتداد الباقى منها من تكوين مربعه، ورتبت المدافع وطلقات البنادق على الجهات الأربع، ورأى الجنرال (رينييه) الخطر كما رآه (ديزيه) فشكل جنوده فى مربع أيضاً، وتلقى الخيالة المماليك من الجهات الأربع، وقامت فرقة الجنرال دوجا التى يقودها بونابرت فعلاً بحركة دوران حول ميمنة المصريين فحالت بينها وبين النيل، واستطاعت أن تطلق المدافع من وراء الخيالة المماليك المواجهين لمربع"رينييه" فوقع بذلك المماليك بين نارين من امام ومن خلف فصاروا يتساقطون جثثاً هامدة على الأرض[2] واختل نظام الجيش المصرى، ومات الكثير من زعمائه وشجعانه ومن نجا من الموت ارتد فريق منهم إلى إمبابه، أما الغالبية العظمى منهم فارتدوا إلى الجيزة، وفى الوجه التالى من المعركة أمر نابليون قوات الميسرة مّن جنود الجنرال بون والجنرال فيال بمهاجمة إمبابة، فوقع الهجوم فى الوقت الذى كان فرسان مراد بك يغامرون بأنفسهم بين فرقتى ديزيه ورينييه، واشترك فى الهجوم فرقة الجنرال دوجا، فدار قتال شديد بينهم وبين المصريين والمماليك، وكر هؤلاء على الفرنسيين لكنهم ارتدوا أمامهم ورجعوا إلى معاقلهم وحاولوا صد هجوم الفرنسيين بإطلاق النار من المدافع المركبة فى استحكامات إمبابه لكن هذه المدافع كانت من الطراز العتيق، فلم تطلق قنابلها إلا مرة واحدة، ولم يستطع رماتها أن يعيدوا الضرب بها، فاختل نظام الجيش المصرى فى امبابة، وأحاط جنودالجنرال رامبون ومارمون بالاستحكامات لقطع خط رجعة المصريين إلى النيل، وتمكن الفرنسيون من تطويقها فوقع المصريون والمماليك بين نارين، فكان العدو أمامهم والنيل من ورائهم، ووقعت الهزيمة بجيش مراد بك ومات معظم رجاله قتلا أو غرقاً فى النيل واستولى الفرنسيون على امبابة

---

(١) ج. كرستوفر هيرولد: بونابرت فى مصر: ترجمة فؤاد أندراوس مراجعة محمد أنيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦، ص ١٠٦ .

(٢) أحمد حافظ عوض: فتح مصر الحديث أو نابوليون بونابرت فى مصر القاهرة ١٩٢٥، ص ١٤٠ .

وغنموا ما بها من المدافع والاستحكامات والأسلحة والمؤن، فلما علم مراد بك بسقوط إمبابة تحقق أن الهزيمة حلت به فقر بالباقين من جنوده، وكان عددهم نحو ثلاثة آلاف إلى جنوبى الجيزة، وأغرق المماليك السفن الحربية التى كانت بالنيل حتى لاتقع فى أيدى الفرنسيين، وانتهت المعركة فى نحو الساعة السادسة مساءً من يوم ٢١ يوليو ١٧٩٨ بانتصار نابليون وجنوده والقضاء على قوة البلاد الحربية(١).

أما إبراهيم بك الذى كان يرابط فى الشاطىء الشرقى ليدافع عن القاهرة إذا ما اعتزم الفرنسيون عبور النيل، فإنه ظل يرقب تطورات المعركة وبقى جامداً لايحرك ساكناً حتى علم بهزيمة زميله مراد بك، فأركن إلى الفرار هو ومن معه من المماليك وغادروا العاصمة وقصدوا إلى بلبيس ثم إلى سوريا حاملين ما وصلت إليه أيديهم من المتاع والأموال والتحف، لينجو بها ويستخلصونها لأنفسهم، ويلخص مؤرخ معاصر أسباب هزيمة المماليك فى هذه الموقعة بقوله "ولكن الاجناد متنافرة قلوبهم منحلة عزائمهم مختلفة آراؤهم حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم، مختالون فى رئيسهم، مغترون يجمعهم محتقرون شأن عدوهم، مرتبكون فى رؤيتهم، مغمرون فى غفلتهم وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم"(٢).

ويمكن القول أن من أهم الأسباب التى أدت إلى هزيمة القوات المملوكية أن المماليك لم يأخذوا بأسباب التطور فى مجالات الأسلحة وفنون القتال التى تقدمت فى أوروبا بعد اندلاع الثورة الصناعية، وتجمدت أساليبهم وطرائقهم، وعاشوا بعقلية العصور الوسطى فى أواخر القرن الثامن عشر، وبالتالى فلقد واجهوا جيش نابليون بأساليب الفروسية المتخلفة، ولم يكن المماليك يعلمون أن عهد الفروسية قد انتهى، ولم يكن فى مصر قوة للقتال غير قوة الخيالة المماليك التى كانت تحسن القتال مع جنود من نوعها، لا أمام بطاريات من مدافع متحركة، ولا أمام بنادق سريعة الطلقات، ولا أمام حركات عسكرية فنية كالتى امتاز بها جيش نابليون وقهر بها جيوش ايطاليا والنمسا(٣)، لهذا كان واضحاً البون الشاسع فى مجال التسليح والتكتيك العسكرى الحديث، ومن ثم كانت الهزيمة الساحقة التى أصابت الجيش المصرى بزعامة المماليك ولكنه بالرغم من الفرق الشاسع فى التسليح بين المماليك

---

(١) عبد الرحمن الرافعى: المرجع السابق، جـ١، ص ٢٠٨ .

(٢) الجبرتى: المصدر السابق، جـ٢، ص١٨٨ .

(٣) أحمد حافظ عوض: المرجع السابق. ص ١٤١ .

والفرنسيين إلا أن جموع الشعب قد كافحت وناضلت عن أرضها بكل ما تستطيع أن تملكه من امكانات، فلقد تطوع آلاف مؤلفة من أهل القاهرة والفلاحين من سكان الأقاليم والعربان حيث يذكر الجبرتى "وكذلك اجتمع عند مراد بك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخبيريه والقيعان وأولاد على والهنادى وغيرهم"(١)٠

وهكذا اشتركت جموع الشعب المختلفه فى هذه المعركة، حيث يقدر عدد الذين اشتركوا من أفراد الشعب فى القتال فى هذه المعركة بنحو عشرين ألفاً فى حين كان عدد المماليك الذين حاربوا فى هذه المعركة لايزيد على ستة آلاف(٢)٠

وكانت خسائر المصريين فى الأرواح فادحة، حيث قتل منهم خمسة آلاف، بينما بلغت خسائر المماليك ألفى قتيل، ويقرر بونابرت فى مذكراته أن خسائر الفرنسيين بلغت ثلاثمائة قتيل(٣)، واختار الفرنسيون لمعركة امبابة اسما خالدا له رنين تمجيدا لانتصارهم فأطلقوا عليها معركة الأهرام٠

ويصف الجبرتى ما حل بالقاهرة من فزع بعد معركة امبابة بقوله"واستمر معظم الناس طول الليل خارجين من مصر البعض بحريمه والبعض ينجو بنفسه، ولايسأل أحد عن أحد بل كل واحد مشغول بنفسه عن أبيه وابنه، فخرج فى تلك الليله معظم أهل مصر البعض لبلاد الصعيد والبعض لجهة الشرق وهم الأكثر، وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لايقدر على الحركة ممتثلاً للقضاء متوقعاً للمكروه، وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما ينفقه على حمل عيالة وأطفاله، ويصرفه عليهم فى القربة فاستسلم للمقدور ولله عاقبة الأمور"(٤) وهكذا كانت تلك الليلة وصباحها فى غاية الشناعة جرى فيها ما لم يتفق مثله فى مصر ولاسمعنا بما شابه بعضه فى تواريخ المتقدمين، فما راء كمن سمعا كما يذكر الجبرتى(٥)٠

---

(١) الجبرتى: المصدر السابق، جـ٢، ص ١٨٧ ٠

(٢) محد سعيد العريان، جمال الدين الشيال: قصة الكفاح بين العرب والاستعمار، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٠، ص ١٣١ ٠

(٣) نقلا عن عبد العزيز الشناوى: عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية، سلسلة أعلام العرب٠ عدد رقم ٦٧، القاهرة، دار الكاتب العربى ١٩٦٧ ص ٤١ ٠، وجيه على أبو حمزه: القاهرة فى عصر الحملة الفرنسية: رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ بآداب المنيا، ١٩٨١، ص ١٠٣ ٠

(٤) الجبرتى: المصدر السابق٠ جـ٢، ص ١٩٠ ٠

(٥) نفس المصدر ص ١٩٢ ٠

وبعد انتصار الفرنسيين فى هذه الموقعة، دخل نابليون وجنوده القاهرة فى ٢٤ يوليو سنة ١٧٩٨، أما فلول المماليك فقد انسحبت إلى الصعيد وتبعها مراد بك فأرسل بونابرت القائد "ديزيه" على رأس قوة إلى الصعيد لمطاردة مراد بك وأتباعة لكن ما هى الأسباب التى دفعت الفرنسيين إلى احتلال الصعيد؟٠

أسباب احتلال الفرنسيين للصعيد

فر مراد بك إلى الصعيد بعد هزيمته فى موقعة امبابه (٢١ يولية ١٧٩٨) آخذاً معه الباقين من جنوده وكان عددهم يبلغ ثلاثة آلاف، فشكل ذلك خطرا على نابليون، لأنه لن يحس بالأمان فى الدلتا ما دام المماليك مسيطرين على نهر النيل جنوبى القاهرة، إذ كان معنى ذلك أن فى استطاعتهم - فى أى لحظة - أن يكروا عليه بهجوم مفاجىء من مصر العليا، والواقع أنه كان معروفاً أن مراد بك راح يجمع بالفعل جيشاً جديدا فى صعيد مصر ٠

ولقد سبق لمراد بك فى زمن مضى أن أقصى على يد الأتراك إلى الصعيد بالقوة، إلا أنه عاد بعد ذلك بالقوة أيضاً منتصراً إلى القاهرة، وكان فى استطاعة مراد بك أن يعتمد إلى حد ما على مساعدات البدو والقبائل التى تعيش فى الصعيد على امتداد ضفتى النيل، إلى جانب أتباعه من المماليك، وبالتالى كان من الممكن ان تتكون لديه قوة كبيرة للقيام بغارات مسلحة على أقاليم الدلتا، وربما أيضا لضرب الحصار على القاهرة نفسها، حيث كان مراد بك على اتصال بالمراسلات مع الساخطين فى مدينتى القاهرة والاسكندرية، ومع زميله ابراهيم بك فى غزه، وبالجزار باشا فى عكا، وبالأسطول الانجليزى المرابط أمام الاسكندرية، وكانت مراسلاته مع هؤلاء تتم بواسطة البدو(١)٠

وأصبح بقاء مراد بك بمصر الوسطى والعليا لايبرحهما أمراً لايطيقه الفرنسيون حتى ولو لم ينشأ عنه تهديد مباشر لتملكهم القاهرة والدلتا، فما دام مراد حراً طليقاً فسينتظر

---

(١) آلان مورهيد: النيل الأزرق: ترجمة نظمى لوقا، دار المعارف القاهرة ١٩٦٦، ص ص ١٥٠، ١٥١.
ج٠ كرستوفر هيرولد٠ بونابرت فى مصر : ترجمة فؤاد أندراوس: مراجعة محمد أحمد أنيس: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ ٠ ص ٢٤٤ ٠

سكان الأقاليم المحتلة عودته آخر الأمر ، سواء أرادوا أو لم يريدوا، وسوف تتأثر نفوسهم بدعاية مراد بك وتستجيب لها إما بالخوف منه، وإما بالتحمس له، أضف إلى ذلك انه كان من الضرورى طرد مراد بك من مصر الوسطى والعليا قبل أن يجد من الوقت متسعاً لجمع الضرائب هناك، لئلا يفلت هذا المورد من الخزانه الفرنسية وهى فى أمس الحاجة إليه(١). ولا شك فى أن كل هذه الأسباب قد جعلت نابليون يفكر بنظره الثاقب وهو غارق فى مجالات نشاطه المتباينة الألوان فى إرسال حملة لإخضاع الصعيد لسلطته والقضاء على قوة مراد بك، لأن وجود قوة معادية فى الصعيد يهدد سلطة الحكومة المركزية، ويكون مثابة للمقاومة الأهلية، ويعطل الملاحة فى النيل، ويحبس الغلال على الوجه البحرى، فيستهدف سكان القاهرة والدلتا وجنود الحملة للمجاعة(٢).

وبالفعل فلقد تعطلت الملاحة فى النيل فى الشهور الأولى من احتلال القاهرة وحبس مراد بك فى الوجه القبلى السفن المحملة غلالاً إلى القاهرة حتى لاتقع فى ايدى الفرنسيين، فخشى نابليون من استفحال هذه الأمور، فتكون مصدرتهديد له تزيد من متاعبه فعزم على إرسال حملة لإحتلال الصعيد.

نابليون ومحاولة الاتفاق مع مـــراد

قبل ان يهم نابليون بإرسال حملة لإخضاع الصعيد، فكر فى أن يدخر قواته ويمنع الحرب وذلك نظراً للموقف الحرج للحملة فى الوجه البحرى والقاهرة بسبب المقاومة الشعبية، هذا إلى جانب ما ستتعرض له حملته فى صعيد مصر من صعاب تتمثل فى كون بلاد الوجه القبلى مستطيلة ومتباعدة عن بعضها البعض، وتحف بها الصحارى الواسعة، فضلا عن وعورة الطرق وصعوبة المواصلات(٣).

---

(١) كرستوفر هيرولد: المرجع السابق، ص ٢٤٥ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى المرجع السابق، جـ١، ص ٣٣٧، عبد العزيز رفاعى : الكفاح الشعبى فى مصر الحديثة صور تاريخية من البطولات الشعبية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦، ص ٣٠.

(٣) أحمد موسى عبد العظيم : النضال الشعبى لمحافظة قنا : القاهرة ١٩٧٦، ص ١٥.

لذلك فكر نابليون فى أن يتبع أسلوب المفاوضة السلمية مع مراد بك على ان يترك له اقليم جرجا وما يليها إلى الشلال، ويكون تابعا للحكومة الفرنسية فيؤدى الخراج الذى كان يخرج من هذه الجهات، وكان المسيو كارلو روستى Rosetti" قنصل النمسا فى مصر رسول المفاوضة بينهما، فبعث إليه نابليون بتعليماته فى الرسالة الآتية "المعسكر العام بالقاهرة فى ١٤ ترميدور من السنة السادسة (أول أغسطس سنة ١٧٩٨).

"إلى المواطن روستى، عليك أن تذهب سراً إلى مراد بك وتخبره بأنك قدمت لى الرسول الذى أوفده إلى، وأن هذا الرسول قد ترك فى نفسى أثراً سيئاً بثرثرته وأقواله الطائشة، على أننى أدركت أنه قد يجئ الوقت الذى أرى فيه من مصلحتى أن أنتفع بخدمات مراد بك، وأن اتخذه عضدا أميناً لى، فلتخبره أنى أقبل إذا تم الاتفاق بيننا أن تبقى مديرية جرجا فى حيازته على أن ينسحب إليها فى مدى خمسة أيام، وأن لا أرسل إليها من ناحيتى أياً من الجنود، وعليك أن تبلغه كذلك أنه إذا تم الاتفاق مبدئيا على هذه الشروط فمن المحتمل إذا إزددت معرفة به وثقة بمقاصده أن أعاهده على مزايا أكبر، وعليك أن توقع وإياه على معاهدة اتفاق تكتب باللغتين الفرنسية والعربية وتكون مؤلفة على وجه التقريب من الشروط الآتية :

المادة الأولى : يستبقى مراد بك معه خمسمائة أو ستمائة من الفرسان تكون عدته فى حكم مديرية جرجا من شلال أسوان إلى مايلى جرجا شمالا بنصف فرسخ وعليه أن يجعلها فى مأمن من هجمات العرب.

المادة الثانية : يعترف مراد بك بأن يكون في حكم المديرية المذكورة تابعا لفرنسا وأن يدفع لخزانة الجيش الخراج الذى يجبى منها.

المادة الثالثة : يتعهد القائد العام من ناحيته بألا تحتل جنوده أى جهة من مديرية جرجا وأن يترك إدارتها لمراد بك.

المادة الرابعة : على مراد بك أن يمضى برجاله إلى ماوراء حدود مديرية جرجا فى مدى خمسة أيام، ولا يسوغ لأحد من أتباعه أن يتخطى هذه الحدود إلى مديرية أخرى إلا بإذن من القائد العام"(١).

مراسلات نابليون : الجزء الرابع، وثيقة رقم ٢٩٢١ نقلا عن عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٣٨.

ولقد زود نابليون القنصل روستى بتفويض كتابى يخوله حق توقيع المعاهدة مع مراد بك، وتوجه القنصل المذكور إلى مراد بك وأعطاه المكتوب وافهمه باللسان فكان جواب مراد بك "إن هذا الكلام نحن لا نقدر أن مسمعه ولكن قول الى الجنرال بونابرته يأخذ عساكره ويرجع إلى اسكندرية ونحن ندفع له عشرة آلاف كيس ويتوجه إلى بلاده"[١] فإن فعل حقن دماء جنوده ووفر على مشقة محاربته[٢].

وواضح من العرض السابق أن نابليون كان راغبا فى الاتفاق مع مراد بك واذا كانت رغبته فى الاتفاق من أجل ادخار قواته، فما هى الأسباب التى جعلت مراد بك يرفض الاتفاق مع نابليون؟

أغلب الظن أن رفض مراد بك للعرض الفرنسى السالف الذكر ناتج عن الأخبار التى وصلته عن معركة أبو قير (أول أغسطس ١٧٩٨) والتى انتهت بتدمير الأسطول الفرنسى[٣]، حيث كان المماليك يتلقون الأنباء بأسرع مما يتلقاها بونابرت، لأن البدو كانوا يتعاونون معهم[٤].

ولذلك نجد فى رد مراد بك على نابليون غطرسة وثقة زائدة بالنفس يبدو أنها ناتجة عن فهم مراد بك أن نابليون حين عرض عليه هذا العرض قد ضعف فرفضه، وكان ذلك من توفيق الله، إذ لو تحالف الاستعمار مع الاستغلال لكانت الفريسة هى الشعب[٥]، وعلى كل حال فإن نابليون لم يرسل ديزيه[٦] ليتعقب قوات مراد بالصعيد إلا بعد أن تلقى جواب مراد السالف الذكر.

---

(١) نقولا ترك : مذكرات نقولا ترك : نشرها وترجمها وعلق عليها جاستون فييت، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ١٩٥٠، ص ١٨.

(٢) كرستوفر هيرولد : المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٣) Henry Laurens, L'Expèdition D'Égypte 1798-1801, Paris 1989, P. 155.

(٤) كرستوفر هيرولد : المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٥) محمد صبيح : كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٦، ص ٤٠.

(٦) ولد لوى ديزيه فى ١٧ أغسطس ١٧٦٨ قبل مولد بونابرت بسنة من أسرة تنتمى لطبقة صغار النبلاء، وكانوا من أصحاب الضياع فى الريف وحين بلغ الثامنة من عمره دخل مدرسة افيا الحربية ليدرس =

تحرك حملة الجنرال ديزيه واحتلال بنى سويف

جعل نابليون الجنرال ديزيه قائداً للحملة على الوجه القبلى، وأصدر نابليون أمره إلى الجنرال ديزيه بالسير لمقاتلة مراد بك والقضاء على قواته من جهة، واخضاع الوجه القبلى من جهة أخرى(١)، فشرع الجنرال ديزيه فى مغادرة الجيزة وركب سفينة فى ٨ فريكتيدور(٢) من العام السادس من التقويم الجمهورى الموافق ٢٥ أغسطس ١٧٩٨، وتحرك مع أول ضوء من اليوم المذكور مع كتيبتين من الصف ٨٨ وكتيبتين من الصف الثانى

= على منحة دراسة وحاول فى الخامسة عشرة أن يدخل الأكاديمية البحرية، فلما رفض طلبه حصل على وظيفة ملازم ثان فى فرقة المشاه البرتنية، ومع أنه كان لا يزال ملازما عند نشوب الثورة الفرنسية، فقد رأى كما رأى معظم النبلاء المنخرطين فى سلك الجيش أن يبقى فى الجيش دون نظر للآراء السياسية بدلا من أن يهاجر ويقاتل وطنه، ونشبت الحرب فى عام ١٧٩٢، وجلبت معها فرصا لاحد لها للمجد والطفرة فى الترقى، ورقى ديزيه الذى كان يقاتل فى جيش الراين الى رتبة الفريق فى ٢٠ أغسطس ١٧٩٣، فقفز بذلك من ملازم ثان إلى رتبة القيادة فى سبعة شهور، ولقد اكتسب شهرة لم تفقها غير شهرة القائد الأعلى لجيش ايطاليا، واصبح اسم ديزيه وبونابرت محل الإعجاب الشديد من الفرنسيين المنتصرين والنمسا وبين المغلوبين على السواء، ولقد كان ديزيه جنديا أصيلا، وإذا كان المجد الحربى عند بونابرت وسيلة الى السلطان، فإنه عند ديزيه غاية فى ذاته.

ولقد كان الجنرال ديزيه أحد أهم القواد الذين رافقوا بونابرت فى حملته على مصر، ولقد عينه نابليون على رأس الحملة التى وجهها للقضاء على قوة مراد بك بالصعيد كما سنرى، ولقد غادر ديزيه مصر فى عهد كليبر بدعوة من بونابرت لينضم اليه فى حربه ضد النمسويين، فقتل فى معركة مارنجو الشهيرة التى دارت عند إحدى القرى الإيطالية يوم ١٤ يونيو عام ١٨٠٠ . وهو نفسه يوم مصرع كليبر.

- ولمزيد من التفصيل عن حياة الجنرال ديزيه منذ مولده وحتى نهاية حياته انظر :

F.Martha-Beker. Le gènèral Desaix, Etude Historique, Paris, 1852.

(١) مرسى أحمد ابراهيم : أسوان وعلاقاتها مع جنوب الوادى فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ١٧٩٨-١٨٣٩ . رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ بآداب المنيا ١٩٨٢ . ص ٢٣.

(٢) ادخلت الثورة الفرنسية تقويما جديدا ليحل محل التقويم الجريجورى وذلك عقب الغاء الملكية فى فرنسا، وكان التقويم الجمهورى الذى ادخلته الثورة الفرنسية يشتمل على ١٢ شهر بالاضافة إلى ٦ أيام تكميلية كالتالى :

الخفيف، وكتيبيتين من الصف ٦١ والمدفعية المرتبطة بفرقته وبعض السفن المسلحة لحراسة الحملة(١).

ولقد بلغ عدد تلك القوة التى تألفت منها حملة الجنرال ديزيه لإخضاع الصعيد أربعة آلاف جندى(٢)، ثلاثة آلاف منهم من المشاة وألفا من الخيالة، بالإضافة إلى ما يقرب من مائة مدفع، وأسطول صغير من القوارب، وسرب كبير من الجمال لنقل ما يلزم له على طول الطريق الصاعد مع النهر، وضمت الحملة بين صفوفها عددا من المترجمين والادلاء(٣) كما اصطحب الجنرال ديزيه معه المعلم يعقوب القبطى ليدبر لهم الأمور.

- التقويم الجمهورى		الشهور الميلادية
١- فاندميير	Vendemaire	من ٢٢ سبتمبر إلى ٢١ اكتوبر
٢- بروميير	Brumaire	من ٢٣ اكتوبر إلى ٢١ نوفمبر
٣- فريمير	Frimaire	من ٢١ نوفمبر إلى ٢٠ سبتمبر
٤- نيفوز	Nivose	من ٢١ سبتمبر إلى ١٩ يناير
٥- بلوفيوز	Pluviose	من ٢٠أو ٢١أو٢٣ يناير الى ١٩او٢٠أو ٢١ فبراير
٦- فانتوز	Ventose	من ١٩ فبراير الى ٢٠ مارس
٧- جرمينال	Germinal	من ٢١ مارس إلى ١٩ ابريل
٨- فلوريال	Floreal	من ٢٠ ابريل إلى ١٩ مايو
٩- بريريال	Prerial	من ٢٠ مايو إلى ١٨ يونية
١٠- ميسيدور	Messidor	من ٢٠ يونية إلى ١٩ يولية
١١- ترميدور	Thermidor	من ٢٠ يوليو إلى ١٨ أغسطس
١٢- فروكتيدور	Fructidor	من ١٨ أغسطس إلى ١٦ سبتمبر

٦ أيام تكميلية Complementaire من ١٧ سبتمبر إلى ٢١ سبتمبر. ومما هو جدير بالذكر أن أوراق الفرنسيين ووثائقهم ظلت طوال إقامتهم فى مصر تصدر مؤرخة بالتقويم الجمهورى، وبالتالى بهذه الاسماء الغريبة على المصريين، وقد ألغى هذا التقويم فى فرنسا سنة ١٨٠٤.

(١) Mèmoires sur L'Egypte, publiès pendant les campagnes du Gènèral Bonaparte, Dans Les annèes VI, et VII, avec La relation De ses campagnes en Égypte et en syrie, seconde partie, paris, fructidor an IX, P 79, Berthier : mèmoires du marèchal Berthier, campagne d'Egypte, ire partie, Paris 1827, P. 104.

(٢) نقولا ترك : المصدر السابق، ص٣١.

(٣) ألان مورهيد : المرجع السابق، ص ١٥٢.

ويعمل لهم أنواع المكر والخداع ويطلعهم على الخبايا ويصنع لهم الحيل"(١) وبالفعل كان المعلم يعقوب أصلح مستشار لتوجيه حملة ديزيه ضد مراد بك وذلك لمعرفته التامة بالصعيد لكونه صعيدى الاصل ولخبرته المالية والإدارية.

وبعد أن تم تجهيز الحملة على النحو السالف الذكر، بدأ ديزيه السير جنوبا لمطاردة مراد بك في اليوم الخامس والعشرين من شهر أغسطس عام ١٧٩٨، وسار جزء من الحملة على شاطئ النيل فوصلت إلى أطفيح فى ٢٩ أغسطس، ثم أقلعت السفن الفرنسية من أطفيح ووصلت يوم ٣١ أغسطس إلى بنى سويف واحتلتها بدون مقاومة(٢)، وكان مراد بك بعد موقعة امبابة وفراره من الجيزة، قد اجتمع عليه بقية من بقى من المماليك فى الفيوم، وانضم اليه خصومه الذين كانوا فى الصعيد، وكذلك التف حوله عدد عديد من العربان، وبهذا الجيش المكون من المماليك والعربان اتخذ مراد بك مقره عند ناحية البهنسا فى مديرية الفيوم، وكانت معه بقية من بعض السفن الحربية التى سلمت من الحريق فى موقعة امبابة، وهذه سارت فى النيل إلى بلده المنيا واستقرت امامها(٣)، والقت القوارب والمراكب الصغيرة التى تحمل المؤونة والأدوات وبعض مستلزمات المماليك مراسيها فى بحر يوسف بالقرب من "أبو جرج"(٤).

وبعد أن احتل الجنرال ديزيه بنى سويف بقى بها عدة أيام يستطلع أخبار المماليك، وينتظر وصول الذخائر والمؤونة من القاهرة، وهناك علم أن مراد بك مرابط فى ناحية

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، تحقيق وشرح. حسن محمد جوهر وعمر الدسوقى : لجنة البيان العربى،الطبعة الأولى، ١٩٦٩، ص ٥٣.

(٢) Louis Reybaud, Histoire Scientifique et Militaire de L'Expèdition Francaise en Egypte Paris 1830-1836, Tome III, P. 389

(٣) أحمد حافظ عوض : فتح مصر الحديث أو نابليون بونابارت فى مصر، القاهرة ١٩٢٥، ص ١٧٥.

(٤) كانت "أبو جرج" تتبع مديرية بنى سويف، وهى الآن من بلاد مركز بنى مزار بمحافظة المنيا : انظر. محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، القسم الثانى، الجزء الثالث، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٠، ص ٢٠٩.

البهنسا(١) بين بحر يوسف والجبل، وأنه جمع أسطوله فى هذا البحر يحمل زاده ومؤونته وذخيرته، وكان لابد للوصول إلى موقع مراد بك على بحر يوسف والاستيلاء على أسطوله أن تمضى الحملة فى النيل إلى ديروط، وهى مأخذ بحر يوسف، ومن ثم تنحدر فيه إلى أن تلتقى بقوة المماليك(٢)، لذلك نجد الجنرال ديزيه بعد أن وفر لوسائله الزاد رحل بحملته حيث وصل إلى أبو جرج فى تمام الساعة السابعة مساء يوم ١٨ فروكتيدور الموافق ٤ سبتمبر ١٧٩٨(٣).

احتلال البهنسا وتعقب اسطول المماليك إلى أسيوط

عزم ديزيه على أن يكشف مواقع مراد بك وأن يفاجئه براً فى البهنسا، فنزل إلى البر تجاه "أبو جرج" ومعه جزء من الجيش وسارت القوة براً حتى وصلت إلى البهنسا الواقعة على بحر يوسف، وقبل أن تصل إليها شعر مراد بك باقترابها، فأمر بانسحاب أسطوله إلى أسيوط حتى لا يقع فى أيدى الفرنسيين، وأخلى البهنسا فاحتلها ديزيه(٤)، ولما علم الجنرال ديزيه من الاهالى أنه توجد اثنتا عشرة من المراكب محملة بالمؤونة والذخيرة على مقربة منه أمر رجاله من الوحدة ٢١ بالاستيلاء على هذه المراكب، فاستولوا عليها رغم النار التى كان يصبها المماليك عليهم، وكان فى هذ المراكب بعض المماليك فلما رأوا أنهم واقعون فى أيدى الفرنسيين ألقوا بأنفسهم إلى الماء، وتمكن الكابتن راب Rapp ياور الجنرال ديزيه أن يجرد اثنين منهم من السلاح بعد مقاومة شديدة لأنهما رفضا التسليم، وكانت أحد عشر من هذه المراكب محملة بالذخيرة والطعام وخاصة بكمية كبيرة من القمح والمركبة الثانية عشرة كانت تحمل سبع قطع مدافع(٥).

---

(١) كانت البهنسا قاعدة للأعمال البهنساوية فى عهد دولة المماليك، ثم لولاية البهنسا فى العهد العثمانى، وتقع البهنسا على الشاطئ الغربى لبحر يوسف، وأصبحت البهنسا الآن قرية من قرى مصر، تتبع مركز بنى مزار بمحافظة المنيا، لمزيد من التفاصيل : انظر : محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٣، ص ٢١٢.

(٢) عبد ارحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٤٠.

(٣) Mémoires sur L'Égypte. Op. Cit. P. 79, Berthier. Op. Cit. P. 105.

(٤) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٤٠.

(٥) Berthier. Op. Cit. P. 106, Desiré Lacroix, Bonaparte en Égypte, 1798-1799, Paris 1899, P. 190.

وعلم الجنرال ديزيه وهو فى البهنسا أن مراد بك بعد أن أقام فى هذه المدينة شهراً غادرها منذ ثمانية أيام وذهب إلى اللاهون بقرب الفيوم حيث يقيم محمد بك الألفى وبعض المماليك، ولاتزال المواصلات بين اللاهون والبهنسا سليمة، وأن البكوات عثمان رضوان وعمر ومماليك ابراهيم بك الصغير قد كلفوا بالمحافظة على البهنسا بجيش مؤلف من اربعمائة رجل من المماليك وقبيلتين من العرب، وقد حضر أولئك العرب من أسيوط منذ ثلاثة أيام، وأمروا بحماية الإمدادات التى تأتى من البلاد إلى البهنسا بطريق بحر يوسف، وفى نفس الوقت علم ديزيه أن العمارة البحرية التى كانت للمماليك فى أبى جرج زحفت إلى الامام لتحمى حركات مراد بك(١).

ولقد واجه الجنرال ديزيه تحركات المماليك هذه بأن عاد يوم ٧ سبتمبر ١٧٩٨ إلى أبو جرج، حيث انضم إلى مجموعته، ثم تحركت الحملة كلها صاعدة فى النيل، ووصلت يوم ١٢ سبتمبر إلى ديروط الشريف، وفى اليوم التالى اتخذت مكانا عند مدخل بحر يوسف(٢).

وعندما علم ديزيه أن أسطول مراد بك عند أسيوط عزم على أن يستمر جنوبا حتى أسيوط ليستولى على اسطول مراد بك، وقد علم أن معظم بحارته من اليونانيين(٣) الذين يمكن استمالتهم فدس إليهم رسله لهذا الغرض فى محاولة منه لاستمالتهم إليه(٤)، ورحل ديزيه بالجزء الأكبر من قواته قاصداً أسيوط، وترك جزءاً من قواته فى ديروط على مدخل

---

(١) أحمد حافظ عوض : المرجع السابق، ص ص ١٧٦، ١٧٧.

(٢) Mèmoires sur L'Égypte. Op. Cit. P. 80, Berthier, Op. Cit. P. 106

(٣) استخدم مراد بك يونانيين وكرواتيين وبمساعدتهم أنشأ مصنعا للبارود وأسطولا كبيرا من المراكب الصغيرة، واتخذ من الجيزة ترسانة جديدة قام بالاشراف عليها ميكانيكيون ايطاليون، كما استخدم ضباط وصيادلة إيطاليين، وكان اسطول مراد بك تحت امرة ضابط يونانى يدعى نيقولا كان يعمل سابقا فى خدمة القبطان باشا، واستطاع أن يجعل من أسطول مراد قوة يخشاها الفرنسيون إبان حملتهم على مصر.

- انظر : محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ -١٩١٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دون تاريخ، ص ١٥٩.

(٤) Voir Lettre de Desaix à Bonaparte en date 12 Septembre, 1798 Dans C.DE LA Jonquière, L'Expèdition d'Egypte, Paris, 1899-1907, 5 Vol. Tome III, P. 202.

بحر يوسف لاحتلال هذا الموقع وحماية الملاحة مع القاهرة، ووصل ديزيه إلى اسيوط يوم ١٤ سبتمبر ١٧٩٨، فلم يجد اسطول المماليك الذى تمكن قبل وصول ديزيه من السير جنوبا حتى وصل إلى جرجا، بينما هرب المماليك بمجرد أن علموا باقتراب الفرنسيين منهم(١).

وعلم ديزيه أن ثلاثة من كشاف سليمان بك وحوالى ثلثمائة مملوك وبعض العرب قد تركوا أسيوط وتوجهوا إلى قرية بنى عدى "على بعد ستة فراسخ من أسيوط" مع زوجاتهم وكثير من رجال السفن، ورأى ديزيه أن يفاجئهم فى موقعهم الجديد بعد أن فشل فى محاربتهم فى أسيوط، فتحركت قافلته بهدوء شديد فى مساء يوم ١٧ سبتمبر ١٧٩٨ ووصلت بنى عدى فى صباح اليوم التالى بعد مسيرة شاقة عبر الصحراء، ولم يجد ديزيه فى بنى عدى سوى السكون والخلاء، فقد علم المماليك بتحركات الفرنسيين عن طريق جواسيسهم، وتحركوا فورا بمجرد علمهم بخطتهم، متجهين إلى الصحراء للحاق بزملائهم فى الفيوم(٢).

رجـــوع ديزيـــه إلى الفيوم

انزعج الجنرال ديزيه بعض الشئ عندما علم بتحرك المماليك بزعامة مراد بك إلى إقليم الفيوم الخصيب، ولكنه سعد بتجمع كل أعدائه فى مكان واحد، وصمم ديزيه على مباغته مراد بك بعد أن فشل فى اللحاق بأسطول المماليك، وفشل أيضا فى مواجهة قوتهم، وهكذا كانت رحلته الأسيوطية عقيمة أضاعت عليه ثمانية أيام اغتنمها مراد بك ليقوى صفوفه فى الفيوم، وانحاز اليه عدد كبير من الأهالى وحالفوه على الفرنسيين، واتخذ هو وحلفاؤه معسكرهم فى اللاهون لذلك نجد ديزيه يعود إلى اسيوط بعد أن علم بتحركات المماليك فى ١٩ سبتمبر ١٧٩٨ ويترك فيها نصف فرقه وسفينة حربية لحراسة قافلة كبيرة للحبوب كان قد أمر بشحنها إلى القاهرة.

---

(١) Berthier. Op. Cit. P. 106.

(٢) Mèmoires sur L'Egypte. Op. Cit. P. 81, Cit. PP. 106, 107, Dominique Di Pietro, Voyage Historique en Égypte pendant Les campagnes des Gènèraux Bonaparte, Klèber et Menou Paris 1827, P. 81.

وفى نفس المساء من اليوم المذكور رحل ديزيه مع فرقته العسكرية وأسطوله بنية او يقصد أن يلحق بمراد بك الذى هرب إلى الفيوم، وفى ٢١ سبتمبر وصل ديزيه إلى مدخل بحر يوسف وهو الممر المائى الوحيد الذى يتيح للفرنسيين المرور فى ذلك الوقت من السنة إلى الفيوم(١) وفى ذلك الوقت تسلم ديزيه امدادات من القاهرة تتمثل فى خمسين قنطارا من البسكويت وثلاثة آلاف خرطوشة.

ثم سار ديزيه فى يوم ٢٣ سبتمبر ١٧٩٨، ودخل بحر يوسف بعد أن ترك ست سفن مسلحة لتحمى مدخل بحر يوسف وتتقابل فى مستوى ديروط، وتلقت اثنتان من هذه السفن الأمر بالانحدار حتى بنى سويف مع اتباع حركة السفن الحربية(٢).

وبدأت السفن الفرنسية تسير فى بحر يوسف ابتداء من يوم ٢٣ سبتمبر ١٧٩٨ وكانت هناك صعوبات كثيرة واجهت الحملة تمثلت فى أن بحر يوسف يتخذ طريقا متعرجا مما جعل المرور فيه متعباً، هذا إلى جانب هبوب الرياح من الصحراء، وقلة غور المياه، فكان الجنود ينزلون إلى الشاطئ ويجرون السفن بالحبال فى محاولة منهم للإسراع فى الوصول، ولكن على حد قول أحد المصادر المعاصرة "كانت كل هذه الجهود بلا جدوى وكانت تصيبهم بالارهاق(٣).

وبالاضافة إلى الصعوبات السالفة الذكر فإن المراكب الفرنسية كانت تتعرض وهى سائرة فى بحر يوسف لهجمات الأهالى والمماليك(٤)، ولاشك فى أن هذه الصعوبات تركت فى نفس الفرنسيين آثرا سيئا، حيث كانت الرحلة فى بحر يوسف طويلة وشاقة، وكان عدد جنود فرقة الجنرال ديزيه تتناقص بشكل سريع، وفى كل يوم كانت تنفصل سفينة عن الركب لتحمل المرضى إلى القاهرة، ويبدو أن اليأس قد سيطر على نفوس الفرنسيين إلى حد أن اعتقد البعض منهم أن المماليك قد انتصروا عليهم دون حرب(٥)، وسارت فرقة ديزيه

---

(١) Berthier. Op. Cit. P. 107, Dominique , DI Pietro, Op. Cit. P. 82.

(٢) Berthier. Op. Cit. P. 107.

(٣) Dominique Di Pietro.Op. Cit. P. 83.

(٤) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السبق، جـ١، ص ٣٤١.

(٥) Dominique Di pietro. Op. Cit. P. 83.

بالرغم من كل الصعوبات المذكورة، وفي يوم ٣ أكتوبر ١٧٩٨ لمحت طليعة الجيش الفرنسي مركزا عسكريا لمراد بك في مستوى قرية منيكيا Menkia (١) وعلى الفور أمر ديزيه بالنزول من المراكب، واتجه مع فرقة فوق أنواع من التلال الرملية التي تهيمن على القناة من مسافة إلى مسافة حتى اللاهون، وما أن أطلقت طليعة الجيش الفرنسي نيرانها على قوة المماليك حتى انسحبت بعيدا عن ضفة النهر تاركة القوات الفرنسية لتواصل سيرها في بحر يوسف(٢).

وفي اليوم التالي الموافق ٤ أكتوبر رأى الفرنسيون قوة أخرى من المماليك عددها ستمائة مملوك كانت تترقب السفن الفرنسية على شاطئ البحر لتطلق عليها النار، وكان ذلك صباحا بالقرب من قرية منصورة Mansourah وكانت عملية الانزال من السفن بالغة الصعوبة تحت نيران هذا العدد الكبير من المماليك، وهنا أمر ديزيه عمارته بالتقهقر نحو نصف فرسخ لكي ينزل فيها الجنود، ولم تكد العمارة تنفذ الأمر حتى فهم المماليك هذا التصرف على أنه هروب، فهجموا على الفرنسيين بشجاعة أكبر، ولكن حملة القرابينات من الفرقة الحادية والعشرين لم تدع الفرصة للمماليك للاقتراب من الشاطئ، ونزلت الفرقة ونظمت صفوفها بدون أن تلقى مانعا، وأمر الجنرال ديزيه في الحال بوضع مدفعين، وبزحف الجيش لمقابلة المماليك، فتقهقر المماليك ببطء أمام الفرنسيين الذين كانوا يصلونهم نارا حامية لمدة أربع ساعات، وأمام هذه السرعة وهذا الشكل المنظم من قبل الفرنسيين، فر

---

(١) تختلف المصادر والمراجع الفرنسية في كتابتها لأسماء البلدان وهذا يسبب ارهاقا للباحث في تاريخ الحملة الفرنسية، ففي الوقت الذي يذكر فيه برتييه اسم هذه القرية مينيكيا Menkia يذكرها لاكروا باسم بنكية Benkiak وفي نفس الوقت يترجمها أحمد حافظ عوض عن لاكروا باسم بني قره، بينما يذكر الرافعي عن اسم هذه القرية ناحية القايات ولم يذكر اسم المصدر الذي نقل عنه وبعد البحث تبين لنا أنه نقل عن لاجو نكيير جـ٣، ص ٢٠٩، ومما هو جدير بالذكر أن هذه المصادر والمراجع قد اختلفت في ذكرها لتاريخ هذه الحادثة فبينما ذكرت مصادر أنها حدثت في يوم ٣ أكتوبر ١٧٩٨ نجد مراجع تذكر أنها حدثت يوم ٤ أكتوبر لمزيد من التفاصيل انظر :

Berthier. Op. Cit. P. 107, Desirè lacroix. Op. Cit. P. 192, De La Jonquière. Op. Cit. Tome. III P. 209.

أحمد حافظ عوض : المرجع السابق، ص ١٧٧، عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٤١.

(٢) Berthier. Op. Cit. P. 107.

المماليك فى اتجاه الصحراء بعد أن فقدوا بعض خيولهم، وكان هؤلاء المماليك تحت قيادة محمد بك الألفى(١).

معركة سدمنت (٧ أكتوبر ١٧٩٨)

واصلت فرقة الجنرال ديزيه زحفها حتى وصلت مساء يوم ٦ أكتوبر ١٧٩٨ إلى مشارف قرية سدمنت(٢)، وكان ديزيه قد أبلغ بواسطة جواسيسه أن مراد بك ينوى انتظاره فى سدمنت، وكانت كل الدلائل تشير إلى أن المماليك لن يغادروا هذه القرية قبل القيام بعمل حاسم ضد الفرنسيين، فالمعارك التى قاموا بها أثناء الهروب، والتى يبدو أنهم كانوا يقيسون بها قوة الفرنسيين والصرخات الوحشية التى كانت تأتى من معسكرهم، أوحت إلى الفرنسيين أنهم يريدون أن ينتهوا من الموقف بشكل حاسم، كما كان الفرنسيون متشوقين إلى هذه اللحظة(٣)، لذلك اتجه الفرنسيون صباح يوم ٧ أكتوبر تجاه سدمنت لمنع الخطر الذى يتهددهم.

وقبل أن نتحدث عن أحداث هذه المعركة، يجب علينا أن نتعرف أولا على عدد قوات الجيش المصرى وقوات الجيش الفرنسى، وعن الخطة الحربية التى أعدها كل فريق لخوض هذه المعركة الهامة.

كان الجيش المصرى تحت زعامة مراد بك يتألف من أربعة آلاف من المماليك، وثمانية آلاف من العربان، بينما كانت القوات الفرنسية تحت قيادة الجنرال ديزيه تتألف من

---

(١) Dominique Di Pietro. Op. Cit. PP. 84, 85, La Jonquière. Op. Cit. Tome III. P. 209.

(٢) كانت سدمنت قديما تابعة لاقليم الفيوم، وهى الآن تابعة لمركز بنى سويف وتسمى سدمنت الجبل وهى بلدة صغيرة تقع غربى بحر يوسف فى الجنوب الغربى للاهون.
- لمزيد من التفصيل : انظر : محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٣، ص ١٦١.

(٣) Berthier. Op. Cit. P. 109, Dominique DI Pietro. Op. Cit. P. 85

ثلاثة آلاف رجل(١)، وواضح أن عدد الجيش المصرى كان يفوق عدد الجيش الفرنسى بكثير، ولكنه كان فى نفس الوقت يفتقد النظام والتنسيق بين قواته(٢)، كما كانت تنقصه الاسلحة الحديثة المتطورة، بينما نجد الجيش الفرنسى بالرغم من قلة أعداده كان يتميز بالنظام والتنسيق بين قواته ويملك أسلحة متطورة، وعلى رأسه قيادة حازمة وواعية تتمثل فى الجنرال ديزيه الذى قام بترتيب رجاله وكون منهم مربعين صغيرين فى كل مربع منهما مائة وثمانون جنديا جعلهما فى المقدمة، أما الجيش بمدفعيته فأبقاه كتلة واحدة متراصة فى المؤخرة(٣)٠

وكان مراد بك وحلفاؤه من المصريين قد أعدوا معدات الهجوم، وقوى أملهم فى سحق الجيش الفرنسى لقلة عدد جنوده بالنسبة إليهم، واتخذ المصريون مواقع حصينة فى المرتفعات بحيث كانوا يسيطرون على أرض المعركة(٤) ويمكن القول بأن الروح المعنوية للجيش المصرى كانت عالية إذا ما قورنت بالروح المعنوية للجيش الفرنسى٠

وبدأت المعركة بهجوم خاطف من المماليك والعربان، وانقضوا على الفرنسيين كالطيور الكواسر(٥)، ولم يملك الفرنسيون أمام هذه الهجمة الخاطفة إلا الاسراع باطلاق النار على المماليك والعربان٠

---

(١) Dominique DI Pietro. Op. Cit. P. 84, Reybaud, Op. Cit. T. III, PP. 398,
- آلان مورهيد : المرجع السابق، ص ١٦١، هذا ولقد ذكر الجنرال برتييه أن جيش مراد بك كان يتكون من حوالى ثلاثة آلاف مملوك وثمانية إلى عشرة آلاف من العربان انظر :
Bethier. Op. Cit. P : 109.
بينما قدر الجنرال ديزيه قوة مراد بنحو ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ فارس من العربان والمماليك وذلك فى رسالته التى بعثها الى نابليون من اللاهون فى ٩ أكتوبر ١٧٩٨ وعن هذه الرسالة التى تحتوى على معلومات هامة عن موقعة سدمنت٠ أنظر :
La Jonquière. Op. Cit. Tome III. P. 208-216.

(٢) Dominique DI Pietro. Op. Cit. P. 86.

(٣) آلان مورهيد : المرجع السابق، ص ١٦١.

(٤) محمد فرج : النضال الشعبى ضد الحملة الفرنسية : الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دون تاريخ ص ٥٣.

(٥) سليم البستانى : تاريخ نابليون بونابرت فى مصر وسوريا نقلا عن تاريخ فرنسا الحديث، الاسكندرية ١٩١٣، ص ٦٧.

وتذكر المصادر الفرنسية المعاصرة أن فرقة المقدمة اليمنى كانت الهدف الأول لضربات المصريين، حيث ارتمى أكثرهم ببسالة فى صفوف الفرنسيين، وأحدثوا عدة ثغرات قوية فى المربعات الفرنسية، واستعملوا فى دفاعهم الأسلحة التى يستترون بها من قرابينات(١) وحراب ورماح وسيوف ومسدسات وأصبحت المنطقة مسرحا لالتحام شديد الضراوة(٢)، ثم دار بعد ذلك قتال فردى بين رجال الفريقين تقشعر لفظاعته الأبدان، وراح الجرحى والمتحضرون يطعن بعضهم بعضا، ويذكر "فيفان دينون" مشهدا منهذه المشاهد المروعة حيث ذكرما يلى "زحف أحد رجالنا وكان صريعا على الأرض صوب مملوك محتضر Expirant وقطع حلقومه، وسأله ضابط. كيف تستطيع أن تقتل هذا فى حالتك هذه؟ وأجاب الجندى. من السهل عليك أن تتكلم أما أنا فليس أمامى غير بضع دقائق أعيشها، وأريد أن أستمتع بها ما دام ذلك فى استطاعتى(٣).

ويصور "دومينيك دى بييترو" مشاعر فرقة المقدمة اليمنى من الفرنسيين تجاه المماليك قائلا "تجمعت كل مشاعر الجنود من كراهية ويأس على رأس المماليك الذين ذهلوا من صلابة هذه الفرقة الصغيرة العدد، كانت شجاعتهم نادرة واحتقارهم للموت ظاهران على جباه هذا العدد الصغير من جنودنا، لم تكن حربهم للانتصار، فقد كانت الأعداد الكبيرة للأعداء قد أزالت هذه الفكرة، ولكنهم أرادوا أن يموتوا بشرف غارقين فى دماء أعدائهم وقد تحققت رغبتهم، فقد قتلوا تحت وطأ العدو ودفنت جثثهم تحت جثث الأعداء، وأثناء هذا الهجوم الأول من المماليك نجح المربع الحربى الفرنسى فى الدفاع عن نفسه من جميع الاتجاهات"(٤).

---

(١) كان المماليك يستعملون قرابينه (بندقية) انكليزية، طولها ثلاثون قيراطا وعيارها من القوة بحيث تطلق عشر رصاصات أو اثنتى عشرة فى وقت معا بنوع أنها قاتلة وإن لم تحكم رمايتها.

- لمزيد من التفصيل عن أسلحة المماليك انظر س.ف. فولنى : ثلاثة اعوام فى مصر وبر الشام : ترجمة إدوار البستانى، الجزء الأول، بيروت ١٩٤٩، ص ١١٥، آلان مورهيد : المرجع السابق، ص ١٠٣ .

(٢) Berthier, Op. Cit. P. 109, Dominique DI Pietro. Op. Cit., PP. 86, 87.

(٣) Vivant Denon, Voyage dans La Base et La Haute Egypte Pendant Les campagnes du general Bonaparte, Quatrieme edition, Tome, 1, Paris 1803, P. 240.

(٤) Dominiqu DI Pietro, Op. Cit. P. 87.

ثم حدث هجوم آخر شديد الضراوة من المماليك على الفرنسيين، وأثناء هجومهم رأوا أن خيولهم المجهدة تتراجع أمام نيران البنادق الفرنسية، فكانوا يهاجمون بظهورهم لكى يحموا الخيول من رؤية البنادق، ولكى يفتحوا لهم ثغرات داخل الجيش الفرنسى، وعندما باءت محاولات المماليك بالفشل، ألقى بعض المماليك بأنفسهم من فوق ظهور الخيل ليقعوا وسط جنود الجيش الفرنسى وكانت نتيجة ذلك أن قتلوا جميعا، وهنا أدرك المماليك أنه من الصعب هزيمة الفرنسيين بهذه الطريقة، خصوصا بعد أن عجز فرسان مراد بك من اختراق صفوف الفرنسيين، وكانت نيران المدافع والبنادق تصدهم وتفتك بهم فتكا ذريعا، وهنا قرر المماليك أن يتراجعوا، وظن الفرنسيون أنهم قد انهزموا ولكن المماليك كانوا قد قرروا أن يحاربوا الفرنسيين فى محاولة أخيرة لعلهم ينتصرون عليهم فى هذه المعركة، وكان سلاح المماليك فى هذه المحاولة ثمانية مدافع كان مراد بك قد أخفاها خلف أحد التلال، وكانت موضوعة بطريقة فنية وفجأة انطلقت نيران هذه المدافع فى اتجاه الفرنسيين لتحصد القتلى من بين صفوفهم، وهكذا أصابت مدفعية المماليك الجيش الفرنسى بخسائر فادحة وتركت فى المعسكر الفرنسى الكثير من الجرحى والقتلى(١).

وارتفعت صيحات الفرح بين صفوف الجيش المصرى بزعامة مراد بك لهذا الانتصار المؤقت على الفرنسيين، وظن المماليك أن الدائرة ستدور على الجيش الفرنسى وأن الهزيمة الكبرى ستلحق به، ولكن ماذا عن موقف الجيش الفرنسى بزعامة الجنرال ديزيه تجاه هذا الهجوم المفاجئ من المماليك؟.

فى البداية نود أن نقول أن الجنرال ديزيه كان يتمتع بشجاعة غير عادية وهذا ماجعل الجنرال "فريان" الذى اشترك فى المعركة يقول عنه "أعتقد أن الجنرال ديزيه أبرد من الثلج بعشر درجات"(٢)، فلم يكن أمام الجنرال ديزيه إلا الانتصار على المماليك أو القتال حتى أخر رجل، حيث كان من الصعب عليه أن يتقهقر أو ينسحب عائدا إلى سفنه هو وجنوده فى تلك الظروف(٣) وبعد أن فكر الجنرال ديزيه فى هذا الموقف قرر أن يشن

---

(١) Berthier. Op. Cit. P. 110, Dominique DI Pietro. Op. Cit. P.88.

(٢) نقلا عن : La Jonquière. Op. Cit. T. III. P. 218.

(٣) Berthier. Op. Cit. P. 110.

هجوما على مدفعية المماليك حتى يتحقق له النصر ولكنه تردد بعض الشئ، لأن الهجوم على المماليك كان يفرض عليه أن يترك ستون جريحاً، سيتركون للقتل من جانب المماليك إذا لم يقم بحمايتهم وهنا يذكر "دومينيك دى بييترو" عن موقف الجنرال "ديزيه" من الجرحى وعن قرار الهجوم الذى اتخذه ديزيه ما يلى "إن الرحمة عنده تأتى أحيانا فى أوقات غير مناسبة، وفى كل مرة يستسلم لها يزداد أكثر عدد الجرحى، وأخيراً ومن أجل صالح الجيش قرر الجنرال ديزيه اتمام المهمة، وأمر بالهجوم، وفى لحظات تجمع الجنود فى الصف، وعندما رأى الجرحى أنهم سيتركون لمصيرهم حاولوا بصرخاتهم أن يستدروا روح التعاطف لدى زملائهم، ولكن الجميع أصابه الصمم، فرؤية الخطر تقتل أى مشاعر تعاطف، وابتعد عنهم التشكيل بسرعة، وبعد قليل جاءهم بعض المماليك وزرعوا الصحراء بأشلائهم(١).

ولاشك فى أن رؤية الجنود الفرنسيين لرفاقهم من الجرحى والقتلى قد أشعلت الثورة فى نفوسهم وزادت من حماستهم فى تحقيق الانتصار على المماليك والاستيلاء على مدافعهم، ويصور "دى بييترو" موقفهم باسلوب أدبى شيق فيقول "عند رؤية هذه الوحشية Horrible امتلأت نفوسنا بالغضب والثورة وطار الجنود على مدافع الاعداء، وكان البرق L'èclair أقل منهم سرعة وضربات القدر أكثر منهم رحمة، وتشتت جنود الأعداء من أمامنا، والصحراء التى امتلأت بصرخات الغضب، وأصوات المدافع غاصت فى سكون عميق، هذا الاختفاء السريع للعدو ترك لنا الوقت لكى نرى موقع القتال ونبحث عن جرحانا"(٢).

ونجح هجوم الفرنسيين على مدافع المماليك، واستولوا عليها بأسنة حرابهم وقتلوا جنود المدافع فى مراكزهم، وأداروا أفواه المدافع على المماليك الذين فروا منهزمين وتاركين خلفهم نحو اربعمائة من رجالهم على أرض المعركة ما بين قتيل وجريح(٣).

---

(١) Dominique Di Pietro. Op. Cit. P. 89.

(٢) Ibid. P. 90.

(٣) سليم البستانى: المرجع السابق، ص ٦٧، آلان مورهيد، المرجع السابق، ص١٦٢.

وانتهت هذه المعركة بانتصار الفرنسيين على المصريين، وبلغت خسائر المصريين كما قدرها الجنرال ديزيه بأربعمائة قتيل وجريح(١)، بينما بلغت خسائر الفرنسيين كما قدرها الجنرال برتييه ثلاثمائة وأربعون قتيلا ومائة وخمسون من الجرحى(٢).

وتعتبر موقعة سدمنت أكبر موقعة دارت فى الصعيد بين القوات الفرنسية والقوات المصرية(٣)، لذلك فهى تعد من أهم المعارك التى خاضها الفرنسيون فى صعيد مصر، إذ أنها كانت المعركة البرية الثانية فى أهميتها بعد معركة امبابة، لأنها قضت على آمال مراد بك فى أن ينتصر فى معركة منظمة كما أنها أعطت للفرنسيين حكم منطقة بنى سويف والفيوم، وهى منطقة غنية بمنتجاتها الزراعية التى كانت لازمة لتموين القاهرة(٤).

ومن العرض السابق لمعركة "سدمنت" يتبين لنا أن الفرنسيين انتصروا على المصريين بتفوقهم الحربى الذى أتاحه لهم قوة مدفعيتهم، وكثرة ذخيرتهم وبما امتازوا به من نظام حربى وقيادة تتمتع بالكفاءة الحربية، ولكنه بالرغم من ذلك فإن الخسائر التى اصابت الفرنسيين فى هذه الموقعة تدل على أن المماليك وحفاءهم من المصريين كانت لديهم الرغبة الأكيدة فى الانتصار على الفرنسيين فى هذه الموقعة، فكما رأينا كان من الممكن أن يتحقق النصر لمراد بك بفضل ما كان لديه من مدفعية أحدثت خسائر فادحة فى صفوف الفرنسيين لولا هجوم الفرنسيين الحاسم فى اللحظة الأخيرة(٥) والذى أدى إلى هزيمة المماليك وفرارهم كما مر بنا.

ولقد ترتب على انتصار الفرنسيين فى هذه المعركة أن تحولت الحرب بين الفرنسيين والمماليك فى صعيد مصر من حرب منظمة إلى عمليات مناوشة مستمرة أخذت

---

(١) نقلا عن : La Jonquière. Op. Cit. T, III, P. 215.

(٢) Berthier. Op. Cit. P. 111.

(٣) عبد العظيم رمضان : الغزوة الإستعمارية للعالم العربى وحركات المقاومة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥، ص ٥٤.

(٤) جلال يحيى : مصر الحديثة ١٥١٧-١٨٠٥، الاسكندرية، دون تاريخ، ص ٤٠٦.

(٥) محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، دار الفكر العربى، القاهرة، دون تاريخ، ص ٦٠٨.

شكل حرب العصابات، وإن كانت حرب عصابات يقوم بها الفرسان ولم يكن أمام المماليك إلا هذه الطريقة بعد أن فقدوا الأمل فى طرد الفرنسيين من الصعيد بواسطة قوة السلاح بعد أن انهارت جهودهم فى هذه الموقعة تحت طلقات المدافع الفرنسية(١).

وهذا النوع من المعارك كان يمثل خطرا كبيرا على الفرنسيين، إذ أنه كان يعرضهم للخطر المستمر في مواقع مختلفة، وفي أوقات مختلفة ودون أن يتمكنوا من اتخاذ الاستعدادات اللازمة لمواجهته ولا شك في أن طبيعة الأرض في الصعيد، ووجود المزروعات العالية فيه، وكذلك وجود كل من الجبل الغربى والجبل الشرقى سيسمع لقوات المماليك وقوات أبناء الصعيد بحركات التفاف سريعة، وبمهاجمة كتائب وفصائل الفرنسيين التى ستصبح مبعثرة فى الوادى، وتحاول تأمين المواقع المختلفة، وهذا النوع من المعارك سيفقد الفرنسيين معنى الراحة والطمأنينة وسيجبرهم على مداومة السير والانتقال، وبشكل يرهق قواتهم دون أن يتمكنوا من الإشتباك مع خصم واضح، وفى معركة لها أهميتها، قد يتمكنوا فيها من التغلب عليه(٢).

وبعد معركة سدمنت انسحب المماليك بقيادة مراد بك غربا حتى استقروا وراء بركة "الغرق" وهى بركة كبيرة واقعة جنوبى الفيوم بغرب، وانفصل العربان عن المماليك، بينما سارت فرقة الجنرال ديزيه فى تمام الساعة الثالثة ظهرا من يوم ٧ أكتوبر ١٧٩٨ تجاه قرية سدمنت واحتلتها، واستولى الفرنسيون على جزء من متاع المماليك الذى بدأ العرب سلبه(٣).

ولم يفكر الجنرال ديزيه فى تعقب المماليك نظرا لإرهاق قواته التى كانت بحاجة إلى الراحة بعد الأهوال التى كابدوها، ومن أجل ذلك نجد الجنرال ديزيه فى اليوم التالى الموافق ٨ أكتوبر يرحل بجنوده وأسطوله إلى اللاهون، وقد استولى على مراكب المماليك

---

(١) نقلا عن : Dominique DI Pietro. Op. Cit. PP. 90-91.

(٢) جلال يحيى : المرجع السابق، ص ٤٠٧.

(٣) Berthier. Op. Cit. PP. 110, 111.

الموجودة بها ثم قام بترجيل الجرحى والمرضى إلى القاهرة(١)٠ ومكث الجنرال ديزيه وجنوده فى اللاهون من ٩ إلى ١٢ أكتوبر، ثم سار قاصدا مدينة الفيوم، ولم يبق بها إلا بضعة أيام، ثم أخلاها خوفا على مواصلات جيشه أن تنقطع إذا ابتعد كثيرا عن النيل، ولأنه علم بعودة المماليك إلى سدمنت، وبذلك يتهددون مواصلات الجيش الفرنسى، فاضطر إلى العودة إلى اللاهون من جديد يوم ١٦ أكتوبر(٢)، واعتزم أن يعاود تعقب المماليك والأهالى، لكنه وجد صعوبة كبرى فى تعقبهم لأن ماء الفيضان كان فى ذلك الحين يغمر البلاد فيحول دون تقدم الجيش واتصاله بالقرى، وكانت المؤون والزاد قد نقصت، والأمراض فتكت بالجنود ولا سيما الرمد، وبعث ديزيه فى ٢٠ اكتوبر من اللاهون برسالة إلى نابليون ضمنها متطلباته والصعوبات التى تواجهه(٣)، ومكث ديزيه فى اللاهون ينتظر تعليمات نابليون٠

الموقف الحربى فى بنى سويف والفيوم والمنيا

لم يكن انتصار الفرنسيين فى موقعة سدمنت ليوطد مركزهم فى الوجه القبلى، وبالرغم من أن الجيش الفرنسى قد فتح فى طريقه ثلاث مديريات وهى بنى سويف والمنيا والفيوم فإن الحالة ظلت مضطربة فى تلك المديريات، وسلطة الفرنسيين تكاد تكون مجهولة عند الأهالى فى تلك المديريات، ولم يستطع الفرنسيون لاضطراب الأحوال أن يحصلوا من تلك المديريات على ما يلزمهم من الغلال والخيول(٤) وفقدوا فى حالات كثيرة ما كانوا قد جمعوه منها، نتيجة لهجوم الأهالى على الشون، وهجومهم على تجمعات هذه الخيول واستمرت الإشتباكات مع الأهالى خاصة وأن بعض الفرنسيين كانوا يحاولون إغتصاب بعض وسائل التموين من الأهالى، الأمر الذى كان يدفع أبناء القرى إلى مهاجمتهم بالعصى والاسلحة النارية(٥)٠

---

(١) Berthier. Op. Cit. P. 111, Reybaud. Op. Cit. T, III, PP. 406, 407.

(٢) La Jonquière. Op. Cit., T, III, P. 223.

- عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٤٦.

(٣) عن هذه الرسالة انظر : La Jonquiére. Op. Cit. T. III. PP. 223-225.

(٤) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٤٨.

(٥) جلال يحيى : المرجع السابق، ص ص ٤٠٧، ٤٠٨.

ولقد عين نابليون الجنرال زايونشك Zayonchek قومندانا لمديرية بني سويف في أوائل أكتوبر ١٧٩٨، وأرسل معه كتيبة من الجنود وكلفه تنظيم هذه المديرية[١] وكتب نابليون إلى الجنرال برتييه طالبا منه العمل على ترحيل الجنود من الفرسان إلى بني سويف[٢]، كما كلف نابليون الجنرال ديزيه بتنظيم مديريتي المنيا والفيوم[٣].

وكان نابليون شديد الرغبة في أن يتعقب ديزيه قوات الأهالي والمماليك للقضاء عليها، وقد حمل ياوره ديروك أمره إلى ديزيه بأن يهاجم مراد بك ويقضي على جيشه قبل نهاية الفيضان، لكن ثورة القاهرة التي نشبت في ٢١ أكتوبر حالت دون سفر "ديروك"، وفي خلال ذلك وصلت رسالة ديزيه المؤرخة في ٢٠ أكتوبر، فأدرك نابليون مبلغ ما عاناه الجنود الفرنسيون من المتاعب والمشاق وحاجتهم إلى الراحة، فأرسل إليه يطلب منه اختيار موقع صالح ليعسكر فيه الجنود، وكلفه إخضاع مديريات بني سويف والمنيا والفيوم[٤] وكانت مهمة الجنرال ديزيه شاقة، لأن المماليك والأهالي قد رابطوا في الصحراء فلا تستطيع القوات الفرنسية أن تحيط بهم، وكان الاهالي لا ينفكون يناوشون هذه القوات في اللاهون، وبعد أن فتكت المعارك والأمراض بجنود الجنرال ديزيه ونزل عددهم إلى الألفين[٥]، لم يعد في استطاعته أن يخضع بني سويف والمنيا والفيوم بهذا العدد، لبعد المسافات بين البلاد، وما غمر الأرض من الفيضان، فأصبح من الصعب على الجنود أن يتنقلوا من بلد إلى بلد، ولأن الجنود قد أنهكهم التعب فاختار الجنرال ديزيه مدينة الفيوم ليستقر فيها مع فرقته.

---

(١) La Jonquière. Op. Cit. T, III,P. 226.

(٢) Correspondance de Napolèon Ier, Publière par ordre de L'Empereur Napolèon III, Paris 1858- 1870, 32 Vols, T, 5, doc. No. 3421, en date du 3 vendèmiaire an VII (4 Octobre 1798).

(٣) La Jonquière. Op. Cit. T. III. P. 226.

(٤) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٤٩.

(٥) نفس المرجع، ص ٣٤٩.

احتلال مدينة الفيوم واخماد الثورة فى القرى المجاورة

انتقل الجنرال ديزيه وجنوده قرب نهاية شهر أكتوبر سنة ١٧٩٨ إلى مدينة الفيوم، لكى يعطى فرقته بعض الراحة، وفى نفس الوقت كان ينتظر مجئ مدد من القاهرة، ويستعد فى الوقت نفسه لإستئناف الهجوم على مراد بك وأهالى الصعيد، وشرع الجنرال ديزيه ينظم الإدارة فى مديرية الفيوم، ويجمع الخيول من القرى(١)، حيث كان بحاجة إليها ليسد حاجة حملته منها ٠

وقرر الجنرال ديزيه أن يقوم بحملة على قرى الفيوم لجمع الأموال والمؤون لكى يصرف مرتبات الجنود(٢)، ولكنه واجه عنتا شديدا فى تحصيل الضرائب ومصادرة الغلال وجمع الخيول من القرى، حيث رفضت معظم القرى التسليم لمطالبة، ودهش الجنرال ديزيه عندما أحس بروح التمرد والعصيان فى نفوس الأهالى، واعتقد الفرنسيون أن مراد بك هو الذى منع السكان من دفع الضرائب، وأنه أوفد أحد أعوانه مع مائة وخمسين مملوكا لتحريض البلاد على الثورة وتنظيم المقاومة(٣)٠

والحقيقة أن رسل مراد بك لم تنقطع عن المرور فى القرى، وعن إثارة الأهالى فى وجه الفرنسيين، ولكن فى نفس الوقت يجب أن نذكر أن نفوس الأهالى كانت مستعدة للمقاومة، ولعدم دفع أو تسليم أى شئ للفرنسيين، والدليل على ذلك هو تضخم وتزايد أعداد المصريين الذين كانوا ينضمون للمماليك، أو يقومون بمناوشاتهم، وكانت حماسة أبناء الصعيد، وعقليتهم، وروح فروسيتهم، عوامل تتجمع لكى تخلق منهم قوات هجوم ممتازين، ورجال عصابات ومقاومة لهم خطرهم على أى جيش يتوغل فى بلادهم(٤)٠

وبعد انحسار مياه الفيضان، قرر الجنرال ديزيه أن يجرد حملة على القرى الثائرة لإخضاعها للنفوذ الفرنسى، وترك ديزيه فى مدينة الفيوم ١٥٠ مريضا و ٣٠٠ جندى

---

(١) La Jonquière. Op. Cit. T. III. P. 343.

(٢) Dominique DI Pietreo. Op. Cit. PP. 93-94.

(٣) Berthier. Op. Cit. P. 111.

(٤) جلال يحيى : المرجع السابق، ص ٤٠٨.

لحمايتهم[1]، وسار بباقى جنوده يوم ٦ نوفمبر لإخضاع القرى الثائرة، فأخضع فى طريقه (مطرطارس) و(سيلة)[2] وتوجه بعد ذلك تجاه قرية (سرسنا)[3] ولكنهم وجدوا مقاومة شديدة من أهالى سرسنا الذين تأهبوا للقتال وكان على رأسهم على كاشف، ولكنهم لم يصمدوا أمام قوة نيران الفرنسيين، فانسحبوا من القرية، واستولى عليها الفرنسيون، وتجمع الأهالى بعيدا عنها على مرمى المدفع، وانضم اليهم من العرب وأمر الجنرال ديزيه رجاله باطلاق النار عليهم فشتت جمعهم ولكن المماليك والعرب والأهالى تبادلوا الضرب مع رجال الجنرال ديزيه بنيران بنادقهم، فرد الفرنسيون عليهم بطلقات مدافعهم، فلم تستطع قوات الأهالى وحلفاؤهم من المماليك والعربان الصمود أمام نيران الفرنسيين، وانسحبوا أخيرا متوغلين فى الصحراء.

ولقد تعرضت هذه القرية للسلب والنهب من قبل الفرنسيين، وليتهم اكتفوا بذلك، بل قاموا بإشعال النيران فيها وأحرقوها[4].

وتابعت فرقة الجنرال ديزيه سيرها فوصلت تجاه قرية الروضة[5]، وكان الليل قد أقبل فعسكرت الحملة بالقرب من الروبيات[6].

وإذا كانت حملة الجنرال ديزيه قد نجحت فى إخضاع القرى السالفة الذكر لسلطتها إلا أنها فى نفس الوقت قد تركت دماء على أرض الصعيد، ظلت تنادى بالثأر، وتحول الموقف من مجرد عمليات حربية إلى حقد وضغينة ورغبة فى الانتقام كما سنرى.

---

(١) Dominique DI Pietro. Op. Cit. P. 94.

(٢) من بلاد مركز سنورس

(٣) تتبع مركز الفيوم.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر : رسالة دونزلو إلى الجنرال برتييه المؤرخة فى ٢١ بروميير من السنة السابعة الموافق ١١ نوفمبر ١٧٩٨ منشورة فى

La Jonquière. Op. Cit. T. 111, P. 345, Berthier Op. Cit. P. 111.

(٥) تتبع مركز سنورس

(٦) تتبع مركز سنورس

هجــوم الثــوار على مدينة الفيــوم

عندما كان الجنرال ديزيه ومعه الغالبية العظمى من جنوده يقومــون بحملـة الغـرض منها جمع الخيول والغلال فى القرى المجاورة لمدينة الفيوم كمـا مربنـا، وكـان قـد تـرك فـى مدينة الفيوم ١٥٠ مريضـا و ٣٠٠ جنـدى لحمـايتهم، انتهـز مـراد بـك هـذه الفرصـة وأرسـل حوالى ألفا من المماليك لإثارة الأهالى كى يقوموا مـع الممـاليك بـالزحف علـى مدينـة الفيـوم والاستيلاء عليها والقضاء على القوة الفرنسية الموجودة بها ·

وانتشر البكوات والكشاف من المماليك فى شمال وجنوب إقليم الفيوم لإثـارة العـرب والفلاحين ضد الفرنسيين(١)، وكانت نفوس العرب والفلاحين من أبناء الصـعيد مهيأة للثـورة، خصوصـا بعد أن رأوا وسمعوا عما يقوم بـه الجنرال ديزيـه ورجالـه مـن جمـع للضرائـب ومصـادرة للخيول والغلال، بل إن نار الثورة قد اشتعلت فى نفوس الأهـالى بعدمـا علمـوا أن الفرنسيين يحرقون القرى الثائرة مثلما حدث فى قرية سرسنا كما مر بنا ·

ولاشك فى أن كل هذه العوامـل كـانت وراء تجمـع عـدد هـائل مـن الممـاليك والعـرب والفلاحين قدرهم الجنرال ديزيه بثلاثـة آلاف رجـل(٢) بينمـا ذكـر الجـنرال "برتييـه" أن هـذه القوة كانت مؤلفة من ثلاثة آلاف من العرب وألف مـن الممـاليك وعـدد هـائل مـن الفلاحيـن المسـلحين لـم يذكـر عددهـم(٣)، وبـالرغم مـن اختـلاف المصـادر الفرنسـية(٤) فـى تقديرهـا

---

(١) Berthier. Op. Cit. P. 112.

(٢) La Jonquière. Op. Cit. T, 111, P. 346.

(٣) Berthier. Op. Cit.P. 112.

– ولقد ذكـر "دومينيك دى بييترو" أن هـذه القوة كـانت مؤلفـة مـن خمسـة آلاف مـن العرب، وألـف مـن المماليك، فى حين ذكر ريبو أن هذه القوة كانت مؤلفـة مـن خمسمائة مـن الممـاليك ومعهـم فصيلـة مـن فرسان عرب قبيلة السمالو Samallout وألفان من الفلاحين أنظر :

Dominique DI Pietro. Op. Cit. P. 94, Reybaud. Op. Cit. T. 111. P. 426.

(٤) تجدر الاشارة إلى أنه ليس لدينا فى المصادر العربية المعاصرة سواء فيما كتبه الجبرتى أو نقولا تـرك أى ذكر لهذا الهجوم أو غيره من المعارك التى حدثت فى صعيـد مصـر اللهـم إلا شذارات بسيطة فـى بعض الأحيان، وبالتالى فإن اعتمادنا فى تناول هذه المعارك التى صورت المقاومة فى الوجه القبلى –

لأعداد القوات المصريه من أبناء الصعيد المشتركين فى الهجوم على مدينة الفيوم، فيمكن القول بأن هذه الاعداد كانت تتراوح ما بين ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف، بينما كانت أعداد القوات الفرنسية حوالى خمسمائة جندى ثلثهم من المرضى، ولكن هل انتصرت الكثرة على القلة أم العكس؟. هذا ما سنراه من خلال عرضنا لأحداث هذا الهجوم بالتفصيل.

تجمعت الأعداد المذكورة من أبناء الصعيد عرب وفلاحين يتزعمهم فرسان المماليك يوم ٧ نوفمبر وأعدوا أنفسهم لمهاجمة مدينة الفيوم فى اليوم التالى. وبالفعل ففى يوم ٨ نوفمبر ١٧٩٨ وفى حوالى الساعة الثامنة صباحا ظهرت أمام المدينة طلائع الثوار من أبناء الصعيد وحوالى الساعة الحادية عشرة صباحا تقدموا ومعهم العرب والمماليك وهجموا على أسوار المدينة، وفى لحظات حطموا أبواب المدينة، وملأوا الشوارع والطرقات، واحتلوا كل المواقع الرئيسية التى تشرف على مواقع الفرنسيين(١) بعد قتال عنيف دار بينهم وبين القوات الفرنسية التى كانت تقوم بحراسة مدخل المدينة.

وكانت القوة الفرنسية تحت قيادة الجنرال "روبان Robin" المصاب بالرمد، لذلك حل محله فى قيادة المعركة نائبه الكولونيل "ابلر Eppler" (٢) وقام ابلر بتحصين المنزل المقام فيه المستشفى وهو منزل "على كاشف"؛ وأمام زحف المماليك والعرب والفلاحين وتحطيمهم لأبواب المدينة انسحبت القوة الفرنسية إلى منزل على كاشف حيث مقر القيادة الفرنسية حيث جمع القائد "ابلر" قواته لتجنب حرب شارع دامية جدا، وتقدم العرب والفلاحين والمماليك فى طريقهم حتى وصلوا إلى المنزل الذى تقيم فيه القوة الفرنسية فأطلق الفرنسيون النار عليهم من فوق سطح المنزل ومن نوافذه، وفى نفس الوقت كون القائد "ابلر

- إنما يكون على ما كتبه الفرنسيون أنفسهم ولحسن الحظ أن هذه الكتابات كثيرة ومتنوعة واختلاف الأراء يتيح الفرصة للباحث للوقوف على الحقيقة على قدر الامكان.

(١) Berthier. Op. Cit. P. 112, Dominique Di Pietro. Op. Cit. P. 95.

(٢) تذكر بعض المصادر اسمه "اكسبير" Expert وهيلر Heppler انظر :

Berethier. Op. Cit. P. 112, Reybaud. Op. Cit. T, 111. P. 427.

وإن كانت معظم المصادر قد ذكرته باسم ابلر Eppler وهكذا [illegible] المصادر الفرنسية قد اختلفت فى ذكرها لأسماء بعض القواد إلى جانب اختلافها فى ذكرها لأعداد القوات وأسماء البلدان، ولاشك أن ذلك يتطلب وقتا وجهدا من الباحث فى تاريخ الحملة الفرنسية.

صفين من جنوده، وقاد بنفسه الفرقة اليمنى، أما الفرقة اليسرى فقد تولى قيادتها الرائد "ساكرو Sacro، وفى الوقت الذى قام فيه الاحتياطى بتراشق فظيع بالرصاص من الأسقف والنوافذ على المهاجمين من القوات المصرية خرج الصفين بقيادة "ابلر وساكرو" لمواجهة الثائرين، ودقا دقة الهجوم، وانقضا بالحراب على الثائرين، وطاردوهم من شارع إلى شارع واستولى الرعب على العرب والفلاحين الموجودين فوق المنازل، واعتقد معظمهم أن النصر محقق فانسحبوا هاربين، وارتبكوا فى هروبهم، وحدثت مجزرة شنيعة، وتعقبهم الفرنسيون وطاردوهم لمسافة طويلة فى المدينة بواسطة الرائدين "إيلر وساكرو" اللذان أظهرا كلاهما بسالة ورباطة جأش عظيمتين(١).

وبالرغم من أن أعداد أبناء الصعيد كانت تفوق أعداد الفرنسيين بكثير إلا أن الهزيمة قد حلت بهم، وانتهت محاولتهم بمجزرة شنيعة، ولكن كيف تم للفرنسيين هزيمة هذه الأعداد الكبيرة بهذه السرعة رغم قلة عددهم؟

وفى هذا الصدد يذكر لنا "دومينيك دى بييترو" تلك الحيلة التى نفذها القائد "إيلر" وخدع بها تلك الأعداد الكبيرة وأجبرهم فى النهاية على الفرار فيذكر ما يلى "رأى القائد "إيلر أن الأعداء يستمدون قوتهم من فكرة أنهم يواجهون عددا بسيطا من الفرنسيين، فقرر أن يجعلهم يظنون العكس، فأمر بتجميع كل الطبول، وأمر أن يسير خلف كل حامل طبلة مجموعة من الجنود وأمر كل مجموعة أن تتجه فى شارع مختلف، وعليهم أن يطلقوا نيران ذخيرتهم فى كل الشوارع، وعند سماع هذه الأصوات، اعتقد العرب أن الجنرال ديزيه قد عاد لنجدتنا وحل الرعب محل الطمأنينة فى قلوبهم، واتجهوا جميعا خوفا من الموت إلى بوابات المدينة لكى يفلتوا بحياتهم، وفى لحظات رأينا تلك الأعداد الغفيرة تختفى فى الصحراء"(٢) وهنا يمكن القول بأنه إذا كانت الحرب خدعة فلقد استطاع القائد "إيلر" بذكائه أن يخدع أبناء الصعيد والمماليك بهذه الطريقة وانتصر عليهم رغم قلة أعداد جنوده ورغم اصابة ثلثهم بالأمراض، ولكن يجب علينا أن نذكر أنه كان فى نفس الوقت يملك من الأسلحة

(١) Berthier. Op.Cit. PP. 112, 113.

(٢) Dominique Di Pietro. Op. Cit. P. 96.

والذخيرة، ودقة النظام والتخطيط العسكرى إلى جانب الموقع الاستراتيجى المحصن، وكل هذه أدوات لم تتوفر لأبناء الصعيد فحلت بهم الهزيمة.

إلا أنه بالرغم من هزيمة أبناء الصعيد لعدم خبرتهم بالحرب، ولأنهم كانوا يحملون أدوات بسيطة لم تستطع أن تصمد أمام نيران الفرنسيين، فهناك حقيقة يجب أن نذكرها وهى أن أبناء الصعيد قاموا بالدفاع عن أرضهم ضد الغاصب المحتل، وقاوموه بكل ما يملكون من أدوات، وعملوا على اخراجه من بلادهم ولم يبالوا بالموت، وكانت خسائرهم فادحة، فلقد ذكرت المصادر الفرنسية أن الأهالى من أبناء الصعيد بلغت خسائرهم من القتلى فى هذا الهجوم مائتين من رجالهم بينما كان عدد الجرحى منهم كبيرا، بينما بلغت خسائر المماليك أربعة رجال من القتلى، وعشرة من الجرحى(١) وهذه الخسائر البسيطة التى أصابت المماليك تدل على أنهم كانوا على جانب عظيم من الحذر والحرص، وكانت خسائر الفرنسيين قليلة فبلغت أربعة رجال من القتلى، وستة عشر جريحا(٢).

وترتب على انتصار الفرنسيين على الثوار نتائج مؤثرة فيذكر دومينيك دى بييترو "أن هذا الانتصار السريع والقوى كانت له نتائجه المؤثرة فقد أخمد الثورة، وأمن وصول المؤن والأموال وأتى بالجنرال ديزيه وسطنا"(٣) ولكن من ناحية آخرى يمكن القول بأن هذا الهجوم كان دليلا على استهانة أبناء الصعيد بقوة الفرنسيين ومقاومتهم لها وتجرئهم عليها، وأدرك الجنرال ديزيه أن قلة جنوده كانت من أهم أسباب الحالة الثورية التى ذاعت فى البلاد، ورأى ألا سبيل إلى المغامرة فى فتح الوجه القبلى إلا إذا جاءه المدد الكافى للقيام بهذه الحملة الطويلة المدى، فأثر الانتظار إلى حين وصول الإمدادات من القاهرة ليواصل مهمته التى كلف بها ألا وهى اخضاع الوجه القبلى لسلطة الفرنسيين.

---

(١) La Jonquière. Op. Cit. T., III P. 347.

(٢) Berthier. Op. Cit. P. 113.

(٣) Dominique Di Pietro. Op. Cit. P. 96.

ديزيه يطلب المدد من نابليون لاستئناف الحملة

كان ديزيه يلح قبل هجوم الثوار على الفيوم فى طلب المدد من نابليون، فكلف نابليون الجنرال بليار الذى كان فى ذلك الحين قومندانا للجيزة أن يسير بقواته إلى الفيوم لمعونة الجنرال ديزيه فى العمليات الحربية.

وسار بليار من الجيزة يوم ٨ نوفمبر بالقوة التى كانت معه، فوصل إلى الزاوية (شمالى بنى سويف) يوم ١٢ نوفمبر ١٧٩٨، وهناك وصلته أنباء انتصار فرقة الجنرال ديزيه على المماليك والقرى الثائرة[١] Les village insurgès، واستراح الجنرال بليار بالزاوية ينتظر تعليمات الجنرال ديزيه، فأمره أن يبقى فى بنى سويف ليعاون الجنرال زايونشك إذا ما قامت ثورة فى بنى سويف مثل التى قامت فى الفيوم، واعتزم الجنرال ديزيه بعد إخماد ثورة الفيوم أن يعود إلى بنى سويف لقمع حركات الهياج فيها، وجباية الضرائب من البلاد، فانتقل بفرقته إلى بنى سويف ووصل إليها فى ٢٢ نوفمبر حيث ضم إليه قوة الجنرال بليار[٢]، وهكذا تحول مركز قيادة الفرنسيين فى الصعيد فى تلك الفترة من الفيوم إلى بنى سويف التى أصبحت قاعدة لهم، سواء بالنسبة لاخضاع الصعيد، أو بالنسبة لجمع الغلال ومواد التموين من القرى[٣]. وفى تلك الفترة طلب ديزيه من بونابرت أن يمده باحتياجاته من المدافع والذخائر والمهمات، كما ألح عليه فى طلب قوة كبيرة من الفرسان، لأنها الوسيلة الوحيدة للتغلب على قوات المقاومة فى الصعيد، وبدونها لايزال الأهالى والمماليك يفلتون من الجيش الفرنسى، فلا يستطيع اللحاق بهم ولاتعقبهم فى الصحراء، وتبقى قوتهم تتحين الفرص لمناوشة الفرنسيين وإرهاقهم وتكبيدهم ما يستطيعون من الخسائر.

وبالرغم من انشغال نابليون فى ذلك الوقت فى التفكير فى الإعداد للحملة على سوريا، إلا أنه وضع مطالب ديزيه موضع الاهتمام، لأن اخضاع الصعيد كان من أهم

---

(١) La Jonquière. Op. Cit. T., 111 P. 348.

- عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٥٣.

(٢) نفس المرجع، جـ١، ص ٣٥٤.

(٣) جلال يحيى : المرجع السابق، ص ٤٠٩.

المقاصد التى وجه إليها نابليون اهتمامه، خصوصا بعد أن شحت الغلال فى القاهرة والوجه البحرى، لأن انقطاع المواصلات مع الصعيد منع ورود الغلال، فارتفعت أسعارها ارتفاعا أدى إلى تذمر الناس وهياج الخواطر فى مصر.

وانتظر الجنرال ديزيه بفرقته فى بنى سويف حتى يأتيه المدد من نابليون ولما طال انتظاره أناب عنه فى القيادة الجنرال بليار وتوجه بنفسه فى أول ديسمبر ١٧٩٨ إلى القاهرة للحصول على الامدادات اللازمة لمقاومة المماليك وأهالى الصعيد(١).

والتقى ديزيه بنابليون وعرض مطالبه، وفى نفس الوقت تلقى تعليمات من نابليون، حيث أمره بمطاردة مراد بك بنشاط حتى شلالات النيل وإبادة المماليك أو طردهم تماما من مصر (٢).

وأمد نابليون الجنرال ديزيه بقوة مؤلفة من ١٢٠٠ من الفرسان و٣٠٠ من المشاة و٦ مدافع و٦ سفن حربية منها السفينة "إيطاليا" سفينة نابليون الخاصة التى كان يركبها فى النيل(٣)، وعاد الجنرال ديزيه من القاهرة مزودا بهذا المدد فوصل إلى بنى سويف يوم ٩ ديسمبر على ظهر السفينة "إيطاليا" وفى اليوم التالى وصلت قوة الفرسان بطريق البر، ثم وصلت السفن التى تحمل مهمات الحملة بعد ذلك بأربعة أيام، وفى ١٥ ديسمبر كانت الحملة على تمام الاستعداد للزحف وكان عددها ما يقرب من أربعة آلاف رجل، وشعر الجنرال "ديزيه" أنه على رأس جيش صغير، لكنه فى نفس الوقت يستطيع أن يقاوم به حملات المماليك والعرب مجتمعين بل ويستطيع أن يتتبعهم أينما ذهبوا وكان هذا هو هدف ديزيه، ومنذ هذه اللحظة لم يشعر هو أو جندى من جنوده بلحظة راحة(٤).

---

(١) Martin, Histoire de L'Expedition Francaise en Egypte, 2 Vols. Tome premiere. Paris 1815. P. 344, La Jonquiere. Op. Cit. T, III, P. 360.

(٢) Berthier. Op. Cit. P. 114.

(٣) Martin. Op. Cit. T. I. P. 344., Reybaud. Op. Cit. T. III. PP. 429, 430.

– عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ص ٣٥٤، ٤٥٥.

– جلال يحيى : المرجع السابق، ص ٤٠٩.

(٤) La Jonquière. Op. Cit. T, III, P. 364, 365. =

حادثـــة الفقاعـــى

سارت حملة الجنرال ديزيه من بنى سويف يوم ١٦ ديسـمبر ١٧٩٨ لمطـاردة مـراد بك، ووصلت ليلا إلى البرنقة El-Beranqah علـى البر الغربـى للنيل وفـى صبـاح اليوم التالى واصلت الحملة سيرها فبلغت "ببا" وعلم ديزيه أن مراكز المماليك المتقدمين تقـع فـى "الفشن"(١) ولذلك سارت الحملة من "ببا" قاصدة "الفشن" وقبل أن تصل إليها استراحت لتنتظر قدوم المدفعية، وكانت طلائع فرقة الجنرال ديزيه ترابط بالقرب من قرية الفقاعى(٢) الواقعة على الضفة الغربية للنيل.

وقد حدث بقرب (الفقاعى) حادث دهش له الجنرال ديزيه وكبار الضباط الفرنسـيين، ذلك أنه بينما كان الجنود ينتظرون وصول بقية الجيش تسلل أحد غلمـان القريـة إلـى داخـل المعسكر الفرنسى، وسرق بندقية أحد الفرسان الفرنسيين، وحمل الغـلام البندقيـة وتوجـه بهـا فى طريقه إلى القرية فرآه فارس آخر من الفرنسيين وجرى خلفه، وجرى الغلام بأسـرع مـا يمكن ولم يقف إلا بعد أن أصابه الجندى الفرنسى بجـرح سيف فـى ذراعـه، وجئ بـه أمـام الجنرال ديزيه لمحاكمته(٣)، ودار بين الجنرال ديزيه وهذا الغلام هذا الحديث الذى دونه فـى حينه "فيفان دينون" كالتالى :

الجنرال : من الذى طلب منك سرقة البنادق؟

الغــلام : لا أحـــــد

الجنرال : من الذى دفعك لذلك؟

الغــلام : الله القوى Le Fort Dieu

– عبد الرحمن الرافعى : المرجع السـابق، جـ١، ص ٣٥٥، ويذكر "دى بييترو" أن حملـة "ديزيـه" على الصعيد قد وصلت بعد هذا المدد إلى خمسة آلاف رجل انظر :

Dominique Di Pietro. Op. Cit. P. 98.

(١) Mertin. Op. Cit. T, 1, P. 344.

(٢) Ibid. T, 1, P. 345, Vivant Denon, Op. Cit., T, 1, PP. 262, 263.

– من بلاد مركز "ببا" بمحافظة بنى سويف. انظر : محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٣، ص ١٣٧.

(٣) Le Jonquière. Op. Cit. T, III, P. 506.

الجنرال : هل عندك عائلة؟

الغـــلام : أم فقيـــرة وعمياء

الجنرال : إذا قلت لنا من الذى أرسلك لن نعاقبك لكن إذا امتنعت عن الكلام فسوف تعاقب .

الغـــلام : لقد قلت لك لم يرسلنى أحد، والله وحده هو الذى أوحى لى بذلك، ثم ألقـى بطاقيتـه عند قدمى الجنرال ديزيه وقال فى ثبات : رأسى ها هو فاقطعوه(١).

ويذكر الجنرال بليار فى يومياته "أن هذا الطفل ظل طوال الوقت هادئا هدوءا عجيبا، وأبدى قوة خلق نادرة، أما الجنرال "ديزيه" فقد راعى صغر سنه وخضوعه لحكمه، ثم حكم عليه بثلاثين جلدة، وتلقى الغلام الجلدات على ظهره دون صوت أو دمعة"(٢).

وكان هذا الغلام فى الثانية عشرة من عمره، جميل الطلعة كأحد الملائكة Un ange وهو جرئ وقوى(٣)، وكان إعجاب الجنرال "ديزيـه" بشـجاعة هذا الغـلام هـى التـى جعلتـه يضن به على الموت(٤)، ولاشك فى أن هذا الغلام كان مثلا لكل أبنـاء الصعيد فـى مواجهـة العدوان على حرياتهم ومقدسات أوطانهم.

---

(١) Vivant Denon. Op. cit. T, 1, P. 263.

(٢) نقلا عن : La Jonquière. T, 111, PP. 506, 507.

ويذكر "فيفان دينون" أن الجنرال "ديزيه" قد عفى عن الغلام ولم يأمر بعقابه انظر : Vivant Denon. Op. Cit. T, 1, P. 263. ولكن رواية الجنرال "بليـار" أدعـى إلـى الثقـة لأنـه ذكر الحقيقـة التاريخية كما حدثت دون إضافة من عنده، بينما ذكر "فيفان دينون" الحقيقـة التاريخيـة مغلفـة بأسلوب أدبى به الكثير من عبارات التخيل والتصور التى أضافها "دينون" من عنده.

(٣) Vivant Denon. Op. Cit. T. 1, P. 263.

ويذكر الجنرال "بليار" فى يومياته أن هذا الغلام يتراوح عمره ما بين الثامنة والعاشرة وهو حلو الصـورة، ولو أتيح له بعض التعليم لأصبح شخصية نادرة المثال نقلا عن :

La Jonquière. Op. Cit. T, 111. P. 507.

(٤) محمد المجذوب: قصص لا تنسى . بطل من الصعيد وقصص أخرى، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٧، ص ١٦.

موقعـــة أبو جـــرج

بينما كان الفرنسيون يواجهون الثورة التى نشبت فى بنى عدى[1] كان اقليم بنى سويف يموج بالثورة، ولقد قيل كما ذكرت المصادر الفرنسية أن عرب ينبع اتجهوا إلى بنى سويف، وأن الأهالى كانوا على أتم الاستعداد لمساندتهم، لهذا نجد الجنرال دافو Devoust بعد أن قضى على الثوار فى بنى عدى يتجه إلى بنى سويف للقضاء على عرب ينبع وعلى الثوار من الأهالى والعربان فى ريف بنى سويف.

وفى ريف بنى سويف كما فى كل الصعيد تلقوا خبر وصول قوات فرنسية جديدة كدليل على أن القوات الأولى قد دمرت، لذلك فهم يسرعون إلى حمل السلاح، وإذا كانوا أقوياء فسوف يهاجمون، وإذا كانوا ضعفاء فسينتشرون عند مجئ القوات وسيسرقون منها كل ما يمكنهم سرقته وإذا لم يستطيعوا قتلهم ولا سلبهم كما تذكر المصادر الفرنسية[2] فإنهم يرفضون إعطاء المؤن للجيش الفرنسى وهنا لا يجد الفرنسيون أمامهم سوى استعمال العنف مع المشايخ لكى يعطوهم الطعام اللازم للقوات الفرنسية، ولقد وجد الجنرال "دافو" نفسه فى الحالة الأخيرة، فعندما وصل إلى قرية أبو جرج بعث ببعض مندوبيه إلى شيخ القرية طالبين منه المؤن للجيش الفرنسى، فرفض شيخ القرية طلبهم قائلا "بأنه لا يوجد طعام للفرنسيين فى قريته، وأن قواتهم قد دمرت فى الجنوب، وأنه إذا لم ينسحبوا فسوف يلاقون مصير إخوانهم[3] وعاد رسل الجنرال "دافو" إليه بهذا الرد الذى يعنى أن أهل القرية قد رفضوا إمدادهم بالمؤونة، وأنهم على أتم الاستعداد لمواجهته، ولم يهتم الجنرال دافو بهذه التهديدات، واتجه إلى القرية التى استقبلته بالطلقات النارية، وقام الأهالى يشد من أزرهم عربان الجهمة[4] Ghèamieh بإلقاء التراب على رءوس الفرنسيين كعلامة للموت وعلى الفور

---

(١) نشبت الثورة فى بنى عدى يوم ١٨ أبريل عام ١٧٩٩ وسنتكلم عنها بالتفصيل فى الفصل الثانى.

(٢) Pièces Diverses Relatives aux opèration militaires et politiques du gènèral Bonaparte. Paris, an. VIII. P. 227, Berthier. Op. Cit. P. 145.

(٣) Piéces Diverses. Op. Cit. P. 227.

(٤) كان عرب الجهمة يرابطون على الشط الأيسر "أى الغربى" لبحر يوسف بين دجلة وديروط أم نخلة–

قامت القوات الفرنسية بمحاصرة القرية ودخلتها من عشرة أماكن(١)، وأمر الجنرال دافو جنوده بقتل وحرق كل شئ فى القرية فاشتعلت النيران فى القرية، وسالت الدماء فيها، وكانت خسائر الأهالى جسيمة، فلقد بلغت كما قدرتها المصادر الفرنسية بألف قتيل(٢).

ولقد استأنف الجنرال دافو سيره إلى بنى سويف فى محاولة منه للحاق بعرب ينبع الذين كانوا قد عبروا النهر إلى الضفة اليمنى، وبالرغم من قلة أعدادهم، إلا أنهم كانوا يشكلون قوة كانت القوات الفرنسية تعمل لها حساب، وكان الجنرال دافو يتأهب لمطاردتهم عندما تلقى من الجنرال دوجا Dugua أمرا بالعودة إلى القاهرة(٣) لحماية المدينة من الغارات التى كانت تتهددها.

- حتى صفط خمار أمام مدينة المنيا وكانت لهم خيام متناثرة فى أماكن شديدة التباعد فيما بينها، وكانوا يمتلكون أكثر من خمسمائة حصان. لمزيد من التفصيل انظر :

Jomard. Observation sur les Arabes de L'Egypte Moyenne, in Dèscription de L'Egypte, Etat moderne,Tome Douzième, seconde Édition, Paris 1823. PP. 296, 297.

(١) Memoires du Gènèral Desvernois, Publiès sous les auspices de saniéce Mme Boussu-Desvernois D'après les manuscrits originaux avec une introduction et notes par Albert Dufourga. Paris, 1898, P 188.

(٢) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 228, Berthier. Op. Cit. P. 146.

(٣) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 228, Berthier. Op. Cit. P. 146, Martin. Op. Cit. T, 1, P. 372.

الفصل الثانى

الحملة الفرنسية على الصعيد الأوسط وحركات المقاومة

الفصل الثانى

الحملة الفرنسية على الصعيد الأوسط
وحركات المقاومة

- **تمهيد**
- احتلال أسيوط
- سير حملة الجنرال ديزيه من أسيوط إلى جرجا
- موقف مراد بك فى صعيد مصر
- الثورة فيما بين أسيوط وجرجا
- معركة سوهاج (٣ يناير سنة ١٧٩٩)
- معركة طهطا (٨ يناير سنة ١٧٩٩)
- معركة الصوامعة (٥ مارس سنة ١٧٩٩)
- معركة برديس (٦ أبريل سنة ١٧٩٩)
- معركة جرجا (٧ أبريل سنة ١٧٩٩)
- معركة جهينة (١٠ أبريل سنة ١٧٩٩)
- معركة بنى عدى (١٨ أبريل سنة ١٧٩٩)
- ثورة المنيا (٢٣-٢٥ أبريل سنة ١٧٩٩)

الحملة الفرنسية على الصعيد الأوسط
وحركـــات المقاومـــة

تمهيــــد :

سارت حملة الجنرال ديزيه فى طريقها لإخضـاع وسط الصعيد، ولم تكن مهمتها سهلة، بل صادفتها الكثير من العقبات، ومن أهم هذه العقبات الحركات الثورية التى قام بها الأهالى والمماليك وعرب الحجاز فى وجه الفرنسيين، وظل جيش الجنرال ديزيه يطارد قوات شتى لا عداد لها، ولا يكاد يتغلب عليها حتى تتجمع وتعود ثانية للقتال، ولقى الفرنسيون مقاومة عنيفة فى المنيا وأسيوط وسوهاج، واستعمل الفرنسيون كل ما لديهم من إمكانات لمكافحة قوات المقاومة فى هذه المنطقة من صعيد مصر كما سنرى من خلال عرضنا لهذه المعارك والثورات بالتفصيل.

احتـــلال أسيــــوط

سارت حملة الاحنرال ديزيه فى طريقها لتعقب مراد بك حيث علم ديزيه أن مراكز المماليك المتقدمين تقع فى "الفشن" فأسرع إليهم، ولكنهم لم ينتظروا وصوله واختفوا، وظل الجيش الفرنسى يتعقب مراد وجنوده ثلاثة أيام ينتقل من قرية إلى أخرى دون أن يتمكن منه، حيث كان المماليك متقدمين على الفرنسيين بنحو ١٠ إلى ١٢ ساعة فى طريقهم إلى أسيوط(١)، وكان الفرنسيون يلاقون صعوبات فى التحرك بسبب المدافع التى يحملونها معهم، أما المماليك فلم تكن ضمن أمتعتهم مدافع تعوقهم عن الحركة، بالإضافة إلى أنهم كانوا كما يقول دينون "يملكون الصحراء ويتحدوننا فيها فى القدرة على التحمل"(٢).

---

(١) Pièces Diverses, Relatives aux opèration militaires et politiques du gènèral Bonapart, Paris an VIII P. 191., Berthier, Mèmoires du marèchal Berthier, campagne d'Egypte, Ire partie Paris 1827, PP. 114, 115.

(٢) Vivant Denon, Voyage dans La Basse et la Haute Egypte pendant les campagnes du gènèral Bonaparte, Quatrieme èdition, Tome I, Paris 1803, P. 269.

وكان الفرنسيون يتوقفون في القرى كلما أضناهم السير، وفي هذه القرى كانوا يتزودون بالطعام والشراب ويستولون على ما تركه المماليك خلفهم في هذه القرى(١) ووصل الفرنسيون إلى المنيا يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٧٩٨، ليجدوا المماليك قد تركوها قبل قدومهم بساعات تاركين بها أربعة من سفنهم فغنم الفرنسيون ما على هذه السفن من مدافع وذخيرة، وانضم إلى الفرنسيين الكثير من اليونانيين الذين كانوا يعملون على هذه الأسلحة(٢).

واستمرت حملة الجنرال ديزيه في تقدمها بعد المنيا، فاستولت على ملوى التى عثرت فيها على ثمانية مدافع كان المصريون يستخدمونها في ضرب سفن الفرنسيين(٣)، واستمرت الحملة في سيرها حتى وصلت إلى أسيوط واحتلتها يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٧٩٨(٤)، وكان المماليك قد انسحبوا منها مسرعين بعد أن أغرقوا سفينة مسلحة من أسطولهم وتركو ست سفن أعجلهم عنها ما كانوا فيه فلم يأخذوها ولم يغرقوها، فاستولى الفرنسيون عليها وعلى ما فيها من الأقوات والذخائر.

سير حملة الجنرال ديزيه من أسيوط إلى جرجا

سار الجيش الفرنسي من أسيوط يوم ٢٦ ديسمبر وانقسم إلى فرقتين فرقة بقيادة الجنرال فريان Friant أخذت سفح الجبل، والفرقة الثانية بقيادة الجنرال بليار أوغلت في السهل ثم التقتا في الغنايم التى احتلوها ونهبوها ولكنهم وجدوا مقاومة من أهالي الغنايم الذين

---

(١) Vivant Denon. Op. Cit. T. 1, pp. 272, 273.

(٢) Berthier. Op. Cit. P. 115, Vivant Denon. Op. Cit. T. 1. PP. 274, 275.

(٣) حلال يحيى : مصر الحديثة ١٥١٧-١٨٠٥، الاسكندرية، دون تاريخ، ص ٤١٠.

(٤) Dominique DI Pietro, Voyage Historique en Egypte pendant les campagnes des gènèraux Bonaparte, Klèber et Menou, Paris, 1827. P.104.

هبوا للدفاع عن أنفسهم وحدث اشتباك بين الفريقان أدى إلى مقتل واحد من الأهالى وجرح اثنان من الفرنسيين(١).

وعلم الجنرال ديزيه بناء على تقارير جواسيسه أن مراد بك ينوى ملاقاته بالقرب من جرجا(٢)، لذلك نجد ديزيه يغادر الغنايم هو وجنوده فى طريقه إلى جرجا التى أخلاها المماليك قبل وصول الفرنسيين إليها فى الساعة الثانية ظهرا يوم ٢٩ ديسمبر سنة ١٧٩٨(٣).

وفى جرجا حط الجيش الفرنسى أثقاله ليستريح الجنود من عناء تلك الرحلة التى أنهكت قواهم، ولننتظر وصول المراكب التى بها ذخائره ومهماته ومؤونته، وقد تعطل سيرها وتأخرت عن متابعة الجيش، بسبب انخفاض منسوب المياه، واختلاف الريح مما جعل تحركها شديد الصعوبة(٤) ورأى الجنرال ديزيه ألا يغامر بجيشه فيما وراء جرجا، لأنه أصبح بعيدا عن القاهرة، ووجد فى جرجا مدينة كبيرة فى وسط مديرية خصبة تصلح لتموين الجيش، فرأى من الحكمة أن يستقر بها وينعم بالراحة إلى أن يصل أسطوله فيواصل زحفه لإخضاع الصعيد، وإذا كان هذا هو موقف الجنرال ديزيه فماذا عن موقف مراد بك فى تلك الفترة؟

موقف مراد بك فى صعيد مصر

تذكر المصادر الفرنسية المعاصرة أنه بالرغم من هزيمة مراد بك فى كل من سدمنت والفيوم، إلا أنه ظل دائما سيد أقاليم صعيد مصر، واحتفظ بمركز قوى(٥)، كان

---

(١) La Jonquière : L'Epèdition d'Egypte 1798-1801, 5 Vols, Tome 111, Paris 1899-1907. P. 511.

(٢) Dominique DI Pietro. Op. Cit. P. 105.

(٣) Vivant Denon. Op. Cit, T. 1. P. 304.

(٤) Martin, Histoire de L'Expèdition Francaise en Egypte, 2 vols, Tome Premiere, Paris 1815, P. 346. Vivant Denon. op. Cit. T. 1. P. 306.

(٥) Berthier. Op. Cit. P. 114.

السبب فى توقف الجنرال ديزيه عن مطاردته لحين استكمال النقص فى جنوده ووصول الإمدادات من القاهرة، وفى تلك الفترة التى كان الجنرال ديزيه يقوم فيها باستكمال النقص فى صفوفه، وإعداد حملته لإخضاع الصعيد، لم يضيع مراد بك وقته، بل أراد هو الآخر أن يزيد من قوته بكل الوسائل الممكنة التى يوفرها له نفوذه القديم فى الصعيد، وبذلك استطاع أن يضم إلى جانبه كل القبائل العربية المنتشرة فى الصعيد، وكان واثقا من مساندة الأهالى، ويذكر "مارتان" أن مراد بك "أرسل رسله إلى ما وراء الشلالات لتهديد النوبيين بإرسالهم إلى اثيوبيا مما دفع هؤلاء المواطنين المسالمين إلى الانضمام إليه فى الحرب"(١) ولكن يبدو أن فكرة تهديد مراد بك للنوبيين ليس لها أساس من الصحة حيث تذكر مصادر أخرى أكثر انصافا أن مراد بك أرسل بعض الرسل إلى النوبة كى يأتوا بالمدد أو المعونات(٢) Des renforts، كما قام مراد بك بالكتابة لرؤساء "ينبع وجدة" ببلاد الحجاز يدعوهم لعبور البحر الأحمر(٣) بقواتهم للحاق به وبقواته وذلك للدفاع عن دين محمد ضد أعدائه من الكافرين الذين يرغبون فى إبادة هذا الدين(٤).

كما أرسل مراد بك بعض المهرة من الرسل إلى حسن بك الجداوى "بإسنا" بقصد التوفيق بينه وبين مراد بك ويطلبون منه مساعدة مراد بك فى مقاومة الفرنسيين وأن ينتشر رجاله ما بين جرجا وأسيوط لمقاومة الفرنسيين ومهاجمة وتدمير اسطولهم(٥)، ولم يكن مراد بك وحده هو الذى راسل حسن بك الجداوى بل راسله أيضا السلطان العثمانى، وتذكر وثائق المحاكم الشرعية صورة "فيرمان شريف" حضر لحضرة "مير اللوي" "حسن بيك

---

(١) Martin. Op. Cit. T. I, PP. 344, 345.

(٢) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 191.

(٣) كان الحاجز الوحيد الذى يفصل بين القطر المصرى وبلاد العرب لا يتعدى البحر الأحمر الذى لم يكن فى ذلك الوقت سوى بحيرة ضيقة المخرج من جهة الجنوب.

(٤) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 191, Berthier. Op. Cit. P. 115.

ويذكر "مارتان" أن عرب ينبع ومكة قد جاءوا لمعاونة الأهالى والمماليك فى نضالهم ضد الفرنسيين بناء على فرمانات الباب العالى. انظر :

Martin. Op. Cit. T. I. P. 345.

(٥) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 192, Berthier. Op. Cit. P. 116.

الجداوى" تحثه وتحت طائفة المماليك على التماسك والترابط من أجل مقاومة الفرنسيين "فكونوا على قلب واحد بعضكم لبعض معاضد، وارفعوا بينكم الشقاق وبدلوه فى الحب فى الله والوفاق وادفعوا من بينكم الأشرار وأولو النميمة وأهل النفاق أينما كنتم وحيث ما وجدتم قربا وبعدا" وتذكر الوثيقة أن "الفرنسيين هم الكفرة الطغاة والفجرة البغاة لا يؤمنون برب السموات والأرض ولا برسالة الشفيع يوم العرض" كما تفضح سياسة الفرنسيين وتحذر منهم فتذكر "ومن جملة قواعدهم الشيطانية جواز النفاق واللقا الفتن والشقاق بين الملوك والدول وساير الناس من أرباب الفساد" وهم أى الفرنسيين "يخاطبون كل طايفة بأننا منكم وعلى دينكم وملتكم ويعدونهم بالمواعيد الباطلة، ويحذرونهم بالتحاذير الهايلة، والحاصل أنهم انهمكوا فى الفسق والفجور وامتطوا مطية الغدر والغرور وخاضوا بحر الضلال والطغيان" ثم تحض الوثيقة المماليك على مقاومة الفرنسيين "فاللازم عليكم أن تباشروا من غير توان ولا تكاسل فى دفعه ورفعه وطرده وقمعه، والحاصل فلتكن كلمتكم واحدة متفقين فى تقوية هذا الذين المبين وكونوا على حذر من حيل ومكر اولئك الكافرين اللئام، ولتكن سيوفكم بارقة وسهامكم شارقة ومدافعكم صاعقة ونبا لكم إلى افئدتهم متسابقة ودبابيسكم لقصم ظهورهم شادقة بفرسان يجول فى حومة الميدان بكل حملة توصل كافر إلى درك النيران، لأن عون الله ان شاء الله داير معكم، وعين الله ناظرة اليكم مؤيدون بنصر الله محفوظون بروحانية رسول الله سيهزم الجميع ويولون الدبر، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر، ونحن فى طرف السلطنة السنية نشرنا الأوامر العلية فى جميع العساكر والاجناد من أقطار البلاد فبحول الله وقوته وباهر عظمته وقدرته عما قليل يجتمع عساكر وفيرة وجنود كثيرة مع سفاين كالجندل تمشى بقدرة الله ذى الجلال، ومدافع كالرعد القاصف والبرق الخاطف وشجعان لا يبالون بالموت لإعلاء كلمة الله وغزاه يقتحمون على النار محبة فى دين الله فتعقب أدبارهم لعل الله يرزقنا تدميرهم ، أدبارهم فنجلعهم إن شاء الله هباء منثورا كأن لم يكونوا شيئا"(١).

ولم تكن منشورات السلطان العثمانى موجهة لطائفة المماليك فقط بل كانت موجهة إلى عامة المصريين، وكانت هذه المنشورات تحثهم على مقاومة الفرنسيين الذين يريدون

---

(١) سجلات محكمة اسنا : سجل رقم ٥٠، وثيقة رقم ٢٧٨ مؤرخة بتاريخ ٣ جمادى أول سنة ١٢١٣هـ، ص ١١٦ -١١٨.

رفع شرايع الإسلام فهم الطايفة الخاينون والشرذمة الملعونون ذووا مكر وفساد وبغى وعناد، وقد قصدوا تلك الديار وهجموا على تلك الأقطار، وذلك لرفع شرايع الإسلام وقواعد دين محمد عليه السلام وهدم بيت الله الحرام والمدينة المنورة" والفرمان بذلك يحث المصريين على مقاومة هؤلاء الكفرة ويحذرهم من أن ينقادوا لهم أو يتعاونوا معهم فيذكر" ثم إياكم أن تنخدعوا بمواعيدهم الباطلة وبأقوالهم الكاذبة كلها مكر وحيلة ودسيسة وخيانة لهذه الشريعة المطهرة النفيسة وأنتم تعلمون أن من يطيع وينقاد لهؤلاء الكفرة اللئام ويعينهم على أهل الاسلام يكون والعياذ بالله مرتداً عن دينه فينهدر دمه ويستحل ماله ويجب على كل مسلم قتاله تشهد بذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فكونوا على قلب واحد بعضكم لبعض معاضد، والله معنا أيها المؤمنون قال تعالى ﴿**وإن جندنا لهم الغالبون ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين**﴾(١).

ومما لا شك فيه أن هذه الفرمانات كانت تلهب حماس الأهالى، وتقوى من عزيمتهم فى نضالهم ضد الفرنسيين، وهكذا تجمع لدى مراد بك أعداد هائلة من الفلاحين والعربان إلى جانب قواته من المماليك، وقوات حسن بك الجداوى الذى انضم إلى مراد بك، بالإضافة إلى عرب ينبع وجده (عرب الحجاز) الذين انضموا لمراد بك بصعيد مصر وشكلوا خطرا على القوات الفرنسية ووقفت هذه القوات الهائلة من الأهالى والمماليك وعرب الحجاز ضد قوات الجنرال "ديزيه" التى كان شغلها الشاغل فتح الصعيد والاستيلاء عليه واخضاعه للنفوذ الفرنسى، ولكن هل تمكن الفرنسيون من إخضاع الصعيد لسلطتهم؟ هذا ما سنراه من خلال عرضنا لحركات الجنرال "ديزيه" فى صعيد مصر وثورات الأهالى بزعامة المماليك ضد الوجود الفرنسى.

الثورة فيما بين أسيوط وجرجا

كان ديزيه يتوقع قدوم أسطوله إلى جرجا بعد أيام معدودات، ولكنه تأخر فى الوصول، فاضطر ديزيه أن يبقى فى جرجا لمدة ثلاثة أسابيع دون أن يزحف أو يعمل

(١) سجلات محكمة اسنا : سجل رقم ٥٠، وثيقة رقم ٢٧٢ مؤرخة فى ٢١ من شهر ربيع الأول عام ١٢١٣هـ، ص ١١١-١١٤.

عملا، وكان تأخره مدعاة لتنظيم قوة المقاومة فى البلاد التى لم يفتحها، وسريان روح الثورة فى المدن التى فتحها، وعلم الفرنسيون فى ١٣ نيفوز من العام السابع الجمهورى الموافق ٢ يناير سنة ١٧٩٩ أن الفلاحين قد تشجعوا بالمماليك واستعدوا لمهاجمتهم من الخلف على أن يهاجمهم المماليك من الأمام(١)، وعزم مراد بك على الاستيلاء على السفن الفرنسية قبل أن تصل إلى مدينة جرجا وأرسل للقيام بذلك أحد أعوانه المشهورين بالنشاط والحذق واسمه عثمان بك فمر بين أسيوط وجرجا وقطع الطريق بينهما وهيج الأهلين وحملهم على محاربة الفرنسيين(٢)، فسرت روح الثورة فى أربعين بلدا فى المنطقة الواقعة بين أسيوط وجرجا، وبلغ عدد الثوار من الأهالى كما قدرتها المصادر الفرنسية ما بين ستة إلى سبعة آلاف من الأهالى(٣)، وبالرغم من أن هذه الثورة كانت واسعة النطاق وتميزت بانضمام أعداد هائلة من الأهالى، إلا أن الفرنسيين استطاعوا أن يقضوا عليها قبل أن تتحد عناصرها، وتمكنوا من هزيمة قواتها المبعثرة معتمدين على نظامهم الحربى ومدافعهم القوية وبنادقهم الحديثة، فكانت المعارك التى نشبت بينهم وبين الأهالى أشبه بمذابح فتكت فيها نيران المدافع والبنادق بمجموع من الأهالى محرومين من النظام غير مزودين إلا بأسلحة قديمة(٤)، وفشلت ثورة الأهالى فى تحقيق غرضها بالقضاء على القوات الفرنسية، لافتقادها إلى النظام والعتاد الحربى والقيادة الحازمة.

معركة سوهاج (٣ يناير سنة ١٧٩٩)

علم ديزيه أن هناك تجمعا كبيرا من الأهالى يتشكل بالقرب من سوهاج قدرته المصادر الفرنسية بأربعة آلاف من الفلاحين مسلحين بالبنادق والحراب Piques بالاضافة

---

(١) Vivant Denon. Op. Cit. T. 1. P. 306.

(٢) سليم البستانى : تاريخ نابليون بونابرت فى مصر وسوريا نقلا عن تاريخ فرنسا الحديث، الاسكندرية ١٩١٣، ص ٦٩.

(٣) Vivant Denon. Op. Cit. T. 1. PP. 306, 307, Reybaud, Histoire Scientificque et militaire de L'Éxpèdition Francaise en Egypte (10 Vols) Tome, 111, Paris 1830-1836, P. 512.

(٤) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١، ص ٣٦٠.

إلى ثمانمائة من الفرسان(١)، فقرر الجنرال ديزيه أن يقضى على هذه الثورة قبل أن يتسع مداها، وأمر ديزيه الجنرال دافو Davout بالرحيل فورا من جرجا على رأس قواته للقضاء على هذه الثورة، فوصل إلى سوهاج يوم ٣ يناير سنة ١٧٩٩، وفى اللحظة الأولى لهذه المعركة أعطى الجنرال دافو لطليعة جيشه المكون من الفرقة السابعة من الفرسان والفرقة الثانية والعشرين من القناصة بأن يهاجموا بعنف قوات الأهالى ومن معهم من فرسان المماليك، ولم يستطع الأهالى الصمود طويلا أمام هجوم الفرنسيين ونيران أسلحتهم ففروا هاربين بعد أن تركوا خلفهم ثمانمائة قتيل على أرض المعركة(٢).

وهكذا كانت هذه المعركة كارثة أصابت الأهالى وألحقت بهم خسائر جسيمة واعتقد الفرنسيون أن القضاء على هذه الثورة بهذه السرعة وما أصاب الأهالى من خسائر سيؤدى إلى انتشار الرعب فى البلدان الأخرى وإخماد الثورة فيها، لكن على العكس من ذلك فإن الأهالى استمدوا من هذه الهزيمة دافعا لمواصلة الثورة، فلم تنكسر شوكتهم، ولم تفتر عزيمتهم فما أن عاد الجنرال دافو إلى جرجا بعد انتصاره فى هذه المعركة حتى علم الجنرال ديزيه بأن هناك حشدا كبيرا تكون بالقرب من أسيوط ومكون من فلاحين مشاه وفرسان جاء معظمهم من المنيا وبنى سويف والفيوم وهنا أحس ديزيه بالقلق وازداد قلقه بسبب تأخر أسطوله الذى يحمل المؤن والمعدات ولم تصله حتى الآن أخبار أكيدة عن ميعاد وصوله إلى جرجا، وهنا كلف ديزيه الجنرال دافو بأن يزخف من جديد على رأس فرسانه لمقاومة المتمردين من الأهالى، وأن يبذل أقصى جهده فى العمل على سلامة الأسطول الفرنسى الذى انقطعت أخباره وتأخر وصوله إلى جرجا(٣).

---

(١) La Jonquière. Op. Cit. T. 111, P. 521.

(٢) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 192, Berthier. Op. Cit. P. 116.

(٣) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 193, Berthier. Op. Cit. PP. 116, 117, Reybaud. Op. Cit. T. 111. P. 513.

معركة طهطا (٨ يناير سنة ١٧٩٩)

سار الجنرال دافو على رأس قواته من الفرسان تجاه طهطا فوصلها فى ٨ يناير، ووجد بها ما يقرب من ٢٠٠٠ عربى من الفرسان و٦٠٠٠ مشاة من الأهالى الذين أقنعهم رجال مراد بك أن الجيش الفرنسى قد دمر، ولم يتبق منه إلا فيالق صغيرة يسهل مهاجمتها(١).

وفى اللحظة التى كان يدخل فيها دافو وجنوده طهطا علم أن هناك عددا كبيرا من فرسان الصعيد فى طهطا يهاجمون مؤخرة جيشه المكون من سرية من الصف العشرين من الجنود الخيالة، وفى الحال قام الجنرال دافو بالهجوم المباغت وهرب الفرسان العرب عند أول مقاومة، وتركوا الفلاحين المشاة يتعرضون لضربات الفرنسيين، وانتصر الفرنسيون على الأهالى والعرب فى هذه المعركه، وقتل منهم ألف قتيل كانت الغالبية العظمى منهم من الأهالى المشاة(٢). وبعد المعركة انتقم الفرنسيون انتقاما فظيعا من القرى التى أطلقت عليهم النار فقتلوا من أهلها خمسمائة رجل وأحرقوها(٣).

ثم تابع الجنرال دافو سيره فوصل بفرسانه إلي أسيوط يوم ١١ يناير ووجد السفن الفرنسية راسية تجاه المدينة(٤)، ثم تابعت السفن الفرنسية سيرها فوصلت إلى جرجا يوم

---

(١) Martin. Op. Cit. T. 1, PP. 347, 348.

(٢) Berthier. Op. Cit. P. 117, Pièces Diverses. Op. Cit. P. 193, Martin. Op. Cit. T. 1, P. 348.

ولقد قدر نابليون فى رسالته إلى حكومة الإدارة خسائر المصريين فى معركة سوهاج وطهطا بأكثر من ألفين من القتلى انظر :

Correspondance de Napolèon Ier, publiée par ordre de L'Empereur Napolèon III, Paris 1858-1870, 32 Vols, Tome 5, doc No, 4205, en date du 5 mèssidor an VII (23 Juin, 1799) P. 471.

(٣) انظر رسالة دافو إلى نابليون فى ١٢ يناير سنة ١٧٩٩ منشورة فى

La Jonquière, Op. Cit. T. 111. P. 523.

(٤) Ibid. T. 111. P. 523.

١٨ يناير حيث كانت تتقدمها الفرسان بقيادة الجنرال دافو(١)، وكانت السفن الفرنسية تحمل الذخائر والأقوات لقوات الجنرال ديزيه ومددا من ١٥٠ جنديا(٢)، مما جعل ديزيه يفكر في الاشتباك مع مراد بك وأعوانه في معركة فاصلة.

معركة الصوامعة (٥ مارس سنة ١٧٩٩)

عندما علم الجنرال ديزيه من جواسيسه بأن مراد بك في طريقه إلى الالتقاء بمحمد بك الألفي في أسيوط، اتجه ديزيه إلى أسيوط لكي يمنع لقاء مراد بك بمحمد بك الألفي ويحاربهما إذا كان هذا الانضمام قد تم بالفعل(٣) وكان مراد بك وجنوده قد نجحوا في اثارة عدد هائل من الفلاحين تحت قيادة مشايخ البلاد بالقرب من طهطا، فلما علم ديزيه بذلك، عهد إلى الجنرال فريان بمهمة القضاء على هؤلاء الثوار فالتقى بهم في الصوامعة(٤) يوم ٥ مارس سنة ١٧٩٩، ووجد الجنرال فريان هذه البلدة في حالة من الهياج والثورة، ووجد بها ما يقرب من ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف من الفلاحين يحتلونها(٥)، وعندما رأى الجنرال فريان هذه الأعداد الهائلة من الثوار، قسم جيشه إلى ثلاثة أقسام كبيرة من الجنود لكي يحاصرهم ويمنعهم من اللجوء إلى الصحراء، كما قام باحتلال المنطقة الواقعة بين النيل والصحراء لكي يمنع هروب مماليك الألفي أو لقاؤهم بجنود مراد، ونجحت خطة الجنرال فريان نجاحا تاما، ففي لحظات استطاع الجنرال فريان وجنوده أن يقتلوا ألفا من الثوار ما بين قتيل وغريق أما بقية الثوار فقد لاقوا الأمرين في محاولتهم النجاة بأنفسهم ولم ينسحبوا إلا تحت وابل من طلقات البنادق، ولم يفقد الجنرال فريان رجلا واحدا من جنوده في هذه

---

(١) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 193.

(٢) La Jonquière. Op. Cit. T. 111. PP. 524, 525.

(٣) Berthier. Op. Cit. P. 130.

(٤) بلدة تتبع حاليا مركز طهطا بمحافظة سوهاج. لمزيد من التفصيل انظر : محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٥٤، القسم الثاني، الجزء الرابع، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٣، ص ص ١٤١، ١٤٢.

(٥) Dèsirè Lacroix, Bonaparte en Égypte 1798-1799, Paris 1899. P. 365.

المعركة، وغنم الفرنسيون خمسين حصانا تركها فرسانها ليرتموا فى الماء للسباحة فى محاولة للنجاة بأنفسهم(١).

وفى اليوم التالى للمعركة طاردت القوات الفرنسية قوات المماليك مما جعل مراد بك يقرر الهروب ومعه ١٥٠ من رجاله إلى الواحة الكبرى La grand oasis، أما باقى رجال مراد بك فقد اتجهوا إلى أسيوط حيث وصل الجنرال ديزيه بعدهم بقليل، أما محمد بك الألفى فقد عبر النهر إلى الضفة اليمنى للنيل ليعود إلى واحة أخميم وتبعه بعض كشاف ومماليك مراد بك(٢).

معركة بـرديس (٦ أبريل سنة ١٧٩٩)

وصلت إلى الجنرال ديزيه معلومات تفيد بأن الأهالى والمماليك وعرب الحجاز قد استأنفوا حركاتهم الثورية فى مديرية جرجا وأنهم احتشدوا بالبر الشرقى لقطع مواصلات الجيش الفرنسى، فأدرك الجنرال ديزيه خطورة الموقف، وعلى الفور كلف الجنرال دافو وفرسانه بمهمة إخضاع البلاد الثائرة فى هذه النواحى والقضاء على مقاومتها، كما أرسل ديزيه أوامره إلى موراند Morand قومندان جرجا أن يذهب إلى المرتفعات المشرفة على الضفة اليمنى* للنيل قبالة جرجا، ويهاجم الثائرين أو يعترض مسيرتهم فى حالة انسحابهم(٣).

وهنا شعر عرب ينبع بحرج موقفهم، وصمموا على عدم انتظار الجنرال دافو، وعبروا النيل أعلى برديس(٤)، وعندما علم قائد جرجا بذلك أخذ مائتين وخمسين رجلا من

---

(١) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 210, Martin. Op. Cit. T. 1, P. 358.

(٢) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 211, Martin. Op. Cit. T. 1, P. 358, Memoires du général Desvernois publiés sous les auspices de saniéce Mme Boussu-Desvernois D'aprés les manuscrits originaux avec vne introduction et notes par albert Dufourg. Paris 1898, P. 168.

(٣) Berthier. Op. Cit. PP. 139, 140, La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 640, Dèsirè Lacroix. Op. Cit. PP. 373, 374.

(٤) قرية تتبع حاليا مركز البلينا بمحافظة سوهاج. لمزيد من التفصيل انظر : محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٤، ص ص ٩٨، ٩٩.

حاميته Sa garnison وذهب لملاقاتهم فى برديس(١)، التى وصلها بعد ظهر يوم ٦ أبريل، فخرج لملاقاته عرب ينبع وكثير من الفلاحين والمماليك وعرب من قرية برديس وهم يطلقون صيحات عالية تنم عن استعدادهم للقتال، وهجموا على القوة الفرنسية التى ردت عليهم بإطلاق نيران بنادقها دفعة واحدة عليهم، فتراجع الثوار قليلا بالرغم من أعدادهم الكثيرة.

وبالرغم من أن موراند كان فى موقع أفضل من موقع الثوار من الناحية العسكرية إلا أنه كان يعانى من نقص قواته عن قوات الثوار بكثير، وكان من الصعب عليه أن يهزم هذه الأعداد الهائلة من الثوار بهذا العدد القليل من جنوده ولكنه اعتقد أنه يستطيع أن يصمد بهذا العدد، ولكن بعد نصف ساعة تلقى هجوما ثانيا من الثوار المصريين، فرد عليهم بالطلقات النارية التى أصابت العديد من الثوار، وفر الباقون تحت جنح الظلام الذى كان يقترب فاستغل موراند هذه الفرصة وعاد إلى جرجا ليحمى مواقع الفرنسيين بها(٢).

معركة جرجـا (٧ أبريل سنة ١٧٩٩)

عندما علم الأهالى والمماليك وعرب ينبع بعودة موراند إلى جرجا صمموا على مواصلة الهجوم، وساروا فى طريقهم إلى جرجا يريدون احتلالها، ولقد تضاعف عددهم وهم فى طريقهم إلى جرجا بمن كان ينضم إليهم من سكان البلاد التى مروا بها وسكان البلاد المحيطة بجرجا، ولقد قدر الجنرال دافو عددهم بثلاثة آلاف من الفلاحين(٣) يعاونهم جماعة من المماليك وعرب ينبع، وهجموا على جرجا يوم ٧ أبريل، وتمكن عرب ينبع من دخولها، وكان موراند يملك الكثير من العتاد فى جرجا، وبينما كان عرب ينبع يحاولون الحصول على المؤنة من مخازن جرجا، كان موراند قد شكل فرقتين من جنوده، وجعل لكل منها مهمة، فكلف فرقة منهم أن تكون مهمتها القضاء على الثوار داخل مدينة جرجا، أما الأخرى

---

(١) Berthier. Op. Cit. P. 140.

(٢) Piéces Diverses. Op. Cit. P. 222, La Jonquiére, Op. Cit. T. 111. P. 641.

(٣) La Jonquiére, Op. Cit. T. 111. P. 641.

عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ص ٣٨٤، ٣٨٥ .

فكانت مهمتها خارج مدينة جرجا ومهمتها ملاحقة الثوار وعدم تمكينهم من دخول المدينة، ونجحت خطة موراند، فلقد استطاعت الحامية الفرنسية قتل كل ما كان فى المدينة من الثوار، وهرب الباقون إلى الصحراء(١) أما عن الخسائر التى لحقت بالثوار فى هذه الموقعة، فلقد اختلفت المصادر الفرنسية فى تقديرها لهذه الخسائر، ففى الوقت الذى لم تتعرض فيه لذكر الخسائر التى لحقت بالثوار فى موقعة برديس (٦ أبريل) ذكرت عند تعرضها للخسائر التى لحقت بالثوار فى موقعة جرجا (٧ أبريل) أن عرب ينبع فقدوا فى هذين اليومين (أى فى موقعتى برديس وجرجا) مائتى رجل(٢) بينما ذكرت أن خسائر الفرنسيين تمثلت فى عدد من الجرحى دون أن تتعرض لأعداد هؤلاء الجرحى، بينما ذكر نابليون فى رسالته إلى حكومة الإدارة أن الخسائر التى لحقت بالثوار فى معركة جرجا بلغت مائة قتيل(٣) وقدر الجنرال دافو خسائر الثوار فى معركة جرجا بمائة وخمسين قتيلا كما قدر خسائر الفرنسيين بستة من القتلى وأحد عشر جريحا(٤)، وبالرغم من اختلاف المصادر الفرنسية فى تقديرها للخسائر التى لحقت بالثوار فى هذه المعركة، فإن الباحث يميل إلى تقدير الجنرال دافو السالف الذكر لأنه الأقرب إلى الحقيقة، فهو وحده الذى ذكر لنا عدد الخسائر التى لحقت بالفرنسيين من قتلى ومن جرحى، مما يدل على دقته وموضوعيته، أما تقدير الجنرال ديزيه فهو لا يتسم بالموضوعية حيث أنه نسب خسائر الثوار من أهالى ومماليك وعرب ينبع إلى عرب ينبع فقط، وكأن عرب ينبع هم وحدهم الذين تصدوا للفرنسيين وهم وحدهم التى لحقت بهم الخسائر، وهذا لا يتطابق مع الحقيقة، فالواقع أن الخسائر ألمت بالجميع بما فيهم عرب ينبع، هذا إلى جانب أنه لم يشير إلى الخسائر التى ألمت بالفرنسيين.

أما ما ذكره نابليون لحكومة الإدارة فهو أيضا لا يمثل الحقيقة كاملة لأنه لم يتعرض لأى ذكر للخسائر التى ألمت بالفرنسيين، وإن كان فى نفس الوقت قد تحدث عن الخسائر

---

(١) Pièces Diverses. Op. Cit. p. 222, Martin, Op. Cit. T. 1. P. 369.

(٢) انظر : تقرير الجنرال ديزيه عن معارك الوجه القبلى الذى أرسله إلى نابليون فى ٧ أغسطس سنة ١٧٩٩، والمنشور فى Pièces Diverses. Op. Cit. P. 222

(٣) Correspondance de Napolèon Ier. Op. Cit T.V. Doc. No. 4205, en Date du 5 missidor an VII (23 Join, 1799).

(٤) La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 641.

التى ألمت بالمصريين، كعادة التقارير الرسمية التى تذكر المكاسب دائما، وتتجاهل الخسائر أحيانا، وإن ذكرتها فإنها تكون دائما بعيدة عن الحقيقة وعن الواقع.

معركة جهينة (١٠ أبريل سنة ١٧٩٩)

نما إلى علم الفرنسيين بأن عرب ينبع بعد هزيمتهم فى جرجا توجهوا إلى طهطا، وحاول قائدهم إثارة أهلها ضد الفرنسيين، وعلى الفور تحرك القائد لاسال Lasalle بجنوده من أسيوط فى طريقه إلى طهطا لقمع الثورة التى نشبت فيها، وكانت قوات لاسال تتكون من كتيبة من الفرقة ٨٨، والفرقة ٢٢ من القناصة de chasseurs ومدفع واحد(١) ووصل لاسال وجنوده إلى جهينة(٢) فى الساعة الواحدة بعد الظهر من يوم ١٠ أبريل سنة ١٧٩٩، فوجد بها عرب ينبع، فقام بمحاصرة القرية بجزء من جيشه، وسار لمقابلة عرب ينبع بالجزء الأخر فقابله عرب ينبع بإطلاق نيران بنادقهم عليه وعلى جنوده، فرد عليهم لاسال بالطلقات النارية، ووجه نيران مدافعه تجاههم، فدخل عرب ينبع فى دار حصينة كان يحوطها سور ضخم، وكانوا قد أحدثوا فيه فتحات، وحدث تراشق بينهم وبين الفرنسيين بالرصاص Fusillade وقاوموا الفرنسيين لعدة ساعات وهم فى داخل هذه الدار، واستطاع الفرنسيون فى النهاية أن يتغلبوا عليهم وهزموهم شر هزيمة بواسطة الفرقة ٢٢، وقتل من عرب ينبع عدد كبير ومن نجى من القتل فر هاربا، وتمكن نحو مائتين منهم أن يفروا تجاه الصحراء وبلغت خسائر عرب ينبع فى هذه المعركة حوالى ثلثمائة قتيل من بينهم الشريف نائب حسن(٣).

---

(١) Berthier. Op. Cit. P. 142.

(٢) قرية كبيرة تقع جنوب طهطا.

(٣) Mèmoires sur L'Egypte, publiès pendant Les Campagnes du gènèral Bonaparte Dans Les annèes VI, et VII, avec La relation de ses campagnes en Égypte et en syrie, seconde partie, paris, fructidor an Ix P. 107, Berthier. Op. Cit. P. 142,

معركة بنى عدى (١٨ أبريل سنة ١٧٩٩)

وصل الجنرال "دافو" إلى أسيوط يوم ١٦ أبريل، وبعد وصوله بأربع وعشرين ساعة، علم أن حشدا ضخما من الثوار قد تشكل فى بنى عدى[١] الواقعة غرب منفلوط فى الطريق إلى الواحات، حيث قام أهلها وهم أشجع رجال مصر Le plus braves de L'Égypte بالثورة على الفرنسيين، وانضم إليهم فى ثورتهم هذه المماليك والعرب وأهالى دارفور[٢] الذين جاءوا مع القوافل من قلب أفريقية، وشجعت هذه الجموع مراد بك فخرج من الواحات ليكون على رأس هذا الجيش، وأرسل بقواته وكشافه لينظموا هذه القوات ويثيروا حميتهم فى نضالهم ضد الفرنسيين[٣]. واتخذ الثوار بنى عدى مركزا لهم، واجتمع بها كما يذكر الجنرال ديزيه ثلاثة آلاف من رجال بنى عدى، و ٤٥٠ من قبائل عربان الجهمة[٤] والتراهونة[٥]، وخمسون من عربان بنى

---

(١) بلدة كبيرة تتبع حاليا مركز منفلوط بمحافظة أسيوط، ونظرا لاتساعها الشاسع فلقد قسمت بعد عهد الحملة الفرنسية إلى ثلاث قرى تسمى باسم بنى عدى البحرية، وبنى عدى القبلية، وبنى عدى الوسطانية.

-لمزيد من التفصيل: انظر : محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٤، ص ص ٨٢، ٨٣ . ولقد ذكر عنها الجنرال دافو أنها من أكبر بلاد الوجه القبلى سكانا، وأكثرها ثراء Plus riche، وأعظمها مكانة، وأن أهلها كانوا يرسلون جماعات منهم إلى شاطئ النيل لمهاجمة السفن الفرنسية انظر رسالة الجنرال دافو إلى الجنرال دوجا المؤرخة فى ١ مايو سنة ١٧٩٩ والمنشورة فى

La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 643.

وتجدر الإشارة إلى أن عدد سكان بنى عدى فى ذلك الوقت كان ١٢ ألف كما قدره فيفان دينون انظر:

Vivant Denon. Voyage dans La Basse et la Haute Egypte Pendant Les campagne du gènèral Bonaparte Tome Second, Quatrieme Édition. Paris 1803, P. 199

(٢) ذكر الجنرال ديفرنوا أن بنى عدى كان يقيم بها ما بين ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ رجل من قوافل دارفور، ولقد وصلوا إلى بنى عدى بعد خمسة أشهر من السفر فى الصحراء انظر :

Memoires du Gènèral Desvernois. Op. Cit. P. 185.

(٣) La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 642, Dèsirè Lacroix. Op.Cit. PP.375,376.

(٤) سبقت الإشارة إلى مقر إقامة عربان الجهمة بالفصل الأول.

(٥) ينتمى عرب التراهونة إلى قبيلة أبى كرايم التابعة للشيخ على وتمتد دائرة نفوذها من صنبو حتى ملوى، وتمتلك هذه القبيلة ألف حصان، وعددا كبيرا من الجمال، وأهم شيوخها هم الشيخان على وسليمان. =

وافــى(١)، وثلاثمائة مــن المماليك، ولـم يستطع ديزيـه أن يحصـر أعداد المكيون (عـرب الحجاز) الذين انضموا إلى الثوار ببنى عدى لأنه يجهلها وذلك كما ذكر فـى رسالته إلـى نابليون(٢).

وإذا ما أضفنا أعداد المكيون التى لم يستطع ديزيــه أن يحصرها إلـى الأعداء التـى ذكرها، فإن عدد القوات التى تجمعت فى بنى عدى من الثوار تبلـغ علـى الأقل أربعـة آلاف رجل، الغالبية العظمى منهم من أهالى بنى عدى فلاحين وعربان، ويليهم فى العدد المماليك ثم عرب الحجاز.

وما أن أصبح تجمع الثوار حقيقة، وتحفزهم للثورة واضحا حتى استعد الجنرال دافو للقائهم ولم يتوانى لحظة واحدة فى اللحاق بهم، وعزز قواته بكتيبـة مـن الفرقـة ٨٨ والفرقـة ١٥ من الفرسان، وعين سيلى Silly قائدا على أسيوط بدلا من بينون Pinon(٣) وتوجه دافـو بجنوده تجاه بنى عدى فوصلها يوم ١٨ أبريل، ووجد بها جيش كبير يحمل السلاح ويتـأهب للقتال، وكان جناح القرية Le Flanc du village باتجاه الصحـراء مغطـى بعـدد كبيـر مـن الفرسان والمماليك والعرب والفلاحيـن، فشكل الجنرال دافـو مشـاته إلـى طـابورين أحدهمـا لمهاجمة القرية والآخر لمحاصرتها، والطابور الأخير هذا كان يتقدمه الفرسان بقيادة بينـون وهـو رئيـس فرقـة ممتـاز، ولكـن هـذا الضـابط التعـس أثنـاء مـروره بـالقرب

- لمزيد من التفصيل انظر :

Jomard, Observation sur les Arabes de L'Egypte Moyenne, in Dèscription de L'Egypte, Etat moderne, Tome Douzième, Seconde Edition, Paris 1823. PP. 296, 297.

(١) تعسكر قبيلة بنى وافى وهى قبيلة بالغة الثراء بخيولها من منتصف ترعة تسمى العسل وحتى صنبو فى الشمال ومكان إقامتها الرئيسى فى تتالية وهى قرية تقع إلى شمال منفلوط. انظر :
Jomard. Op. Cit. P. 295.

(٢) انظر رسالة "ديزيه" إلى "نابليون" المؤرخة فى ٣٠ أبريل سنة ١٧٩٩ والمنشورة فى
La Jonquière. Op. Cit. T. 111. PP. 654, 655.

(٣) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 225, Berthier. Op. Cit. P. 143.

من أحد المنازل تلقى طلقة بندقية أردته قتيلا(١)، فأسرع الجنرال دافو بإرسال المساعد العام راباس Rabasse ليحل محل بينون لقيادة الفرسان الذين لاحظوا وجود المماليك في الصحراء في طريقهم إلى بني عدى لنجدة الأهالي فاتجهت إليهم أحد طوابير المشاة الفرنسية، لكن طليعة مراد بك التي أخرجها البؤس الشنيع من الواحات، نصحته بالعودة سريعا(٢)، فارتد المماليك لأول صدمة وانسحبوا راجعين إلى الواحة التي قدموا منها وتركوا الأهالي وحدهم يتلقون هجمات الجيش الفرنسي، فاشتبك الفريقان في معركة حامية دارت رحاها في طرقات بني عدى، وفي بيوتها التي حصنها الأهالي وجعلوا منها شبه قلاع كان الرصاص ينهال منها على الجنود الفرنسيين، فلقى الجيش الفرنسي في بني عدى ما لم يلق مثله في كثير من البلاد(٣)، واستمرت المعركة إلى الليل واستخدمت فيها المدفعية ولم يتمكن الفرنسيون من الاستيلاء على بني عدى إلا بعد أن أشعلوا فيها النيران(٤)، وفي لحظات تحولت هذه القرية الجميلة إلى رماد وأطلال(٥) Ce beau village est rèduit en cendres واحتلها الجنود الفرنسيون وأمعنوا في أهلها قتلا ونهبا.

أما عن الخسائر التي لحقت بالثوار في بني عدى، فإننا لا نجد أمامنا سوى المصادر الفرنسية المعاصرة التي قدرت هذه الخسائر، وللأسف فإن هذه المصادر بالرغم من أن أصحابها كانوا شهود عيان وشاركوا في الأحداث إلا أن تقديرهم للخسائر التي لحقت بالثوار قد اختلفت من مصدر لأخر على النحو التالي :

---

(١) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 225.

ويذكر "ديفرنوا" أن الكولونيل "بينون" قتل هو وأربعة أو خمسة من رجاله على يد رماة اختبأوا خلف حائط كان يرتفع ٢٠٠ قدم عن الأرض انظر:

Memoires du Gènèral Desvernois. Op. Cit. P. 185.

(٢) Berthier. Op. Cit. P. 144.

(٣) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق، جـ١، ص ص ٣٨٦، ٣٨٧.

(٤) جلال يحيى : المرجع السابق، ص ٤٣٣.

(٥) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 226.

قدر الجنرال دافو عدد القتلى من الثوار ببنى عدى بما يزيد عن الألفين من القتلى(١)، أما الجنرال ديزيه فقد كان متناقضا مع نفسه فى تقديره لعدد القتلى، فلقد ذكر فى رسالة منه إلى نابليون بعد المعركة بأيام أن عدد القتلى من الثوار بلغ ثلاثة آلاف(٢)، ثم ذكر فى تقرير أخر لنابليون بعد المعركة بشهور أن عدد القتلى بلغ ألفى قتيل من عرب ينبع والمغاربة والدارفوريين والمماليك والأهالى من بنى عدى(٣).

أما نابليون فقد أخطأ عندما قدر عدد القتلى من الثوار بألف رجل(٤) وهو لم يشهد الواقعة، وكان من المفروض أن يعتمد على رسائل وتقارير الجنرال ديزيه والجنرال دافو، لكنه وضع تقديرا لعدد القتلى من عنده دون أن ينظر إلى تقارير من شاهدوا الواقعة واشتركوا فيها. ولاشك أن اختلاف المصادر قد يوقع الباحث فى حيرة، ولكن بعد تحليل هذه المصادر يتضح لنا إذا ما استبعدنا تقدير نابليون لأنه لم يشاهد الواقعة، فإننا نجد أن باقى المصادر قد اتفقت على أن عدد القتلى من الثوار قد بلغ ألفى قتيل وذلك حسب تقديرات كل من دافو وبرتييه وديزيه(٥).

أما خسائر الفرنسيين فى هذه المعركة فقد بلغت ثمانية من القتلى وثلاثون جريحا على حد تقدير الجنرال دافو(٦).

---

(١) انظر رسالة "دافو" إلى"دوجا" المؤرخة فى ١ مايو ١٧٩٩ والمنشورة فى :
La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 644.

(٢) انظر رسالة "ديزيه إلى "نابليون" المؤرخة فى ٣٠ أبريل سنة ١٧٩٩ والمنشورة فى :
La Jonquière. Op. Cit. T, 111,P. 655.

(٣) انظر تقرير "ديزيه" إلى نابليون" عن معارك الوجه القبلى فى ٧ أغسطس ١٧٩٩ المنشور فى :
Pièces Diverses. Op. Cit. P. 226.

كما ذكر برتييه أن عدد القتلى من الثوار بلغ ألفى قتيل انظر :
Berthier. Op. Cit. PP. 144, 145.

(٤) Correspondance de Napolèon Ier. Op. Cit. T. V. Doc. No. 4205 en date du 5 messidor an VII (23 Juin, 1799).

(٥) ذكر "ديزيه" أن عدد القتلى بلغ ثلاثة آلاف، ويبدو أنه أحس بأنه أخطأ فى تقديره هذا فذكر بعد ذلك فى تقرير آخر أن عدد القتلى بلغ ألفى قتيل والباحث يميل إلى التقدير الأخير.

(٦) انظر رسالة "دافو إلى "دوجا" المؤرخة فى ١ مايو سنة ١٧٩٩ والمنشورة فى
La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 644.

ونود أن نشير إلى أن الخسائر التى لحقت بالمصريين لم تكن تتمثل فقط فىأعداد القتلى السالفة الذكر، بل شملت هذه الخسائر الأرواح والأموال فلقد خسر الأهالى كل ما يملكون، حيث استولى الفرنسيون على كل ما وجدوه فى بنى عدى من أموال وجواهر حيث وجد الفرنسيون فى بنى عدى صناديق مملوءة بالذهب(١)، فاستولوا عليها وأخذوا شيئا كثيرا وأموال عظيمة، وودائع جسيمة للغز وغيرهم من مساتير أهل البلاد القبلية(٢) وأصابت الخسائر جميع الطوائف التى تقطن بنى عدى(٣)، وغنم الفرنسيون أموالا طائلة، فلقد ذكر الجنرال دافو أن الغنائم التى استولى عليها الجنود قد عوضتهم ما فقدوه، وكثير منهم كان نصيبه خمسة عشر أو عشرون ألف فرنك ذهبى(٤). وهكذا فلقد كانت خسائر الثوار فادحة فى الأرواح والأموال، بينما كانت خسارة الفرنسيين فى الأرواح قليلة ومكاسبهم فى الأموال عظيمة.

ثـــورة المنيـــا (٢٣-٢٥ أبريل سنة ١٧٩٩)

كانت المنيا مركزا لثورة عارمة، إمتدت لمدة ثلاثة أيام متوالية، وفى ذلك الوقت كان ديتريس Dètrès قائدا للحامية الفرنسية فى المنيا، وقبل أن يصل الجنرال دافو إليها شبت الثورة فى البلاد المجاورة فواجهها ديتريس بالقوات التى تحت قيادته، ونشبت معارك ثلاث فى ثلاثة أيام متوالية وسنعرض لهذه المعارك بالتفصيل كالتالى :

ففى اليوم الأول الموافق٢٣ أبريل سنة ١٧٩٩، وفى حوالى الساعة الثانية بعد الظهر علم ديتريس أن حشدا Rassemblement مكونا من ما بين ثلاثمائة إلى أربعمائة

---

(١) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 226.

(٢) عبد الرحمن الجبرتى : تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، الجزء الثانى، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ، حوادث شهر ذى القعدة سنة ١٢١٣هـ، ص ٢٧٣.

(٣) تعرض رجال قوافل دارفوز للنهب واستولى الفرنسيون على أموالهم وجمالهم ومنهم من مات فى الحرائق ومنهم من قتل على يد الفرنسيين حيث ذكر الجنرال ديفرنوا أنه استولى على ٨٩٧ جملا من جمال قافلة دارفور وقتل منهم أربعة رجال، ولمزيد من التفصيل انظر :

Memoires du Gènèral Desvernois. Op. Cit. P. 186.

(٤) انظر رسالة دافو إلى دوجا المؤرخة فى ١ مايو ١٧٩٩ والمنشورة فى

La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 644.

من الأهالى ومثلهم من المكيين (عرب الحجاز) قد تكون فى قرية (طهنشا)[1] جنوبى المنيا وأنهم قد استعدوا للهجوم على الحامية الفرنسية فى المنيا، بل وأرسل زعيمهم إلى شيخ بلد المنيا يطلب منه مظاهرتهم على عدوهم فعزم ديتريس على مهاجمتهم قبل أن يهاجموه، وترك فى المنيا فصيلة صغيرة من جنوده، وتوجه بباقى جنوده التى كانت تصل إلى مايزيد على ٢٩٩ جندى، وأخذ معه أيضا حوالى ثلاثة مدافع، والتقى بالثائرين بالقرب من (تلة)[2] التى تبعد عن المنيا غربا بنحو ثلاثة كيلو مترات، فلما اقترب منهم ديتريس برزوا من معسكرهم لمقاتلته، وبدأت المعركة بتحرك الثوار تجاه الفرنسيين فى محاولة منهم لشن هجوم خاطف على القوة الفرنسية، وفى نفس الوقت كان ديتريس قد جعل من قواته مربعا على الطريقة الفرنسية، وسلط مدافعه على جموع الثائرين، واستمر القتال بين الفريقان لمدة أربع ساعات، ولمح ديتريس جماعة من المماليك قادمين من الجنوب فى طريقهم إلى المنيا، فانسحب ديتريس إلى المنيا ليوطد مركزه بالمدينة، وقد نجح فى ذلك إلى حد كبير بدليل أن الأهالى والمماليك لم يستطيعوا اقتحام بوابات مدينة المنيا ودخولها، وكان الليل قد أقبل، فعاد الأهالى إلى تلة[3]، واستغل ديتريس هذه الفرصة لينظم قواته استعدادا لصد هجوم الأهالى فى اليوم التالى.

وفى اليوم الموافق ٢٤ أبريل استعد "ديتريس" لمقاومة الأهالى والعربان والمماليك وعرب الحجاز، ووقف بجنوده خارج مدينة المنيا فى موقع حصين تحميه المقابر والحدائق Des Jardins، وأوقف الرماة خلف الهضاب العالية، وتقدم الثوار فى اتجاه الفرنسيين وهم يصيحون صيحات القتال، وكان عددهم قد زاد بمن انضم إليهم من سكان القرى الواقعة على شاطئ النيل، وبمن انضم إليهم من جماعة المماليك الذين قدموا من الجنوب، وامتلأ السهل المجاور للمدينة على مسافة فرسخ[4] Lieue بالمقاتلين، ودارت المعركة من جديد بين

---

(١) قرية تتبع مركز المنيا، واسمها الأصلى طحنشها وحرف للتخفيف إلى طحنشا، ثم حرف لسهولة النطق إلى طهنشا وهو اسمها الحالى الذى وردت به فى تاريخ سنة ١٢٣٠هـ.

- انظر محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٣، ص ٢٠٢.

(٢) قرية تتبع حاليا مركز المنيا : لمزيد من التفصيل انظر : محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٣، ص ١٩٩.

(٣) انظر : رسالة "ديتريس" إلى الجنرال "دوجا" المؤرخة فى ٢٧ أبريل سنة ١٧٩٩ والمنشورة فى : La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 646.

(٤) الفرسخ : مقياس طولى يساوى أربعة كيلو مترات تقريبا.

الثوار والفرنسيين، وبدأ الأهالي في مهاجمة الفرنسيين الذين اتخذوا خطة الدفاع لقلة أعدادهم، واستمر الفرنسيون يدفعون هجمات الثوار لمدة ساعتين ويبدو أن هجوم الثوار كان عنيفا، ونجح الأهالي في الضغط على القوة الفرنسية المكلفة بالدفاع عن الباب الشمالي لمدينة المنيا، فانسحبت هذه القوة أمام هجمات الأهالي إلى داخل المدينة، ولحق بهم ديتريس، وفي نفس الوقت تمكن الثوار من اقتحام أبواب المدينة الأخرى ودخلوا المدينة، وامتلأت بهم شوارعها واستولوا على كل ما وقعت عليه أيديهم، وهنا جمع ديتريس جنوده وأمرهم بمهاجمة الثوار، وإطلاق النار عليهم، كما أرسل فصائل من جنوده لاحتلال الشوارع الرئيسية بالمدينة، وإخلاء الثوار منها وإعادة سلطة الفرنسيين عليها، ونجحت القوات الفرنسية في السيطرة على المدينة، وطرد الثوار منها بعد أن حلت بهم خسائر فادحة[1].

وفي اليوم الثالث الموافق ٢٥ أبريل، أقبل أربعمائة فارس من العرب المصريين يظاهرهم جماعة من المماليك، وهاجموا الفرنسيين وكادت تدور الدائرة على الفرنسيين لولا وصول الجنرال دافو بقواته في الوقت المناسب فهزم الثوار، وعاد الهدوء إلى المدينة من جديد بعد أن انسحب الثائرون منها تاركين خلفهم العديد من الجرحى والقتلى أما الخسائر التي لحقت بالثوار في الثلاثة أيام فلقد بلغت على حد تقدير ديتريس ٦٠ قتيلا من بينهم عشرة من المماليك، إلى جانب ما يزيد على ١٥٠ جريحا من الأهالي والمكيون، أما الخسائر التي لحقت بالفرنسيين في الثلاثة أيام أيضا فلقد بلغت كما قدرها "ديتريس بعشرة من القتلى إلى جانب ٢٧ من الجرحى[2].

ومن العرض السابق يتضح لنا أن ثورة المنيا لم تكن ثورة المدينة نفسها بل كانت ثورة القرى المجاورة للمدينة، وإذا كنا قد أطلقنا عليها ثورة المنيا، فلأن مدينة المنيا كانت هي البؤرة التي دارت فيها هذه المعارك، أما غالبية الثوار فكانوا من القرى المجاورة للمنيا، وكان معهم عربان المناطق المجاورة أيضا إلى جانب جماعة من المماليك، وجماعة من

---

(١) انظر رسالة "ديتريس" إلى الجنرال "دوجا" المؤرخة في ٢٧ أبريل سنة ١٧٩٩ المنشورة في :
La Jonquière. Op. Cit. T. 111. PP 646, 647.

(٢) انظر رسالة ديتريس إلى الجنرال دافو المؤرخة في ٢٧ أبريل سنة ١٧٩٩ المنشورة في :
La Jonquiére. Op. Cit. T. 111. P. 647.

عرب الحجاز، أما أهل مدينة المنيا فلم ينضم غالبيتهم إلى الثوار ضد الفرنسيين ويؤكد ذلك ديتريس فى رسالته إلى الجنرال دوجا حيث يقول إن حامية المنيا سلمت من القتال بفضل السلوك الهادئ لمشايخ البلد فى المنيا، والغالبية العظمى من سكانها فلو أنهم حملوا السلاح فى وجه الفرنسيين لما بقى منهم أحد(١).

وهكذا يمكن القول بأن الأقلية من سكان المنيا هم الذين انضموا إلى الثوار، بينما وقفت أغلبية السكان موقفا سلبيا فلم ينضموا إلى الثوار ضد الفرنسيين، وأدى موقفهم السلبى هذا إلى تمكن ديتريس وجنوده من القضاء على الثوار وتكبيدهم خسائر جسيمة ولكن موقفهم السلبى هذا من وجهة نظر الثوار، كان بالنسبة للفرنسيين موقفا ايجابيا يستحق سكان المنيا مكافأة علية، وبالفعل فلقد قام ديتريس بإنقاص المال المفروض على سكان مدينة المنيا فى ذلك العام بمقدار الثلث Tiers لحسن تصرفهم، وقرر ديتريس حمل هذا الثلث على ثلاث قرى من البلاد التى اشتركت فى الثورة(٢) عقابا لهم على اشتراكهم فى الثورة ضد الفرنسيين.

---

(١) La Jonquiére. Op. Cit. T. 111. P. 647

(٢) Ibid. P. 647.

الفصل الثالث

الحملة الفرنسية على الصعيد الأعلى وحركات المقاومة

الفصـــل الثالـــث

الحملـة الفرنسيــة على الصعيـد الأعلى وحركات المقاومـة

- **تمهيـــــد**
- معركــــة سمهـــود (٢٢ ينايـــر سنة ١٧٩٩)
- سير حملة الجنرال ديزيه من فرشوط حتى أسوان
- المقاومـــة فى جزيـــرة فيلـــة
- تجدد القتال بين جرجا وأسوان
- معركــــة الردسية (١١ فبراير سنة ١٧٩٩)
- معركــــة قنا (١٢-١٣ فبراير سنة ١٧٩٩)
- معركــــة أبو مناع (١٧ فبراير سنة ١٧٩٩)
- معركــــة إسنــــا (٢٥ فبراير سنة ١٧٩٩)
- معركة أبنود النيلية (٣ مارس سنة ١٧٩٩)
- معركــــة قفــط (٨ مـــارس سنة ١٧٩٩)
- معركة أبنود (٨-٩-١٠ مارس سنة ١٧٩٩)
- معركة بئـــر عنبـــر (٢ أبريل سنة ١٧٩٩)
- معركــــة أســـوان (١٦ مايو سنة ١٧٩٩)
- احتــــلال القصيـــر (٢٩ مايو سنة ١٧٩٩)

الحملة الفرنسية على الصعيد الأعلى
وحركـــات المقاومة

تمهيـــد :

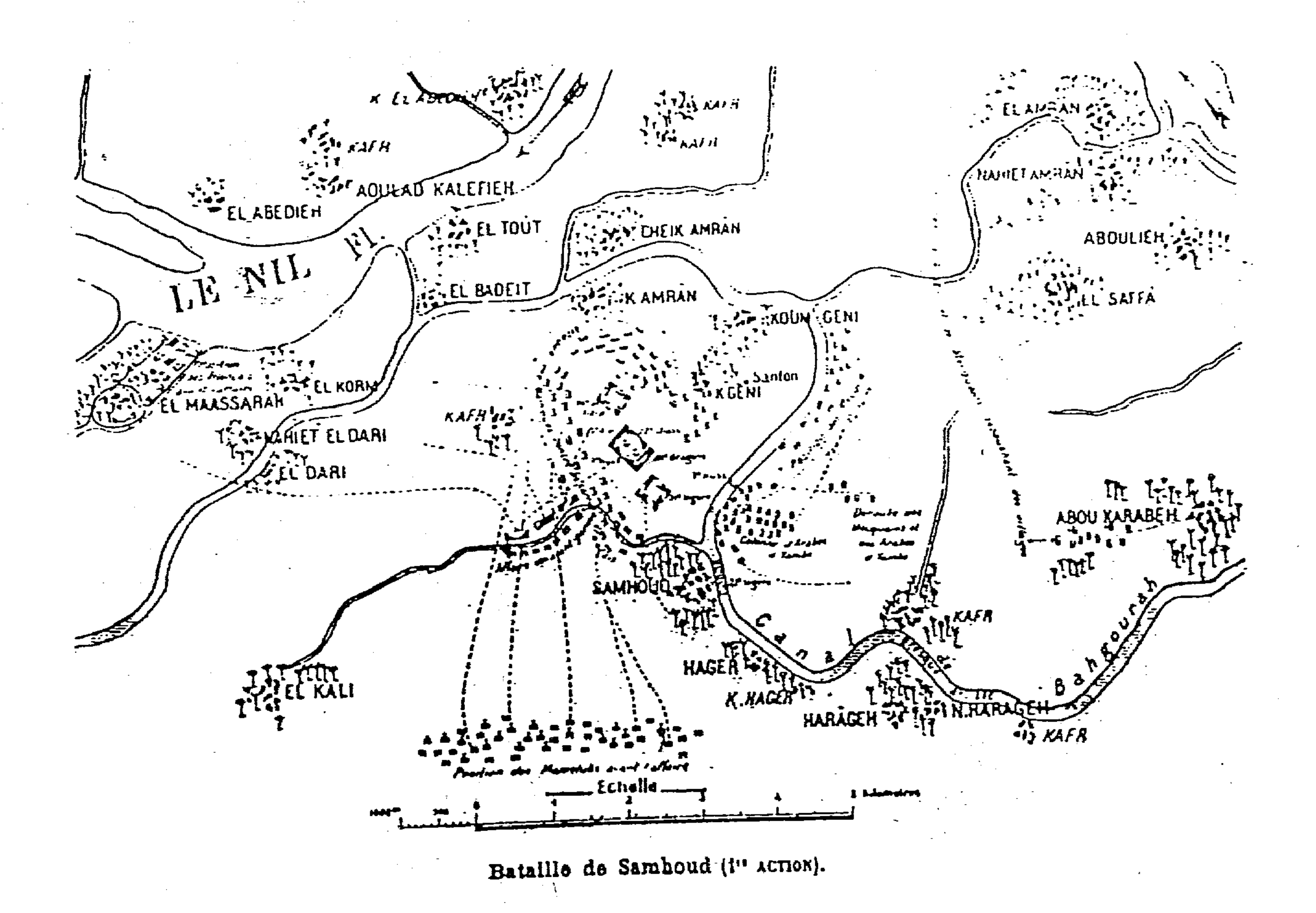
زحفت حملة الجنرال ديزيه على الصعيد الأعلى أو مصر العليا لإخضاعها للإدارة الفرنسية، ولم تكن مهمة الجنرال ديزيه سهلة، حيث اشتعلت الثورة في كل مكان، وتوالت هجمات الأهالى على القوات التى تجتاز البر وتلك التى تجتاز البحر وواجهت القوات الفرنسية فى هذا القطاع من صعيد مصر ثلاث قوات مجتمعة ممثلة فى العرب القادمين من الحجاز والمماليك والأهالى، ودارت معارك عديدة بين أهالى الصعيد وحلفائهم وبين القوات الفرنسية، وهذا ما سنتعرض له بالتفصيل من خلال عرضنا لأحداث هذا الفصل.

معركة سمهـود (٢٢ يناير سنة ١٧٩٩)

علم مراد بك بهزيمة جيشه فى طهطا، لكنه بالرغم من ذلك لم يفقد الأمل فى أن يلتقى بالفرنسيين فى موقعة حاسمة يحقق فيها انتصارا يعوضه عن هزائمه السابقة، وخصوصا بعد أن جاءته الأنباء مبشرة بصلحه مع حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن وانضمام رجالهما إليه فى معركته ضد الفرنسيين، وكذلك بمجئ قوات من الحجاز ومن عرب جدة وينبع الذين عبروا البحر الأحمر متجهين إلى ميناء القصير ومن هناك اتجهوا إلى قنا حيث انضموا إلى مراد بك لمساعدة إخوانهم المصريين فى حربهم ضد الفرنسيين، ولقد انضم إلى مراد بك جمع غفير من أهالى الصعيد الثائرين حيث ذكرت المصادر الفرنسية "أنه بسبب الكتابات المهيجة المنتشرة بواسطة المماليك كان جميع سكان مصر العليا من الشلالات إلى جرجا مجندين ومستعدين للزحف ضد الفرنسيين(١).

---

(١) Berthier, Mèmoires du marèchal Berthier Campagne d'Egypte, Ire partie paris 1827, P. 118., Bièces Diverses Relatives aux opèration militaires et politiques du gènèral Bonapart, Paris an VIII, P. 194.



Bataille de Samhoud (1re action).

La Jounquière, Tome III, P. 527 : نقلا عن

والواقع أن أهالى الصعيد لم يكونوا بحاجة إلى منشورات أو رسائل كى تحثهم على قتال الفرنسيين، فهم قد هبوا من أنفسهم للذود عن وطنهم وعن عرضهم ضد الغاصب المحتل . وهكذا تكون لدى مراد بك جيش كبير يضم ألفين من المماليك، وسبعة آلاف من الفرسان المصريين، وثلاث آلاف من المشاة المصريين، بالإضافة إلى ألفين من المشاة من عرب ينبع وجدة، أى أن قوات مراد بك بلغت ما يقرب من أربعة عشر ألف مقاتل كما قدرتها المصادر الفرنسية(١) .

وعلى الجانب الآخر فإن الجيش الفرنسى بقيادة الجنرال ديزيه كان مؤلفا من خمسة آلاف مقاتل من المشاة والفرسان، وأربعة عشر مدفعا وعمارة بحرية صغيرة فى النيل(٢) وعلم ديزيه أن قوات مراد بك مرابطة فى سمهود(٣) الواقعة على ترعة بهجورة فانتقل إليها بجيشه وهناك حدثت موقعة حامية يوم ٢٢ يناير ولكن ماذا عن أحداث هذه الموقعة؟

بدأت هذه الموقعة صباح يوم ٢٢ يناير بلقاء بين طلائع الجيشان، حيث تقابلت الفرقة السابعة من الخيالة بقيادة القومندان دوبليسى Duplessis مع طلائع الجيش المصرى التى كان يقودها عثمان بك حسن، وحدثت مناوشات بين طلائع الجيشين، انتهت بفرار مقدمة الجيش المصرى تاركة خلفها عدد من الرجال يتراوح بين أربعين وخمسين رجلا فى ميدان القتال، وفقد الفرنسيون جنديا واحدا كما أصيب اثنان من الفرنسيين بجروح فى هذه البداية الساخنة للمعركة الكبيرة كما يذكر الكابتن ديفرنوا أحد المشاركين فى أحداث هذه المعركة(٤) .

---

(١) La Jonquière, L'Expèdition d'Egypte 1798-1801, 5 Vols, Tome III, Paris 1899-1907, P 526, 528, Desirè Lacroix, Bonaparte en Egypte 1798-1799 Paris 1899. P. 358, Henry Laurens L'Expèdition D'Egypte 1798-1801, Paris 1989, P. 159.

(٢) Desırè Lacroix.Op. Cit. P. 358.

- أحمد حافظ عوض : فتح مصر الحديث أو نابليون بونابرت فى مصر . القاهرة ١٩٢٥، ص ١٨٠.

- جلال يحيى : مصر الحديثة، منشاة المعارف، الاسكندرية، دون تاريخ، ص ٤١٢.

(٣) سمهود : قرية كبيرة تقع على شاطئ النيل الغربى وتتبع حاليا مركز نجع حمادى بمحافظة قنا .

- لمزيد من التفصيل انظر : محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٥٤، القسم الثانى، الجزء الرابع، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٣، ص ١٩٧.

(٤) Memoires du Gènèral Desvernois, Publiès sous les auspices de sa nièce Mme Boussu-Desvernois D'aprės les manuscrits originaux avec une intorduction et notes par Albert Durourg. Paris 1898, P. 160.

وأثناء تلاحم مقدمات الجيشان كان الجنرال ديزيه يضع جيشه فى وضع القتال، ويعد خطته الحربية بدقة ليضمن لجيشه الفوز فى هذه المعركة الهامة، وقام ديزيه بتشكيل جيشه إلى ثلاثة مربعات متجاورة كالتالى :

١- المربع الأيمن : وينكون من جنود الفرق ٦١، ٨٨ بقيادة الجنرال فريان .

٢- المربع الأيسر : ويتكون من جنود الفرقة ٢١، بقيادة الجنرال بليار .

٣- فرقة الفرسان : فى القلب على شكل مربع بقيادة الجنرال دافو .

وروعى بالنسبة لفرقة الفرسان أن تكون فى فاصل المربعين ليكونوا فى مأمن من نيران المماليك أما المدفعية فكانت فى الجناحين الأيمن والأيسر لحماية جنود المشاة من هجمات المصريين(١) وواضح من هذا التقسيم أنه يتميز بالنظام والتخطيط الحربى الذى يتبع طرق الحرب الحديثة، بينما نجد الجيش المصرى بقيادة مراد بك بالرغم من كثرة أعداده إلا أنه كان يفتقر إلى النظام وفى هذا يذكر أحد المعاصرين الفرنسيين عن بداية المعركة بعد أن نظم الجنرال ديزيه جيشه على الطريقة السالفة الذكر فيقول "بعد أن تم استعدادنا بهذه الطريقة للقتال، هجم علينا الأعداء (يقصد الأهالى وحلفاءهم) من جميع الاتجاهات بكل قوتهم وكان بإمكاننا تمييز المماليك من هذه المجاميع غير نظامية من فخامة ملابسهم وبلمعة سيوفهم، أما الفلاحين فكانت أعدادهم لا تحصى، وبين هذه الأعداد من المحاربين ارتفعت أعلام من كل شكل ولون، وامتلأت الساحة بقعقعة السلاح وصهيل الخيل وشعرنا كما لو أن مصر بأجمعها قد اجتمعت فى "سمهود" للقضاء علينا(٢).

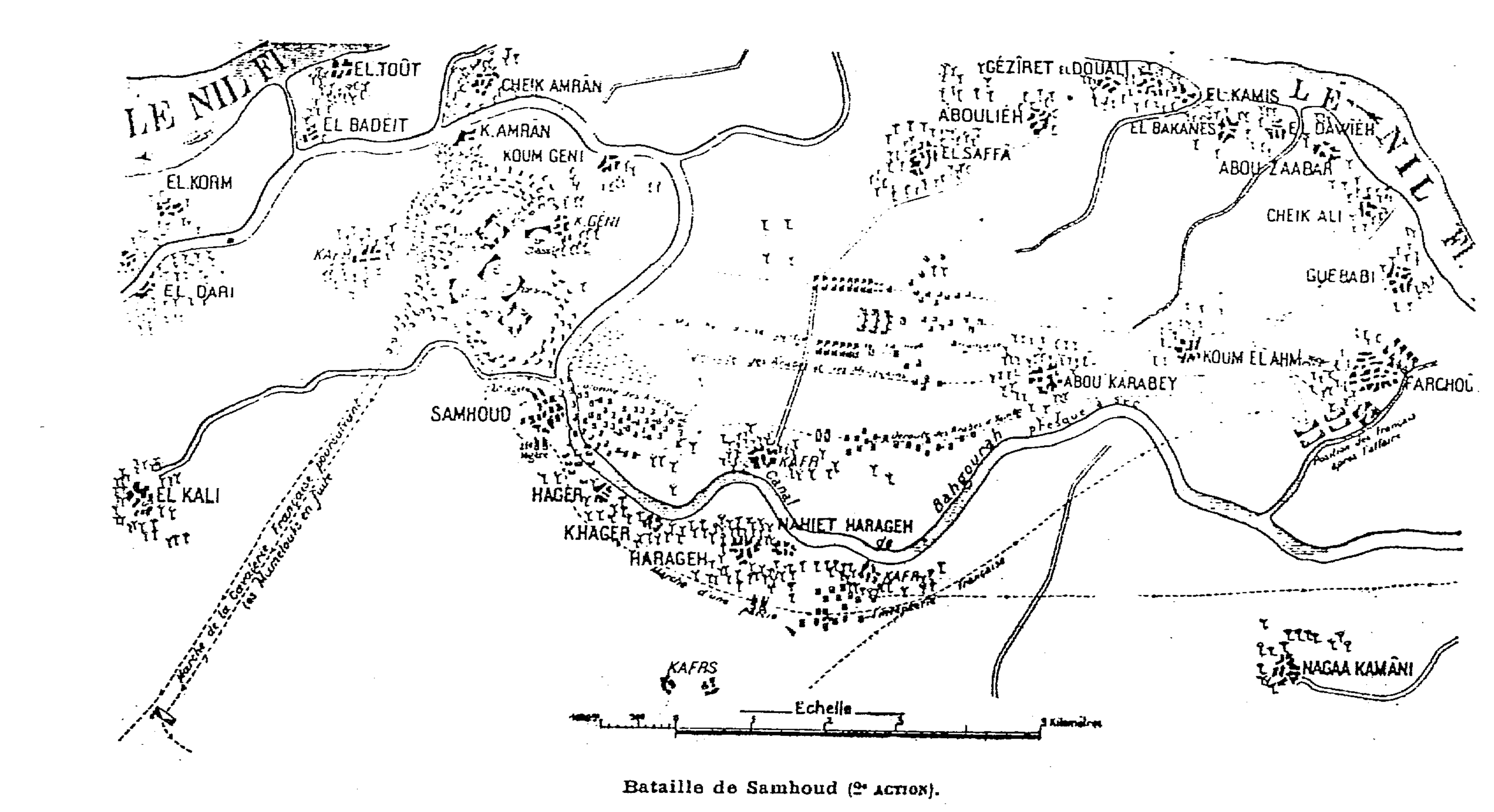
وهكذا بدأت المعركة بهجوم عام من الجيش المصرى حيث أحاط فرسانه وهم كثيرو العدد بالقوات الفرنسية من جميع الاتجاهات، وبعد ذلك ألقت جماعة من المشاة من عرب ينبع(٣) فى ترعة كبيرة

---

(١) Dominique DI Pietro, Voyage Historique en Egypte Pendant Les Campagnes des gènèraux Bonaparte, Klèber et Menou, Paris 1827, P. 115, Martin, Histoire de L'Expèdition Francaise en Egypte, 2 Vols, Tome Premiere, Paris 1815, P. 349, Pièces Diverses, Op. Cit. P. 195, Berthier, Op. Cit. P. 118.

(٢) Dominique Di Pietro. Op. Cit. P. 116.

(٣) تجدر الإشارة إلى أن المصادر الفرنسية قد اختلفت فى كون هؤلاء الجماعة من عرب ينبع أم من عرب مكة فمن المصادر التى ذكرت أن هؤلاء الجماعة من عرب ينبع نذكر على سبيل المثال =



Bataille de Samhoud (2e action).

La Jonquière, Tome III, P. 529. : نقلا عن

وعميقة(١) ثم بدءوا فى مهاجمة الجناح الأيسر للجيش الفرنسى بنيرانهم فاضطر الجنرال ديزيه إزاء هذا الهجوم الذى بدأ يزعج الجناح الأيسر لجيشه إلى أن يأمر مساعديه راب وسافارى Rapp et Savary بأن يضعوا أنفسهم على رأس كوكبة من الفرقة السابعة من الفرسان للإجهاز عليهم من أحد الأجنحة، وفى نفس الوقت أمر ديزيه فرقة حملة القرابينات الحادية والعشرين تحت قيادة الكابتن كليمان Clèment أن تتقدم على شكل طابور إلى القناة لحصار هؤلاء العرب من الجانب الآخر من القناة، ولقد نفذت أوامر الجنرال ديزيه بكل شجاعة ودقة، وانتهت هذه العملية بهزيمة عرب ينبع ومكة، وفروا من ميدان المعركة تاركين خلفهم خمسة عشر قتيلا وحاملين معهم عددا كبيرا من الجرحى، أما خسائر الفرنسيين فى هذه الجولة من المعركة فإنها بلغت قتيلا واحدا من فرقة حملة القرابينات، حيث قتل بطعنة خنجر عندما حاول نزع الأعلام الخاصة بعرب مكة، وكان هناك عدد من الجرحى من الفرنسيين منهم الكابتن ديفرنوا وراب مساعدا الجنرال ديزيه وبعض الجنود

Berthier. Op. Cit. P. 118, Pièces Diverses. Op. Cit. P. 195.

أما المصادر التى ذكرت أنهم من أهل مكة فهى :

Dominique DI Pietro. Op. Cit. P. 117, Martin. Op. Cit. T. 1. P. 349.

والواقع أن أفراد هذه الجماعة لم يكونوا جميعا من عرب ينبع فقط أو من أهل مكة فقط بل كانت تضم أفواجا من ينبع ومكة والمدينة والطائف وجدة وغيرها من عرب شبه الجزية العربية الذين ركبوا البحر إلى القصير وانضموا إلى المصريين والمماليك فى صعيد مصرن وكان هؤلاء العرب خصوما أشداء للفرنسيين فى الصعيد، لمزيد من التفصيل عن أعداد هؤلاء العرب والأماكن التى قدموا منها انظر :

- عبد الرحمن الجبرتى : تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ، الجزء الثانى، حوادث شهر شعبان سنة ١٢١٣هـ، ص ٢٥٠،
- لطف الله بن أحمد جحاف : نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر : نصوص مختارة من المخطوطة اليمنية "درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور عليّ ورجال دولته الميامين ١١٨٩-١٢٢٤هـ - ١٧٧٥-١٨٠٩م، نشر وتحقيق : سيد مصطفى سالم، القاهرة ١٩٧٥، ص ٩٦-٩٩ .
- نقولا ترك : مذكرات نقولا ترك : نشرها وترجمها وعلق عليها جاستون فييت، مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٠، ص ص ٣٢، ٣٣.

(١) كانت هذه الترعة جافة فى هذا الوقت من السنة وكانت تقع فى الوسط ما بين المربع الأيسر للفرنسيين وقرية سمهود .

الآخرين من فرقة الفرسان، ولقد انتهت هذه العملية لصالح الفرنسيين بسقوط سمهود في قبضة الفرنسيين، وأصبحت لهم السيادة عليها(١).

ولم تنته المعركة عند هذا الحد ولم ييأس الجانب المصرى، بل حاول استرداد سمهود، وتقدمت أعداد كبيرة من المماليك يعاونها عرب ينبع وهم يرددون أصواتا عالية وصيحات مدوية ومرعبة أزعجت الجانب الفرنسى، وتقدموا تجاه سمهود فى محاولة لاستردادها من أيدى الفرنسيين، ولكن بمجرد أن حاول طابور من عرب ينبع التقدم لدخول سمهود، تصدت لهم فرقة حملة القرابينات الحادية والعشرين، وأطلقت عليهم نيرانها الحامية والكثيفة، وعندئذ اضطر عرب ينبع إلى الانسحاب بعد إصابتهم بخسائر فادحة(٢).

وفى نفس الوقت انقض المماليك على المربع الذى كان يقوده الجنرال فريان، بينما اتجهت عدة طوابير من مشاة الجيش المصرى تهاجم المربع الذى كان يقوده الجنرال بليار، وهكذا قامت القوات المصرية بقيادة المماليك بمحاصرة المربع لأيمن والمربع الأيسر للجيش الفرنسى، ولكن الفرنسيين استطاعوا فك هذا الحصار بعد أن انضمت المدفعية الخفيفة إلى جنود المشاة الفرنسيين، وقامت القوات الفرنسية بفتح نيران مدفعيتها المدوية على القوات المصرية، فاضطروا إلى التقهقر تاركين أرض المعركة مغطاه بعدد كبير من القتلى والجرحى.

وفى هذه اللحظة أصدر الجنرال ديزيه أمره إلى الجنرال دافو بالهجوم على جيش المماليك الذى يقوده مراد بك وحسن بك اللذان كانا يريدان الاحتفاظ بموضعهما، واندفع الجنرال دافو ورجاله فى هجوم كاسح على قوات المماليك فاضطر مراد بك إلى اصدار تعليماته لجنوده ببدء التراجع والانسحاب من أرض المعركة وقامت القوات الفرنسية

---

(١) Pièces Diverses. Op. Cit. PP. 195, 196. Berthier, Op, Cit. PP. 118, 119, Mèmoires sur L'Egypte publiès pendant les campagnes du gènèral Bonaparte dans les annèes VI, et VII, Avec La relation de ses campagnes en Egypte et syrie, seconde partie, paris, Fructidor an IX, P. 90. Dèsirè lacroix. Op. Cit. PP 358, 359.

(٢) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 196, Dèsirè Lacroix. Op. Cit. P. 359.

بمطاردة المماليك لمدة أربع ساعات، ولم تتوقف إلا فى فرشوط حيث وجدوا كثيرا من قتلى المماليك متأثرى بجراحهم(١).

وبلغت خسائر الجيش المصرى فى هذه المعركة حسبما قدرتها المصادر الفرنسيه بأكثر من ٢٥٠ رجل من القتلى منهم ١٠٠ من عرب ينبع، هذا إلى جانب عدد كبير من الجرحى أما خسائر الفرنسيين فلقد بلغت أربعة من القتلى وبعض الجرحى(٢).

وإذا كانت هذه المعركة قد انتهت بانتصار الفرنسيين بالرغم من قلة أعدادهم عن جيش مراد بك، فإن ذلك يرجع إلى كفاءة الجيش الفرنسى وما يملكه من أسلحة متطورة عن أسلحة المماليك، وفى ذلك يذكر الجنرال برتييه أن نجاح هذه المعركة كان راجعا خاصة إلى المدفعية الخفيفة التى كان يقودها قائد الفرقة لاتورنيرى Latournerie وهو ضابط جدير بالاحترام(٣).

وعلى كل حال فلقد انتهت هذه المعركة بانتصار الفرنسيين وهزيمة مراد بك وانسحابه جنوبا، وإذا كان لهذا الانتصار من نتائج فإنه فتح الطريق أمام الجيش الفرنسى لمواصلة زحفه جنوبا دون أن تعترضه عقبات لها قيمتها(٤). وإن كان البعض من المعاصرين الفرنسيين قد غالى فى تقدير النتائج التى ترتبت على هذه الانتصار حيث ذكر الجنرال ديفرنوا أن هذا النصر كانت له نتائج عديدة، فقد أثار الرعب فى قلوب حلفاء مراد، وجعل للفرنسيين مهابة فى الصعيد والجزيرة العربية والنوبة وأثيوبيا(٥) وإذا كان هذا الرأى مغالى فيه فإن هناك من المعاصرين الفرنسيين من ذكر أنهم (لو كانوا فى أوروبا لكانت

---

(١) Mèmoires sur L'Egypte. op. Cit. PP. 90, 91, Pièces Diverses. Op. Cit. PP 196, 197.

(٢) Berthier. Op. Cit. P. 120, Mèmoires sur L'Egypte. Op. Cit. P. 91, Pièces Diverses. Op. Cit. P. 197.

(٣) Berthier, Op. Cit. P. 120.

(٤) جلال يحيى : المرجع السابق، ص ٤١٢.

(٥) Memoires du Gènèral Desvernois. Op. Cit. P. 163.

موقعة سمهود قد أعطتهم السيطرة على الصعيد كله، ولكن مراد بك لم يستطع تقبل فكرة تفوق الفرنسيين، وبالرغم من معرفته بقوتهم، وعدم وجود الإمكانات لديه إلا أن شجاعة هذا الرجل وقوة شخصيته وتفاؤله لم يمسوا)[١]٠

ولكن أهم النتائج التى ترتبت على هذه المعركة تتلخص فى أن مراد بك قد غير خطته الحربية بعد هذه المعركة ويذكر المؤرخ الفرنسى المعاصر دومينيك دى بييترو أن مراد بك قرر بعد معركة سمهود أن ينهك قوانا فى تحركات طويلة ومرهقة وهذا الأسلوب قد سلبنا ثمار انتصار سمهود فاضطررنا للعدو خلف عدو لا يتركنا نقترب منه إلا عندما تسمح له ظروفه بالقتال[٢]٠ وهكذا أدت هذه المعركة إلى تغيير مسار الحرب فى الصعيد، وجعلت كلا الطرفين المتحاربين يغيران من خططهما الحربية طبقا لظروف كل منهما٠

ويمكن القول بأن معركة "سمهود" يمكن إضافتها إلى معركة "سدمنت" ومعركة "إمبابة" بصفتها من المعارك الفاصلة، والتى تستحق هذا الاسم فى تاريخ مصر الحربى فى عهد الحملة الفرنسية٠

سير حملة الجنرال ديزيه من فرشوط حتى أسوان

فر مراد بك جنوبا بعد هزيمته فى سمهود، وقامت القوات الفرنسية بمطاردته حتى وصلت إلى فرشوط، ثم تابعت سيرها حتى وصلت إلى هو[٣] ثم الوقف[٤] التى وصلتها يوم ٢٣ يناير سنة ١٧٩٩، وبلغت دندرة[٥] يوم ٢٤ يناير، ثم واصلت القوات الفرنسية

---

(١) Martin. Op. Cit. T. 1. P. 351.

(٢) Dominique DI Pietro. Op. Cit. P. 120.

(٣) تتبع مركز نجع حمادى بمحافظة قنا٠ لمزيد من التفصيل انظر : - محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٤، ص١٩٩.

(٤) من بلاد مركز دشنا بمحافظة قنا، انظر : - محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٤، ص ١٧٢ .

(٥) تتبع حاليا مركز قنا بمحافظة قنا٠ لمزيد من التفصيل٠ - انظر : محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٤، ص ١٧٦.

سيرها جنوبا وعسكرت من ٢٥ إلى ٢٦ يناير فى دنفيق(١) ثم وصلت إلى طيبة مدينة المائة باب(٢).

ولاشك فى أن هذا السير المتواصل للقوات الفرنسية قد أصاب رجالها بحالة نفسية سيئة، ولكن كانت مشاهدة آثار البلدان التى يمرون بها كفيلة بإزالة المتاعب التى يحسون بها، فلقد توقفت القوات الفرنسية عند آثار دندرة مبهورين بها وبعظمتها(٣)، ثم توقفوا عند طيبة للاستمتاع بآثارها الخالدة، وفى ذلك يقول ديفرنوا منظر الآثار المهيب، وهذه المعابد الضخمة التى لها مكانة هامة فى تاريخ الإنسانية، أجبرت الجنود الفرنسيين على التصفيق بشدة، ودون أن يصدر أمر للجنود وقفوا فى طوابيرهم وأدوا التحية العسكرية على قرع الطبول وعزف الموسيقى(٤).

وغادر الجيش الفرنسى طيبة، وأسرع يتعقب المماليك فوصل إلى أرمنت(٥) يوم ٢٦ يناير ثم غادرها فى اليوم التالى مواصلا زحفه جنوبا حتى إسنا(٦)، التى وصلها يوم ٢٨ يناير سنة ١٧٩٩، وكان مراد بك وقواته قد غادروها فى الليلة السابقة لوصول الفرنسيين إليها(٧).

وتجدر الإشارة إلى أنه قد حدثت تغيرات فى القوات المصرية قبل أن تصل إلى اسنا أدت إلى قلة أعداد جنود مراد بك، وهى انفصال متطوعو مكة عن مراد بك بعد موقعة سمهود واختفاؤهم فى ريف قنا على الضفة اليمنى من النيل، ثم جاءت ظروف أخرى لتقلل من عدد جنود مراد بك حيث انفصل عنه بعض البكوات واتجه بعضهم إلى الضفة اليمنى

---

(١) تتبع مركز قوص بمحافظة قنا، - انظر : محمد رمزى المرجع السابق، جـ٤، ص ١٨٦.

(٢) Louis Reybaud, Histoire Scientifique et militaire de L'expèdition framcaise en Egypte. Tome IV, Paris 1830-1836, PP. 377, 384.

(٣) Dominique DI Pietro. Op. Cit. PP. 121, 122.

(٤) Mèmoires du Gènèral Desvernois. Op. Cit. P. 164.

(٥) من بلاد مركز الأقصر بمحافظة قنا، انظر : محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٤، ص ١٦٠.

(٦) هى قاعدة مركز إسنا بمحافظة قنا وهى من المدن القديمة وتقع على الضفة اليسرى من النيل، انظر محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٤، ص ص ١٥١، ١٥٢.

(٧) Louis Reybaud. Op. Cit. T, IV, P. 419-428.

والبعض الآخر اتجه إلى أسيوط، ولكن بقى العدد الأكبر مع مراد بك متجهين فى طريقهم إلى الشلالات(١).

وأدت هذه التغيرات فى الجيش المصرى إلى تغيرات مماثلة فى الجيش الفرنسى، فلقد تلقى الجنرال فريان الأمر بالتوقف فى إسنا على رأس فرقتين، وأن يترك بعض الجنود لحماية هذه المدينة، ثم يتجه لمحاربة المكيين والمماليك الذين عبروا للجهة اليمنى، بينما احتفظ ديزيه ببقية الجيش لمحاربة مراد بك(٢).

ثم سار ديزيه بقواته من "إسنا"، واتجه جنوبا حتى وصل إلى إدفو(٣) يوم ٢٩ يناير(٤)، وزحفت القوات الفرنسية بعد ذلك زحفا سريعا نحو أسوان، فى محاولة منها للحاق بمراد بك والقضاء على قواته، وأحس الجنود الفرنسيون بالإرهاق الشديد بعد إدفو، لأن الضفة الغربية كانت قد غدت بعد إدفو أميل إلى الجدب والإقفار(٥). وبالرغم من ذلك فلقد واصلت القوات الفرنسية زحفها جنوبا حتى وصلت تجاه أسوان فى اليوم الأول من شهر فبراير سنة ١٧٩٩(٦).

واجتاز الفرنسيون النيل ووصلوا إلى البر الشرقى حيث توجد أسوان على الضفة اليمنى للنيل فاحتلوها وبذلك تم للجيش الفرنسى احتلال الصعيد بأكمله، وبالرغم من ذلك فإن حملة الجنرال ديزيه لم تحقق هدفها وهو القضاء على مراد بك وقواته، لأن فلول المماليك بزعامة مراد بك وحسن بك وسليمان بك، وثمانية بكوات آخرون لما رآوا أنهم مطاردون

---

(١) Dominique DI Pietro. Op. Cit. PP. 124, 125.

(٢) Ibid. P. 125.

(٣) هى قاعدة مركز إدفو بمحافظة أسوان. لمزيد من التفصيل انظر : - محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٤، ص ص ٢١١، ٢١٢.

(٤) Vivant Denon, Voyage dans La Basse et La Haute Egypte Pendant Les Campagne du gènèral Bonaparte, Tome Second, Quatrieme Édition, Paris 1803, P. 45.

(٥) آلان مورهيد : النيل الأزرق، ترجمة نظمى لوقا، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦، ص ١٦٦.

(٦) Berthier. Op. Cit. P. 121.

بعنف لا يترك لهم أية حيلة، وأن مماليكهم منهكين من التعب، وليس فى إمكانهم القتال، وأن عدد الفارين منهم يزداد يوما بعد يوم، وأنهم فقدوا كثيرا من الجياد وكمية كبيرة من معداتهم، وأنه ليس لديهم أى أمل فى التوقف من ناحية الفرنسيين، اتخذوا قرارا بالاندفاع إلى بلدة إبريم(١) أعلى الشلالات، وعلى مسافة أربعة أيام من أسوان(٢).

وفى يوم ٢ فبراير سار الجنرال ديزيه نحو جزيرة فيلة ووجد الفرنسيون بقرب شلالات النيل نحو خمسين مركبا محملة بالأمتعة تركها المماليك خلفهم أثناء فرارهم فاغتنمها الفرنسيون، ولم يستطع ديزيه دخول جزية فيلة فى ذلك الوقت، وترك للجنرال بليار مهمة الاستيلاء عليها فيما بعد(٣).

واستراح الفرنسيون لهذه النتيجة وهللوا طربا، وحفروا لوحة تذكارية فخمة على الجرانيت أقاموها تخليدا لانتصاراتهم على طول مجرى النهر، ووضعوا العلم الفرنسى على أعلى صخرة فى الشلالات وأطلقوا الرصاص فى الهواء تعبيرا عن فرحتهم باكتمال احتلالهم للصعيد مشبهين أنفسهم بالرومان الذين امتلكوا مصر من أقصاها إلى أقصاها(٤).

وبالرغم من ذلك فإن انسحاب فلول المماليك بزعامة مراد بك إلى ما وراء الشلال كان يزيد من قلق الفرنسيين رغم احتلالهم للصعيد، لهذا نجد الجنرال ديزيه قبل أن يغادر أسوان قد ترك فيها الجنرال بليار مع الفرقة الحادية والعشرين الخفيفة(٥) ليمنع عودة المماليك من وراء الشلال ويضطرهم إلى البقاء فى بلاد النوبة حيث يتسرب اليأس إلى نفوسهم فى تلك البلاد النائية فظل بليار يرقب حركاتهم، وبقيت فلول المماليك فى حالة ضنك شديد مشتتين بالقرب من النيل قريبا من الدر وإبريم وعلى بعد نحو مائتى كيلو متر من

---

(١) تتبع مركز عنيبة بمحافظة أسوان، لمزيد من التفصيل انظر : محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٤، ص ٢٣٠.

(٢) Pièces Diverses.Op. Cit. P. 198, Bertheir, Op. Cit. P. 121.

(٣) Ibid. P. 198.

(٤) Mèmoires du Gènèral Desvernois. Op. Cit. P. 165.

(٥) Berthier. Op Cit. P. 121.

جنوب أسوان[1] ولم يطل مكث الجنرال ديزيه بأسوان أكثر من يومين، ففى ٤ فبراير سنة ١٧٩٩ رحل ديزيه من أسوان ببقية جيشه فى طريقه إلى إسنا التى وصلها يوم ٩ فبراير[2]، وعزم على اتخاذها مؤقتا معسكرا لجيشه، وبينما كان ديزيه فى إسنا يرقب منها حالة الوجه القبلى كان الجنرال "بليار" يستخدم الجواسيس بسخاء فأنباؤه أن المماليك الموجودين جنوبى مدار السرطان يتضررون جوعا لأنهم أتوا على كل شئ استطاعوا ابتزازه من الأهالى السودانيين، وأنهم فى بأسهم موشكون على الرجوع واستئناف الهجوم[3].

وسرعان ما انتشرت الأنباء عن اقتراب مراد بك من أسون بفرقة استطلاع، فذهب بليار لمطاردتهم مع كتيبة من جنوده، وتعقبهم حتى انسحبوا جنوب دهميت[4]، وأوغلوا ثانية فى بلاد النوبة، ورأى الجنرال بليار أن يحول دون رجوعهم بتخريب تلك المنطقة لكيلا يستطيع المماليك أن يقيموا بها ويتخذوها مركزا لمناوشة الفرنسيين، وحتى يحرمهم من الحصول على مزيد من الأغذية، فإنه أمر بإتلاف مزروعاتها والاستيلاء على ما فيها من الماشية واعتزم أيضا احتلال جزيرة فيلة والجزر الواقعة فى شلال أسوان ليأمن على سلامة الجيش الفرنسى[5].

المقاومة فى جزيرة فيلة

فى السادس من فبراير سنة ١٧٩٩ توجه بليار ومعه كتيبة من جنوده قاصداً جزيرة فيلة، ولما وصلوا تجاه الجزيرة وأرادوا أن يعبروا النيل إليها على مراكب الأهالى، رفض

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر، جـ١، ط٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١، ص ٣٦٦ .

(٢) Piéces Diverses. Op. Cit. P. 199.

(٣) كرستوفر هيرولد : بونابرت فى مصر : ترجمة فؤاد أندراوس مراجعة محمد أحمد أنيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦، ص ص ٢٦٦، ٢٦٧ .

(٤) تتبع حاليا مركز أسوان ويسميها العامة "دمهيت" لمزيد من التفصيل، انظر: محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٤، ص ٢٢٧ .

(٥) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٦٦، كرستوفر هيرولد : المرجع السابق، ص ٢٦٧ .

الأهالى جميعهم بكل شجاعة أن يسلموا للفرنسيين أى مركب من مراكبهم، فما كان من بليار إلا أن عاد بجنوده إلى أسوان(١).

ولكن فكرة احتلال جزيرة فيلة كانت قد اختمرت فى ذهن الجنرال بليار، فحاول فى الأيام التالية أن يحقق هدفه بالاستيلاء عليها، وكان قد فكر فى أكثر من وسيلة ليعبر عليها هو وجنوده نهر النيل إلى جزيرة فيلة، ولكنه وجد مقاومة شديدة من النوبيين فى جزيرة فيلة، حيث كانوا مصممين على الدفاع عن عائلاتهم ضد الفرنسيين، ولم تتوقف مقاومتهم إلا عندما تم الاستيلاء على الموقع عنوة، ووصف الجنرال بليار فى يومياته هذه المقاومة فقال "حمل الأهالى أسلحتهم وصاحوا صيحات القتال، وخرجت النساء ينشدن أناشيد الحرب، ويقذفن التراب فى وجوهنا، أما الرجال فأطلقوا الرصاص على رجالنا الذين ركبوا البحر، وكنت قد أحضرت معى مدفعا لإرهابهم Pour les intimider فدعوتهم إلى الصلح والسلام، فكان جوابهم، أنهم لا يقبلون منا كلاما، وأنهم لا يفرون أمامنا كما يفر المماليك وأستأنفوا اطلاق الرصاص، فجرح ثلاثة من رجالنا، وفى المساء حاولنا أن نتخذ من جذوع النخل وسيلة لعبور الجنود إلى الجزيرة، وعندما قمنا بتنفيذ ذلك فى الرابعة صباحا غمرت المياه جذوع النخل، فاضطررنا أن نؤجل احتلال الجزيرة، ومكثت الجنود ترابط يوم ١٩ فبراير على شاطئ النهر تجاه الجزيرة، واستجلبت من أسوان بعض ألواح الخشب des bois للعبور عليها"(٢).

وفى اليوم التالى الموافق ٢٠ فبراير سنة ١٧٩٩ نجح الجنرال بليار وجنوده فى الوصول إلى الجزيرة، فقابلهم الفلاحون بإطلاق نيران بنادقهم عليهم، ولكن لم تحدث إصابة فى الجانب الفرنسى، وهجم الفرنسيون على الأهالي الذين فروا أمام الفرنسيين تاركين مواشيهم ومؤونتهم وقام الفرنسيون باحتلال الجزيرة(٣).

ويستطرد الجنرال بليار مشيرا إلى ما حدث بعد ذلك من احتلال الفرنسيين للجزر الأخرى المجاورة لجزيرة فيلة وعن الخسائر التى لحقت بالأهالى والغنائم التى استولى

---

(١) La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 546.

(٢) نقلا عن : La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 547.

(٣) Ibid. T. 111. P. 547.

عليها جنوده فيقول "وفى يوم ٢١ فبراير احتللنا الجزر الأخرى المجاورة لجزيرة فيلة، والتى اشترك أهلها فى الثورة وفى المساء عاد الجنود وبقيت فصيلة منهم لتستولى على ما فى أحد المخازن الضخمة من التمر، وكانت نتيجة أحداث هذين اليومين أن قتل من الأهالى إحدى وثلاثون رجلا، واستولينا على ٢٠٠ بندقية و٢٠٠ من الطبنجات والسيوف وكميات كبيرة من التمر واللحم"(١).

وهكذا نجح الفرنسيون فى إنزال الهزيمة بأهالى جزيرة فيلة والجزر المجاور لها، ولكن هناك حقيقة يجب أن نذكرها وهى أن الأهالى لم يستسلموا إلا أمام قوة مدافع ونيران الفرنسيين التى فتكت بالكثيرين منهم، وواضح مما ذكره الجنرال بليار ما حاق بالأهالى من خسائر فى الأرواح والسلاح والأقوات على يد الفرنسيين الذين انتقموا من الأهالى شر انتقام نتيجة لموقفهم البطولى منذ أن رفضوا التعاون مع الجنرال بليار وإمداده بالمراكب التى تنقل جنوده إلى الجزيرة، وإطلاقهم رصاصات بنادقهم على الفرنسيين وعدم استجابتهم لدعوة بليار لهم بالصلح والاستسلام، وما كان ذلك إلا لأن النوبيين ينفرون ويمقتون الأجانب(٢) Le etrangers . لذلك نجدهم قد دافعوا عن أرضهم وعرضهم بكل ما يملكون من قوة ضد الغاصب الفرنسى.

تجدد القتال بين جرجا وأسوان

عندما هرب مراد بك إلى بلاد النوبة، لم يكن ذلك معناه تركه للسلاح إلى الأبد، فهو لم يستسلم للفرنسيين إلا فترة بسيطة، وذلك لأن موقعة خلف الشلال كان سيؤدى لموته جوعا إن آجلا أو عاجلا، يضاف إلى ذلك أنه كان من الصعب على مراد بك أن يتقبل فكرة طرده من الدولة التى حكمها كل هذه السنوات، لذلك قرر أن يعاود القتال عندما تتيسر له الظروف، وخلال ذلك أرسل مماليكه فى كل مكان وعندما نفدت منه المؤن فى الجنوب، عاد

---

(١) La Jonquière. Op. Cit T, 111. P. 547.

(٢) Costaz, Mèmoire sur La nubie et les barabras, in Description de L'Egypte. Seconde Édition Etat Moderne. Tome 12, Paris 1823. P. 255.

إلى مصر عن طريق الصحراء الغربية بدون أى علم من الجنرال بليار، ثم واصل مراد ومن معه من المماليك مسيرتهم حتى وصلوا إلى قلب الصعيد(١).

وأحس الجنرال بليار بأن وجوده فى أسوان بلا فائدة لأنه ترك مراد بك يفر منه، لذلك قرر أن يترك موقعه ليلحق بمراد بك أو ليتجنب على الأقل قطع مراد بك للاتصال بينه وبين ديزيه، ولكن مراد بك كان أسرع من بليار، فعبر الصحراء بمن معه من المماليك حتى وصلوا إلى جرجا(٢)، واعتزموا مهاجمة الجيش الفرنسى هناك وتهديد المواصلات بين كتائب الجيش الفرنسى فيما بين أسيوط وأسوان، وهكذا يتضح أن وصول الفرنسيين إلى أسوان لم يكن له ضرورة أو داع، اللهم إلا فرحة الجند برؤيتهم طيبة(٣).

ووصل بليار إلى إسنا يوم ٢٨ فبراير سنة ١٧٩٩ وهناك تلقى تعليمات ديزيه لمواجهة هذه الحركة الهجومية التى قام بها المماليك(٤). وعلم ديزيه وهو فى إسنا أن جماعات من عرب الحجاز جاءوا لنجدة المصريين، وأنهم ينوون احتلال قنا لقطع مواصلات الجيش الفرنسى، وأن عثمان بك حسن وحسن بك الجداوى ورجالهما تحركوا بالبر الشرقى قبالة إدفو، فعهد إلى الجنرال فريان احتلال قنا، وذلك لكى يحول بين العرب واتصالهم بالنيل، كما أرسل فى نفس الوقت الجنرال دافو للتصدى لقوات عثمان بك حسن، وحسن بك الجداوى تجاه إدفو(٥).

---

(١) Dominique DI Pietro. Op. Cit. PP. 133, 134.

(٢) Ibid. P. 135.

(٣) كرستوفر هيرولد : المرجع السابق، ص ٢٦٧.

(٤) La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 549.

(٥) مرسى أحمد ابراهيم : اسوان وعلاقاتها مع جنوب الوادى فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ١٧٩٨-١٨٣٩م/١٢١٢-١٢٥٥هـ، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ بآداب المنيا عام ١٩٨٢، ص ٤٦ .

معركة الردسية (١١ فبراير ١٧٩٩)

أرسل الجنرال ديزيه الجنرال دافو لمطاردة عثمان بك حسن وقواته، فالتقى بهم الجنرال دافو يوم ١١ فبراير بالردسية(١)، وكانت قوات الجنرال دافو تتكون من جنود الفرقة ٢٢ من القناصة والفرقة ١٥ من الجنود الخيالة. وشكل الجنرال دافو فرسانه فى صفين ثم تقدم بسرعة نحو المماليك الذين تظاهروا فى البداية بالانسحاب، ثم غيروا موقفهم فجأة وشنوا هجوما عنيفا على الفرقة الخامسة عشرة من جنود الخيالة والتى سرعان ما ردت بنيرانها على المماليك، وأسفرت نتيجة الجولة الأولى من المعركة عن قتل الكثيرين من المماليك والفرنسيين فى ساحة المعركة وكان من بينهم قائد الفرقة فونتيت Fontète الذى قتل بطعنة سيف وجرح عثمان بك حسن جرحا خطيرا(٢). وفى الجولة الثانية من معركة الردسية(٣) انقضت الفرقة ٢٢ للقناصة على المماليك، وقد تقاتلوا مجابهة، وبالرغم من تفوق المماليك فى العدد والسلاح إلا أنهم اضطروا إلى ترك ساحة القتال وتخلف فيها

---

(١) بلدة واقعة بالبر الشرقى للنيل جنوبى إدفو الواقعة على البر الغربى، وهى تتبع حاليا مركز ادفو بمحافظة أسوان.

(٢) Berthier. Op. Cit. P. 123.

(٣) نود أن نشير إلى أن بعض المصادر الفرنسية قد اختلفت فى اليوم الذى وقعت فيه هذه المعركة والمكان الذى حدثت فيه، فلقد سماها الجنرال ديزيه فى تقريره إلى نابليون بمعركة طيبة Combat de Thèbès انظر : Pièces Diverses. Op. Cit. PP. 200, 201. ويسميها أيضا مارتان معركة طيبة، انظر : Martin. Op. Cit. T. 1, PP. 353, 354. أما ريبو فيسميها معركة الأقصر Combat de Louqsor ويذكر أنها وقعت يوم ١٢ فبراير. انظر :

Louis Reybaud, Histoire Scientifique et Militaire de L'Expèdition francaise en Egypte. Tome. V. Paris, 1830; 1836. P. 58-61.

ولكن بعد رجوعنا إلى بيانات الجنرال دافو الذى قاد المعركة تبين لنا أن المعركة وقعت بالردسية يوم ١١ فبراير، لمزيد من التفصيل حول بيانات الجنرال دافو انظر :

La Jonquière. Op.Cit. T. 111. PP. 557; 558

ولعل مرجع التباين والاختلاف فى تسمية هذه المعركة أنه لم يكن يوجد فى ذلك الوقت المبكر خرائط تفصيلية توضح هذه البلدان بل كان الاعتماد فى ذلك على ما يتردد بألسنة أهالى هذه المناطق ومهما يكن من أمر فإن الفيصل فى هذا كله ما يرويه قائد تلك المعركة، حيث أنه شاهد عيان وكذلك الحال بالنسبة لتاريخ بدء هذه المعركة.

عددا كبيرا من ذويهم وعددا من الكشاف قتلى، ثم أسرعوا للحاق بجمالهم التى استمرت أثناء المعركة فى السير فى الصحراء(١).

أما عن الخسائر التى لحقت بالمماليك فى هذه المعركة فلقد بلغت كما قدرتها المصادر الفرنسية ٣٧ مملوكا بالاضافة إلى أربعة من الكشاف، أما عدد الجرحى من المماليك فلقد بلغ ٥١ جريحا من بينهم عثمان بك(٢). أما خسائر الفرنسيين فقد بلغت ٣٧ قتيلا و ٤٤ جريحا(٣).

وانتهت المعركة بانسحاب قوات المماليك بقيادة عثمان بك إلى قلب الصحراء على طريق القصير، ولم يتمكن أحد الفريقين فى هذه المعركة من الانتصار على الفريق الآخر وإن كان من الممكن أن يتحقق الفوز للمماليك لولا حرصهم على الاحتفاظ بالقافلة الكبيرة من المؤن والتى كانت معهم وخشيتهم من أن تقع فى أيدى الفرنسيين، ولذلك كان هدفهم الوحيد فى هذه المعركة هو إنقاذ هذه القافلة من أن تقع فى أيدى الفرنسيين، لذلك عندما حصل عثمان بك على هدفه، وضمن سلامة المؤن ترك ميدان القتال للحاق بجماله التى قادها فى الصحراء على طريق القصير(٤).

واعتقد الجنرال ديزيه أن عثمان بك لن يستقر به الحال طويلا فى هذه المنطقة، وأنه سيتجه إلى الضفة اليسرى إلى قرية يسيطر عليها بالقرب من ادفو وبناء على ذلك أرسل ديزيه إلى هذه القرية فرقة مكونة من ١٦٠ رجلا من الصف ٢١ الخفيف بقيادة مساعده "كليمان Clément (٥).

---

(١) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 201, Berthier. Op. Cit. P. 123.

(٢) La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 558.

(٣) Ibid. P. 559.

- مرسى أحمد ابراهيم : المرجع السابق، ص ٤٨.

(٤) Martin. Op. Cit. T. 1. PP. 353, 354.

(٥) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 202, Berthier. Op. Cit. P. 124.

معركـة قنــا (١٢-١٣ فبراير سنة ١٧٩٩)

عندما علم الجنرال "فريان" أن بقايا عرب الحجاز يتجمعـون فـى ضواحى قنـا علـى طريق القصير، وأنهم بصدد مهاجمة المدينة، بدأ فريان منذ يوم ٦ فبراير فى تشكيل طـابور متحرك مكونا من الفرقـة ٦١، ورمـاة القنـابل مـن الفرقـة ٨٨ تحـت قيـادة الضـابط كونـرو Conroux (١) الذى مضى سريعا بجنـوده إلـى قنـا لمطـاردة عـرب الحجـاز والقضـاء علـى قوتهم قبل أن يهاجموا مدينة قنا ولدى وصول الجنرال ديزيه إلى إسنا يوم ٩ فـبراير وعلمـه بتحركات عرب الحجاز، أرسل فى الحال الجنرال فريـان وبقيـة فرقتـه لمطـاردتهم والقضـاء على قوتهم وفى ذلك الوقـت كـان الشـريف حسـن الـذى كـان يقـود عـرب الحجـاز قـد قـرر الاستيلاء على قنا وطرد الفرنسيين منها وبالفعل ففى تمام الساعة الحادية عشـرة مسـاء يـوم ١٢ فبراير سنة ١٧٩٩ شن مـا يقـرب مـن ثمانمائـة مـن عـرب الحجـاز ومعهـم العديـد مـن الفلاحين هجوما على جميع مراكز الفرقة ٦١، ولكن القوات الفرنسية قامت بالرد علـى هـذا الهجوم، وجرح الضابط "كونرو" أثناء الهجوم جرحا بليغا، فأسرع جنوده حوله وحملوه وسط خطوط الدفاع، وقد أقسموا أن ينتقموا له(٢).

وأجبرت هجمات الفرنسـيين المتتاليـة المصريين وعـرب الحجـاز علـى الانسـحاب، وتولى قيادة القـوات الفرنسـية الضـابط دورسـين Dorsenne الـذى لـم يـألو أو يدخـر جهـدا للدفاع وصد هجمات المصريين حتى أقبل الليل وتوقف القتال(٣) وفـى اليـوم التـالى الموافـق ١٣ فبراير شن المصريون هجوما على الفرنسيين مرددين صيحات ملؤها الرعـب والفـزع، ومن ثم فقد بـادرت المدفعيـة الفرنسـية بـإطلاق نـيران مدافعهـا وأنزلـت بـالمصريين هزيمـة فادحة وتكبدوا خسائر جسيمة، وبالرغم مـن قـوة نـيران المدفعيـة الفرنسـية فـإن الأهـالى لـم يستسـلموا، بـل استبسـلوا فـى المقاومـة ويؤازرهـم عـرب الحجـاز غـير مكـترثين بضعـف إمكانياتهم وسـوء حالتهم(٤). وتكشف المصادر الفرنسية الخسائر التى لحقت بعرب الحجاز

---

(١) Berthier. Op. Cit. P. 122.

(٢) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 203.

(٣) Berthier, Op. Cit. P. 125.

(٤) Ibid. P. 126.

فى هذه المعركة وتقدرها بحوالى ٣٠٠ قتيل كما قتل العديد من الفلاحين بينما تمثلت الخسائر التى لحقت بالفرنسيين فى ثلاثة من الجرحى من بينهم القائد دورسين(١) ووصل الجنرال فريان إلى قنا فى اليوم التالى للمعركة الموافق ١٤ فبراير ومعه الفرقة السابعة من الفرسان(٢)، بينما انسحب عرب الحجاز بقيادة الشريف حسن ورابطوا بالقرب من أبو مناع(٣).

معركة أبو مناع (١٧ فبراير سنة ١٧٩٩)

بعد معركة قنا انسحب عرب الحجاز بقيادة الشريف حسن بالقرب من "أبو مناع" واستطاع الشريف حسن أن يقوى من عزيمة رجاله، واستطاع بحماسه الدينى أن يثير سكان الضفة اليمنى للنيل فحملوا السلاح وانضموا إليه، وأسرع إلى أبو مناع عدد وافر من العرب ومن المماليك الهاربين أو الذين لا يجدون ملجأ أو ملاذا لينضموا إليه فى حربه ضد الفرنسيين(٤)، وهكذا تمكن الشريف حسن من أن يكون جيشا من العرب والفلاحين والمماليك بالإضافة إلى عرب الحجاز، ولكى يرفع من همتهم وعدهم بالقضاء على الفرنسيين بواسطة تعزيزات قادمة فى الطريق(٥).

ولما عام الجنرال فريان بذلك توجه إلى أبو مناع فوصلها يوم ١٧ فبراير ووجدها مملوءة بالرجال المسلحين وكان عرب الحجاز فى المقدمة، فأعد الجنرال فريان جيشه فى الحال ووضع حملة القنابل فى وضع الاستعداد بقيادة رئيس الفرقة كونرو Conroux(٦).

---

(١) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 204.

(٢) La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 562.

(٣) قرية تتبع مركز دشنا بمحافظة قنا. انظر : محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٤، ص ١٧٠

(٤) Bertheir. Op. Cit. PP. 126, 127.

(٥) Martin. Op. Cit. T. 1. PP. 355, 356.

(٦) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 206.

ووجه الفرنسيون طلقات مدافعهم على الفريق المصرى وعند اقتراب رماة البنادق فر الفرسان والفلاحون وبقى عرب الحجاز متماسكين، فقام الجنرال فريان بتكوين طابورين للالتفاف حول القرية ومهاجمتها ومنعهم من الانسحاب، فلم يستطيعوا حينئذ أن يتحملوا ضربات القنابل، فاندفعوا إلى القرية، فقام الجنود الفرنسيون بمهاجمتهم والقضاء عليهم(١).

وأثناء ذلك كان هناك طابورا آخر يقوده المواطن سيلى Silly قائد الفرقة ٨٨ كان يطارد الفارين لمدة خمس ساعات فى الصحراء، وأخيرا وصلوا إلى معسكر عرب الحجاز، واستولوا على ما فيه من مؤن وملابس، ودهش الجنرال فريان عندما رأى جنوده يعودون سالمين ومحملين بالغنائم، وهو الذى كان يعتقد أنهم فقدوا فى الصحراء أو ماتوا من الجوع والعطش(٢) وانتهت هذه المعركة بانتصار الفرنسيين على المصريين وحلفائهم من عرب الحجاز، ولم يكن انتصار الفرنسيين إلا انتصارا للمدفعية الفرنسية الحديثة على السيوف والحراب والبنادق القديمة التى كان يستعملها الأهالى وعرب الحجاز، وفقد عرب الحجاز فى هذه المعركة أربعمائة قتيل إلى جانب العديد من الجرحى، كما قتل عدد كبير من الفلاحين فى هذه المعركة، أما خسائر الفرنسيين فقد تمثلت فى عدد من الجرحى كما تذكر المصادر الفرنسية(٣). وبعد المعركة توجه الجنرال فريان إلى جرجا تنفيذا لتعليمات الجنرال ديزيه فوصلها يوم ٢١ فبراير سنة ١٧٩٩(٤).

معركة إسنا (٢٥ فبراير سنة ١٧٩٩)

استطاع مراد بك أن يخدع جواسيس الجنرال بليار فى أسوان، واتجه شمالا حتى ظهر أمام إسنا يوم ٢٥ فبراير ومعه عدد من الرجال يتراوح ما بين سبعمائة وثمانمائة من الفرسان إلى جانب حشد هائل من النوبيين قاصدين مهاجمة الحامية الفرنسية فى إسنا.

---

(١) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 206.

(٢) Berthier. Op. Cit. PP. 127, 128.

(٣) Ibid. P. 128.

(٤) Reybaud. Op. Cit. T. V.PP. 68, 69.

وعلى الفور تحرك الكابتن كليمان Clèment على رأس كتيبة مكونة من مائة وستين جندى من الفرقة ٢١ وخرج من إسنا للتصدى لمراد بك ورجاله، واشتبك الفريقان فى معركة استمرت لمدة ساعة من الزمن، وانتهت بتقهقر مراد بك ورجاله إلى أرمنت(١).

معركة أبنــود النيلية (٣ مارس سنة ١٧٩٩)

تحرك الجنرال ديزيه من قوص فى طريقه إلى أسيوط تاركا خلفه أسطوله الذى كان يسير ببطء فى النيل ليلحق بالجيش فى أسيوط، وكان هذا الأسطول تحت قيادة القومندان موراندى Morandi ويتألف من اثنتى عشرة سفينة (مركبا) محملة بالمدافع والذخائر والمؤن الخاصة بالجيش، وتتقدمها السفينة الحربية "إيطاليا" التى كانت تحمل ذخيرة نصف الفرقة ٦١ وبعض الرجال المسلحين إلى جانب بعض المرضى والجرحى(٢).

وبينما كان الأسطول الفرنسى يسير فى النهر اعترضته رياح شمالية شديدة اضطرته إلى التوقف عند مرسى أبنود(٣) وفى ذلك الوقت كان الشريف حسن قد جاءته

---

(١) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 209, Berthier. Op. Cit. P. 129, Reybaud, Op. Cit. T.V. PP. 69, 70.

(٢) Berthier. Op. Cit. PP. 129, 130, Dominique DI Pietro. Op. Cit. P. 136.

(٣) Berthier. Op. Cit. P. 131, La Jonquière, Op. Cit. T. 111. P. 595, Dominique DI Pietro, Op. Cit. P. 137, Mèmoire du Gènèral Desvernois. Op. Cit. P. 168, Reybaud. Op. Cit. T. V. P. 74, Martha Beker. Op. Cit. P. 328.

لطف الله بن جحاف : المصدر السابق، ص ١٠١.

وتجدر الإشارة إلى أن كل هذه المصادر والمراجع الفرنسية إلى جانب مصدر باللغة العربية قد ذكروا جميعا أن هذه المعركة النيلية قد حدثت فى النيل عند مستوى قرية أبنود، لذلك رأى الباحث أن يطلق على هذه المعركة اسم معركة أبنود النيلية، نسبة إلى المكان الذى حدثت فيه وهذه التسمية ترد لأول مرة فى المكتبة العربية حيث أن كل المؤرخين المحدثين الذين تعرضوا فيما كتبوه عن عهد الحملة الفرنسية قد ذكروا أن هذه الموقعة قد حدثت عند قرية "نجع البارود" بالقرب من قوص.

وأول من ذكر ذلك هو أحمد حافظ عوض، ثم تبعه الرافعى، وتبين للباحث أنهما قد نقلا عن لاكروا، وكان المرجع الفرنسى الوحيد الذى صادف الباحث وذكر أن مكان هذه الموقعة كان عند قرية البارود. لمزيد من التفصيل انظر : Dèsire Lacroix. Op. Cit. PP. 366, 367. =

بجدات من بلاد الحجاز دعمته بألف وخمسمائة عربى، وانضم إليهم من تبقى من موقعتى أبو مناع وقنا، وزادت قوتهم بانضمام عدة آلاف من الفلاحين، وقرر الجميع التواجد فى أبنود[1] حيث كانت تقف السفن الفرنسية[2] وهاجم الأهالى ومعهم عرب الحجاز السفن الفرنسية وأطلقوا عليها الرصاص، فردت السفينة إيطاليا بإطلاق مدافعها عليهم فقتلت العديد من العرب والأهالى ولكنهم لم يضطربوا وهجموا على السفن والقوارب الصغيرة، واستولوا عليها وأفرغوا شحنتها من المؤن والذخائر وقطع السلاح اللازمة لهم. ثم ركبوها وقصدوا إلى السفينة الحربية إيطاليا لمهاجمتها والاستيلاء عليها وحينئذ ضاعف قائد السفينة القومندان موراندى من قذائفه على الثوار، ولكنه لم يصمد طويلا، وذلك لإصابة عدد كبير من رجاله بجروح، كما أنه رأى عددا كبيرا من الأهالى على الشاطئ الأيسر يتحفزون للهجوم عليه فقرر الهرب ولكن لسوء حظه أن عدد بحارته كان قليلا، والرياح كانت عاتية فمالت سفينته، وانتهز الأهالى والعرب هذه الفرصة وهجموا عليها من كل جانب وصعدوا على ظهرها ورفض موراندى الاستسلام، ولم يكن لديه أى أمل فى النجاة، لهذا قام باشعال النار فى مستودع البارود وألقى هو ورجاله بأنفسهم فى اليم قاصدين النجاة، فانفجر مستودع البارود، وانفجرت السفينة، وتفجرت شظايا القنابل على الشاطئ فقتلت عددا كبيرا من الأهالى ولكن الباقين منهم قاتلوا موراندى ورجاله فى اليم فمات متأثرا بجراحه هو ومن معه.

- - أحمد حافظ عوض : المرجع السابق، ص ص ١٨٤، ١٨٥.
- عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ص ٣٧٤، ٣٧٥. وكل الكتابات العربية التى ظهرت حديثا قد نقلت من أحمد حافظ عوض والرافعى، وذكرت أن مكان المعركة هو قرية "نجع البارود" ومن هذه المراجع على سبيل المثال نذكر :

عبد العزيز رفاعى : الكفاح الشعبى فى مصر الحديثة صور تاريخية من البطولات الشعبية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦، ص ٣٥، محمود الشرقاوى : مصر فى القرن الثامن عشر، الجزء الثالث، القاهرة ١٩٥٦، ص ص ٧٨، ٧٩، محمد فرج : النضال الشعبى ضد الحملة الفرنسية الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دون تاريخ، ص ٥٦ .

ولكن بعد أن رجع الباحث إلى المصادر الفرنسية المعاصرة وجد أن هذه الموقعة حدثت عند مرسى أبنود كما ذكرنا.

(١) اسمها القديم Benout كما وردت فى قاموس "جوتييه" ثم وردت فى معجم البلدان لياقوت الحموى باسم أبنود وتذكر حاليا باسم أبنود وتتبع مركز قنا لمزيد من التفصيل انظر : محمد رمزى : المرجع السابق، جـ٤، ص ١٧٤.

(٢) Berthier. Op. Cit. P. 131, Dominique DI Pietro. Op. Cit. PP. 136, 137.

وجميع الأحياء من الفرنسيين الذين نجوا من خريق السفينة إيطاليا والذين كانوا على ظهر السفن الأخرى اقتادهم الأهالى وعرب الحجاز إلى البر، وهناك أمر المنتصرون فرقة موسيقى نصف اللواء الحادى والستين أن تعزف، وعلى أنغام مارشات الثورة الفرنسية قتل الأسرى الفرنسيون وأكثرهم من العميان أو المرضى، ثم جاء دور الفرقة الموسيقية فتم قتلهم جميعا(١).

وكانت خسارة الفرنسيين فى هذه المعركة فادحة، فقد بلغت على حد تقدير المصادر الفرنسية مائتى بحار matelots وثلثمائة جندى من المرضى malingres الذين كانوا على ظهر السفن الفرنسية، أى أن خسارة الفرنسيين فى هذه المعركة بلغت خمسمائة قتيل(٢) وهى أكبر خسارة تعرض لها الجيش الفرنسى فى حملته على صعيد مصر وغنم المصريون وعرب الحجاز فى هذه المعركة الكثير مما كانت تحمله السفن الفرنسية من عتاد وذخائر ومدافع استغلوها فيما بعد فى معاركهم ضد الفرنسيين كما سنرى وبالإضافة إلى ذلك فإنهم استولوا على ماكان فى سفن الفرنسيين من أموال فيذكر أحد المصادر المعاصرة أنهم "وجدوا بأحدها ثمانين ألف ريال"(٣).

ولاشك فى أن هذا الانتصار رفع من آمال المصريين ومعهم عرب الحجاز فى حربهم ضد الفرنسيين إلى حد أن أعلن الشريف حسن "أن هزيمة الفرنسيين أصبحت مؤكدة، وأنه سيسحق حفنة الكفرة الموجودة بالقرب منه(٤)" ولكن هل سيغض الفرنسيون الطرف عما لحق بهم من خسائر جسيمة فى هذه المعركة أم أنهم سينتقمون من الأهالى وحلفائهم عرب الحجاز لما لحق بهم من خسائر هذا ما سنراه من خلال عرضنا للمعارك التالية.

---

(١) Pièces Diverses. Op. Cit. PP. 211, 212, Martin, Op. Cit. T. 1. P. 359, Berthier, Op. Cit.P. 132, Mèmoires du Gènèral Desvernois. Op. Cit. P. 169.

(٢) La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 596.

(٣) لطف الله بن جحاف : المصدر السابق، ص ١٠١.

(٤) Berthier. Op. Cit. P. 132.

معركـة قفـط (٨ مارس سنة ١٧٩٩)

عندما علم الجنرال بليار بما حدث للفرنسيين فى موقعة أبنود النيلية، وأنهم انهزموا شر هزيمة، اتجه الجنرال بليار وجنوده فى طريقهم إلى أبنود للانتقام من الأهالى وعرب الحجاز، ولاسترداد الأسلحة والمدافع الفرنسية التى استولوا عليها حتى يجردوا المقاومة الشعبية من أى سلاح حديث.

وبينما كان الجنرال بليار يسير فى طريقه إلى أبنود، كانت قوات الأهالى ومعهم عرب الحجاز فى انتظاره عند قفط[١] لتعوق مسيرته، وفى الثامن من مارس سنة ١٧٩٩ التقت قوات الجنرال بليار بقوات الأهالى وعرب الحجاز والمماليك[٢] عند قفط، ودارت بين الفريقان معركة حامية، انتهت بهزيمة الأهالى والعرب وانسحابهم إلى أبنود[٣].

معركـة أبنـود (٨-٩-١٠ مارس سنة ١٧٩٩)

بعد هزيمة الأهالى وعرب الحجاز فى قفط انسحبوا إلى أبنود، فلما وصلوها تحصنوا فيها، ونصبوا بها المدافع الفرنسية التى غنموها فى موقعة أبنود النيلية، وكان هناك جيش من المماليك قد انضم لهم لمساعدتهم فى هذه المعركة، وقد أخذ موقع الاستعداد فى الصحراء بالقرب من أبنود انتظار للحظة الالتحام[٤].

---

(١) بلدة تقع شرقى النيل بصعيد مصر الأعلى، وتتبع حاليا مركز قنا بمحافظة قنا. لمزيد من التفصيل :
– انظر : محمد رمزى، المرجع السابق، جـ٤، ص ص ١٧٧، ١٧٨.

(٢) قدر الجنرال بليار قوات الأهالى وعرب الحجاز بحوالى ثلاثة آلاف، أما قوات المماليك فقدرها ما بين ٣٥٠ إلى ٤٠٠ مملوك. انظر :
– رسالة الجنرال بليار إلى الجنرال ديزيه المؤرخة فى ١٠ مارس سنة ١٧٩٩ والمنشورة فى :
La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 597.

(٣) لمزيد من التفصيل. انظر :
Pieces Diverses. Op. Cit. P. 213, Mèmoires du Gènèral Desvernois, Op. Cit. PP. 169, 170.

(٤) Dominique DI Pietro. Op. Cit. PP. 139, 140.

وفى ذلك الوقت كانت فرقة الجنرال بليار تواصل تقدمها خلف الأهالى وعرب الحجاز حتى وصلت على مشارف أبنود يوم ٨ مارس سنة ١٧٩٩، ورأى الجنرال بليار استعدادات الأهالى وحلفائهم، ثم أعطى لجنوده اشارة بدء الهجوم وفى هذه اللحظة أطلق الثوار نيران مدافعهم على الفرنسيين ففتكت بهم فتكا ذريعا.

وشعر الفرنسيون لأول مرة بشدة نيران مدفعيتهم عليهم وهى فى أيدى الخصوم، وكانت هذه أول مرة واجه فيها الفرنسيون مدفعية حديثة فى صفوف المصريين، وهنا أدرك الجنرال بليار أن موقفه سيظل محفوفا بالخطر مادامت هذه المدافع فى يد المصريين، وأنه لكى يتمكن من السيطرة على الموقف، يجب عليه أن يعمل على الاستيلاء على هذه المدافع ليجرد المصريين من أقوى سلاح فى أيديهم.

وبالفعل فلقد أمر الجنرال بليار حاملى البنادق من الفرقة الحادية والعشرين بالتوجه للاستيلاء على هذه المدافع ولقد أتموا هذه المهمة بكفاءة عالية وتمكنوا من الاستيلاء على المدافع ووجهوها على الأهالى وعرب الحجاز(١).

ولم يصمد الثوار طويلا أمام طلقات البنادق والمدافع الفرنسية فانسحبوا إلى داخل القرية، ولحق بهم الفرنسيون وتجدد القتال بين الفريقين فى شوارع وبيوت القرية واستبسل الأهالى وعرب الحجاز فى الدفاع، وهنا أدرك الفرنسيون أن الدائرة ستدور عليهم، فأسرعوا بإشعال النيران فى منازل القرية، وفى لحظة تحولت القرية إلى أكوام من الخرائب، وامتلأت الشوارع بالقتلى(٢) من الأهالى وعرب الحجاز، وكان ما حل بالثوار عبارة عن مذبحة رهيبة أو مجزرة لم يشهد الفرنسيون لها مثيل من قبل على حد تعبير المصادر الفرنسية(٣).

وبالرغم مما حل بالثوار من الحريق والدمار فإن البقية الباقية منهم لم تستسلم وتجمعوا فى منزل حصين كان فيما مضى مقرا لكشاف المماليك، وفى مسجد يجاوره

---

(١) Dominique DI. Pietro. PP. 141, 142, Pièces Diverses. Op. Cit. P. 214.

(٢) Martin. Op. Cit. T. 1. PP. 362, 363.

(٣) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 215, Berthier. Op. Cit. P. 135.

وتحصنوا فيهما، وأخذوا يطلقون النار على الفرنسيين واشتد القتال مرة أخرى، وتبادل الفريقان إطلاق النار وحاول الفرنسيون دخول المسجد فخرجت منه نيران طلقات قوية اضطرتهم للتراجع، فما كان منهم إلا أن أشعلوا النيران فى هذا المسجد وأحرقوه ومات من بداخله حرقا(١).

وبقى المنزل المملوكى صامدا، وكان به عدد كبير من المكيين تحصنوا بداخله وصمموا على المقاومة حتى الموت، وظل الفرنسيون يحاصرون هذا المنزل طوال ليلة ٨ مارس ونصبوا حوله المدافع لاستئناف القتال فى اليوم التالى، واستؤنف القتال فى اليوم التالى (٩ مارس) وأصدر الجنرال بليار أمره باقتحام المنزل ونجح جنوده فى شق طريق لهم إلى فناء المنزل، ثم قاموا بإشعال النار فى البناء، وحينئذ نزل المكيون عدوا إلى الحوش ويمسك كل منهم سيفا بيد والبندقية فى يده الأخرى وظلوا يطلقون رصاص بنادقهم على الفرنسيين، ويقاتلونهم بشجاعة وبسالة اعترف بها الجنرال بليار فى رسالته إلى الجنرال ديزيه(٢).

ظل المكيون يقاومون الفرنسيين فى فناء المنزل ومن داخل حجراته، حتى أرخى الليل سدوله، وكان قد قتل كثير منهم، وتمكن البعض الآخر منهم من الهرب من داخل المنزل فى جنح الظلام(٣) ناجين بأنفسهم من الحريق ومن القتل، ومع ذلك فقد فتك الجنود الفرنسيون بالكثيرين منهم خارج المنزل، وفى صباح اليوم التالى الموافق ١٠ مارس سنة ١٧٩٩ دخل الفرنسيون المنزل وكان قد تخلف به نحو ثلاثين من المكيين أعجزهم عن الفرار مرضهم أو جراحهم. ويقول بليار فى رسالته إلى الجنرال ديزيه عنهم وكانوا لا يزالون يريدون الدفاع عن أنفسهم، فقتلوا جميعا إلا ثلاثة تونسيين استبقيتهم لأستجوبهم"(٤).

---

(١) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 216, Martin. Op. Cit. T. 1, P. 363.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر :

- رسالة الجنرال بليار إلى الجنرال ديزيه المؤرخة فى ١٠ مارس سنة ١٧٩٩ والمنشورة فى La Jonquière. Op. Cit. T. 111. P. 597-600.

(٣) Ibid. T. 111. P. 598.

(٤) Ibid. P. 598.

ومن العرض السابق يتبين لنا أن الأهالى وعرب الحجاز أو المكيين كما تنعتهم المصادر الفرنسية قاوموا الفرنسيين مقاومة مستميتة شهدت بها المصادر الفرنسية حيث يقول دومينيك دى بييترو "وفى الحقيقة أننا لم نشهد أبدا منذ قدومنا إلى مصر مقاومة بهذا العنف وبهذه الضراوة"(١). أما عن دور المماليك فى هذه الموقعة التى استمرت ثلاثة أيام فكان دورا سلبيا إذ أنهم طوال أيام المعركة ظلوا فى معسكرهم فى الصحراء يشاهدون هزيمة حلفائهم من الأهالى وعرب الحجاز دون أن يتحركوا لمساندتهم، وبالتالى ظلوا فى مأمن من ضربات الفرنسيين(٢).

وهكذا تم النصر للفرنسيين فى هذه المعركة واستعاد الفرنسيون كل المراكب التى فقدوها فى معركة أبنود النيلية ماعدا السفينة ايطاليا التى احترقت أثناء المعركة كما غنموا تسع قطع مدفعية ورايتان(٣).

أما عن الخسائر التى لحقت بالثوار فى هذه المعركة فقد اختلفت المصادر الفرنسية فى تقديرها فبينما قدر الجنرال بليار فى رسالته إلى الجنرال ديزيه خسائر الأهالى وحلفائهم الحجازيين ما بين خمسمائة إلى ستمائة قتيل وثمانية إلى عشرة من المماليك وكثير من الجرحى(٤)، يذكر الجنرال ديزيه فى رسالته إلى نابليون أن "الجنرال بليار أخبره بأن العرب فقدوا فى هذه المعركة ألف ومائتان رجل غير الجرحى"(٥) ويتفق برتييه مع ديزيه فى نفس التقدير لعدد القتلى(٦) ويبدو أنه نقل من تقرير ديزيه الذى أرسله إلى نابليون.

ولكن رواية الجنرال بليار أدعى إلى الثقة لأنه قائد المعركة، أما ديزيه فيبدو أنه حاول أن يضخم من خسائر العدو ليظهر قوته وتفوقه وروعة الانتصار الذى حققه جنوده.

---

(١) Dominique DI Pietro. Op. Cit. P. 144.

(٢) Ibid. P. 145.

(٣) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 216.

(٤) La Jonquière.Op. Cit. T. 111. P. 599.

(٥) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 216.

(٦) Berthier. Op. Cit. P. 136.

أما عن الخسائر التى لحقت بالفرنسيين فى هذه المعركة فلقد اختلفت أيضا المصادر الفرنسية فى تقديرها فبينما يقدرها الجنرال بليار بـ ٣٥ قتيلا و ١٣٤ جريحا[١] يذكر ديزيه أن خسائر الفرنسيين بلغت ثلاثون قتيلا وثلاثون من الجرحى[٢].

وهنا نلاحظ أن الجنرال ديزيه يقلل من عدد الخسائر التى لحقت بجنوده، بينما كان يزيد من الخسائر التى لحقت بالثوار وحتى الجنرال بليار لم يذكر الحقيقة كاملة بدليل أن هناك مصادر فرنسية أخرى ذكرت أن خسائر الفرنسيين بلغت ثلاثون قتيلا وبضعة مئات من الجرحى[٣].

ومما يؤكد أن عدد الجرحى من الفرنسيين كان أكثر مما ذكره كل من بليار وديزيه ما يؤكده مصدر معاصر آخر حيث يقول "كان ثمن الانتصار الذى حصلنا عليه بعد كل هذا الجهد هو خسارة فى كل أنواع المؤن والرجال، لقد فقدنا إتزاننا تحت وطأة المعركة، لأنه كانت تقودنا فكرة واحدة هى تدمير الحواجز التى وضعت أمامنا ولكن بعد هزيمة الأعداء (يقصد الأهالى وحلفاءهم) عندما أعدنا الحسابات وجدنا أن ثلاثمائة من رجالنا أصبحوا غير قادرين على القتال، وأن كل الذخيرة قد انتهت مما عطل كل خطط الجنرال بليار، فقد كانت نيته أن يتجه للصحراء لكى يحارب المماليك وبضعة مئات من المكيين الذين لجأوا إليهم عند بدء معركة أبنود لكنه أرجأ هذه العملية لحين حصوله على امدادات من الجنرال ديزيه"[٤].

ومن العرض السابق يتبين لنا أن عدد الجرحى من الفرنسيين كان لا يقل عن ثلاثمائة جريح، وأن عدد القتلى من الفرنسيين كان يزيد على ٣٥ قتيلا بكثير وإن لم تذكر المصادر الفرنسية ذلك، كما يتضح أنه بالرغم من انتصار الفرنسيين فى هذه المعركة فقد أنهكهم القتال وتكبدوا خسائر فى الأرواح والسلاح والذخيرة.

---

(١) نقلا عن : La Jonquière.Op. Cit. T. 111. P. 599.

(٢) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 216.

(٣) Mèmoires du Gènèral Desvernois. Op. Cit. P. 170.

(٤) Dominique DI Pietro. Op. Cit. PP. 145, 146.

وبالرغم من قيام الفرنسيون بحرق مدينة أبنود[1] إلا أن الأهالى وعرب الحجاز ظلوا يدافعون بكل ما يملكون من قوة لمدة ثلاثة أيام متوالية. وكانت هذه المعركة من أشد معارك الحملة الفرنسية هولاً وأطولها مدة، فلقد كانت سلسلة معارك دموية دامت ٧٢ ساعة، وكان حريق أبنود وما أصابها من الدمار أفظع مأساة وقعت فى معارك الحملة الفرنسية[2].

معركة بئر عنبر (٢ أبريل سنة ١٧٩٩)

اتجه الجنرال بليار بعد معركة أبنود إلى قنا فى انتظار المدد والذخيرة من الجنرال ديزيه ليواصل عملياته العسكرية ضد الأهالى والعرب والمماليك، وفى ذلك الوقت كانت معلومات قد وصلت إلى الجنرال ديزيه علم منها بما حدث من كارثة للسفن الفرنسية فى معركة أبنود النيلية، وعن انتصار الفرنسيين فى معركة أبنود، وبناء على هذه المعلومات ترك الجنرال ديزيه أسيوط واتجه إلى قنا على رأس مجموعتين من الفرسان وفرقة مشاة، وقد قرر أن يقوم بنفسه بقيادة العملية التى قررها بليار[3] خصوصا بعد وصول الجنرال ديزيه بقوات جديدة ومؤن تكفى الجيش فى هذه العملية.

وفى قنا وضع الجنرال ديزيه مع الجنرال بليار خطة لهزيمة الأهالى وحلفائهم، وبناء على هذه الخطة شرع الجنرال ديزيه فى توجيه قواته لسحق رجال حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن الذين انسحبوا بعد معركة أبنود إلى جهة "الجطة Gittah" فى طريق القصير[4].

وكانت خطة الجنرال ديزيه تهدف إلى قطع الطريق على رجال حسن بك الجداوى حتى لا يصلوا إلى النيل بأحد الطريقين الموصلين إليه من الجطة وهما طريق بئر عنبر وطريق "حجازة" الواقعة جنوبى قوص بقرب الجبل الشرقى.

---

(١) لطف الله بن جحاف : المصدر السابق، ص ١٠١ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٧٩.

(٣) Dominique DI Pietro. Op. Cit. P. 146-150

(٤) Mèmoires du Gènèral Desvernois. Op. Cit. P. 171.

لذلك قام ديزيه بإعداد حملة مكونة من ١٥٠٠ من خيرة جنوده، وسار بهـا إلى بئر عنبر وقام باحتلالها، ثم عهد إلى بليار باحتلال حجازة فاحتلها، وبذلك تم للفرنسيين احتلال رأس الطريقين الموصلين إلى النيل، وأخذ الجنرال بليار وهو فى حجازة يستطلع حركات المماليك وحلفائهم الذين كانوا فى الجطة يتحفزون للتقدم يريدون النيل، فلما علم ديزيه بمقصدهم سار بجنوده فى صباح يوم ٢ أبريل لمنازلتهم(١)٠ وبالقرب من بئر عنبر على الطريق بين قنا والقصير قامت معركة عنيفة بين طلائع جيش ديزيه من الفرسان وقوات الأهالى وعرب الحجاز والمماليك(٢) حيث تلقت كتيبة الفرسان من الفرنسيين صدمة الهجوم المصرى بقيادة المماليك، حيث تأخر المشاه من الفرنسيين عن المعركة لصعوبة السير فى الطريق(٣)، وكان يتولى قيادة الجيش الفرنسى فى هذه المعركة الجنرال ديزيه ويعاونه الجنرال دافو، بينما كانت القوات المصرية تحت قيادة المماليك بزعامة حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن٠

وبينما فشل الجنرال ديزيه فى تحقيق انتصار على القوات المصرية، نجح المماليك فى قيادة المعركة واستطاعوا أن يحققوا انتصارا خاطفا وسريعا ثم انسحبوا ببطء تاركين أرض المعركة مغطاة بجثث ٥١ ضابط وجندى فرنسى من بينهم الكولونيل "دوبليسى Duplessis و ٢ برتبة كابتن و ٤ ضباط، أما عدد الجرحى من الفرنسيين فبلغ ٤٣ فارس و ٥٠ ضابط على حد تقدير الجنرال "ديفيرنوا"(٤) الذى شارك فى أحداث هذه المعركة٠

وواضح أن خسارة الفرنسيين فى هذه المعركة كانت كبيرة إلى حد أن أهملت بعض المصادر الأخرى ذكر أعداد الجرحى والقتلى من الفرنسيين(٥)٠

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ص ٣٨١، ٣٨٢ .

(٢) قدر الجنرال ديفيرنوا فى مذكراته أعداد المماليك بما يزيد على خمسمائة، ومعهم ألف من الأهالى بالإضافة إلى عرب ينبع وجده (عرب الحجاز) الذين اشتركوا فى هذه المعركة ولم يذكر ديفيرنوا أعدادهم انظر : Mèmoires du Gènèral Desvernois, Op. Cit. P. 176.

(٣) Martin. Op. Cit. T. 1. P. 367.

(٤) Mèmoires du Gènèral Desvernois, Op. Cit. P. 179.

(٥) ذكرت هذه المصادر أن هذه المعركة كلفت الفرنسيين عدة ضباط من بينهم الضابط "بوفاتييه Bouvatier وعدة جنود وبعض الجرحى ولم تذكر أعدادهم انظر :
Pièces Diverses. Op. Cit. P. 220, Berthier. Op. Cit. P. 139.

أما خسائر المصريين فى هذه المعركة فقد بلغت ٤٤ قتيل من بينهم سليمان بك(١).
وبالرغم من إخلاص الكولونيل دوبليسى فى أداء مهمته على أكمل وجه، ولولا اخلاصه لانتهت حياة الجنرال ديزيه فى هذه المعركة، فإن الجنرال ديزيه قد اتهمه فى تقريره إلى نابليون عن هذه المعركة(٢) بعدم الحرص وعدم إطاعة الأوامر، ويعلق الجنرال ديفيرنوا على ماكتبه ديزيه بقوله "إن الطريقة التى كتب بها الجنرال ديزيه تقريره عن هذه المعركة فى وصفه للحملة على الصعيد، يعتبر إهانة بالغة لذكرى الكولونيل دوبليسى الشجاع est une grave injure a lamèmoire du brave colonel Duplessis حيث اتهمه فيه بعدم الحرص وعدم إطاعة الأوامر، والدخول فى مخاطر بلاداع، فى الوقت الذى قام فيه دوبليسى بمهمته على أكمل وجه وبدون إخلاصه الشديد لكانت انتهت حياة الجنرال ديزيه على هضبة بئر عنبر ومعه الذين كانوا فى خدمته(٣) ثم يعلق الجنرال "ديفيرنوا" على ذلك بقوله "لا يحق لأى جنرال أو أى رجل عسكرى أن يمسح أخطاؤه بهذا الظلم الفادح كما حدث فى هذه المناسبة، ولكى يبرر ديزيه ودافو موقفهما تم تبديل الحقائق وقد رأيت إعادة الحق لأصحابه بذكر الأحداث الحقيقية لهذه المعركة(٤).

ويتبين لنا مما ذكره الجنرال ديفيرنوا أن الحقيقة التاريخية تزيف أحيانا على يد القادة عندما تكشف سلبياتهم أو أخطاءهم فهم يزيفونها حتى تظل صورتهم ناصعة البياض فى أعين التاريخ.

معركة أسوان (١٦ مايو سنة ١٧٩٩)

بعد معركة بئر عنبر انسحب كل من حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن جنوبا حتى وصلوا إلى أسوان فأسرع خلفهم الجنرال بليار وأجبرهم على اللجوء جنوب الشلالات،

---

(١) Mèmoires du Gènèral Desvernois. Op. Cit. P. 179.

(٢) انظر ما كتبه ديزيه فى تقريره إلى نابليون عن هذه المعركة فى :
Pièces Diverses. op. Cit. P. 220.

(٣) Mèmoires du Gènèral Desvernois, Op. Cit. P. 179.

(٤) Ibid. P. 179-181.

ثم ترك فى اسنا القائد الشجاع ابلر Eppler مع خمسمائة جندى لحماية المدينة، وليقوم بمراقبة المماليك وليمنعهم من الإلتجاء مرة أخرى إلى الأراضى المصرية(١)، ثم عاد بليار بعد ذلك إلى قنا ليعمل دون توقف فى بناء القلعة والاعداد لحملة القصير .

وعلم إبلر يوم ٩ مايو أن المماليك بزعامة حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن عادوا إلى أسوان، ويعيشون فيها فى سلام، ويقومون بإعداد قواتهم، ونتيجة لهذه الأحداث، أمر إبلر الكابتن رينو Renaud الذى كان قد أرسله منذ بضعة أيام إلى ادفو مع مائتى رجل أن يزحف على أسوان، وأن يطرد المماليك إلى جنوب الشلالات(٢).

وفى تمام الساعة الثانية بعد ظهر يوم ١٦ مايو سنة ١٧٩٩ وعلى بعد نصف فرسخ من أسوان نشبت معركة حامية بين القوة الفرنسية والقوات المصرية بزعامة المماليك، وبدأت المعركة بهجوم عام من المماليك، فردت القوة الفرنسية بعنف شديد ونجحت فى اختراق القوات المصرية وإصابتها بخسائر فادحة.

وانتهت المعركة بهزيمة المماليك وجرح حسن بك الجداوى وقتل حصانه، كما أصيب عثمان بك حسن بعيارين ناريين، وبلغت خسائر المماليك على حد تقدير المصادر الفرنسية خمسين قتيلا وستين جريحا(٣).

ولاشك فى أن فوز الفرنسيين على المماليك فى هذه الموقعة يعد انتصارا عظيما إلى حد أن وصفه نابليون فى مذكراته التى أملاها على الجنرال "برتران" فى سانت هيلين بأنه "أجمل انتصار فى حملة مصر(٤) أما خسائر الفرنسيين فبلغت أربعة قتلى و١٥ جريحا(٥).

---

(١) Berthier. Op. Cit. P. 146., Dominique DI Pietro. Op. Cit. P. 155, Martin. Op. Cit. T. 1, P. 368.

(٢) Pièces Diverses. Op. Cit. PP. 228, 229.

(٣) Ibid. P. 229, Berthier. Op. Cit. P. 147.

(٤) نقلا عن عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٩٤.

(٥) Pièces Diverses. Op. Cit. P. 229, Berthier, Op. Cit. P. 148.

وبعد المعركة انسحبت فلول المماليك إلى ما وراء أسوان وهذه هى المرة الثالثة التى انسحب فيها المماليك إلى ما وراء الشلال منذ ابتداء الحملة على الوجه القبلى، ولم يتبق من زعماء المماليك سوى مراد بك الذى ظل معتصما بالواحة الخارجة التى تبعد عن أسيوط ثلاثة أيام فى انتظار تحسن الأوضاع حتى يواصل هجماته على الفرنسيين من جديد لذلك فكر الجنرال ديزيه فى أن يجرد حملة من أسيوط على الواحة التى كان مراد بك مرابطا بها للقضاء عليه وعلى قواته.

احتـــلال القصيـــر (٢٩ مايو سنة ١٧٩٩)

عنى ديزيه أشد العناية بالحملة على القصير إلى حد أنه كتب يلح على الجنرال بليار فى الزحف على القصير، لأن الاستيلاء على القصير كان ضرورة لا مناص منها، لأنه الثغر الوحيد الواقع على البحر الأحمر الذى يصل منه المدد إلى بلاد الوجه القبلى، فمنه جاء عرب الحجاز الذين شدوا أزر الأهالى فى مقاومة الفرنسيين، ثم كان لظهور السفن الإنجليزية فى البحر الأحمر وشروعها فى مخر عباب البحر بين جدة والقصير[١] أثر كبير فى ازعاج القيادة الفرنسية، لذلك عملت كل طاقتها على التعجيل بالاستيلاء على القصير وتحصينه.

وكان الجنرال بليار يقدر أهمية القصير ويتوق إلى الزحف عليها ولكنه كان ينتظر الفرصة المناسبة ولذلك عندما أرسل ديزيه إلى بليار جميع ما طلب من ذخيرة ومؤن[٢] وأرسل إليه أيضا مساعده العام. المواطن "دونزلو" لكى يأخذ مكانه فى قيادة الحملة فى حالة تدهور حالته، حيث كان الجنرال بليار في ذلك الوقت مصابا بألم شديد فى عينيه[٣].

وبعد أن أتم الجنرال بليار استعداداته غادر قنا يوم ٢٦ مايو سنة ١٧٩٩ فى طريقه للزحف على القصير، آخذا معه ٣٥٠ من الجنود المشاه على ظهور الجمال و ٤٠٠ جمل

---

(١) ج. كرستوفر هيرولد : المرجع السابق، ص ٢٧٣.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٧٣.

(٣) Berthier. Op. Cit. P. 148.

تحمل مؤنا، ومدفعا، وحرسا من ٦٠ أعرابيا من قبيلة موالية يمتطون الجمال أيضا(١) واتجهوا فى طريقهم إلى القصير التى وصلوها بعد مسيرة أربعة أيام فى الصحراء التى تفصل النيل عن البحر الأحمر، وتوقفوا فى المحطات وعند الآبار ومراكز القوافل التى أعدت لهم(٢) ووصلوا آخيرا إلى القصير يوم ٢٩ مايو سنة ١٧٩٩ وقاموا باحتلالها واحتلال قلعتها بدون مقاومة وكانت القصير فى ذلك الوقت قرية صغيرة بالرغم من أهميتها الإستراتيجية(٣).

وغادر الجنرال بليار القصير يوم أول يونية وترك بها الجنرال دونزلو ومعه قوة من الجنود ومعهم ما يلزمهم من العتاد والذخائر، وعاد هو إلى قنا(٤).

وطرب الفرنسيون لاحتلال ميناء القصير التى تعد مفتاح الوجه القبلى من طريق البحر الأحمر واعتبروا احتلالها ختام الحركات الحربية التى تم بها فتح الصعيد وكتب ديزيه إلى نابليون قائلا إن احتلال هذا الميناء قد حقق كل أمالى(٥).

وكافأ نابليون كلا من الجنرال ديزيه والجنرال بليار والجنرال فريان على حسن بلائهم فى الحملة على الصعيد فأهدى الجنرال ديزيه سيفا جميلا مكتوبا على صفحته "فتح مصر العليا" وأهدى الجنرال بليار سيفا مكتوبا عليه "معركة أبنود - فتح القصير" وأهدى الجنرال فريان سيفا آخر(٦).

وعلى الرغم من هذه الانتصارات التى حققها الفرنسيون فى صعيد مصر، فقد ظلت الاضطرابات فى الصعيد، وكان من الواضح أنه مادام مراد حرا طليقا ويلزم جانب الحيطة

---

(١) ج. كرستوفرهيرولد : المرجع السابق، ص ٢٧٣.

(٢) F. Martha-Beker, Le Gènèral Desaix, Paris, 1852, P. 339.

(٣) ج. كرستوفر هيرولد : المرجع السابق، ص ٢٧٣.

(٤) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٩٥.

(٥) F. Martha-Beker, Op. Cit. P. 339.

(٦) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٩٥.

والحذر فلا يلتحم مرة أخرى فى معارك كبيرة مع الفرنسيين، فإن هؤلاء لن يستطيعوا إخماد المقاومة الأهلية فى الصعيد، وظل مراد يسبب قلقا للفرنسيين حتى وجد كليبر أن من الخير أن يصل إلى اتفاق مع مراد بك الذى شعر من جانبه هو الآخر أن من المتعذر عليه الاستمرار على مقاومة الفرنسيين بصورة جدية، فعقد الاثنان معاهدة ٥ إبريل سنة ١٨٠٠(١) ليدخل الصعيد منذ ذلك الوقت مرحلة جديدة ينقسم فيها الصعيد إلى شطرين، شطر يحكمه مراد بك ويكون تابعا للإدارة الفرنسية، وشطر آخر تحت الإدارة الفرنسية وهذا ما سنراه عند حديثنا عن الأوضاع الادارية فى الفصل التالى.

---

(١) سنشير إليها بالتفصيل عند حديثنا عن الأوضاع الإدارية فى الفصل التالى.

الفصل الرابع

الأوضاع الإدارية فى صعيد مصر فى عهد الحملة الفرنسية

الفصل الرابع

الأوضاع الإدارية فى صعيد مصر فى عهد الحملة الفرنسية

- **تمهيد**
- ١- التقسيم الإدارى للصعيد فى عهد الحملة الفرنسية
- ٢- معاهدة الصلح بين كليبر ومراد بك (٥ إبريل سنة ١٨٠٠)
- ٣- الصعيد بين الإدارة الفرنسية والمملوكية
- ٤- نظام الدواوين
- ٥- تنظيم البريد

الأوضاع الإدارية فى صعيد مصر فى عهد الحملة الفرنسية

تمهيد :

لقد طرأت تغييرات كثيرة على الأوضاع الادارية فى مصر أثناء الحملة الفرنسية، حيث عمد الفرنسيون إلى تقسيم الصعيد إلى مديريات وعين على رأس كل مديرية حاكم عسكرى فرنسى فضلا عن إقامة دواوين مكونة من أعيان المديريات على أن تكون وظيفتها استشارية، كما اهتم الفرنسيون بتنظيم البريد والإكثار من مكاتبه بصعيد مصر وذلك تسهيلا لسرعة نقل المراسلات وسوف نتناول الإدارة الفرنسية فى صعيد مصر على النحو التالى :

١- التقسيم الإدارى للصعيد فى عهد الحملة الفرنسية :

انتهج الفرنسيون فى تسييرهم لمختلف نواحى الإدارة بمصر على أسلوب المركزية فى الحكم وتجميع السلطة فى يدهم حتى يضمنوا حسن سير العمل بما يحقق مصالحهم، ومظهر هذا تعيين نابليون جنرالات يحكمون مختلف أقاليم مصر، وكان هؤلاء الجنرالات تابعين مباشرة لمركز القيادة الرئيسى بمدينة القاهرة، حيث كانوا يسهرون على تنفيذ أوامر القائد العام من حيث إخضاع الأقاليم وتسييرها، أما السلطة المركزية فقد تجمعت فى يد القائد العام الفرنسى سواء كانت مدنية أم عسكرية وكان لهذا الأخير حرية اتخاذ القرارات التى يراها ملائمة ومحققة لمصالح الفرنسيين فى مصر ويصدر أوامره بتنفيذها(١).

ويمكن القول أن بونابرت قد قام بتاسيس حكومة عسكرية على رأسها القائد العام نفسه وكبار الضباط فى الوحدات والأقاليم ولقد مر التقسيم الإدارى للصعيد بمراحل متعددة طوال فترة الحملة الفرنسية، وسار هذا التقسيم جنبا إلى جنب مع العمليات العسكرية بصعيد مصر، وتأثر بها إلى حد كبير، ونظرا للمساحة الشاسعة التى يشغلها الصعيد، فإن التقسيم

---

(١) فاطمة الحمراوى : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ بآداب القاهرة عام ١٩٨٨، ص ص ٢٣٧، ٢٣٨.

الإدارى لم يحدث فيه فجأة، بل حدث على فترات، فمنذ أن عين نابليون الجنرال ديزيه قائدا للحملة على الوجه القبلى للقضاء على مراد بك من جهة، واخضاعه للسيطرة الفرنسية، فقد صاحب هذا الفتح واخضاع مديرياته تعيين حاكم عسكرى لكل مديرية، فعندما فتح الجيش الفرنسى فى طريقه ثلاث مديريات وهى بنى سويف والمنيا والفيوم، أصدر نابليون أمره بتعيين الجنرال زايونشك قومندانا لمديرية بنى سويف فى أوائل اكتوبر سنة ١٧٩٨، وأرسل معه كتيبة من الجنود، وكلفه تنظيم هذه المديرية، كما كلف الجنرال ديزيه تنظيم مديريتى المنيا والفيوم(١).

ومما يجدر ذكره أن هؤلاء الحكام لم يكونوا مستقرين بصفة دائمة، بل كثيرا ما جريت تنقلات بين هؤلاء الحكام أنفسهم وذلك حسب مقتضيات الظروف، وعلى سبيل مثال إزاء إلحاح الجنرال ديزيه بتعزيز قواته فقد رأى نابليون تكليف الجنرال بليار الذى كان فى ذلك الوقت قومندانا للجيزة أن يسير بقواته إلى الفيوم، كما عين نابليون الجنرال أندريوسى قومندانا للجيزة(٢) ثم عين نابليون بعد ذلك الجنرال بليار قومندانا لمديرية بنى سويف بدلا من الجنرال زايونشك الذى مرض وعاد إلى القاهرة(٣) ولقد نهج الجنرال ديزيه هذا الأسلوب حيث كان يقوم بتعيين قائد من ضباطه لكل مديرية، كما كان يقوم بتوزيع قواته على طول النيل فى إسنا وقنا وفرشوط وجرجا وطهطا وأسيوط، واتخذ من هذه المدن مراكز للحاميات الفرنسية. كما رتب وحدات متحركة تجوب البلاد الواقعةبينها لإخضاعها وقمع حركات الثورة التى تبدو فيها.

وعندما وصل الجيش الفرنسى إلى أسوان ترك الجنرال ديزيه بها الجنرال بليار ليمنع عودة المماليك من وراء الشلال، ثم كلف الجنرال ديزيه بعد ذلك الجنرال بليار بإدارة مديرية طيبة (قنا) وتنظيمها بما يكفل تسهيل جمع الأموال الميرية المستحقة عليها، وتنظيم رجال الشرطة بما يحقق صيانة الأمن الداخلى، حيث أن من صالح الفرنسيين أنفسهم عدم

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، دار المعارف ١٩٨١، ص ٣٤٨ .

(٢) نفس المرجع: جـ١، ص ٣٥٣ .

(٣) نفس المرجع: جـ١، ص ٣٥٤ .

إثارة القلاقل بين سكان الأقاليم الخاضعة لهم أو اضطراب الأمن بها، كما أوصاه باستخدام كل أسلوب يتسم بالصرامة والقسوة ضد الخارجين على النظام[1] ومن ثم لقد كان من أولى مهام حاكم الإقليم أو المديرية إخضاع الأهالى والقضاء على ثوراتهم والإشراف على الاقليم إداريا وجمع الميرى والضرائب[2].

وبعد أن انتهى الجنرال ديزيه من فتح الصعيد واطمأن إلى مركزه فيه رأى أن يتفرغ إلى تنظيم البلاد إداريا، فقسم الصعيد إلى إدارتين، الأولى مركزها أسيوط والثانية مركزها قنا وتولى ديزيه إدارة الأولى، وترك إدارة الثانية للجنرال بليار[3]، وأظهر الجنرالان قدرة فائقة فى الأعمال الإدارية لم تكن أقل من قدرتهما فى الأعمال العسكرية.

وظل التقسيم الإدارى للصعيد على هذا الوضع حتى ١٤ سبتمبر سنة ١٧٩٩، حين أدخل الجنرال كليبر تعديلاً فى التقسيم الإدارى للمديريات يجعل عدد مديريات القطر المصرى ثمانية أقاليم منها ثلاث فى الوجه القبلى هى :

١- إقليم طيبة أو قنا ويتبعه جرجا وأسيوط وحاضرته أسيوط.

٢- إقليم المنيا ويتبعه بنى سويف والفيوم وحاضرته بنى سويف.

٣- إقليم القاهرة : ويضم مديريتى الجيزة وأطفيح من الصعيد ومديرية القليوبية من الوجه البحرى وحاضرته القاهرة[4].

---

(١) عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، جـ١، ص ص ٣٩١، ٣٩٢.

(٢) Correspondance de Napolèon Ier, Publiee par ordre de L'Empereur III. Paris, 1858-1870, 32 Vols, T.V doc. No. 2923, en date du II pluviose an VII (30 Jonvier, 1799).

(٣) Martha Beker. Le Gènèral Desaix Paris, 1852, P. 336.

(٤) Rousseau, M. F. Kleber et Menou Depuis le Dèpart de Bonaparte (Aout 1799-Septembre 1801) Documents publès pour La sogiètè D'Histoire Contemporaine. Paris 1900, Doc. no 34, PP. 31, 32, Sala Din Boustany, The Journals of Bonaparte in Egypt 1798-1801 (in 10 Volumes) volumeNine, Part, I, First Edition, Cairo, 1971,P. 71.

ويبدو أن الدافع الذى حدا بكليبر إلى دمج هذه المديريات فى أقاليم كبرى والإقلال من عدد الوحدات الإدارية هو إحكام السلطة العسكرية على الأقاليم وتركيز العمل والحكم فى أيدى قلة من الحكام الفرنسيين العسكريين(١).

ولقد عين كليبر لكل إقليم من هده الأقاليم حاكما فرنسيا وكاتبا ومترجما وأميناً أو ناظراً قبطيا مهمته إمداد الوكيل الفرنسى بكافة المعلومات التى يتطلبها وملازمته فى جولاته فى المديرية(٢).

وبعد ذلك بشهور حدثت مفاوضات للصلح بين الفرنسيين والعثمانيين، وعين الجنرال كليبر الجنرال ديزيه قائد الجنود الفرنسية فى الصعيد والمسيو بوسليج مدير الشئون المالية مندوبين عنه فى المفاوضات، وانتهت هذه المفاوضات بتوقيع معاهدة العريش فى ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠، والتى كان من أهم شروطها جلاء الجنود الفرنسية عن مصر بأسلحتهم وأمتعتهم وأثقالهم(٣). وبادر جماعة من أقطاب الحملة إلى السفر لفرنسا دون انتظار رحيل الجيش وكان من بينهم الجنرال ديزيه(٤).

وبناء على معاهدة العريش بدأت الجيوش الفرنسية فى الاستعداد للرحيل، وفى نفس الوقت كان يوسف باشا الصدر الأعظم يتقدم بجنوده فى داخلية البلاد تنفيذاً للمعاهدة، وعين الصدر الأعظم درويش باشا واليا على الصعيد فمضى إلى الوجه القبلى ليتولى حكمه وبدأ

---

(١) أمين محمود عبد الله : تطور الوحدات الإدارية فى مصر العليا منذ العهد العربى، رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم الجغرافيا بكلية الأداب، جامعة القاهرة عام ١٩٦٥، ص ٢١٢.

(٢) فرغلى على تسن :أسيوط فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٨٠٠ – ١٨٥٠، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ بآداب سوهاج، عام ١٩٨٥، ص ص ٧، ٨ .

(٣) لمزيد من التفصيل انظر :عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر، الجزء الثانى، الطبعة الرابعة، دار المعارف ١٩٨١، ص ١٣١-١٣٩ .

(٤) كان بونابرت قد عهد إلى الجنرال كليبر فى رسالته إليه المؤرخة فى ٢٢أغسطس سنة ١٧٩٩ أن يكلف الجنرال ديزيه بالسفر إلى فرنسا مالم تحل دون سفره موانع قهرية انظر :
Henry Laurens : Klèber en Egypte 1798-1800, Klèber et Bonaparte 1798-1799, institut Francais D'archèologie orientale 1988, Tome 2. P. 511.

درويش باشا فى جمع الضرائب من الوجه القبلى بالفعل(١)• ولكن حدث من الأحداث ما عجل بنهايةهذه الإجراءات، فلقد رفضت انجلترا معاهدة العريش وأنذرت الجنرال كليبر بأنها لن تقبل أى اتفاق مع الجيش الفرنسى إلا إذا قبل أن يلقى السلاح من يده ويسلم مالديه من الأسلحة والذخائر والأمتعة والسفن ويسلم الجنود أنفسهم كأسرى حرب، ورفض كليبر هذا الإنذار واشتعلت الحرب من جديد بين القوات الفرنسية والقوات العثمانية وانتصر الفرنسيون على العثمانيين فى معركة عين شمس سنة ١٨٠٠(٢)•

واشتعلت ثورة القاهرة الثانية من ٢٠ مارس إلى ٢١ أبريل سنة ١٨٠٠، وأثناء اشتعال ثورة القاهرة عقد الجنرال كليبر معاهدة صلح مع مراد بك فى ٥ إبريل سنة١٨٠٠، وعلىأساس هذه الاتفاقية قسم الصعيد إلى قسمين إداريين، قسم يرأسه مراد بك تحت الحكم الفرنسى، وقسم يحكمه الفرنسيون، فماذا عن هذه المعاهدة وعن نصوصها؟

٢- معاهدة الصلح بين كليبر ومراد بك (٥ إبريل سنة ١٨٠٠) :

وجد كل من الجنرال كليبر ومراد بك مصلحته فى عقد هذه المعاهدة فقد أمن كليبر بعقده هذه الاتفاقية قيام أى ثورة فى الوجه القبلى وهو إقليم مترامى الأطراف لم تستقر فيه دعائم الحكم الفرنسى، واصبح فى مقدور كليبر أن يوجه اهتمامه إلى القاهرة والدلتا، كما أنه استطاع بمقتضى هذه الاتفاقية أن يتلقى النجدات من مراد بك، فضلا عن أن هذه الاتفاقية ضمنت لكليبر تموين القاهرة بما تحتاج إليه من غلال وأقوات•

وفيما يتعلق بمراد بك فقد كفلت له حقوقا شخصية على حساب المصلحة العليا لمصر التى آوته وجعلت منه أميرا من حيث أنه ضمن لنفسه حكم النصف الجنوبى من

---

(١) Daure a Jacqauin a Benisouef, B6148 Doc. no. 496, en date du prairial an 8 (25 May 1800).

بمحفظة فترتها التاريخية من١٠ أكتوبر سنة ١٧٩٩ إلى ٥ يوليو سنة ١٨٠٠.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ٢، ص ١٤٤ - ١٤٨ •

الصعيد تحت حماية فرنسا، وكان لقبول مراد بك الدخول فى معاهدة مع الفرنسيين أسباب عدة منها ما تكبده من خسائر فادحة أثناء مطاردة ديزيه له، علاوة على ذلك نفور مراد بك نفسه من العثمانيين وخوفه من أن يسترجع العثمانيون سلطانهم القديم وسؤددهم فى البلاد بعد إقصاء الفرنسيين، ومن ثم فقد يعمد الاتراك المنتصرون إلى طرد المماليك أنفسهم بعد ذلك(١) .

وكان مراد بك فى طره عندما جاءه وكلاء كليبر يتفاوضون معه فأرسل مراد إلى كليبر عثمان بك البرديسى مزوداً بتعليمات فحواها أنه يطلب الاستقرار فى جزء من البلاد المصرية حتى إذا تركها الفرنسيون استطاع بمعاونة النجدات التى يمدونه بها الاستحواذ على بلاد هو صاحبها، وليس هناك غير الفرنسيين من يستطيع حرمانه منها، ثم قطع على نفسه عهدا بأن يظل أمينا على اتفاقاته معهم، ورحب كليبر برسول مراد بك، وقطع هو الآخر عهداعلى نفسه بعدم تعرض الفرنسيين لمناوأة مراد ومماليكه وإزعاجهم فى شئ بعد ذلك، وأعلن أنه يضع الاهتمام بمصلحة مراد بك فى المرتبة التالية لاهتمامه بجيشه مباشرة، وبعد ذلك أصبح ميسورا بدء المفاوضة بصورة جدية وعقدت الاجتماعات لبحث قواعد الصلح فى القاهرة فى أثناء اشتعال الثورة بها(٢)، فماذا عن شروط هذه المعاهدة؟

نصوص المعاهدة

بسم الله القدير

نظرا لما أبداه الأمير سامى المقام الحائز لكمال الشرف والاعتبارمراد بك محمد من الرغبة فى أن يعيش فى سلام ووفاق مع الجيش الفرنسى بمصر، ولما يرغبه القائد العام كليبر من الإعراب عما له فى نفوس الفرنسيين من الاحترام الذى استوجبته شجاعته واقتضاء مسلكه حيالهم، فقد تم الاتفاق على ما يأتى :

---

(١) محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، دار الفكر العربى، دون تاريخ، ص ص ٢٠٧، ٢٠٨ .

(٢) نفس المرجع، ص ٢٠٩ .

المادة الأولى :

يعترف القائد العام للجيش الفرنسى بالنيابة عن الحكومة بمراد بك أميراً وحاكما للوجه القبلى ويخوله بهذه الصفة سلطة الحكم والانتفاع فى البلاد الكائنة بالبر الشرقى والبر الغربى للنيل إبتداء من ناحية "بلصفورة"(١) بمديرية جرجا إلى أسوان فى مقابل أن يؤدى للجمهورية الفرنسية الخراج الواجب دفعه عن تلك الجهات لصاحب الولاية على مصر.

المادة الثانية :

يحدد هذا الخراج السوى بمبلغ ٢٥٠ كيس بواقع الكيس ٢٠,٠٠٠ بارة علاوة على ١٥,٠٠٠ أردب قمح و٢٠,٠٠٠ أردب شعير وغلال أخرى.

المادة الثالثة :

الخراج الذى يدفع نقداً يؤدى على أربعة أقساط متساوية كل ثلاثة أشهر قسط، وتبدأ السنة بحساب التقويم الفرنسى، أما الخراج الذى يؤدى نوعا فيورد فى شون القاهرة من أول فلوريال إلى ٣٠ فركتيدور ويحاسب مراد بك على مصاريف نقل الغلال بواقع الأردب اربعين بارة تخصم من الخراج الذى يدفع نقداً.

المادة الرابعة :

يكون لمراد بك دخل جمرك القصير وجمرك إسنا وتحتل ميناء القصير حامية فرنسية لا تقل عن مائتى جندى، وعلى مراد بك أن يؤدى نفقات هده الحامية ويصرف لها ضعف ما يدفع عادة للجند، وعليه أن يخصص كتيبة من المماليك ترابط فى القصير لمساعدة الحامية الفرنسية، وما يدفعه لنفقات الحامية يخصم له من الحراج المذكور فى المادة الثانية.

---

(١) هى من القرى القديمة، وتتبع مركز سوهاج بمحافظة سوهاج حاليا، لمزيد من التفصيل انظر : محمد رمزى :القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٥٤، القسم الثانى، الجزء الرابع، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة١٩٦٣، ص ١٢٥ .

المادة الخامسة :

بما أن أمير الوجه القبلى ليس له إلا الدخل الناتج من الضرائب فليس له أن يتصرف فى ملكية أى بلد إلى حاشيته المتصلين به، ولكن له إدارة هذه البلاد بالطريقة التى يراها مرضية، والحكومة الفرنسية تضمن للأهالى ملكية الأراضى التى يملكونها بالطرق المشروعة وتمنع وقوع أى اعتداء عليها.

المادة السادسة :

على كل طرف أن يرد إلى الطرف الآخر الجنود اللاجئين إليه من جيش الطرف الآخر، وليس لمزارعى القرى التابعة لأى من الفريقين أن يلجأوا إلى البلاد التابعة للفريق الآخر بقصد التخلص من أداء الضرائب أو لأى سبب آخر من هذا النوع.

المادة السابعة :

يجعل الأمير حاكم الصعيد مدينة (جرجا مقراً له وعليه أن يرسل للقائد العام حرساً من خمسة وعشرين مملوكاً، وعليه أن يوفد أحد البكوات من أتباعه مندوباً مفوضاً عنه يقيم باستمرار فى القاهرة.

المادة الثامنة :

يضمن قائد الجيش الفرنسى لمراد بك الانتفاع بدخل حكومته ويتعهد بحمايته فى حالة مهاجمته، وإذا استهدفت الجهات التى تحتلها الجنود الفرنسية لهجوم عدائى أيا كان نوعه فعلى مراد بك أن ينفذ عدداً من جنوده يبلغ على الأكثر نصف قواته لمعاونة القوات الفرنسية وعليه أن يقدم بالثمن المعتاد أدوات النقل المطلوبة ومؤونة الجنود التي ينفذها تكون على نفقة الحكومة الفرنسية.

المادة التاسعة :

يعد القائد العام كليبر بأن لا يوافق على أى اقتراح أو اتفاق يحرم مراد بك من المزايا المبينة أعلاه وعليه أن يبلغ المعاهدة الحالية إلى الحكومة الفرنسية لترعى مصالح مراد بك فى المعاهدات التى قد تبرم بشأن مصر.

المادة العاشرة :

إن الشروط الواردة في المعاهدة الحالية والتي تقررت بمعرفة كل من الجنرال داماس Damas قائد فرقة ورئيس أركان الحرب العام والمواطن جلوتييه Gloutier قوميسير الحكومة (لدى الديوان) ومدير الشئون المالية المفوض عن القائد العام كليبر، وعثمان بك البرديسي المفوض عن مراد بك يصير التوقيع عليها من القائد العام كليبر ومن الأمير المعظم والملاذ الأفخم مراد بك محمد(١).

وواضح من نصوص الاتفاقية السالفة الذكر أن مراد بك قبل أن يحكم الصعيد تحت حماية الحكومة الفرنسية، وغني عن البيان أنه لم يراع في هذه المعاهدة إلا مصلحته الشخصية دون أن يأبه بالمصلحة العامة، وقد بالغ مراد بك في الولاء للفرنسيين بعد هذه المعاهدة، فلم يكد يتم التوقيع عليها حتى أنفذ إلى معسكر الفرنسيين الهدايا والمهمات والغلال والمؤن، وأعطاهم ماكان جمعه درويش باشا من الصعيد من الميرة والأغنام وغيرها(٢)، كما سلمهم بعض العثمانيين اللاجئين إليه، وطرد من الصعيد درويش باشا الذي جعله يوسف باشا الصدر الأعظم واليا على الصعيد، وظل مرادبك بعد توقيع هذه المعاهدة مخلصا للفرنسيين وتابعا وفيا يحكم جزءاً من الصعيد تحت سيادتهم.

٣- الصعيد بين الإدارة الفرنسية والمملوكية :

وضعت معاهدة الصلح بين كليبر ومراد حداً للصراع الدائر في الوجه القبلي بين الفرنسيين والمماليك بزعامة مراد بك، وأصبح مراد بك حاكما للنصف الجنوبي للصعيد تحت حماية الحكومة الفرنسية، ولاجدال في أن الفرنسيين قد استفادوا فائدة كبيرة من هذا الاتفاق، فقد أصبحوا الآن مطمئنين إلى التزام مراد بك الهدوء والسكينة، فلا ينحاز إلى جانب أعدائهم في النضال القائم فضلا عن أنه سوف يصبح في وسعهم أن يتفرغوا لمنازلة أعدائهم في الوجه البحري، فيحتل مراد بك بأجناده المواقع التي يخلونها في الصعيد، ولا

---

(١) Convention entre Kleber et Mourad Bey, le 15 Germinal an 8 (5 Avril)
وثيقة بدون رقم بدوسيه رقم ٤ بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إبريل إلى ٣٠ ابريل سنة ١٨٠٠.

(٢) عبد الرحمن الجبرتي : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، تحقيق وشرح : حسن محمد جوهر وعمر الدسوقي، الطبعة الأولى، لجنة البيان العربي ١٩٦٩، ص ٢٣٢.

يجد الفرنسيون ضرورة إلى بعثرة قواتهم فى أنحاء القطر، لا سيما وأن هذه القوات قد أصبحت قليلة(١).

وهكذا أثرت الأوضاع السياسية على التقسيم الإدارى للصعيد فأصبح لمراد بك حكم النصف الجنوبى من الصعيد من جرجا حتى أسوان تحت حماية الحكومة الفرنسية، ثم دخل النصف الآخر من الصعيد ضمن التقسيم الإدارى للقطر المصرى ككل حيث قام الفرنسيون بتقسيم مصر إلى ثمانية أقاليم منها ثلاث فى الوجه القبلى وهى :

١- **الإقليم الأول** : ويشمل كل من أسيوط والمنيا ويحكمه الجنرال دونزلو.

٢- **الإقليم الثانى** : ويشمل كل من بنى سويف والفيوم ويحكمه الجنرال زايو نشك.

٣- **الإقليم الثالث** : ويشمل كل من أطفيح والجيزة ويحكمه الجنرال فريان(٢).

وقد حصلت فيما بعد بعض التغييرات فى الجنرالات حكام الأقاليم حسب ما كانت تقتضيه الظروف، وكان على هؤلاء الجنرالات أن يحكموا الأقليم الذى يوجدون به ويهتموا بنواحى عديدة عسكرية وإدارية وبالأخص الاقتصادية(٣) حيث ذكر داماس فى رسالة إلى دونزلو قائد الإقليم الأول ما يلى إن أكبر نشاط لك سيكون عند تحصيل الضرائب المالية والعينية(٤) وهذه الرسالة تكشف مدى ماكان يعانيه الفرنسيون فى مصر من نقص فى الأموال بسبب تدمير اسطولهم فى موقعة أبى قير البحرية وأصبحت حاجتهم إلى المال ملحة بعد قطع اتصالهم بفرنسا البلد الأم ولأن الإقليم الذى يحكمه الجنرال دونزلو يجاور مباشرة المنطقة التى يحكمها مراد بك فقد نبه الجنرال داماس على دونزلو بما يلى : إن نية القائد الأعلى أن تعيش فى توافق مع مراد بك مع عدم السماح له أن يتدخل فى الشئون خارج

---

(١) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق، ص ص ٢١٠، ٢١١.

(٢) Ou quartier gènèral du kaire, order du jour du 17 florèal an 8.
ملف رقم ٧، B6 44 بمحفظة فترتها التاريخية من أول مايو إلى ٣١ مايو سنة ١٨٠٠ "١١ فلوريال إلى ١١ بريريال العام الثامن الجمهورى".

(٣) لمزيد من التفصيل : انظر :فاطمة الحمراوى : المرجع السابق، ص ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٤) Damas au gènèral Donzelot, Doc no, 140, le 17 florèal an 8.
ملف رقم ٧، B6 44 بمحفظة فترتها التاريخية من أول مايو إلى ٣١ مايو سنة ١٨٠٠.

الاختصاصات المسموح له بها تبعا للمعاهدة التى بينه وبين القائد الأعلى وقد أرسلت لك نسخة منها، عليك أن تراقب أعماله وتحركاته دون أن يدرى ومع أخذ الحذر"(١).

وكان على الجنرال "دونزلو" أن يقيم فى أسيوط وأن يترك فى المنيا الفرق التى يراها لازمة لتأمين هذه المنطقة تحت قيادة القائد الذى يختاره"(٢)، وهذا يبين لنا أن القائد الأعلى كان يعين الجنرالات حكام الأقاليم، وكان حكام الأقاليم بدورهم يعينون قادة فى المناطق التابعة لإقليمهم لمعاونتهم فى حكم الإقليم.

ولقد توطدت العلاقات بين مراد بك والفرنسيين وتأثر مراد بك لمقتل الجنرال كليبر الذى كان يعتبره صديقا وراعيا مخلصا(٣) وكان مراد بك يخشى ألا يجد من خليفته (منو) نفس المشاعر تجاهه، وأرسل الجنرال منو رسالة إلى الجنرال دونزلو الذى أرسلها بدوره مع أحد الضباط إلى مراد بك، وذكر دونزلو فى رسالة إلى منو أنه لن يتوانى عن طمأنة مراد بك برغبته فى الحفاظ على المعاهدة، وأنك ستقوم بتنفيذ كل ما سبق أن اتفق معه عليه القائد السابق(٤).

---

(١) Damas au général Donzelot, Doc. No. 140, le 17 Floréal an 8.
ملف رقم ١٧، B6 44 بمحفظة فترتها التاريخية من أول مايو إلى ٣١ مايو سنة ١٨٠٠.

(٢) نفس الوثيقة.

(٣) ذكر مراد بك فى رسالة إلى دونزلو عندما علم بمقتل كليبر "وحصل لنا غم شديد وبكاء لأنه كان محبا لطرفنا ويعشمنا بكل خير" وثيقة رقم ٦٠ مؤرخة فى غرة شهر صفر سنة١٢١٥هـ بمحفظة بدون رقم ولا تاريخ بمكتبة جامعة القاهرة.
ثم بعث مراد بك إلى الجنرال منو برسالة عقب توليه قيادة الجيش الفرنسى يبدى فرحته بذلك قائلا: "وحصل لنا غاية الفرح والسرور لأن سابق بلغنا عنكم الأخبار الطيبة وزاد حبنا لطرفكم، وإن شاء الله تعالى يكون راحتنا على الله تعالى وعلى حضرتكم السعيدة وإننا على المحبة والشروط على ما هو عليه حكم الأول وإن شاء الله تعالى تزيد المحبة والتوفيق"، وثيقة رقم ٦٧ مؤرخة فى ١٥ شهر صفر سنة ١٢١٥هـ بنفس المحفظة السابقة.

(٤) رسالة دونزلو إلى منو مؤرخة فى ٢ يولية سنة ١٨٠٠ بملف رقم ٣، B6 47 بدوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من أول يونيو إلى ٩ يوليو سنة ١٨٠٠.

وفى رسالة أخرى من دونزلو إلى منو يذكر له أن مراد بك قد اطمأن من التأكيد الكامل بأنك ستلتزم من ناحيته بكل ما وعد به سلفك(١).

ويؤكد دونزلو فى رسالته إلىالجنرال منو بأن مراد بك شديد الوفاء والصداقة مع الفرنسيين، وله كلمة واحدة يحافظ عليها بحياته، وأننا لا يجب الشك فيه، وأن مصيره مرتبط بمصيرنا، وإذا حدث لا قدر الله مكروه وانقلب الحظ ضدنا سينضم لنا فوراً، وليس لديه أى جانب آخر يناصره وسينتهز الفرصة المتاحة الآن لتدريب بعض المماليك لتكون على مستوى مشاركتنا كل الأعمال إذا دعت الضرورة لذلك وسيستمر فى مراسلة عدونا المشترك ولن يضيع دقيقة فى تبليغنا أى شئ، وفى حالة الهجو علينا حلف برأسه أنه سيحافظ على أمن صعيد مصر من أول أسوان حتى أبواب القاهرة(٢).

وهذا يدل على عمق الصلة والصداقة بين مراد بك والفرنسيين وكان مراد بك يطلع الجنرال دونزلو(٣) قائد الإقليم الأول بكل ما يدور فى المنطقة التى يحكمها، وأيضا بالأخبار التى كانت تصله عن استعدادات الأتراك والإنجليز للزحف على مصر(٤)، وكان مراد بك يوصى الجنرال دونزلو بأن يرسل إلى صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية ليعلمه بهذه الأخبار(٥).

كما كان الجنرال منو يراسل مراد بك ويؤكد عليه بأن يوافيه بكل الأخبار التى ترد إليه عن استعدادات الإنجليز والأتراك(٦).

---

(١) Le gènèral Donzelot au gènèral en Chef, le 14 juillet 1800.
ملف بدون رقم، B6 47 بمحفظة فترتها التاريخية من ١٠ يوليو إلى ١٩ أغسطس سنة ١٨٠٠.

(٢) Le gèneral Donzelot au gènèral en chef, le 14 Juillet 1800.
ملف بدون رقم، B6 47 بمحفظة فترتها التاريخية من ١٠ يوليو إلى ١٩ أغسطس سنة ١٨٠٠.

(٣) عن هذه المراسلات انظر :محفظة بدون رقم ولا تاريخ بمكتبة جامعة القاهرة.

(٤) وثيقة رقم٧٣ مؤرخة فى ٢٩ شهر صفرسنة١٢١٥هـ بنفس المحفظة السابقة.

(٥) وثيقة بدون رقم مؤرخة فى ١٠ شعبان سنة ١٢١٥هـ بنفس المحفظة.

(٦) وثيقة رقم ١٠٤ مؤرخة فى ٢٩ شعبان سنة ١٢١٥هـ بنفس المحفظة.

كما كان مراد يراسل الجنرال منو ليؤكد له أن علاقاته بالفرنسيين وطيدة، ويرجوه ألا يسمع كلام أعدائه أو كما يقول فى رسالته إلى الجنرال دونزلو "إن الواصل لكم الأمير محمد كاشف تابعنا متوجه مصر بجوابات إلى حضرة محبنا العزيز صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية لأجل مقابلته ويفهمه عن أمور المكرهين لنا، لأن فى هذا الوقت الذى يكرهونا كثير إن كان عثمنلى والا خلافه على شان صلحنا معكم ويسلطوا الناس المنافقين لأجل ما يفسدوا ما بيننا وما بينكم"(١).

وهذا يدل على أن مراد بك كان يخشى أن تسوء العلاقة بينه وبين الفرنسيين فيخسر الفرنسيين والأتراك لهذا نجد مراد يؤكد على حبه للفرنسيين فيذكر لدونزلو "واحنا لم بقى لنا أحدا محبين خلاف الجمهور ولم بقى لنا أمن من طرف العثمانلى مطلقا وأنتم تعرفوا ذلك لم تعوذوا من يعرفكم"(٢).

وكان مراد بك يعين كشافا فى المنطقة التى يحكمها ففى رسالة من مراد إلى دونزلو يذكر له فيها "وحضر لنا جواب من الأمير عثمان كاشف قنا"(٣).

وهكذا كانت هناك إدارة مملوكية بقيادة مراد بك فى النصف الجنوبى من الصعيد، بينما كانت هناك إدارة فرنسية فى النصف الشمالى من الصعيد يقوم على إدارتها جنرالات فرنسيون تحت قيادة القائد الأعلى الفرنسى.

وظل مراد بك وفيا ومخلصا للفرنسيين حتى وفاته سنة ١٢١٥هـ -١٨ أبريل سنة ١٨٠١م(٤)، وكنت وفاته ضربة كبيرة أصابت أمال الفرنسيين لأنهم فقدوا بموته حليفا قويا

---

(١) وثيقة رقم ٩١ مؤرخة فى ٦ جماد أول سنة١٢١٥هـ بمحفظة بدون رقم ولا تاريخ بمكتبة جامعة القاهرة.

(٢) وثيقة رقم ٦٦ مؤرخة فى ١٥ شهر صفرسنة ١٢١٥هـ بنفس المحفظة السابقة.

(٣) وثيقة رقم ٨٩ مؤرخة فى ٢٢ جماد أول لسنة ١٢١٥هـ بنفس المحفظة.

(٤) كان مراد بك فى طريقه إلى القاهرة لمساعدة الفرنسيين فى حربهم مع الحملة الإنجليزية التركية التى قدمت لإخراجهم من مصر لكنه لم يكد يصل إلى سوهاج حتى أصيب بالطاعون وأدركته الوفاة.
- انظر : عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ٢، ص ٢٤٠ .

كان يمكن أن يمدهم بما لديه من حول وقوة، وحزنوا عليه حزنا شديداً، واختار المماليك عثمان بك الطنبورجى خلفاً له، واعتمده الفرنسيون خليفة لمراد بك وأميراً على الصعيد.

وذكر الجنرال بليار فى رسالة إلى عثمان بك الطنبورجى قائلا "لقد ذكرت أن الصداقة بيننا وبين مراد بك سوف تستمر معك، نحن نتمنى ذلك أيضا، واعتقد أنها ستكون جيدة جدا"(١). وفى رسالة أخرى من بليار إلى عثمان بك الطنبورجى ذكر له "أن الجنرال منو قد كلفنى بالتعبير عن عظيم أسفه لوفاة صديقنا مراد بك، ولقد كلفنى أيضا بإخبارك أنه يمكنك دائما أن تعتمد على صداقة الجمهورية الفرنسية والقنصل الأول بونابرت وصداقتى الشخصية، ويمكنك أن تتجه حتى بنى سويف وتسهر على حماية الصعيد ونظامه، وأن تمنع العرب من إيقاع الأذى بالأهالى، وسوف يصل الجنرال منو قريبا إلى القاهرة وسوف يخبرك بخططه الشخصية فيما يتعلق بمصالحنا المشتركة"(٢).

فأرسل عثمان بك الطنبورجى إلى بليار يعرب له عن ولائه وولاء المماليك للفرنسيين، لكنه بعد ذلك نقض المعاهدة لما رآى كفة الإنجليز والأتراك راجحة، واتصل بإبراهيم بك زميله القديم الذى جاء صحبة الصدر الأعظم(٣) لينتهى بذلك التعاون المملوكى الفرنسى فى إدارة الصعيد وحكمه.

ومن العرض السابق للتقسيم الإدارى للصعيد يتبين لنا أن هذا التقسيم قد مر بمراحل متعددة طوال عهد الحملة الفرنسية وأنه كان متمشيا إلى حد كبير مع الظروف السياسية والحربية التى عاشتها الحملة الفرنسية فى مصر طوال ثلاث سنوات.

---

(١) Doc. no, 1594, le 10 May 1801

ملف رقم ١١، B6 68 بمحفظة فترتها التاريخية من ٢١أبريل سنة ١٨٠١ إلى ١٢ مايو سنة ١٨٠١.

(٢) Ordres de Belliard, B6, 133, a, Aosm an Bey Tambourgi, Doc. no. 1691, le 22 Florèal an IX (12 May 1801).

ملف رقم ١٥، B6 68 بمحفظة فترتها التاريخية من ٢١ ابريل سنة ١٨٠١ إلى ١٢ مايو سنة١٨٠١.

(٣) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ٢، ص ٢٤٠.

٤- نظام الدواوين :

إستتبعت السياسة التى وضعها الجنرال بونابرت فى إجتذابه للمصريين وضع نظم جديدة لحكم البلاد، وإشراك الأهالى معه فى السلطة أو فى الرأى، وغنى عن البيان أن بونابرت كان يستهدف من وراء ذلك كله التفاهم مع المصريين، واستمالتهم إليه من أجل توطيد سلطة الفرنسيين فى مستعمرتهم الجديدة وتطبيقا لهذه السياسة صدر أمر بونابرت بتكوين ديوان القاهرة فى ٢٥ يوليو سنة ١٧٩٨ (١).

وعمل الجنرال بونابرت على تعميم نظام الديوان فى جميع مديريات القطر المصرى، ففى ٢٧ من يوليو سنة ١٧٩٨ صدر أمر بونابرت بتأليف ديوان فى كل مديرية من سبعة أعضاء، يقومون بالسهر على مصالح المديرية، ويعرضون عليه كل الشكاوى التى تصل إليهم، ويمنعون إعتداء القرى بعضها على بعض ويراقبون ذوى السمعة السيئة ويعاقبونهم مستعينين فى ذلك بالقوات الخاضعة لأوامر القواد الفرنسيين ويرشدون الأهالى إلى ما فيه مصلحتهم، واشتمل هذا الأمر على تعيين أغا أو رئيس للانكشارية فى كل مديرية، يتصل دائما بالقومندان الفرنسى وتكون تحت إمرته قوة تبلغ ستين رجلا مسلحا، يحافظ بها على الأمن والنظام والسكينة وكذلك على أن يعين فى كل مديرية "مباشر" لجباية أموال الميرى والضرائب، وإيراد أملاك المماليك التى صودرت لصالح الجمهورية، ويكون إلى جانبه وكيل فرنسى لكى يتصل بمدير المالية، ويراقب تنفيذ الأوامر التى يصدرها وتكون من اختصاص الادارة المالية(٢).

واستقر رأى نابليون بعد ذلك على أن ينشئ فى القاهرة "ديوانا عاما" يجمع مندوبين عن ديوان القاهرة ودواوين الأقاليم، وذلك حتى يستعين بهم فى تنظيم شئون القضاء وحقوق الملكية، وطرق توريثها، وتحديد الضرائب وجبايتها واستقرار الحكومة الإقليمية(٣).

---

(١) لمزيد من التفصيل عن ديوان القاهرة : انظر : وجيه على أبو حمزة: القاهرة فى عصر الحملة الفرنسية، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ بآداب المنيا، عام ١٩٨١، ص ١٠٧، وما بعدها.

(٢) Sala Din Boustany : The Journals of Bonaparte in Egypt 1798-1801 (in10 volumes) volume Ten, First edition, Cairo, 1971, P. 39.

(٣) محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، ص ١٠٣ .

واجتمع الديوان العام يوم ٦ من أكتوبر سنة ١٧٩٨ لمناقشة الأمور المتعلقة بنظم الحكم الإدارية والمالية والقضائية التى يريد بونابرت تطبيقها فى مصر(١).

هذا ولقد ضم الديوان العام الذى عقد فى السادس من أكتوبر وفوداً من القاهرة ومديريات الوجه البحرى، ومن مديريات الوجه القبلى شاركت وفود من مديرية الجيزة وأطفيح وبنى سويف والفيوم والمنيا وأسيوط وجرجا، وكان كل وفد يتكون من تسعة أفراد، ثلاثة من العلماء وثلاثة من التجار وثلاثة من الأهالى(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن الديوان العام لم تكن له سلطة قطعية فى الأمور التى عرضت عليه، بل كان الغرض من انعقاده استشارته والوقوف على آراء أعضائه.

وبالنسبة لدواوين الأقاليم فقد أصدر بونابرت أمراً فى ٢٠من أكتوبر سنة ١٧٩٨ "بأن يكون فى كل مديرية ديوان مؤلف من تسعة أعضاء ينتخبون بمعرفة جمعية عمومية Assemblèe مؤلفة فى كل مديرية من العلماء والأئمة ومشايخ البلاد وأكابر وأعيان التجار والصناع، وهؤلاء يعينهم قومندان المديرية ويكون لديوان القاهرة الرئاسة على دواوين المديريات ولكل ديوان فى مديريته الرئاسة والإشراف على القضاة ومشايخ البلاد"(٣).

وتجدر الإشارة إلى أن نابليون هو الذى كان يختار أعضاء الديوان العام، أما قائد الإقليم أو المديرية فهو الذى كان يختار أعضاء الديوان فى المديرية التى يحكمها، لهذا من الخطأ أن تعتبر هذه الدواوين مجالس نيابية فإن أعضاءها لم ينتخبهم الشعب، وإنما عينهم بونابرت وجنرالاته تعييناً، ولم تكن هذه الدواوين فى الحقيقة سوى مجالس استشارية يعرض

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ١٠٩ - ١١٦.

(٢) عبد العزيز محمد الشناوى، جلال يحيى : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف ١٩٦٩، ص ٥٠٢.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر :

Corresspondane de Napolèon Ier op. Cit. T.V. Doc. no. 3516, en date du 20 Vendèmiaire an VII (20 Octobre, 1798).

عليها القائد العام ما يرى عرضه عليها من شئون البلاد، وهو غير ملزم باتباع ما يقرره الأعضاء.

والواقع أن المرجع الأعلى كان بونابرت نفسه، وكان حكم مصر عسكريا محضا، ولم تكن هذه الدواوين سوى واسطة بين الاحتلال الفرنسي والشعب المصرى، وقد حاول بها بونابرت أن يحبب الحكم الفرنسى إلى الشعب.

وكان بونابرت يتابع أوضاع دواوين الأقاليم ويصدر أوامره إذا ما حدثت مشكلة ما تتعلق بهذه الدواوين ففى رسالة منه إلى "بوسليج" يذكر له الآتى "ارفض تماما إغلاق ديوان القصير، يجب أن يكون لهذا الديوان نظام ديوان السويس، أرجو أن ترسل لى تقريرا غدا عن هذا الأمر"(١).

وكانت دواوين الأقاليم تقوم بمعاونة حاكم الإقليم أو المديرية فى تصريف شئون المديرية لذلك كان يتم اختيارهم من بين الذين اشتهروا بالعلم والكفاءة، وعرف عنهم حسن استقبالهم للفرنسيين وتعاونهم معهم.

وكان أعضاء الدواوين يحصلون على مرتبات شهرية مقابل عضويتهم فى الدواوين ومعاونتهم للفرنسيين ففى رسالة من رينيه إلى بوسليج يقول له فيها "أرسل إليك قوائم خاصة بالأشخاص الذين يكونون الديوان والوحدة الانكشارية لإقليم الفيوم، وأرجوك إرسال أمر دفع لهم لشهر فروكتيدور"(٢).

وكلما أظهر أعضاء ديوان ما تعاوناً وإخلاصاً فى خدمة الفرنسيين،كلما كان ذلك موضع تقديرلهم من جانب الفرنسيين، فيذكر رينيه فى رسالة له إلى بوسليج "أن ديوان انكشارية المنيا يستحقون أن يميزوا عن أقرانهم فى الفيوم وبنى سويف بسبب ميلهم

---

(١) Correspondance de Napolèon Ier Op. Cit. T.V. Doc. no, 4252 en date du 16 messidor an VII (4 Juillet, 1799)

(٢) Reynier à poussielgue, B 6 161 le 28 vendèmiaire an VIII
بمحفظة فترتها التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ١٨ يونية سنة ١٨٠١.

للتعاون"(١) وهوهنا يقصد أن يميزوا ماديا أى أن يحصلوا على مرتبات أكثر من ذويهم فى الفيوم وبنى سويف٠

وكانت دواوين الأقاليم تقوم بتنفيذ الأوامر الصادرة إليها وعمل اللازم كلما كانت هناك ضرورة لذلك، ففى رسالة من دوجا إلى ديوان الجيزة يقول فيها "احتاج إلى ٢٠٠ جمل لحمل أمتعة إلى بلبيس، وعلى ديوان الجيزة جمعها وإرسالها إلى القاهرة بعد غد صباحا، سفر هذه الجمال سوف تدفع مصاريفه بالكامل، إذا كان الديوان يحتاج إلى قوة عسكرية فليطلبها من قائد المنطقة، تنفيذ هذا الأمر يتحمله أعضاء الديوان"(٢)٠

وكانت دواوين الأقاليم تستقبل شكاوى الأهالى وتعمل على حلها، ولكن فى حالة ما إذا عجز ديوان إقليم ما فى حل أحد المشاكل التى تعرض عليه كان يرسلها إلى ديوان القاهرة الذى كانت له الرئاسة على دواوين المديريات، وهذا دليل على المكانة التى كاني يتمتع بها هذا الديوان فى نظير باقى دواوين أقاليم مصر، ومن هنا كانت تصله الشكاوى من مختلف المناطق، فعلى سبيل المثال فلقد أرسل ديوان الفيوم برسالة إلى ديوان القاهرة يعرض له فيها للظروف الصعبة التى مر بها فلاحو إحدى قرى الفيوم والذين اضطروا إلى الهجرة من قريتهم نظراً لتعرضهم للسلب والنهب على يد غارات العرب ولذلك لم يزرعو قريتهم وهم يطلبون اعفائهم من دفع ضرائب عام ١٢١٣هـ-١٧٩٨م لكى يعودوا إلى قريتهم، لكن يبدو أنه رغم ذلك فإن الفرنسيين كانوا يقررون الحل الذى يتمشى مع مصلحتهم بغض النظر عن طلب أعضاء الديوان(٣)، ويبدو من خلال ذلك أن سلطة الديوان كانت محدودة، ولم يكن فى مقدوره رفع المظالم، ولامنع إقرار المغارم التى يتسبب فيها الفرنسيون، وتبين من تجربته على حد تعبير الرافعى "أنه لا حول له ولا قوة"(٤)٠

---

(١) Reynier à poussielgue, B 6 161, le 28 vendèmiaire an VIII
بمحفظة فترتها التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ١٨ يونية سنة ١٨٠١ ٠

(٢) Dugua au Divan du ghize, le 24 nivoise an 8, Doc. no. 530.
ملف بدون رقم فترته التاريخية من٣٠ نوفمبر سنة ١٧٩٩ إلى ٢٩ يناير سنة ١٨٠٠، بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٨ أغسطس سنة ١٧٩٩ إلى ١٠ أغسطس سنة ١٨٠٠ ٠

(٣) فاطمة الحمراوى : المرجع السابق :ص ١٩٦ ٠

(٤) عبد الرحمن الرافعى: المرجع السابق، جـ٢، ص ٢١٢ ٠

ويتضح من خلال وثائق الحملة أن دواوين الأقاليم كان يقوم على رئاستها فرنسيون، ففى رسالة من دونزلو إلى القائد العام يذكر له فيها "أن ديوان أسيوط الذى يرأسه المواطن لابانوز Lapanouse" تكمن مشكلته فى نقص عدد الموظفين الذين يعملون مع المواطن لابانوز، وهو قد قام بتقديم طلبات بخصوص هذا الأمر ولم يتلق أى رد(١).

ولقد قامت دواوين الأقاليم بدورها فى مساعدة حكام الأقاليم، وقدمت لهم مشورتها، ونفذت أوامرهم وهكذا نجحت السلطة الفرنسية فى أن تجعل من الدواوين واسطة بين الفرنسيين والمصريين، وكان هدف الفرنسيين من تأليف هذه الدواوين التقرب إلى المصريين عموما، والعمل على الاستقرار فى البلاد وبالتالى إعطاء أكبر فرصة للفرنسيين للقيام بما كانوا يرغبون، وكانت استمالة المصريين تساعد على القضاء على كل سلطة ونفوذ للمماليك، الأمر الذى استتبع مواصلة مطاردتهم ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم.

وعلى كل حال فإن قيام الفرنسيين بإنشاء الدواوين بمختلف أنحاء مصر كان فيه رحمة بأهلها نظراً لأنهم كانوا يشاورون أعضاءها من المشايخ فى بعض المسائل التى تتصل بالشريعة الإسلامية(٢).

والواقع أن الفرنسيين لم يفعلوا ذلك إلا لخشيتهم من أن تصطدم نظمهم الإدارية مع تعاليم المصريين الدينية وتقاليدهم وعاداتهم، لأن ذلك لو حدث سيعنى مزيد من ثورة المصريين على الفرنسيين، لذلك عمل الفرنسيون قدر استطاعتهم على تجنب كل ما قد يستثير شعور المصريين الدينى.

٥- تنظيم البريد :

رأى الجنرال ديزيه وهو فى جرجا أن ينظم البريد بين الحاميات الفرنسية ليجعل بينها اتصالا مستمرا يقيها المفاجآت، وناط حمل البريد بفرسان مسلحين يقطعون مراحل

---

(١) Le gènèral Donzelot au gènèral en chef, le 30 vendemaire an 9.

ملف رقم ١٢، B6 55، بمحفظة فترتها التاريخية من ١٥ أكتوبر إلى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٠٠.

(٢) عبد الله الشرقاوى: تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين، القاهرة ١٢٨١هـ، ص ٧٥.

محدودة، ويتغيرون عن كل مرحلة إلى أن تصل الرسائل إلى الجهة المقصودة، وأمر أن يسافر البريد كل يوم من جرجا وقنا إلى المراحل الآتية :

من جرجا إلى برديس، ومن برديس إلى فرشوط، ومن فرشوط إلى هو، ومن هو إلى دشنا، ومن دشنا إلى السمطا، من السمطا إلى قنا، وطلب ديزيه من بليار أن ينظم البريد على هذه الطريقة من قنا إلى إسنا، وكلفه أن يأمر قائمقام كل بندر أن يكون معدا لنقل البريد يوميا فى منطقته(١) كما كان هناك مكتب للبريد فى كل من بنى سويف وأسيوط وكان على أفراد المراسلة أن ينتقلوا يوميا فى الثانية عشرة ظهراً طبقا لأوامر القائد الأعلى(٢) وفى رسالة من الجنرال فريان إلى الجنرال كليبر يذكر له "أن قادة بنى سويف والمنيا وأسيوط وجرجا يملك كل منهم أربعة أشخاص يركبون الجمال لكى يتم نقل الرسائل بسرعة"(٣).

ومن خلال وثائق الحملة الفرنسية يتبين لنا أن إدارة الاتصالات فى الصعيد كانت ذات مستوى عال(٤) ومما لاشك فيه أن ذلك كان لصالح الفرنسيين، حيث كانت الادارة المركزية بالقاهرة تتعرف على ما يحدث فى الأقاليم من خلال رسائل حكام الأقاليم كما كانت المراسلات بين الجنرال ديزيه وضباطه هامة جداً خصوصا فى مرحلة الصراع الحربى بين الفرنسيين والأهالى والمماليك، حيث كان الجنرال ديزيه يعد خططه الحربية ويوجه الأوامر إلى ضباطه من خلال الرسائل المتبادلة بينه وبينهم.

وفى نهاية حديثنا عن الإدارة الفرنسية فى صعيد مصر تجدر الإشارة إلى أن كل ما استحدثه الفرنسيون من تنظيم إدارى فى صعيد مصر فى عهد الحملة كان يخدم بالدرجة الأولى الوجود الفرنسى فى صعيد مصر ولم يكن التنظيم الإدارى الفرنسى من أجل صالح الأهالى أو للعمل على راحتهم يوما ما.

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١،ص ص ٣٩٢، ٣٩٣ .

(٢) Au quartier général du kaire, ordre du jour du 17 floréal an 8 .
ملف رقم ٧، B6 44 بمحفظة فترتها التاريخية من أول مايو إلى ٣١ مايو سنة ١٨٠٠ .

(٣) Doc. No. 1247, le 17 November, 1799.
ملف رقم ١، بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر سنة ١٧٩٩ إلى ١٥ ديسمبرسنة ١٧٩٩ .

(٤) Daure a Duval, le 13 Fructidor an VIII, Doc. No. 1644, B6 149.
بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٣ أغسطس سنة ١٧٩٩ إلى ٨ أغسطس سنة ١٨٠١ .

الفصل الخامس

الأوضاع الإقتصادية للصعيد في عهد الحملة الفرنسية

الفصل الخامس

الأوضاع الإقتصادية للصعيد فى عهد الحملة الفرنسية

- **تمهيد**

أولا : الزراعة

- اهتمام الفرنسيين بالرى
- الحملة الفرنسية وملكية الأرض
- الضرائب على الأراضى الزراعية فى عهد الفرنسيين

ثانيا : الصناعة

ثالثا : التجارة

- التجارة الداخلية فى الصعيد
- دور الصعيد فى التجارة الخارجية لمصر

الأوضـــاع الإقتصاديـــة للصعيـد
فى عهد الحملة الفرنسية

تمهيـد :

جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر وكان من بين أهدافها تحويل مصر إلـى مستعمرة فرنسية تمدها بكل ما تحتاج إليه من منتجات زراعيـة وعلـى رأسـها السكر والقطـن والنيلـة وكلها منتجات هامـة بالنسبة للصناعـة الفرنسـية وأن تصبـح مصـر سـوقا رائجـة لتصريـف المنتجات الفرنسية هذا إلى جانب الإستفادة من الموقع الاستراتيجى لمصر من حيث سهولة إقامة علاقات تجارية مع مختلف أنحاء العالم، وحاولت الحملة الفرنسية خلال فترة وجودها إنعاش التجارة الداخلية والخارجية لمصر، ولكن نظـرا لظـروف الحملـة وحـرج موقفها فـى مصر وبخاصة بعد موقعة أبى قير البحرية (أول أغسطس ١٧٩٨) بالإضافـة إلـى أن البلاد خلال مدة الحملة لم تتمتع بفترة سلام إلا نادرا فمن غارات البدو إلـى معـارك المماليك إلـى ثورات المدن إلى حركات الثورة فى القرى، كل ذلك ولا شك قد انعكس أثره علـى الحالـة الاقتصادية فى مصر.

وسوف نعرض للأوضاع الاقتصادية للصعيد فى عهد الحملة الفرنسية لنرى مدى ما أصابه من التطور فى ذلك الوقت وسنعرض له فيما يلى :

أولا : الزراعـــة :

اعتنى الفرنسيون بالزراعة فى مصر حيث أصبحت الحاجة إلى الإصلاح الزراعـى أمرا حيويا بالنسبة للفرنسيين خصوصا بعد أن وجدوا أنفسهم معتمدين اعتمـادا كليا علـى موارد الدخل المحليـة بعد أن دمر نلسون الأسطول الفرنسـى فـى أبـى قير، ولقد تمثلت اهتمامات الفرنسيين بالزراعة من خلال محاور ثلاثة نعرض لها كالتالى :

١- اهتمـــام الفرنسيين بالـــرى :

كانت الزراعة فى أواخر القرن الثامن عشر فـى حالـة يرثـى لها ويرجع ذلك إلـى اختلال السياسة المائية، حيث أهملت الـترع ولم يعن بتطهيرها، فترتب علـى ذلك حدوث

سدود فى قنوات الرى وبقيت كذلك سنين متوالية وتحولت مساحات زراعية واسعة إلى ما يشبه الصحراء(١)٠

وكان نظام الرى المتبع فى ذلك الوقت فى الصعيد هو نظام الرى بالحياض حيث تقسم الأرض المزروعة إلى حياض، وإذا حل الفيضان غمرت المياه الأرض وتظل فيها فترة من الزمن ثم تصرف المياه الباقية إلى النيل(٢)٠

وتبعا لنظام الرى الحوضى كانت مساحة الأراضى الزراعية غير ثابتة، إذ تزداد وتنقص بالنسبة لدرجة الفيضان، فإن كان عاليا غمرت المياه الأراضى وكثر الإنتاج الزراعى وإن كان منخفضا قل الإنتاج الزراعى، وهكذا فإن عيوب هذا النظام تتمثل فى الاعتماد على منسوب مياه الفيضان، والتأثير على انتاج البلاد من الغلات الزراعية حيث لم يوجد نظام دقيق لضبط المياة وعدم العناية بالجسور، ووقوع العبء الأكبر على الأهالى لتصليح وصيانة هذه الجسور، ونتيجة لعدم تدخل السلطات المحلية فى تنظيم عملية الرى بين القرى، حدثت عداوات ومشاحنات لا تحصى بين هذه القرى، وهذا العداء متواصل لا مهادنة فيه ولا صلح وأحيانا قد تحدث القلاقل بين المزارعين فيترتب عليها هجر قرى بأكملها لأن جيراناً لهم قد استولوا بالقوة على المياة التى كانت مخصصة لهم(٣)٠

ولهذا السبب وجد الفرنسيون أنفسهم أمام ضرورة وضع خطة عامة لإصلاح وصيانة الترع والجسور وتنظيم عملية توزيع مياه فيضان النيل على مختلف الإراضى الزراعية لتلافى ترك أراضى بدون رى (شراقى) لأن ذلك سؤدى إلى تلف الزراعة وهذا يفضى إلى نقص الغلات وبالتالى إلى نقص الضرائب٠

---

(١) محمد فهمى لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة، القاهرة ١٩٤٤، ص ٦٤

(٢) Girard, Memoiresur L'Agriculture L'industrie et le commerce de L'Egypte Description de L'Egypte, Tome 17, seconde Edition, Panckoucke, Paris, 1824, P. 11-13.

(٣) Girard. Op. Cit. PP. 14, 15.

وخلال الفترة الأولى اهتم الفرنسين بالأشغال المتعلقة بإصلاح القنوات الرئيسية، والسدود، ووجهت الأوامر الى قواد الإقاليم بأن يعتنوا بهذا الأمر لكل واحد فى نطاق اقليمه(١) واعتنى الفرنسيون بالرى وعين لوبير Le pére مديرا للطرق والجسور وقام بإرسال منهدسين فرنسيين لكى يفحصوا الترع والقنوات المختلفة والطريقة التى تسقى بها القرى، واهتم لوبير بمياه النيل وارتفاعه حتى يتمكن من وضع خطة شاملة لإصلاح نظام السقى أو على الأقل الإهتمام الجدى بتنظيمه(٢).

ويذكر مارتان Martin أحد مهندسى الطرق والجسور بمنطقة البهنسا والفيوم ما يلى "أما مهندسو الطرق والجسور الذين أوكل إليهم بشكل خاص بكل ما يتصل بنظام الرى فقد شغلوا معظم أوقاتهم بدراسة نظام النيل وترع الملاحة والرى والتجفيف، وكان من نصيبى ولايتا البهنسا والفيوم وتوجهت الى بنى سويف واتخذت قرارى الحاسم باجتياز هاتين الولايتين من كل أجزائهما وأن أنشئ لهما الخرائط التفصيلية على قدر استطاعتى"(٣).

كما قام أحد الفرنسيين ببعض الأبحاث بخصوص منطقة الفيوم متعلقة بتنظيم السقى واقترح حفر بحيرة الفيوم حتى تستغل وقت الفيضان لمياة النيل والتى يمكن الإنتفاع بها فى الصيف للسقى، وقد قام جيرار (Girard) المهندس العام للطرق والجسور بقراءة هذا البحث فى المجمع العلمى(٤)، وحرص الفرنسيون على الإهتمام بتنظيم عملية الرى بعد فيضان النيل حتى لا يحدث هناك نزاعات بين القرى، وحتى لا تستفيد قرى وتتضرر أخرى، وحرص القائد العام منو على الكتابة للجنرالات الفرنسيين الذين كانوا يحكمون مختلف أقاليم مصر لكى يشرفوا بأنفسم على تنظيم عملية الرى ويساعدوا المهندسين على القيام بتلك العملية، حيث توجد عدة وثائق هى عبارة عن مراسلات بين كل من لوبير مدير الطرق والجسور والقائد العام منو، وبين هذا الأخير قواد الأقاليم، وهذا يظهر اهتمام (منو) الكبير بتنظيم

---

(١) فاطمة الجمراوى: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ بآداب القاهرة عام ١٩٨٨، ص ص ٢٦٦، ٢٦٧ .

(٢) نفس المرجع، ص ٢٧٠ .

(٣) Martin, Description Hydrographique des provincs de Benysouef et Fayoum, Dans Description de L'Egypte , tome Seizieme, Paris 1825 pp. 4,5.

(٤) فاطمة الحمراوى: المرجع السابق. ص ٢٣٧ .

عملية الرى علما منه مدى ضرورة رى جميع الأراضى الزراعيه حتى يتمكن الفلاحون من دفع الضرائب التى عليهم فيما بعد، وحتى يزيد الإنتاج الزراعى لأنهم كانوا فى امس الحاجة إليه لسد احتياجات الجيش من المنتجات الزراعية(١)٠

وبالرغم من حرص الفرنسيون على صيانة الترع والجسور إلا أنه كانت تحدث بين الحين والأخر انهيار أحد السدود مثلما حدث فى بنى سويف أن انهار أحد السدود وتسبب فى غرق نصف بنى سويف وبخصوص ذلك يذكر المعلم يعقوب الوكيل القبطى فى رسالة له الى الجنرال منو يطلب منه قطع خشبية يحتاجها هذا السد ويرجوه أن يأمر المهندس المختص بتقديم هذه القطع الخاصة بالسد أو أن يكلف أحدا بإصلاحه لأن ذلك يهدد المحاصيل(٢) وكان المخالفون للأوامر التى يصدرها الفرنسيون بخصوص فتح أو إغلاق السدود يعاقبون بدفع غرامة مالية تقدر بحوالى ٤٠٠ بوطاقة(٣)، وقد دفعها شيخ احدى القرى لإخلاله بتلك الأوامر، وكان شيوخ القرى المخالفون لتلك الأوامر يحبسون لحين دفعهم الغرامة المالية التى تفرض عليهم(٤) وفى نفس الوقت فإن الجنرال ديزيه كان يوزع القفطان على شيوخ القرى الذين كانت حالة الزراعة والقنوات عندهم تثير اهتمامه، وتبعا لأوامر الجنرال ديزيه تم حفر القنوات وترميم الجسور بالصعيد(٥) وهذا يدل على عنايته واهتمامه بنظام الرى٠

وكانت صيانة السدود والترع الخاصة بكل قرية فى الصعيد يقوم بها فلاحو القرية وجرت العادة على أن تكاليف هذه الأعمال كانت تخصم من الضرائب ولكن فى حالة، ما إذا

---

(١) فاطمة الحمراوى : المرجع السابق، ص ٢٧٥ ٠

(٢) وثيقة بدون رقم مؤرخة فى ١٨ أغسطس سنة ١٨٠٠ بملف رقم ٤، 50 B6 ، بمحفظة فترتها التاريخية من ١٠ يوليو إلى ١٩ أغسطش سنة ١٨٠٠ (٢١ ميسيدور الى ١ فرو كتيدور العام الثامن الجمهورى)٠

(٣) البوطاقة: قطعة نقدية تساوى ٩٠ مدينى٠

(٤) فاطمة الحمراوى : المرجع السابق، ص ص ٢٧٥، ٢٧٦ ٠

(٥) Martha Beker, Le general Desaix, Paris 1852, P. 342.

قامت الحكومة بصيانة الترع والجسور مثلما حدث فى عام ١٨٠١ فلن يكون هناك خصم لتلك المصاريف من الضريبة التى يدفعها الفلاحون لأن الحكومه هى التى قامت بها(١).

وبداية من عام ١٨٠١ زاد نشاط الهندسة المدنية التي سيطرت على كل الإدارة العامة، وبعد أن كانت كل الأعمال التى تتعلق بصيانة الترع والجسور تقوم بها القرى قامت بها الهندسة المدنية، وبدأت رقابة الهندسة المدنية تشرف على كل هذه الأعمال(٢) وهكذا قام الفرنسيون بدراسة نظام الرى المصرى، وقام مهندسو الرى بتنفيذ بعض الأعمال العاجلة وفحصوا القنوات والجسور، لأنهم أدركوا أن ثروة مصر تتوقف على تدبير مياه النيل وأنه بدون نظام ملائم للرى لايمكن تحقيق أقصى ربح من زراعة الأرض، ولم يكتفوا بذلك بل حاولوا أقلمة بعض النباتات الإجنبية فى مصر، وتقدم المواطن نكتو Nectoux إلى المجمع العلمى بمشروع لإنشاء مؤسسة زراعية فى مصر، وطالب نكتو السلطات الفرنسية أن تزرع فى مصر ما تحتاج إليه فرنسا وما لا يمكن زراعته فيها، ولكن يجب تأجيل ذلك حتى يستتب الأمن فى مصر تماما(٣).

وهذا يدل دلالة قاطعة على نظرة الفرنسيين لمصر على كونها مستعمرة فرنسية، فالاهتمام بالرى وبتطوير الزراعة كان على أساس أن الفرنسيين سيستقرون بمصر وأنهم سيستفيدون من كل هذه الأعمال وأنها ستعود عليهم بالنفع، وفى نفس الوقت فإن هذا كان سيقربهم من الأهالى الذين سيعود عليهم هذا التطوير بنفع مادى الى حد ما وبالتالى سيعى السواء الأعظم من السكان أن الحكم الفرنسى أتى بشئ جديد فيه كسب مادى يعود عليهم، فيكون ذلك سببا من الأسباب الداعية الى الهدوء والسكينة وتوطيد الأمن فى البلاد.

---

(١) Reynier à Estéve, le 30 Pluviose an IX (18 Fevrir 1801) Doc. No. 425.

ظرف B6 162 فترته التاريخية من ٦ فبراير إلى ١٨ يونية سنة ١٨٠١، بمحفظة فترتها التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ١٨ يونيو سنة ١٨٠١ (١٠ فاندميير العام الثامن الجمهورى إلى ٢ ميسيدور العام التاسع الجمهورى).

(٢) نفس الوثيقة السابقة.

(٣) La Décade Egyptinne, volume Premier, Beyrouth, Sans Date, PP 104, 105.

٢- الحملة الفرنسية وملكية الأرض:

لم تغير الحملة الفرنسية في مرحلتها الأولى من نظام ملكية الأراضي الزراعية نظرا للظروف التي كانت تعيشها الحملة والتي جعلت قائدها بونابرت يتوخى الحذر لأنه كان معزولا عن فرنسا، ويعيش بين ظهراني شعب يناصبه العداء، ولكن بالرغم من ذلك كان على بونابرت أن يوفر مصادر مالية مضمونة للجيش في أقرب وقت لذلك قرر الإبقاء على نظام الملكية كما كان من قبل مجئ الفرنسيين، ولكنه شهد بعض التغيرات حيث طالب الفرنسيون الملتزمين بتقديم عقود الإلتزام لتسجيلها على أن يدفعوا رسوم تسجيل مقابل ذلك قدرت بـ ٢٪ من قيمة الأرض ومن عجز عن تقديم "عقد الإلتزام" تصادر أرضه وتضم إلى أملاك الحكومة(١).

واستطاعت الحملة بهذه الطريقة أن تستولي على ثلثي أراضي مصر التي كانت بأيدي المماليك وأن تضمها إلى أملاك الدولة لصالح الجمهورية الفرنسية وأدارها موظفون فرنسيون إدارة مباشرة(٢).

وكان هذا شيئا طبيعيا بعد أن دارت الحرب بين الفرنسيين والمماليك أن تصادر الحملة أملاك الملتزمين من المماليك الذين قاموا بالحرب ضد الحملة، كما صادرت الحملة أملاك الملتزمين من المماليك الذين قتلوا في ساحة القتال وحتى الذين فروا كما استولت على أملاك الذين لم يستطيعوا أن يظهرو سندات إلتزامهم(٣).

وقد حدث بالفعل أثناء الإحتلال الفرنسي أن ضمت الأراضي التي كانت في أيدي المماليك في الوجه القبلي إلى الدولة لصالح الجمهورية الفرنسية، وأشرف عليها موظفون فرنسيون حتى عام ١٨٠٠ الذي وقع فيه الجنرال كليبر ومراد بك اتفاقا أقر الإعتراف بمراد

---

(١) محمد فهمي لهيطة: المرجع السابق، ص ٦٥، سلوى العطار: التغيرات الإجتماعية في مصر منذ الحملة الفرنسية حتى بناء الدولة الحديثة: رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس عام ١٩٧٩، ص ١٤٦.

[illegible] ن أن ريفلين: الإقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر: ترجمة أحمد عبد مصطفى ومصطفى الحسيني: دار المعارف بمصر ١٩٦٧، ص ٦٧.

[illegible]: المرجع السابق، ص ١٤٦.

حاكما على الصعيد بشرط أعترافه بالسيادة الفرنسية، وتجاهل مراد حقوق حائزى الارض السابقين ومنح "إلتزمات لأهم انصاره[1]، وفى ١٦ سبتمبر سنة ١٧٩٨ أصدر بونابرت مرسوما نص على أن السندات التى فى أيدى الفلاحين بأراضيهم لاتكفى لأثبات ملكيتها بالبيع أو الميراث، بل يجب الكشف عنها فى سجلات الروزنامة نظير دفع رسم لذلك واذا وجدت حجتهم مقيدة بالسجلات يكتب لهم سند جديد "تمكين" جديد على أن يقدر ثمن الأرض من جديد ويدفع صاحبها رسما بنسبة ٢٪ من الثمن كرسم تسجيل نهائى، وإذا لم تكن لدى الفلاح حجة أو سند أو لم تكن أرضه مقيدة بالسجلات فإنها تضبط لصالح الجمهورية ويصير من حق الديون الخاص بذلك والذى عرف باسم "ديوان محكمة القضايا" أن يتصرف فيها من جديد[2]٠

وقد أقر المرسوم نظام التواريث كما تنص عليه الشريعة الإسلامية حيث أوجد له نظاما لابد من دفع رسم للحكومة فى كل خطوة فيه، فرسم يدفع عند الوفاة، وآخر عند حصر التركة بعد ٢٤ ساعة من الوفاة على الأكثر، فإذا بقيت أكثر من ذلك ضبطت للديوان، ورسم ثالث عند اثبات الوراثة ومدى علاقة الوارث بالمتوفى، ثم ضريبة الميراث التى تفرض عند تمكن كل فرد من الحصول على ميراثه، ورسم لمن يريد أن يثبت أن له دينا فى ذمة المتوفى[3]٠

وإذا كانت هذه هى كل النظم التى قامت بها الحملة الفرنسية نحو الملكية فمن الواضح أنه لم يقصد بها إلا وجود وسيلة من الوسائل التى بها تحصل الحكومة على أموال تسد بها بعض أوجه نفقاتها، ويؤكد ذلك مؤرخنا المعاصر عبد الرحمن الجبرتى حيث ذكر عند تعرضه لهذا المرسوم معلقا على هذه الشروط التى يتضمنها المرسوم سالف الذكر "أن

---

(١) هيلين ان ريفلين: المرجع السابق٠ ص ٤٦، سلوى العطار: المرجع السابق٠ ص ١٤٦ ٠

(٢) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الإثار فى التراجم والأخبار، الجزء الثانى، دار الجيل، بيروت٠ بدون تاريخ، حوادث شهر ربيع الثانى سنة ١٢١٣، ص ص ٢٠٩، ٢١٠، ابراهيم عامر: الأرض والفلاح المسألة الزراعية فى مصر، مطبعة الدار المصرية ١٩٥٨، ص ٧٥ ٠

(٣) عبد الرحمن الجبرتى: المصدر السابق، جـ٢،ص ٢١٠

محصلها التحيل(١) على سلب أموال الناس ونزع ما بأيديهم من مال وعقار وميراث، وهذا من أخبث التحيل على نزع الأملاك والعقارات من أيدى أربابها"(٢).

ولم يكن الأهالى فى مصر على استعداد للتجاوب مع قرارات هذا المرسوم مما أشاع التذمر وعدم الرضا عن الفرنسيين، ويمكن القول بأن مرسوم ١٦ سبتمبر السالف الذكر قد قدر ثمنا للأرض، وأقر حق التوريث، ووضع نظاما لتسجيل سندات التمكين الفردى فإنه وضع بذلك النواة الأولى لنشأة الملكية الفردية فى الأرض الزراعية فى مصر وزعزع أسس نظام ملكية الدولة ونظام الإنتفاع، غير أن الأمال المعقودة على هذا المرسوم بالنسبة لسياسة تمليك الأرض سرعان ما فشلت بسبب الظروف التى تعرضت لها الحملة وذلك على أثر تدمير الأسطول الفرنسى فى أبى قير (أول أغسطس١٧٩٨) والذى ترتب عليه اعتماد الفرنسيين على موارد الدخل المحلية، هذا إلى جانب قصر مدة الحملة وعدم استقرار الحكم نتيجة لاشتعال الثورات فى كل أنحاء مصر، كل هذه العوامل أدت الى عدم تنفيذ هذا المرسوم على الوجه الأكمل، واضطرت الحملة فى أواخر أيامها إلى التغاضى عن تنفيذه واضطر الجنرال منو إلى زيادة نصيب الدولة فى تملك الأرض بينما لم تسنح له الفرصة لكى ينفذ نظاما وضعته سلطات الحملة لمسح الأراضى الزراعية فى مصر(٣) ومما هو جدير بالذكر أن الجنرال ديزيه قد شغلته كثيراً فكرة تقسيم جزء من أرض الصعيد على الفلاحين، وكان ينظر الى هذه الفكرة باعتبارها الوسيلة الأكيدة للإسراع بخطى الحضارة فى هذه البلاد ولجعلها تتمتع على وجه السرعة بثمرة التطورات الأساسية التى تصاحبها(٤) ولكن ما كان يتمناه ديزيه لم يحدث بالطبع، ولكن يمكن القول بأنه لوكان الفرنسيون قد استمروا فى مصر فترة أطول أو بمعنى أخر لو كانوا قد استطاعوا أن يثبتوا أقدامهم فى البلاد فإنهم كانوا سيعملون على تمليك الأرض للفلاحين، لأن وجود نظام يجعل الفلاح

---

(١) يقصد الإحتيال.

(٢) عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس : تحقيق وشرح : حسن محمد جوهر وعمر الدسوقى، الطبعة الأولى، لجنة البيان العربى ١٩٦٩، ص ٦٦ .

(٣) ابراهيم عامر : المرجع السابق،ص ص ٧٥، ٧٦ .

(٤) Girard. Op. Cit. P. 403.

مساهما فى امتلاك الأرض سيعمل على زيادة غلة الأرض لأن الفلاح فى ذلك الوقت لم يكن يزرع الأرض إلا لكى يقتات ولكي يسدد الضرائب Pour vivre acquitter L'Impot ولكن فى حالة امتلاك الفلاح للأرض فسوف يزرعها ليحيا بشكل أفضل وأيسر، وحين يثق الفلاحون فى أنهم سيستفيدون من جهودهم الشاقة فسيكون فى متناولهم حصادا أكثر وفرة، وعندئذ فكم من الثروات سوف تغل هذه الأرض الخصبة المعطاء(١).

وعلى كل حال فلم يسمح الوقت ولا الظروف للفرنسيين بتنفيذ ما عزموا عليه من أفكار وتمنيات ومراسيم تتعلق بملكية الأرض وبالتالى فإن وضعية الفلاحين لم تلحقها أية تغيرات تذكر، بل يمكن القول أن وضعيتهم ازدادت سوءا عما كانت عليه من قبل، فالفرنسيون لم يعملوا على إصلاح نظام ملكية الأرض وإنما تركز اهتمامهم الأول حول التحايل على تحصيل أكبر قدر ممكن من الضرائب التى كانت تلقى على عاتق الفلاحين كما سنرى.

٣- الضرائب على الأراضى الزراعية فى عهد الفرنسيين :

حرص الفرنسيوُن منذ وصولهم الى مصر على تحصيل جميع الضرائب التى كانت تحصل من قبل بغض النظر عن شرعيتها وبما أن الفرنسيين كانوا حديثى العهد بالاستقرار فى مصر فقد كانت تعوزهم الخبرة الكافية للأشراف على عملية تحصيل الضرائب على الأراضى الزاعية فإنهم وجدوا أنفسهم مضطرين للأعتماد على فئة الوكلاء الأقباط وعلى رأسهم الوكيل العام جرجس الجوهرى(٢).

وسبق أن ذكرنا فى الفصل الأول أنه كان من بين أسباب احتلال الفرنسيين للصعيد أنه كان من الضرورى طرد مراد بك من مصر الوسطى والعليا قبل أن يجد من الوقت متسعا لجمع الضرائب هناك، لئلا يفلت هذا المورد من الخزانة الفرنسية وهى فى أمس الحاجة إليه، فحملة ديزيه لم تكن مطاردة لمراد بك فحسب بل كانت أيضا سباقا بين جامعى

---

(١) Girard, Op. Cit.P. 402, Chabrol, Essai sur Le moeurs des Habitans Modernes de L'Egypte in Description de L'Egypte, Tome, XVIII, Premiere Partie, Seconde Edition, Pankouk, Paris 1826, PP 248, 249.

(٢) فاطمة الحمراوى : المرجع السابق، ص ٢٧٩ .

الضرائب المتنافسين، ومما هو جدير بالذكر أن أهالى الصعيد قد تعرضوا فى الفترة الأولى من الاحتلال الفرنسى والتى نشبت فيها رحى الحرب بين قوات الجنرال ديزيه وقوات مراد بك من أجل السيطرة على الصعيد إلى مزيد من العسف والظلم فى جمع الضرائب حيث كان مراد بك وجنوده يجمعون الضرائب من الفلاحين ويأتى بعد ذلك الجنرال ديزيه وجنوده ليجمعوا مابقى فى أيديهم بل ويصادرون الأغذية والخيل(١) حدث هذا طوال رحلة الصراع بين كل من ديزيه ومراد بك من أجل السيطرة على الصعيد ٠

وأحياناً كانت تنشب الحرب بين المماليك والفلاحين فى بعض القرى نتيجة لرفض الفلاحين امداد المماليك بما يطلبونه من ضرائب باهظة وماشية وجمالا حدث ذلك مع أهل صنبو حيث نهب المماليك قريتهم فبعثوا يستغيثون بالجنرال ديزيه يطلبون حمايته، ولكن أية حماية كان فى استطاعة ديزيه أن يمنحها إياهم؟! لقد كان هو أيضا مضطراً لفرض ضرائب والإستيلاء على الماشية والجمال والخيل، ثم المضى قدما ليخلفه المماليك فى الغالب، وكانت توسلات القرويين أن يعفوا من الضرائب لأنهم دفعوها فعلا لمراد تلقى فى مقر القيادة بالقاهرة الرفض بلا استثناء(٢) حيث كانت أوامر بونابرت تنص فى هذا الصدد على تحصيل الميرى وأى ضرائب أخرى سواء فى الصعيد أو فى باقى أنحاء البلاد بدون أى تخفيض أو اعفاءات لأى سبب كان ويجب على مشايخ البلد الذين يقدمون ايصالات بالمبالغ المدفوعة للمماليك أن يعاملوا بشدة ويهددون بالعقاب، كما أصدر أوامر مماثلة لبعض مديرى الاقاليم بمنع أية تخفيضات أو تسهيلات لأنها تؤثر تأثيراً خطيراً على خزانة الدولة ومن يلجأ لذلك تخصم من حسابهم وأموالهم الخاصة وتلغى تلك الإعفاءات ويتم تحصيلها من القرى(٣)٠

ويدل ذلك على حاجة الفرنسيين الماسة الى الأموال لسد نفقات الجيش الذى انقطع عنه كل مدد بعد تحطيم الأسطول الفرنسى فى موقعه أبى قير البحرية، وكانت النتيجة مزيد

---

(١) ج٠ كرستوفر هيرولد: بونابرت فى مصر، ترجمة فؤاد اندراوس، مراجعة محمد أحمد أنيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦، ص ٢٤٨ ٠

(٢) نفس المرجع، ص ٢٥٤ ٠

(٣) نقلا عن سلوى العطار: المرجع السابق٠ ص ١٥٤

من التعسف الواقع على الفلاحين، وتجدر الإشارة الى أن فلاحى الصعيد قد قاموا فى بداية الإحتلال الفرنسى للصعيد بدفع الضرائب لكل من الفرنسيين والمماليك حيث عمل كل منهما على الحصول على أكبر قدر ممكن من المال والغذاء لسد متطلبات وقت اشتعال الحرب بين الفريقين ·

ويمكن القول أن الضرائب فى هذة الفترة كانت تجمع اعتباطا وبدون أية دراسة لأحوال البلاد الضرائبية، فكل شئ كان مباحا لهم خصوصا وقت اشتعال الحركات العسكرية بينهما · وكانت أوامر الجنرال ديزيه لقواده فى المديريات التى يسيطرون عليها أن يجرى الإهتمام فى كل مكان بنشاط لجمع الخيول وجباية الضرائب(١) ولقد سببت الحرب الدائرة فى صعيد مصر بين الفرنسيين والمماليك والأهالى بعض الإضطراب فى جمع الضرائب ولم يكن الأهالى يسلمون الضرائب بسهولة وكانوا يماطلون حتى يروا الجنود الفرنسيين وسط القرية حاملين أسلحتهم وهنا فقط يستطيع الفرنسيون جمع الضرائب المسماة الميرى، لذلك رأى الجنرال ديزيه تقسيم جيشه فى صعيد مصر الى فرق صغيرة لتوزيعها على القرى لجمع الضرائب حتى ديزيه الذى كان يقيم فى أسيوط تحرك بنفسه للأشراف على عمليات الأقباط الذين يتولون النظام المالى للبلاد(٢) وقد أكدت كثير من وثائق الحملة الفرنسية على أن عملية جمع الضرائب من الفلاحين لم تكن تتم إلا بمعاونة الفرق المسلحة ففى رسالة من رينييه Reynir إلى Pini يذكر له "أنا أسف جدا لضياع وقتك ولكن الفلاحين لا يدفعون الا عند رؤية الجنود، منذ وصولى الى الصعيد وأنا أعد الأيام لكى أحصل على الفرق اللازمة لجمع الضرائب"(٣) ثم يذكر له فى رسالة أخرى "نحن لا نملك أية قوات لجمع الضرائب"(٤) وهذا يدل دلالة كافية على أن الضرائب لم تكن تجمع إلا بالقوة المسلحة ·

---

(١) Berthier, Memoirs du Maréchal Bertheir. Campan d'Egypte Ier Partie, Paris, 1827. PP. 122, 126.

(٢) Martha Bker. Op. Cit. PP. 341, 342.

(٣) Reynier au citoyen Pini, Benisouef, Le 20 Brumaire an 8.

ظرف B6 161 بمحفظة فترتها التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ١٨ يونيه سنة ١٨٠١ ·

(٤) Reyniey au citoyen Pini, Benisouef, Le 26 Frimaire an 8.

ظرف B6 161 بنفس المحفظة السابقة ·

وكانت القوات العسكرية التى تساند الوكلاء الأقباط والمفتشين الفرنسيين تتفاوت فى تعدادها من مكان لأخر وحسب ظروف كل منطقة، فلقد أرسل فريان إلى رينييه الوكيل الفرنسى ببنى سويف طابورا من ٢٠٠ رجل لجمع ٢٥٠ من الخيول من مديرية بنى سويف ومراقبة جمع ضريبة الميرى وتسليم الحبوب(١).

ولقد اتبع الفرنسيون وسائل وطرقا لا تختلف كثيرا عما كان يفعله المماليك قبيل مجئ الحملة الفرنسية، فلقد كانت القوات الفرنسية المتنقلة التى تجوب للإشراف على تحصيل الضرائب تحصل على تموينها من الفلاحين علاوة على الرواتب النقدية التى تحصلها طوال تحركها وتجوالها، وقد حض كليبر قواد الطوابير المتنقلة على تأمين تحصيل الضرائب والإستمرار فى تحصيل حق الطريق من القرى لتخصيصه فى سداد مرتب الطابور المتنقل مع ضرورة معرفة عدد من يقومون بهذه المهمة والمدة التى استغرقوها فى هذه المأمورية(٢).

وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على مدى الأعباء المالية التى كان الفلاحون يتحملونها مما أثار سخطهم على الفرنسيين ورفضوا فى كثير من المناطق أن يدفعوا الضرائب حيث تذكر وثائق الحملة الفرنسية أن ثمان قرى فى إقليم المنيا قاموا بالثورة ضد السلطة العسكرية رافضين دفع أية ضريبة، ولما أبلغهم القائد العسكرى للإقليم الجنرال بوييه Boyer بحتمية دفع الضرائب ردوا عليه بأنهم لن يسمحوا لأى فرنسى بأن يطأ أرضهم، ولكن الجنرال بوييه ذهب ومعه ١٢٠ من رجاله وحاصر ثلاث قرى فاضطرت هذه القرى إلى الإذعان ودفعوا الضرائب ويذكر الجنرال بوييه فى رسالته الى الجنرال كليبر قائلا "فأعدمت السفاحين لكى يكونوا عبرة، بينما تسلحت خمس قرى ضدى وهددونى بدلا من الاتعاظ من القرى السابقة فهاجمت أكبر تجمع منهم وقتلت، ٦٠ من العصاة وحرقت أكثر

---

(١) Friant general de division au citoyen Reynier agent Francais a Benisouef. le 30 Frimaire an 8 Doc. No. 1736.

بملف رقم ١٥ Carton 38 بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ الى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩ (٢٥ فريميير الى ١٠ نيفور العام الثامن الجمهورى)

(٢) سلوى العطار : المرجع السابق، ص ١٥٠

القرى عصيانا وقطعت ٣٠٠ من أجود أشجار النخيل فانسحبوا الى دير القصير حيث وجهوا ضدى نفس التحدى بصلابة وهنا لم يكن مصيرهم أفضل من غيرهم مات منهم ١٢٠ واستولى رجالى على ٥٠٠ من خرافهم وأحرقت القرية وفقدنا رجلاً آخر من رجالنا وقد رضخت بقية القرى لهذا العمل، ونأمل أن ترتدع هذه القرى بهذا العقاب، وقد طلبت دير القصير العفو والسماح بالعودة للقرية فأجبتها لذلك"(١) وفى رسالة أخرى يذكر بوييه للجنرال فريان "أنه يداوم على تحصيل الميرى ومعاقبة القرى الثائرة"(٢).

وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على الصرامة والشدة والعنف التى كان يقابل بها الفرنسيون الفلاحين الرافضين لدفع ما عليهم من ضرائب، ويدل أيضا على أن الفلاحين كانوا لايدفعون الضرائب إلا بعد مقاومة مستميته وتحت تهديد السلاح، وإذا كان الفلاحون قد نجحوا فى كثير من الأحيان فى الإفلات من مظالم المماليك قبيل مجئ الحملة الفرنسية، فإن جباة الضرائب الفرنسيين لم يتركوا ثغرة لمثل هذه المراوغة، بل إن القرى المتمردة كانت تحرق وتدمر على أيدى الفرق الفرنسية المعسكرة فى الريف كما مربنا.

ومن الواضح أن الضغوط الإقتصادية قد أرغمت الفرنسيين على التردى فى مظالم لا تختلف كثيرا عن مظالم المماليك إن لم تكن قد زادت عليها حتى أصبحت عبئا ثقيلا على الفلاحين، وعندما قاوم الفلاحون هذه المظالم بما يملكونه من سلاح وعتاد وفشلوا آخر الأمر أمام نيران الفرنسيين، لم يجدوا وسيلة أخرى للصمود أمام هذه الإجراءات التعسفية إلا الهروب من القرى وبأعداد كبيرة حيث يذكر رافييه Ravier فى رسالة له إلى الجنرال

---

(١) L'Adjudant général Boyer au général en chef Kleber, à Miniet Le 28 Fructidor an 7 (14 Septembre 1799) Doc. No. 218.

ملف رقم ١٨ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إغسطس إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠ (٢ إلى ١٣ فريكتيدور العام الثامن الجمهورى).

(٢) L'Adjudant général Boyer au général Friant à siout, le 26 Fructidor an 7 (12 Septembre 1799) Doc. No. 184.

بملف رقم ١٦ بنفس المحفظة السابقة.

فريان أن "دخل المال بسيط بالنسبة للأعوام السابقة لأن الفلاحين الذين عليهم أكبر كمية قد هربوا من القرى ولم أحصل إلا على ٢٠٠٠ ريال(١) Deux Mille réals. وكثيرا ما توقفت القوات الفرنسية بإحدى القرى للقبض على شيخ البلد وإيداعه فى السجن حتى يفى أهل بلدة بالأموال المطلوبة وكانت هذه الوسيلة بطيئة ولا تصادف نجاحا كل مرة(٢).

ولم تقتصر هذه المعاملة على مشايخ القرى فقط بل على بعض الأفراد أيضا ممن يمتلكون مساحات شاسعة من الأراضى ويتأخرون فى دفع الضرائب فيذكر رينييه فى رسالة له الى المعلم جرجس الجوهرى أنه "وضع فى السجن الأمير سليمان أبو صير Soliman D'Aboussir لأجبره على دفع ما عليه عن عام ١٢١٣هـ، وقد علمت أنه لم يدفع أيضا عن عام ١٢١٢هـ وسأقوم باللازم لكى أجعله يدفع المتأخر عليه"(٣).

---

(١) Le chef bataillon Ravier au general de division Friamt, Miniet Le 22 Nivos an 8, Doc. No. 2073.

بدوسيه رقم ١، ملف رقم ١٢، B6. 39 بمحفظة فترتها التاريخية من ١إلى ٣١ يناير سنة ١٨٠٠ (١٨ نيفوز الى ١١ بلوفيوز العام الثامن الجمهورى).

والريال: عملة من العملات السائدة فى ذلك العصر، وقد كان الأسبان أول من تداولوا هذا النقد فى الأسواق التجارية وهو عبارة عن النقد الفضى المسمى "بيزو" وأطلق "الريال" فى العالم العربى منذ القرن السابع عشر الميلادى على نقود فضية كبيرة: فرنسية وأسبانية، وهولندية، وألمانية، ونمساوية، وسمى الريال النمساوى أيضا "بالتالير" أو ريال مارياتريزا" الذى ضرب لأول مرة سنة ١٧٥١م وسمى فى مصر باسم الريال أبو طاقة "نسبة للنافذة أو الطاقة المرسومة على صدر النسر المصور على أحد وجهى الريال، أما الريال الهولندى فعرف باسم "الريال أبو كلب" كما سمى الريال الأسبانى بالريال أبو مدفع أو "الريال المغربى" كما يسميه الجبرتى لإرتباط هذا النقد بجماعات التجار المغاربة الذين كانوا يجلبونه معهم من المغرب واسبانيا، وقد اختلفت أسعار هذه الريالات عند تناولها فى مصر العثمانية بطريقة شاذه، ولم تفلح أوامر تحسين العملة فى معالجتها. لمزيد التفصيل انظر. عبد الرحمن فهمى النقود المتداولة أيام الجبرتى، بحث ضمن كتاب عبد الرحمن الجبرتى، دراسات وبحوث تحت اشراف أحمد عزت عبد الكريم الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦. ص ٥٧٨.

(٢) ابراهيم زكى : الحالة المالية والتطور الحكومى والإجتماعى فى عهدى الحملة الفرنساوية ومحمد على، المطبعة العصرية بمصر، بدون تاريخ، ص٩٥.

(٣) Reynier a Mhallem Djeorgis Edjori, Benisouef Le 18 Frimaire an 8.

ظرف B6 . 161 فترته التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ٣١ يناير سنة ١٨٠٠ بمحفظة فترتها التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ١٨ يونيو سنة ١٨٠١.

ولم يأت الأسر بالنتيجة المرجوه التى أرادها الفرنسيون، فالقرى التى أخذوا منها اسرى لم تدفع الضرائب أسرع من غيرها(١)٠ وإزاء هذه المعاملة تعددت حالات هروب الفلاحين من القرى، ولكن صدرت الأوامر من قادة الأقاليم إلى الوكلاء الفرنسيين بمنعهم من أن يتركوا قراهم وفى حالة العصيان سيعاملون معاملة الأعداء(٢)٠ وفى أحيان أخرى كان الفرنسيون يوجهون نداء إلى الفلاحين الذين هجروا قراهم بسبب القحط للعودة الى قراهم وزراعتها من جديد، وكانت هذه النداءات تجد استجابة أحيانا من الفلاحين(٣) وكثيرا ما كانت تصل القائد العام شكاوى من بعض القرى بخصوص تخفيض الضريبة بسبب الشراقى، حيث تقدمت قرية اللاهون بإقليم الفيوم بشكوى إلى القائد العام منو بخصوص تخفيض الضريبة بسبب الشراقى(٤)٠

كما قدمت قرية الفشن شكوى بخصوص تخفيض الضرائب وذكرت فى شكواها أن حقوق الحملة قد دفعت مع حق الميرى والذى جمعه المماليك قبل وصول الفرنسيين ويذكر رينييه فى رسالة له إلى بوسليج "أرجو أن تراجع مع المعلم جرجس الجوهرى إذا كان قد ضم مال الحملة لقرية الفشن مع الميرى وهذا عن عام ١٢١٣"(٥)٠

---

(١) Reynier au général Friant, Benisouef, Le 2 Nivose an 8.

ظرف B6 161 بنفس المحفظة السابقة ٠

(٢) Ala Hauteur de Benesouef le 7 nivose an 8, Friant général de division citoyen agent Francais au 2 arronds, Doc. No. 1860.

ملف رقم ٧، 38 B6 بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩ ٠

(٣) Regnier au citoyen Petrucci Payeur, a siout, le 9 Brumaire an IX Doc. No. 149.

ظرف B6 162 فترته التاريخية من ٧ سبتمبر الى ٧ نوفمبر سنة ١٨٠٠ بمحفظة فترتها التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ١٨ يونيه٠

(٤) فاطمة الحمراوى: المرجع السابق ص ٣٠١ ٠

(٥) Reynier au Possielgue Benisouef le 8 Frimaire an 8.

ظرف B6 161 فترته التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ٣١ يناير سنة ١٨٠٠ بمحفظة فترتها التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ الى ١٨ يونيو سنة ١٨٠١ ٠

وعلى كل حال فإن الفرنسيين لم يعطوا تلك الشكاوى كثيرا من الأهمية لأنها تتعارض فى الأساس مع مصلحة الفرنسيين ألا وهى تحصيل أكثر ما يمكن من الضرائب، بل فى كثير من الأحيان ونتيجة للأوضاع العسكرية التى كانت تعيشها الحملة الفرنسية فى مصر والتى تطلبت الإعداد للحملات العسكرية لمواجهة الأخطار الخارجية، ومن ثم مزيدا من الحاجة الى الأموال والخيول والجمال، وبالتالى مزيداً من الضرائب الإضافية التى تقع على عاتق الفلاحين.

وعلى سبيل المثال فعندما أحس الجنرال كليبر أنه مهدد بالغزو من ناحية سوريا بعث يطلب من الجنرال ديزيه قائد الصعيد ما قيمته ٣٠٠ ألف جنيه كما يذكر ديزيه فى رسالة له إلى الجنرال بليار حيث يقول "أنت تعلم أن هذا رقم مستحيل تحقيقه، لكن علينا أن نبذل أقصى ما فى وسعنا لنجمع له أى مبلغ، لقد طلب أيضا خيول وجمالا"(١) ثم يقول له "عجل بجمع ٣٠ ألف جنيه ضرائب إضافية لكى تعوض ما خسرناه فى إيطاليا، هذه العملية تأخرت كثيرا، يجب التعجيل بها وعليك أن تذير إقليمك بشدة فهم لم يدفعوا ويجب أن يدفعوا هذا العام لتعويض العجز ولا تتأخر فى إرسال ٢٠٠ جمل الى القاهرة و٣٠ ألف جنيه ضرائب اضافية"(٢).

وإلى جانب الضرائب الإضافية التى تعرض لها الفلاحون بين الحين والآخر كانت ضريبة النبارى(٣) تحصل بطريقة تقريبية مما يعد إجحافا يقع على عاتق الفلاحين.

---

(١) Le general Desaix au General Belliard, Siout le 28 Fructidor an 7 (14 Septmbre 1799) Doc. No. 219.

بملف رقم ١٨، بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ الى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠.

(٢) نفس الوثيقة السابقة.

(٣) يطلق اسم نبارى على الضريبة المفروضة على الأراضى التى تزرع بالذرة أو الأعلاف عندما تروى بشكل صناعى أى بواسطة الشادوف، ويطلق على نفس المحاصيل اسم بعلى إذا ما كان الفيض الطبيعى قد وفر الرى الطبيعى لها. انظر

Esteve : Mémoire sur les Finances d L'Egypte depuis sa conqéte Par Le sultan slym Prier Jusqu,a celle du general en chef Bonaparte in Description de L'Egypte, Etat Moderne, tome Douzieme, Paris 1823 P. 90

وحول هذا الموضوع أشارت إحدى وثائق الحملة الفرنسية وهى عبارة عن رسالة بعث بها الديوان الى تاليان Tallian المدير العام للمالية بخصوص الشكوى التى قدمها شيوخ وفلاحو الكثير من قرى إقليم بنى سويف، وشرحوا الظروف القاسية التى يعيشونها حيث تحصل ضريبة النبارى بطريقة تقريبية، ولم يأخذ الوكيل الفرنسى بالاقليم ما جرت عليه العادة بتحصيل النبارى حسب المساحة ذلك أن حقل الذرة يزداد وينقص كل عام، لذلك طلب من الديوان أن يبعث للوكيل الفرنسى ببنى سويف لكى يحصل النبارى على المساحة حسب ما جرت به العادة من قبل(١) وكانت الضريبة فى مصر العليا تنقسم الى قسمين أساسين المال وهو والضريبة نقداً، والخراج وهو الضريبة عينا(٢)، الأولى عن محصول الذرة والثانية عن محصول القمح والشعير لذلك ينبغى فى كل عام أن تقاس المساحة المخصصة لهاتين الزراعتين بغرض حساب ما على كل فلاح أن يسدده إلى الادارة.

وكان بونابرت قد كلف لجنة خاصة ببنى سويف سميت لجنة الحبوب Commission des grains بتحصيل الضرائب العينية بمصر العليا(٣) ووفقا لأوامر اللجنة الإدارية(٤) Commission administratif كلف الأقباط بمهنة جمع الحبوب وإرسالها للقاهرة(٥) وكانت عملية تحصيل الضرائب العينية تعترضها صعوبات كثيرة منها أنه لابد من اللجوء إلى قوة السيف والبندق للحصول عليها، ولابد من نقل الغلال الى مخازن وشون قريبة من شواطئ النيل لتسهيل تصديرها للقاهرة فإذا زللت العقبتان المذكورتان وجدت عقبة

---

(١) Le Divan au Citoyen Tallien a dministrateur général, du finances Caire Le 10 Nivose an 8 (31 Décembre 1799).

بملف رقم ١٦، 38 . B6 ، بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩.

(٢) Reynier à Binot, Le 17 Vendemiran 8.

ظرف B6 161 فترته التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ٣١ يناير سنة ١٨٠٠ بمحفظة فترتها التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ١٨ يونيو سنة ١٨٠١.

(٣) فاطمة الحمراوى: المرجع السابق، ص ٢٨١.

(٤) هى لجنة فرنسية تشرف على أعمال الحكومة الإدارية ويدخل فى اختصاصها الشئون المالية والزراعية والإقتصادية.

(٥) Daure a gard au Caire, Le 12 Prerial an 8, Doc. No. 539, B6 148.

بمحفظة فترتها التاريخية من ١٠ اكتوبر سنة ١٧٩٩ إلى ٥ يوليو سنة ١٨٠٠ (٢٠ فاندميير الى ١٩ ميسيدور العام الثامن الجمهورى).

أخرى وهى قلة المراكب المتوفرة لنقل الغلال حيث قام الفرنسيون بتحطيم الكثير من المراكب لاستخدامها كخشب وقود وتدفئة، كما أن النيل لم يكن صالحا للملاحة فى الوجه القبلى إلا فى أربعة أشهر الفيضان حين يكون النيل صالحا الملاحة(١).

وكانت القاهرة بحاجة ماسة إلى غلال الصعيد لأجل مؤونة الجيش الفرنسى وتؤكد وثائق الحملة الفرنسية ذلك ففى رسالة من استيف المحاسب العام ورئيس لجنة المؤن الى لجنة الحبوب ببنى سويف يقول "نحن نرجوكم أن تقوموا بكل استطاعتكم لكى تصل كمية الـ ٢٠,٠٠٠ أردب قمح لأن وصولها إلى القاهرة حيوى وبدونها ستكون حالة مؤن الجيش سيئة"(٢).

وهذا يدل على أن غلال الصعيد كانت هامة وضرورية للجيش الفرنسى بالقاهرة والوجه البحرى ويذكر أحد علماء الحملة الفرنسية أن الضريبة العينية المقررة على صعيد مصر كانت فى عهد الحملة الفرنسية تقدر بـ ٥/٤ إجمالى الضرائب المقررة على الصعيد وهو الأمر الذى يبرهن على أن منتجات هذا الإقليم تتكون بصفة أساسية من الحبوب(٣).

وكان الفرنسيون يجمعون أكبر قدر ممكن من الحبوب من صعيد مصر لسد حاجات الجيش من الغذاء، ففى رسالة من رافيبه الى الجنرال فريان يقول فيها لقد جمعت أكبر كمية ممكنة من القمح للقاهرة وهى من ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ أردب وسأوصل الإرسال(٤).

---

(١) ابراهيم زكى: المرجع السابق ، ص ٩٦.

(٢) Estéve Payeur general President des commission Subsistances a la Commission des grains a Benisouef au Caire, Le 18 nivose an 8 (8 Janvier 1800) Doc. No. 2040.
بملف رقم ٨، B6 39 بدوسيه رقم ١ بمحفظة فترتها التاريخية من ١إلى ٣١ يناير سنة ١٨٠٠ (١١ فانتوز إلى ١١ جيرمنال العام الثامن الجمهورى).

(٣) Estéve. Op. Cit. P. 90.

(٤) Le chef Bataillon Ravier au général de division Fraint, Miniet Le 22 nivose an 8, Doc. No. 2073.
بدوسيه رقم ١، ملف رقم ١٢، B6 39 بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٣١ يناير سنة ١٨٠٠ .

وظل المماليك والفرنسيون يجمعون الضرائب من الفلاحين بصعيد مصر، وإذا كان المماليك قد حصلوا على جزء من هذه الضرائب(١)، فإن الفرنسيين قد حصلوا على الجزء الأكبر منها، وظل الحال على هذا الوضع حتى تم عقد معاهدة للصلح بين الجنرال كليبر ومراد بك في ٥ إبريل سنتة ١٨٠٠ تم على أساسها الإعتراف بمراد بك حاكما على مصر العليا في مقابل أن يؤدى للجمهورية الفرنسية الخراج الواجب دفعه لصالح الولاية على مصر، وقد حدد هذا الخراج في الإتفاقية بـ ٢٥٠ كيس بواقع الكيس ٢٠,٠٠٠ بارة، علاوة على ١٥,٠٠٠ أردب من القمح و ٢٠,٠٠٠ أردب من الشعير والحبوب(٢).

ثم ضمت في عهد الجنرال منو قرى من مديرية سوهاج لمراد بك على أن يكون له حق الأنتفاع بالدخل الناتج من الضرائب وبنفس الشروط الواردة في المادة الخامسة من معاهدة كليبر ومراد، بك ونتيجة للتعديل المذكور والمقدم من القائد العام منو إلى الأمير مراد بك يتعهد هذا الأخير بدفع زيادة في العائد السنوى من ١٥٠ كيس بواقع الكيس ٢٠,٠٠٠ بارة بالإضافة الى ٢٥٠ كيس التى كان يدفعها سنويا طبقا للمادة الثانية من معاهدة كليبر ومراد، وبالتالي سيدفع مراد بك ٤٠٠ كيس بواقع الكيس ٢٠,٠٠٠ بارة علاوة على الـ ١٥,٠٠٠ أردب قمح و ٢٥,٠٠٠ أردب شعير طبقا لمعاهدة كليبر ومراد(٣) ولم تكن هذه التنازلات من جانب الفرنسيين لمراد بك إلا محاولة لكسب تأييده ومن ثم المحافظة على السلام بجنوب مصر.

---

(١) Le general Desaix au général Kleber, Siout le 26 Fructidor an 7 (12 Septembre 1799) Doc. No 180.

بملف رقم ١٦ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ اغسطس سنة ١٨٠٠.

(٢) لمزيد من التفصيل عن شروط هذه المعاهدة، أنظر الفصل الرابع

(٣) لمزيد من التفصيل حول شروط هذه المعاهدة الموقعية بين كل من داماس رئيس أركان حرب الجيش الفرنسي والمسيو استيف المحاسب العام للجيش الفرنسي المكلفان بالسلطات من القائد العام منو من جهة وبين ابراهيم كخيا أمين خزانة الأمير مراد بك من جهة أخرى أنظر.

Au quartier général du Caire, Le 26 Messidor an 8 (15 juillet 1800).

وثيقة بدون رقم بملف رقم ٦، 47 B6 بمحفظة فترتها التاريخية من ١٠ يوليو الى ١٩ أغسطس سنة ١٨٠٠ (٢١ ميسيدور إلى ١ فروكتيدور العام الثامن الجمهورى).

ومنذ توقيع معاهدة كليبر ومراد بدأ المماليك بزعامة مراد بك يجمعون الضرائب من المناطق المخولة لهم من قبل الإدارة الفرنسية، وكانوا من قبل توقيع معاهدة كليبر ومراد بك يجمعون الضرائب من أى مكان يتواجدون فيه بصعيد مصر ٠

وكان الفرنسيون يحصلون الضرائب نقداً إذا كان فيضان النيل غير كاف لأن ذلك يترتب عليه وجود جزء كبير من الأراضى شراقى لم تسقى كما حدث عام ١٨٠٠ فالقرى التى لم تسقى كانوا يرغمونها أيضا على دفع الضرائب مما كان يؤدى إلى هروب الفلاحين فى أغلب الأحيان، وتصبح كثير من القرى مهجورة(١)، وهذا يصور مدى الظلم الواقع على الفلاحين من قبل الفرنسيين ٠

ولقد حاول الجنرال منو أن ينظم عملية جباية الضرائب ويتضح ذلك من خلال منشور وجهة إلى أهالى مصر بتاريخ ٦ بروميير العام التاسع الجمهورى الموافق ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٠٠م يتضمن تحديد مبلغ الضرائب على كل قرية، وقيام الفلاحين بدفع الميرى المفروض عليهم، وينبغى عليهم أن لا ينتظروا وصول الصيارفة لتحصيلها، وينبغى عليهم أن يتوجهوا بأنفسهم لدفعها فى خزائن الحكومة فى مختلف الولايات، وطبقا لهذا المنشور، سوف تقسم عملية سداد المال الميرى الى أربعة أقسام متساوية يدفع كل قسط منها كل ثلاثة أشهر بحيث أنه فى نهاية كل عام يكون الفلاحون قد سددوا ما عليهم من المال دون أن يتعرضوا لأى سلب أو مظالم، وعلى العكس من ذلك اذا انتظروا مجئ الصيارفة للجباية فإن ذلك سيكلفهم مصاريف أكثر(٢)٠ /

ويمكن انقول بأن هذا المنشور كان بداية لأصلاح نظام الضرائب على الأراضى الزراعية التى اعتزم الجنرال منو تنفيذها، ومن أهم تلك الإصلاحات المشروع الذى أعده منو فى ٣٠ نيفوز من العام التاسع الجمهورى الموافق ٢٠ يناير سنة ١٨٠١م لإصلاح نظام

---

(١) فاطمة الحمراوى: المرجع السابق ٠ ص ص ٢٩٥، ٢٩٦ ٠

(٢) لمزيد من التفصيل عما جاء بهذا المنشور انظر :

Sala din Boustany, the Jornals of Bonapart in Egypt 1798 -1801 (in 10 volumes) volume Nine, Part 1, Frist Edition, Cairo 1971 , PP. 148 150 .

الضرائب، وقد تألفت نصوص هذا المشروع من ثمان وعشرين مادة تناولت موضوع الضرائب وتنظيمها وتتلخص بنود هذا المشروع فى النقاط التالية:

١- الغاء كل الضرائب القائمة والمفروضة على الأراضى (الميرى، الفايظ، المضاف، والبرانى وغير ذلك)٠ والاستعاضة عنها بضريبة واحدة تتحدد نسبتها على أساس عدد الأفدنة فى القرية ونوع الأرض التى تفرض عليها الضريبة٠

٢- تقسيم الأراضى الى ثلاث فئات ويحدد القائد العام قيمة الضريبة عن كل فئة بعد كل فيضان سنوى٠

٣- تعهد القائد العام بألا يزيد مقدار الضريبة على الإطلاق وبأن ينقصها فى سنوات الفيضان الضعيف عندما تكون الأراضى شراقى بشرط أن يسرع الفلاحون فى دفع الضريبة، وإلا حصلت الضرائب بمساعدة العسكر وبالتالى تتحمل القرية النفقات الإضافية المترتبة على إرسال القوات٠

٤- الأموال المتحصلة من هذه الضريبة الواحدة تقسم الى أربعة وعشرون جزءا، يخصص ٢٤/١٢ منها لخزانة الجمهورية الفرنسية، و٢٤/٧ للملزمين تعويضا لهم عما فقدوه من الأموال التى كانوا يأخذونها لأنفسهم من الفلاحين، ٢٤/٣ لمشايخ البلد تعويضا لهم عن الإتاوة التى كانوا يحصلون من القرى وتشجيعا لهم على تأدية أعمالهم، و ٢٤/١ لتغطية نفقات أعمال الرى ولدفع أجور العمال حتى يعفى الفلاحون من السخرة، و ٢٤/١ لتغطية مرتبات جباة الضرائب، وطبقا للمشروع حرم الملتزمون من حق جباية الضرائب فى القرى كما حرم عليهم التدخل فى شئون القرية الإدارية أو القضائية٠

٥- جعل أرض الوسية ملكا للملتزمين وأرض الفلاحة ملكا للفلاحين ٠

٦- إعطاء جميع ملاك الأراضى مطلق الحرية فى زرع أطيانهم كما يشاءون٠

٧- تخضع كل الأراضى للضريبة، سواء أكانت أراضى "وسية" يحوزها الملتزمون، أو أراضى "أثر" يحوزسا الفلاحون٠

٨- لا تفرض ضرائب على "الرزق" أو "الأوقاف" الموقوفة على مساجد او مؤسسات دينية بشرط أن تسجل العقارات على الوجه السليم ويكون تسجيلها مجانيا، وتصادر الجمهورية كل الرزق والأوقاف التى لايتم تسجيلها حتى تاريخ معين٠

٩- تلغى الضرائب الخاصة Particuliéres التى تجبى عينا من الصعيد فيما عدا الضرائب المفروضة على قرى معينة(١)٠

وكان من المتعذر تنفيذ هذا المشروع قبل أن تتم مساحة جميع الأراضى الزراعية، لهذا أنشأ منو فى ٢ مارس سنة ١٨٠١ لجنة للمساحة من أعضائها المهندس لوبير Le pére والمهندس الجغرفى جاكوتان Jacotin وذلك من أجل الوصول الى تحديد قيمة ضريبة الأرض السنوية أو الميرى وتحصيلها بالعدل والقسطاس فى مصر، وكان من أهم أعمال هذه اللجنة ضبط مساحة الفدان المصرى وتوضيح هذه المساحة بالمقاييس الفرنسية المعروفة، وفى ٥ مارس عرضت اللجنة على منو جميع القرارت التى وصلت إليها فى كل ما من شأنه أن يمهد الطريق أمامها لقياما بالمهمة الملقاة على عاتقها(٢)٠

ولم يقدر لعملية المسح أن تخرج الى حيز التنفيذ لمجئ القوات الإنجليزية والعثمانية الى مصر فى ذلك الوقت لإخراج الفرنسيين منها، وبدأت الحرب بين الطرفين فتعذرت مساحة الأراضى الزراعية، وتعذر كذلك تنفيذ المشروع بأسره(٣) وذلك نتيجة للهزائم العسكرية التى لحقت بالقوات الفرنسية والتى أدت الى اضطراب الجيش الفرنسى للإنسحاب من مصر٠

ثانياً الصناعة

إذا كانت الحملة الفرنسية قد اهتمت بإحداث تغيير فى الزراعة المصرية وذلك من خلال اهتمامها بالرى وبمحاولتها تغيير نظام ملكية الأرض وإصلاح نظام الضرائب على الأراضى الزراعية، فإن ذلك يرجع إلى أنها كانت تنظر إلى مصر باعتبارها مستعمرة فرنسية تمد فرنسا بالمنتجات الزراعية وعلى رأسها السكر والقطن والنيلة وغيرها من

---

(١) لمزيد من التفصيل حول مواد هذا المشروع انظر٠

Roussea M, F- Kléber et Menou en Egypte depuis Le Départ de Bonapart (Aout 1799 - Septembre 1801) Paris 1900, P. 382 -393 .

(٢) محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، دار الفكر العربى، دون تاريخ، ص ٢٤٨ ٠

(٣) أحمد أحمد الحتة: تاريخ مصر الإقتصادى فى القرن التاسع عشر، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٥٥، ص ٤٤ ٠

المنتجات الهامة اللازمة للصناعات الفرنسية، وفي نفس الوقت تكون مصر سوقا رائجة بالنسبة للمنتجات الصناعية الفرنسية٠

ومن هنا لم تحاول الحملة الفرنسية إحداث تغيير فى الصناعة المصرية فى الفترة التى قضتها بمصر ٠ ولم يكن ذلك معناه أن الحملة الفرنسية لم تقم بإنشاء مصانع فى مصر فى الفترة التى قضتها بها، بل اضطرت الحملة نتيجة لانقطاع الصلة بين مصر وفرنسا بسبب موقعة أبى قير البحرية الى التفكير فى إقامة بعض المصانع لكفاية حاجات الجيش الفرنسى٠

ومن المنشآت الصناعية التى أقامها الفرنسيون فى مصر فى هذا العهد: اصلاح دار الترسانة التى كان قد أنشأها مراد بك فى الجيزة لصنع المدافع والسفن وآلات الحرب، وانشاء مصنع للبارود فى الروضة(١) ومصانع للجوخ والقبعات والبيرة ودبغ الجلود والميكانيكا والنجارة الميكانيكية، كما أن الفرنسيين استعملوا الهواء كقوة محركة فأنشأوا طواحين الهواء فى باب الحديد وفى جزيرة الروضة(٢)، وفى الصعيد ظلت الصناعات الأهلية التى كانت سائدة قبيل مجئ الحملة الفرنسية(٣) سائدة فى طريقها متبعةأساليبها العتيقة ونظمها القروية والمحلية المعروفة ولم يعمل الفرنسيون على تطويرها٠

ومن الصناعات التى نجد لها ذكر فى الوثائق الفرنسية والمصادر المعاصرة صناعة البارود حيث أكدت إحدى وثائق الحملة الفرنسية أن أحد الرجال بإسنا يملك مصنع Fabrique للبارود وأن الفرنسيين يشترون منه ما هم بحاجة إليه من البارود حيث يذكر

---

(١) اهتم الفرنسيون منذ البداية بصناعة البارود نظراً لأهميته البالغة للجيش، ولقد كان البارود الذى يصنع فى جزيرة الروضة أكثر جودة من البارود الأتى من فرنسا مما جعل الجنرال منو يتقدم بالشكر الى شامبى champy المدير العام للبارود وايضا الى كونتيه conté رئيس الورش الميكانيكية وعضو اللجنة الإدارية للأعمال التى قام بها لإنشاء هذه المؤسسة لصنع البارود٠ والتى لاقت كل نجاح، لمزيد من التفصيل حول صناعة البارود انظر: فاطمة الحمراوى: المرجع السابق٠ ص ٣١٠ ٠

(٢) محمد فهمى لهيطة: المرجع السابق٠ ص ٦٦ ٠

(٣) لمزيد من التفصيل انظر : الفصل التمهيدى٠

المساعد العام، جيلى فيو Gilly Vieux إلى قائد اللواء الجنرال بليار مايلى "صانع البارود الذى اشتريت منه بالأمس قنطارين و ٢٠ رطلا وملأ ٩ أوعية وسأرسل لك ٦ منها غدا"(١).

ثم يقول له فى نفس الرسالة "صانع البارود قال لى إنه لا يستطيع العمل بدون دفع مقدم لأنه رجل فقير، كما أنه لا يستطيع السفر إلى قنا لأن ذلك سيؤخره جدا كما أنه لا يمكنه ترك مصنعة"(٢) ويتضح من ذلك أن الفرنسيين كانوا يعانون من نقص فى البارود وأن المصنع الذى اقاموه فى الروضة لم يكن يغطى احتياجات الجيش الفرنسى فى القطر المصرى كله بدليل شراء الفرنسيين للبارود ممن يقومون بتصنيعه فى الصعيد.

وفى نفس الوقت يجب أن نذكر أن الفرنسيين كانوا يعاقبون الرجال الذين يصنعون بارودا فاسدا ويبيعونه لهم، ففى رسالة من فاليت Vallet الى الجنرال بليار يذكر له مايلى "سوف أرسل لك كل البارود الفاسد والرجل الذى صنعه لكى يدفع مقابل فعلته كما أمرتنى (٣) وعمل الفرنسيون وقت اشتعال الثورة بينهم وبين الأهالى على غلق مصانع البارود الموجودة بالصعيد، ففى رسالة من رينييه إلى بوسليج يذكر له "لقد وصلنى خطابك الذى تطلب فيه غلق مصانع البارود، أرجو أن تلاحظ أنه لا يوجد فى الصعيد أى مصنع للبارود، وأن الفلاحين يصنعون الرصاص الخاص بهم، ولن يفيد أن تقوم بعمليات قبض لأنهم لا يوشون بعضهم ببعض، وتستطيع أن تعوقهم عن طريق نشر بعض الرجال الموثوق فيهم لشراء الكبريت من القرى بأعلى الأسعار، هذا كان كافيا لمنع صناعة البارود، ولكن القائد دومارتان قد عرقل أوامر القائد شامبى، سوف أقوم بكل ما أستطيع لتنفيذ هذه الأوامر، ولكنى أشك فى تأثيرها فى الوقت الحالى الذى كان سيختلف بالتأكيد إذا كانت قد نفذت فى

---

(١) L'Adjudant général gilly Vieux au general de brigad Blliard, Esné, le 1 nivos an 8 (22 Decèmbre 1800), Doc. No. 762.

بملف رقم ١٧ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩.

(٢) نفس الوثيقة السابقة.

(٣) Vallet chef, de bataillon au general de brigade Belliard commandant la province de thebes, girge le 21 Frimaire an 8 (12 Décembre 1799) Doc. No. 1628.

بملف رقم ١١، بدوسيه رقم ٢، بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩ (٢٥ بروميير إلى ٢٤ فريميير العام الثامن الجمهورى).

وقت نشرها الأول(١)، ويتضح من ذلك أن الفرنسيين كانوا يخشون من انتشار صناعة البارود فى الصعيد حتى لا يعمل على اشتعال المقاومة الوطنية أكثر مما كانت عليه.

وبالنسبة لصناعة السكر فقد كانت هذه الصناعة موجودة بالصعيد قبيل مجئ الحملة الفرنسية، بطرقها العتيقة التى لم تتغير فى عهد الحملة ولم يطرأ عليها أى تغيير يذكر والدليل على ذلك أن القائد العام منو تلقى رسالة من بلودى Bloudy يعرض فيها خدماته على كل ما سيعود بالخير على الفرنسيين ويخبر القائد العام أنه لديه المعلومات الهندسية التى اكتسبها خلال اقامته بسانت دومنج التى دامت عشر سنوات بالخصوص حول مصانع السكر، ويقترح عليه أنه إذا تعاون مع "تيكتو" سيتمكنان سويا من إقامة مؤسسة لصنع السكر وأخبره أنه أخبر لورى Le roy عضو اللجنة الإدارية الذى شجعه على أن يوجه طلبه هذا إلى القائد العام، ووافق القائد العام على طلب بلوذى بإقامة مصنع السكر لكن شريطة أن يتم بالإشتراك مع فرنسيين آخرين لهم خبرة واسعة فى مجال الزراعة والصناعة، وبعد مناقشة اللجنة الإدارية لموضوع مصنع السكر وبعد موافقتها اختار كل من (Prix Real, Bloudy) إقليم جرجا كمكان لمصنع السكر بإعتبار أن هذه المنطقة مركز لزراعة قصب السكر، وطلبا بناءا على ذلك من القائد العام أن يصدر أوامره بهذا الشأن لمراد بك باعتباره يحكم تلك المنطقة، لكن طلبه هذا رفض لأن القائد العام منو رأى أنه ليس من الحكمة أن تنتقل الصناعة الفرنسية إلى المنطقة التى يحكمها مراد بك(٢).

وإذا كان الجنرال منو يخشى أن تنتقل فنون الصناعة الفرنسية إلى المنطقة التى يحكمها مراد بك فى الصعيد فإنه لم يعمل على إنشاء مصانع فى المنطقة التى يحكمها الفرنسيون بصعيد مصر خوفا من انتقال فنون الصناعة الفرنسية إلى الأهالى.

وفى نفس الوقت فإن الفرنسيين قد قاموا بصناعة الطوب الأحمر (٣) وذلك لاستخدامه فى بناء وترميم القلاع التى قاموا ببنائها فى الصعيد لتكون حصونا منيعة لصد هجمات

---

(١) Reynier à poussielgue, Benesouef, le 16 vendmaire an 8 (8 Octobre 1799).
ظرف B6 161 بمحفظة فترتها التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ١٨ يونيو سنة ١٨٠١.

(٢) فاطمة الحمراوى : المرجع السابق، ص ص ٣١٥، ٣١٦.

(٣) Dnzelot au général Belliard, Cossier, le 19 Fructidor an 7 (5 Septembre 1799).
ملف رقم ٤ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠.

الأهالى، وكانوا يستخدمون البنائين المصريين فى هذه الصناعة جنبا إلى جنب مع البنائين الفرنسيين(١) لكون هذه الصناعة ليست صناعة ميكانيكية وبالتالى لم يخش الفرنسيون من وجود البنائين المصريين معهم لأن هذه الصناعة ليس بها جديد يذكر .

ومن الصناعات التى نجد لها ذكرا فى وثائق تلك الفترة صناعة تفريخ الدجاج، فتذكر سجلات المحاكم الشرعية الخاصة بمحكمة إسنا أن مراد بك قد أعطى تصريحا لفخر السادات الأشراف (السيد بدر جودة حباتى) ببناء معمل فراخ فى الأرض التى تقع فى وسط السوق بناحية إسنا(٢).

ويتضح من العرض السابق أن الصناعات الأهلية فى صعيد مصر ظلت سائدة فى طريقها متبعة أساليبها العتيقة ونظمها القروية والمحلية المعروفة، ولم يطرأ عليها أى تغيير يذكر فى عهد الحملة الفرنسية، وذلك لأنه لم يكن من سياسة الحملة الفرنسية التفكير فى إنهاض الصناعة المصرية، والدليل على ذلك أنه عندما فكر منو فى إنشاء مصنع للجوخ فى القاهرة لسد الحاجة الماسة إلى الأجواخ التى انقطع ورودها من أوروبا، عارض أعضاء اللجنة الإدارية فكرة قبول العمال المصريين فى هذا المصنع بحجة الضرر الذى يلحق الصناعة الفرنسية إذا عرف المصريون أسرارها، وصرح المسيو كونتى Conté مدير المصنع الميكانيكى الذى أنشأه الفرنسيون أنه لا يقبل البته تعليم أحد من الأهالى أساليب الصناعة، وأخيرا تم الإتفاق بين (منو) واللجنة الإدارية على إنشاء مصنع للأجواخ بإدارة المسيو كونتى على ألا يقبل فيه عاملا مصريا، كما اشترط كونتى على الجنرال منو أنه فى حالة موافقة حكومة الجمهورية على ارجاع مصر إلى السلطان العثمانى أن يتم تحطيم

---

(١) Dnzelot au général Belliard, Cossier, le 19 Fructidor an 7 (5 Septembre 1799). ملف رقم ٤ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠ .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر : سجلات محكمة اسنا الشرعية سجل رقم ٥٢ فترته التاريخية من ٥ ربيع الأول سنة ١٢١٥ إلى ٢٦ محرم سنة ١٢١٦هـ، وثيقة رقم ١٧٤ مؤرخة فى ٢١ شهر ربيع الأول سنة ١٢١٥هـ، ص ٧٨ .

أدوات الصناعة والمنتجات الصناعية جميعها أو تنقل هذه إلى فرنسا(١) • وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على خوف الفرنسيين من إمكانية انتقال تقنية الصناعة للمصريين، لذلك حرصوا كل الحرص على إبعادهم عن المشاريع الصناعية التى أقاموها فى مصر • ومن ناحية أخرى فإن الفرنسيين كانوا يريدون استغلال موارد الثروة الزراعية لمصر دون التفكير فى توجيهها وجهة صناعية، وذلك حتى تبقى السوق المصرية منفذا للمصنوعات الفرنسية •

ثالثا : التجـــارة :

إذا كانت الحملة الفرنسية لم تعمل على إنهاض الصناعة المصرية حتى لا تضر بالصناعة الفرنسية، فإنها عملت كل طاقتها لإنعاش التجارة الداخلية والخارجية لمصر رغم كل الظروف السياسية والعسكرية التى أدت إلى عرقلة النشاط التجارى، ذلك لأن إحياء التجارة المصرية يخدم المصالح التجارية الفرنسية •

وسوف نتناول التجارة فى صعيد مصر فى تلك الفترة من خلال نقطتين كالتالى :

١- التجارة الداخلية فى الصعيد :

تأثرت التجارة الداخلية فى صعيد مصر فى الفترة الأولى من الإحتلال الفرنسى للصعيد نتيجة لاشتعال الحرب بين المماليك والأهالى من جهة والفرنسيين من جهة أخرى، وأدى اضطراب الأحوال إلى كساد فى السوق التجارية مما جعل قطع حبل التجارة أمرا محتوما فى تلك الفترة• وبالتالى أصبح الفائض من حبوب الوجه القبلى والفائض من صناعاته لا يجد طريقه إلى القاهرة بسبب انقطاع طرق المواصلات الناتج عن اضطراب الأمن ونعطى مثلا على ذلك فقد حدث أن الجنرال ديزيه ترك بعض رجاله فى بنى سويف للقيام على شحن الغلال، وفى أثناء حملته النيلية إلى أسيوط هجم الثوار على بنى سويف وأسروا هؤلاء الرجال واستولوا على الغلال التى وجدوها(٢) •

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر، الجزء الثانى، الطبعة الرابعة، دار المعارف ١٩٨١، ص ص ٢١٥، ٢١٦، محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق، ص ص ٢٥١، ٢٥٢، فاطمة الحمراوى : المرجع السابق،ص ٣١١ •

(٢) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، دار المعارف ١٩٨١، ص ٣٤٨ •

وفى أسواق المدن كانت تحدث مشاجرات بين الأهالى والفرنسيين لرفض الفرنسيين دفع ثمن مشترواتهم حدث ذلك فى سوق المنيا[١] عندما نزلت فصيلة من الجنود الفرنسيين ليتزودوا منها وأبوا أن يدفعوا ثمن ما اشتروه، فثار الفلاحون الذين كانوا بالسوق وقتلوا من الجنود خمسة وجرحوا منهم ثمانية، وكاد يستشرى الهياج لولا الحكمة من سكان البندر[٢]. ويمكن القول بأنه إذا كانت أسواق القرى والمدن بصعيد مصر[٣] قد استمرت فى انعقادها إلا أنها تأثرت باضطراب الأمن الناتج عن الصراعات العسكرية، ونتيجة لحرق الكثير من القرى بصعيد مصر إبان الصراع العسكرى والثورات فى المدن تعطلت أسواق الكثير من القرى والمدن فى صعيد مصر فى تلك الفترة.

ومن جهة أخرى فإن مجئ الفرنسيين قد قلص بصفة عامة من النشاط التجارى الذى كان يتم قبل مجيئهم بمختلف المواسم الدينية كالمواسم التى كانت تقام للإحتفال بمولد أحد الأولياء الصالحين والذى كان مناسبة دينية وتجارية تساهم فى نشاط التجارة، ومن هذه الأسواق الدينية على سبيل المثال سوق مولد سيدى عبد الرحيم القنائى بقنا. وبعد أن تم إبرام الصلح بين الفرنسيين ومراد بك بمقتضى معاهد كليبر - مراد (٥ إبريل سنة ١٨٠٠) أنشأ الفرنسيون جمركا بأسيوط وبالتالى أصبحت البضائع التى تنتقل من المنطقة التى يوجد

---

(١) ذكر فافييه Favier فى تقرير له عن المنيا أن المنيا بها سوق كبير نوعا ما، وأهم ما يباع به هو السكر والأقمشة الصوفية انظر :

Notes et observations pendant mon sejour a miniet, au Caire, le 25 Thermidor an 8.

ملف رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ١٤ أغسطس سنة ١٨٠٠ (١٣ إلى ٢٦ تيرميدور العام الثامن الجمهورى).

(٢) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٤٩ .

(٣) لمزيد من التفصيل عن القرى والمدن التى يوجد بها أسواق فى صعيد مصر انظر :

Reynier au général en chef, B6 162, le 4 Complémentaire an VIII.

بظرف فترته التاريخية من ٧ سبتمبر إلى ٧ نوفمبر سنة ١٨٠٠ بمحفظة فترتها التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ١٨ يونيو سنة ١٨٠١ .

بها مراد بك نحو المنطقة التى يحكمها الفرنسيون أو العكس تؤدى رسوما جمركية عند أسيوط تقدر بواحد من عشرين سواء نقدا أو عينا من القيمة الإجمالية للبضائع(١).

حيث كانت مدينة أسيوط من أهم مدن الصعيد ومركزا تجاريا كبيرا تنتقل عبرها كل التجارة القادمة من مدن مراد بك والحبشة والواحات فى طريقها إلى القاهرة أو رشيد أو الإسكندرية، كما كانت كل التجارة القادمة من القاهرة ورشيد والإسكندرية تفرغ فى أسيوط وتخزن ومنها تنتقل إلى مدن مراد بك والحبشة والواحات.

وقد كان الغرض من إحداث الفرنسيين لجمرك أسيوط هو تحصيل أكبر ما يمكن من الضرائب كى يعوضوا دخل جمرك القصير التى توجد بيد مراد بك. وقد حصل مراد بك على إمتياز بإدخال مقدار من بضائع معينة إلى مصر دون أن يدفع عليها رسومات جمركية بأسيوط حيث ذكر الجنرال منو فى رسالة له إلى الجنرال دونزلو ما يلى "أيها المواطن القائد لقد أعطيت أمرا إلى مدير الشئون المالية المسيو "استيف" أن تدفع حقوق الجمارك فى أسيوط من أى مواطن يتقدم للدخول إلى مصر، مراد بك فقط سيكون معفى بالنسبة لشخصه ولأهل بيته على أن يكون هذا الإعفاء على وزن محدد(٢).

وكان مراد بك يدفع جمركا على أى بضائع تزيد على الكمية المسموح له بها من قبل الفرنسيين، وأحيانا يقوم بدفع الجمرك لبضائع أو متعلقات لأحد البكوات المماليك أو حريمه ممن يهمه أمرهم(٣).

ويمكن القول بأن إقامة الفرنسيين لجمرك أسيوط قد حد نوعا ما من نشاط التجارة والمبادلات بين الوجه القبلى والوجه البحرى، تلك التجارة التى كانت مزدهرة قبل مجيئهم

---

(١) Lapanouse Directerou des Douanes de siout au général en chef Menou, Asiout, le 22 Thermidor an 8 (10 Aout 1800).

ملف رقم ٥، ٤٩ ،ا بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ١٤ أغسطس سنة ١٨٠٠.

(٢) Menou au général Donzelot, le 12 Frimaire an 9 (3 Decembre 1800) Doc. No. 1254.

ملف رقم ٣، B6 58 بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٠٠.

(٣) انظر رسالة مراد بك إلى الجنرال دونزلو. مؤرخة فى ٢٤ جماد أول سنة ١٢١٥هـ بمحفظة بدون رقم ولا تاريخ بمكتبة جامعة القاهرة.

ولقد اهتم الفرنسيون بالرسوم التى كانت تدفع على استهلاك البضائع والسلع نظرا لما تدره للخزينة الفرنسية من أموال، وقد اتبعوا نفس العادة التى كانت جارية بخصوص إعطاء بعض الرسوم من هذا النوع كالتزام لبعض الأشخاص مقابل مبلغ مالى يدفعوه كل شهر(١).

ولقد قام الجنرال منو بتغيير فى الرسوم التى تحصل على مختلف المواد الإستهلاكية فى أمره اليومى بتاريخ ٢٤ فروكتيدور السنة الثامنة من التقويم الجمهورى الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٨٠٠ حيث تضمن البند الأول من هذا الأمر تغييرا فى الرسوم التى تحصل على أسواق المدن والقرى إبتداء من أول فاندمبير العام التاسع الجمهورى الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٠٠.

بينما نص البند الثانى بأن يبقى العمل جاريا ببعض الرسوم مثل الرسوم التى تحصل على بيع الخيول والجمال والبغال وهى ١٪ من ثمن البيع، وسيحصل هذا الرسم فى كافة أنحاء الديار المصرية، كذلك ابتداء من التاريخ المذكور أعلاه سيحصل رسم نصفين فضة عن كل ذراع pic على القماش الرفيع ونصف فضة واحد عن كل ذراع على باقى جميع الأقمشة أما البند الثالث فقد تضمن تحديد الرسوم التى ستدفعها كافة السلع والبضائع من داخل مصر (ابتداء من أول فاندمبير العام التاسع الجمهورى) عند دخولها المدن التالية : مصر، مصر القديمة، بولاق، دمياط، المنصورة، سمنود، المحلة الكبرى، دمنهور، بلبيس، طنطا، المنيا، الفيوم، منفلوط، أسيوط، طهطا. سوف تدفع الرسوم التالية :

- على الحبوب ٨٪، على القطن، السكر، العسل ١٠٪ على النيلة L'indigo، الدخان، قماش صوف، قماش حرير ٨٪.
- على الفواكه والأسماك الطازجة، الطيور، الزبدة، الجبن، الزيوت ٥٪.
- على الفحم، والحصر، التبن، أوانى الفخار، الأخشاب ٥٪.
- على الخرفان والماعز والأبقار ٦٪.

وأشار البند السادس من الأمر إلى أن جميع الرسوم أو العوائد المذكورة أعلاه يؤجروا على قدر الإمكان، وأن يكون ذلك من خلال مزاد enchére علنى فى الأقاليم.

---

(١) فاطمة الحمراوى : المرجع السابق، ص ص ٣٣٢، ٣٣٣.

كما أشار البند السابع من الأمر إلى أنه سيتم تعيين أربعة مفتشيين للرسوم وستنحصر مهمتهم فى مراقبة تصرفات المحصلين والسهر على ألا يدفع أكثر من المقدار الذى جدده هذا الأمر لكل سلعة. أما البند الثامن من الأمر فنص على أن يساعد حكام الولايات والبنادر المفتشين ومستأجرى العوايد فى تأدية مهامهم كلما طلبوا منهم المساعدة بالحق(١).

ولقد أثر هذا الأمر على التجارة، فعمل على الحد من النشاط التجارى والمبادلات بين مختلف أنحاء البلاد، ومن ثم تعطيل مصالح الرعية، وكان ذلك ما دفع بأهالى طهطا تقديم التماس إلى الجنرال دونزلو شاكين من كثرة الرسوم على كل ما يباع ويشترى" فى غلال ومواشى وتبن ووقد وطيور وتجارات وخلافه وذلك لم يكن معتادا قبل حضور الفرنساوية ولا بعده فبسبب ذلك امتنع جميع ما يدخل البلد من معاش الرعية وتعطل حال البلد وحصل لأهلها تعب ومشقة عظيمة بسبب التعطيل الحاصل فى هذه الحوادث ونرجو من حضرة جنابكم أن تشفعونا فى رفع هذه الحوادث التى عطلت أحوال الرعية لأجل راحة الناس ويبيعوا ويشتروا ويدفعوا الجمرك المعتاد عليهم للديوان"(٢).

ويبدو أن الجنرال دونزلو لم يستجب لالتماس أهالى طهطا برفع الرسوم المقررة على السلع والبضائع السالفة الذكر، لأنها تدخل ضمن قرار الجنرال منو بتعديل الرسوم المقررة على السلع والبضائع، ومن ثم فهى سياسة عامة لا يستطيع الجنرال دونزلو أن يبت فيها.

وتجدر الإشارة إلى أن التجارة التى أرهقتها المكوس والإتاوات المختلفة قد ازداد كسادها وحل بها البوار بعد الأمر الذى أصدره الجنرال منو بفرض إتاوات جديدة على

---

(١) Voir copie de L'ordre du général en chef inséré dans L'ordre du jour du 24 Fructidor an 8, dans Sala Din Boustany.Op.Cit.Volume Nine, Part. 1, P.118-124.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر وثيقة بدون رقم مؤرخة فى ٢٣ شهر رجب عام ١٢١٥هـ بمحفظة بدون رقم ولا تاريخ بمكتبة جامعة القاهرة، والوثيقة عبارة عن عرضحال من أهالى ناحية طهطا إلى الجنرال دونزلو صارى عسكر الجيوش الفرنساوية بولاية المنيا والأسيوطية.

نقابات الحرف والتجار(١)٠ ويبدو أن الجنرال منو لم يكن يعنيه من أمره هذا إلا زيادة الثروة العامة بصورة تمكنه من الحصول على الموارد اللازمة للإنفاق منها على جيش الشرق فى مصر٠

ومن المعروف أن نقل الغلال من الصعيد إلى القاهرة كان يتم عن طريق نهر النيل، ومن هنا كان اهتمام الفرنسيين بالملاحة عبر النيل، نظرا لأنها كانت تمثل مواصلة سهلة بالمقارنة بالطرق البرية٠ وحرص الفرنسيون على تعيين بعض الضباط فى مختلف المراكز الموجودة على النهر لكى يسهروا على كل ما يتعلق بالمواصلات خاصة تلك التى تتم بين الوجه القبلى والوجه البحرى، وليسهروا من جهة أخرى على تأمين وصول الحبوب إلى القاهرة(٢)٠ وكان القائد العام بالقاهرة يأمر بعض القواد الفرنسيين بمصر العليا بتوفير جميع المراكب الموجودة على النيل لاستغلالها فى نقل الغلال من مصر العليا إلى القاهرة٠ وبالرغم من ذلك فإن عدد المراكب الموجودة لم يكن كافيا بسبب غرق الكثير منها وتحطيم الفرنسيين لجزء آخر بقصد استعمال أخشابه للوقود لقلة الوارد من الأخشاب للقطر المصرى٠

ولهذا نجد الفرنسيين يعانون من نقص المراكب ويلجأون إلى مراد بك يطلبون منه إرسال كل المراكب الفارغة Les barques vides التى لديه إلى أسيوط، لأنهم فى أمس الحاجة إليها لنقل غلالهم من أسيوط إلى القاهرة(٣) حيث كانت أقاليم مراد بك تنتج مراكب كبيرة جدا مما يسرع فى حركة النقل٠ وتذكر سجلات المحاكم الشرعية أن ريسى المراكب كانوا يقومون بنقل الغلال لحساب الفرنسيين وكانوا يأخذون أجورهم مقابل ذلك(٤)٠

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ٢ ص ٢٠٥ ٠

(٢) فاطمة الحمراوى : المرجع السابق، ص ٣٢٩ ٠

(٣) Daure au prince de La Haute Egypte Mourad Bey, B6 142, Le 7 Fructidor an VIII (25 aout 1800).

بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٣ يناير سنة ١٨٠٠ إلى ٨ يناير سنة ١٨٠١ (٥ بلوفيوز العام الثامن الجمهورى إلى ٢١ نيفوز العام التاسع الجمهورى)٠

(٤) لمزيد من التفصيل انظر : سجلات محكمة منفلوط الشرعية، سجل رقم ٤، وثيقة رقم ٢١٩ ص ص ٦٩، ٧٠، ووثيقة رقم ٢٧٧، ص ٧٣، ووثيقة رقم ٥٠٠، ص ١٦١ ٠

ولقد قام الجنرال منو بتأسيس لجنة لمراقبة تحصيل الأموال المفروضة على المراكب والسفن المسافرة فى مصر لصالح الجمهورية، وكان هدفه من ذلك على حد قوله إسكات شكاوى ريسى المراكب، وأن يثبت لهم أن الحكومة الفرنسية تريد أن تكون عادلة وخيرة٠

وبمقتضى الأمر اليومى للقائد العام منو الصادر فى ١٣ فروكتيدور العام الثامن الجمهورى (٣٠ أغسطس سنة ١٨٠٠) قسمت المراكب السارية فى المنطقة التى يحكمها الفرنسيون بصعيد مصر إلى ثلاث درجات حسب سعة المراكب ومقدار الحمولة التى تحملها، وحدد الأمر أجرة Nolis المراكب التى تستخدم فى خدمة الجيش الفرنسى حسب الرحلة التى تسلكها من بولاق إلى بنى سويف أو المنيا أو أسيوط فى الذهاب والعودة(١)٠

ثم أصدر الجنرال منو أمرا يوميا آخر فى ٧ فاندميير العام التاسع الجمهورى (٢٩ سبتمبر سنة ١٨٠٠) بدأه بقوله "القائد العام رغب دون أن يؤثر على التجارة أن يرفع عن الملاحة النيلية ضريبة كانت مع بقية الضرائب والعوائد الأخرى المأخوذة من مصر لتوفير متطلبات الجيش الفرنسى" لذلك أمر الجنرال منو فى أمره المذكور أعلاه بالغاء جميع الضرائب القديمة التى كانت تدفع على جميع أنواع المراكب التى تعبر النيل ابتداء من أول فاندميير العام التاسع الجمهورى (٢٢ سبتمبر سنة ١٨٠٠) وفرض ضرائب جديدة على جميع أنواع المراكب، التى تعبر النيل تسدد سنويا حسب حمولة المراكب، وأن يعطى لكل مركب رقما يعلق على إحدى أجزائها الخارجية وسيكتب عليه حمولة السفينة٠

ونص هذا الأمر أيضا على أن الضريبة المفروضة سنويا على المراكب سوف تدفع على أربع دفعات متساوية كل ثلاثة شهور ٠ ونص البند السابع من هذا الأمر على أن

---

(١) لمزيد من التفصيل أنظر :

Ordre du jour, du 13 fructidor an 8 no. 17, dans ordres du jour du général en chef Menou.

وتجدر الإشارة على أننا اعتمدنا هنا على أوامر الجنرال منو المحفوظة فى دوسيه يحتوى على أربعة وتسعون وثيقة مطبوعة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل٠

الرسوم على المراكب سوف تؤجر بمزاد Enchéres علنى لمن يتقدم بطلبها وذلك حسب الأقاليم(١).

ومن العرض السابق يتبين لنا أن/الجنرال منو عمل على توحيد فئات النقل المائى فى داخل البلاد. وتجدر الإشارة إلى أن النقل عن طريق النيل كان معرضا للقرصنة على يد سكان بعض القرى التى تقع على ضفاف النيل والذين لا يتعيشون إلا على السرقات وقطع الطريق على الصنادل المحملة والتى تمر قريبا منهم، وخير مثال على ذلك قرية نزلة النوايل والتى تقع على الشط الأيمن إلى الشمال قليلا من منفلوط كمثال لقرية كل سكانها لصوص Voleurs محترفون(٢).

وأدرك الفرنسيون أن هذه الأعمال تقف عائقا فى سبيل ازدهار التجارة الداخلية بصعيد مصر فعملوا على القضاء عليها، ففى رسالة من بوييه Boyer إلى الجنرال كليبر يذكر له فيها "أن إحدى القرى بالمنيا نهبت مركبا عليه ١٥ رجلا وقتلوهم، وسأقوم بمعاقبتها مساء الغد لأن الملاحة فى النيل ستكون خطرة إن تركنا مثل هذه الأعمال دون عقاب"(٣).

وبالرغم من كل الإجراءات السالفة الذكر التى قام بها الفرنسيون لإنعاش التجارة، فإن التجارة الداخلية فى الصعيد لم تشهد ازدهارا فى عهد الفرنسيين بسبب حالة الإضطراب التى لازمت الحكم الفرنسى، هذا إلى جانب تقسيم الصعيد بين الفرنسيين والمماليك مما أدى إلى قيام التنافس بينهما بطريقة أضرت بالتجارة، حيث ترتب على ذلك إقامة الحواجز الجمركية مثل إنشاء الفرنسيين لجمرك أسيوط ليعوضوا دخل جمرك القصير التى توجد بيد مراد بك.

---

(١) لمزيد من التفصيل عن بنود هذا الأمر انظر :.

Ordre du jour, du 7 Vendémiaire an 9, no. 36, dans ordres du jour du général en chef menov.

(٢) Girard, Op. Cit. PP. 275, 276, Jomard. Observation sur les Arabes de L'Egypte Moyenne in Décription de L'Egypte, Etat Moderne, Tome Douziéme, Seconde Édition, Paris, 1823, P. 283.

(٣) Miniet, Le 28 Fructidor an 7 (14 Septembre 1799) Doc. No. 218.

ملف رقم ١٨ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ أغسطس إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠.

وإذا أضفنا إلى ذلك كثرة الرسوم على كل ما يباع ويشترى لأدركنا كيف أن كل هذه العوامل قد حدت من إنتشار التجارة الداخلية فى صعيد مصر بل وأثرت على نشاط التجارة والمبادلات التجارية بين الصعيد والوجه البحرى.

٢- دور الصعيد فى التجارة الخارجية لمصر :

شهدت تجارة مصر الخارجية مع البلدان المجاورة لمصر والتى كانت صادراتها ووارداتها تأتى إلى مصر وتخرج منها عبر الصعيد انخفاضا ملموسا فى عهد الحملة الفرنسية نتيجة للإضطرابات التى شهدها الصعيد فى عهد الحملة بسبب الصراع العسكرى الدائر بين الفرنسيين من جهة والأهالى والمماليك من جهة أخرى، ومن ثم قل ورود قوافل دارفور وسنار فى عهد الحملة عما كانت عليه قبل مجئ الحملة.

وتأثرت تجارة بلاد العرب عبر ميناء القصير، وبعد انتهاء الاضطرابات العسكرية فى الصعيد عمل الفرنسيون على انعاش تجارة مصر الخارجية مع هذه البلدان. فماذا عن أحوال هذه التجارة فى تلك الفترة؟

استمرت قوافل دارفور وسنار فى المجئ إلى مصر فى عهد الحملة الفرنسية، حيث أشارت المصادر المعاصرة إلى وصول قافلة أتية من دارفور فى مطلع عام ١٧٩٩ وكانت تحمل معها سن الفيل وتبر الذهب(١).

ولقد تعرضت هذه القافلة للنهب على يد الفرنسيين فى صعيد مصر، حيث هاجمها الكابتن ديفرنوا واستولى منها على ٨٩٧ جملا، فلما أقبل بغنيمته كاد الجنرال دافو يجن فرحا فقال له "لقد أقبلت عليك الدنيا يا كابتن، فهذا العمل الذى أتيته قضى على خطط أعدائنا"(٢) وهو هنا يقصد المماليك، ولكنه لم يكن هناك دليل واضح على أن مراد بك كان يضع الخطة لمهاجمة القافلة، ومن غير المحتمل أنه كان مهاجمها حتى إذا استطاع لأنه لم

---

(١) Vivan Denon, Voyage Dans la Basse et la Haute Égypte pendant les campagnes du général Bonapartl Quatrieme Edition, Tome Premier, Paris 1803, PP.307, 308.

(٢) نقلا عن ج. كرستوفر هيرولد : بونابرت فى مصر : ترجمة فؤاد اندراوس، مراجعة: محمد أحمد أنيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦، ص ٢٧١ .

يرد إضعاف التجارة بين السوادن ومصر، ولكن قطع الطريق على هذا النحو اقتضى دافو وديفرنوا انتحال عذر يبرره، وقد اعتذر بونابرت بعد ذلك لسلطان دارفور من هذه الفعلة(١)٠

كما أشارت وثائق الحملة الفرنسية إلى وصول قافلة أتية من سنار حيث ذكر دونزلو فى رسالة منه إلى الجنرال منو يعلمه بذلك قائلا "وصلت قافلة سنار إلى أسوان، ولقد أرسلت لها مندوب يحمل إليها جواز سفر بالأمان والحماية"(٢)٠

ثم يطمئن الجنرال دونزلو الجنرال منو أنه يعمل من أجل ازدهار التجارة قائلا. "أرجو يا سيدى أن تكون على يقين أنه لا أحد يهمه سلامة التجارة وتوفير الحماية لها مثلى"(٣)٠

وتجدر الإشارة إلى أنه إذا كانت قوافل دارفور وسنار والحبشة قد استمرت فى المجئ إلى مصر فى عهد الحملة الفرنسية فإنه يلاحظ أن ورود هذه القوافل قد قل بكثير عما كانت عليه قبيل الحملة الفرنسية خصوصا فى الفترة الأولى التى شهدت الصراع العسكرى الدائر فى الصعيد بين الفرنسيين والأهالى والمماليك، ومن ثم اضطراب الأمن وتعرض تلك القوافل للنهب على يد الفرنسيين أحيانا، ولكن بعد أن استقرت الأحوال فى الوجه القبلى بعد إتفاقية كليبر-مراد فى ٥ إبريل سنة ١٨٠٠ وعم السلام الوجه القبلى، انتعشت التجارة إلى حد ما خصوصا فى فترة حكم الجنرال منو الذى عمل على تشجيع التجارة مع سنار ودارفور ومع أقاليم السودان المختلفة، ومع الحبشة٠

---

(١) ج٠ كريستوفر هيرولد : المرجع السابق، ص ٢٧١ ٠

(٢) Le général de brigade Donzelot au général en chef, Asiout le 19 Messid.., an 8 (8 Juillet 1800).

ملف رقم ٩، B6 47 بدوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من أول يونيو إلى ٩ يوليو سنة ١٨٠٠ (١٢ بريريال إلى ٢٠ ميسيدور العام الثامن الجمهورى)٠

(٣) نفس الوثيقة السابقة٠

وكتب منو فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٠٠ إلى وزير الخارجية الفرنسية يعلمه بأنه بعث بكتبه إلى إمبراطور الحبشة، كما أدلى بمقترحات معينة إلى كل من سلطان سنار وسلطان دارفور وسلطان دنقلة لعقد محالفة مع الفرنسيين فى مصر(١).

وأراد الجنرال منو أن تعمل هذه المراسلات على مزيد من التبادل التجارى بين مصر وهذه البلدان. ولقد نجحت سياسة الجنرال منو فى هذا الشأن بدليل ما تذكره وثائق الحملة الفرنسية من وصول مبعوثى سلطان دارفور ليطلعوا على الأوضاع السياسية لمصر، ووعد الجنرال دونزلو الجنرال منو بأنه سيستقبلهم استقبالا حسنا وأنه سيكتب نيابة عنه لسلطان دارفور وسيبعث له هدايا لتقوية مشاعر الثقة والصداقة وإحياء التجارة(٢). وقد ذكرت كوريبه دى ليجيبت فى عددها الصادر بتاريخ اليوم الثالث التكميلى من العام الثامن الجمهورى الموافق ١٩ سبتمبر سنة ١٨٠٠ أن قافلة سنار فى طريقها إلى القاهرة، وقد منحت المعونة والحماية والحرية Protection et liberte فى كل شئ، وذكرت أيضا أن هناك قوافل أخرى قادمة من دارفور والسودان ومن بلاد الحبشة(٣). وبالفعل لم ينقض زمن طويل حتى كانت القوافل قد وصلت من دارفور والحبشة إلى أسيوط فى طريقها إلى القاهرة.

وكانت قافلة دارفور مكونة من ٢٠٦ عبد من الذكور و٣٥٠ من الإناث و١٥٣ جمل محملة ببضائع متنوعة خاصة العاج والصمغ و٣٩٥ جمل غير محملة، وقد دفعت هذه القافلة الرسوم الجمركية حسب ما جرت عليه العادة حيث دفعت بجمرك أسيوط ٤٨٠ مدينى على كل رأس من العبيد الذكور والإناث و٢٤٠ مدينى على كل رأس جمل

---

(١) Rousseau, Op. Cit. P. 359.

(٢) Donzelot au général en chef, Asiout, le 10 Vendemaire an 9 (2 October, 1800)
ملف رقم ٥، B6 54 بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٥ سبتمبر إلى ١٤ أكتوبر سنة ١٨٠٠ (٣ إلى ٢٢ فاندميير العام التاسع الجمهورى).

(٣) Courrier de L'Egypte. No. 81, le 3 Complémentaire an VIII (19 Septembre 1800)
وكوريبه دى لاجيبت جريدة إخبارية سياسية كانت تصدرها الحملة الفرنسية فى مصر، ولقد اعتمدنا هنا على نسخة مصورة بمكتبة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

محمل أو غير محمل(١)· وما لبث دونزلو فى الوجه القبلى أن بعث إلى الجنرال منو بكتاب من سلطان دارفور يطلب فيه هذا الأخير صداقة الفرنسيين ويخطب ودهم ويخبرهم باستعداده لتجهيز قافلة كبيرة وإرسالها إلى مصر إذا خفض الفرنسيون الضرائب الجمركية التى كان البكوات المماليك يحصلونها من القوافل، وفضلا عن ذلك فقد أحضر "سفراء" السلطان إلى منو ثلاثة من العبيد وسنورين هدية(٢)· وعندما وصلت قافلة الحبشة إلى أسيوط اشترى الفرنسيون ما يلزمهم من الأدوية التى تحملها هذه القافلة(٣)·

ومن العرض السابق يتبين لنا أن محاولات الجنرال منو لتشجيع التجارة بين مصر وأقاليم السودان المختلفة ومع الحبشة قد لاقت نجاحا معقولا فى تلك الفترة، ولكن ماذا عن التجارة البحرية بين ميناء الصعيد على البحر الأحمر ألا وهو ميناء القصير وبين مينائى بلاد العرب ينبع وجدة فى تلك الفترة؟·

استمرت التجارة البحرية بين ميناء القصير وبين مينائى بلاد العرب ينبع وجدة، فى عهد الحملة الفرنسية، وكانت مصلحة الفرنسيين تتفق مع مصلحة بلاد العرب فى استمرار النشاط التجارى فيما بينهما فبينما كانت ايرادات الجمارك من البضائع الواردة من بلاد العرب ذات قيمة للفرنسيين الذين أقفرت خزانتهم من النقود، نجد أن بلاد العرب قد استمرت تجارتها مع مصر لأنها كانت تعتمد على منتجات مصر الزراعية مقابل البن الذى كان من أهم السلع التى كانت تحملها السفن الأتية من مينائى بلاد ينبع وجدة· ومنذ أن أحتل الفرنسيون القصير فى يوم ٢٩ مايو سنة ١٧٩٩ وهم يعملون على انعاش التجارة بين ميناء القصير ومينائى بلاد العرب، تلك التجارة التى قلت بعض الشئ عما كانت عليه قبيل مجئ الحملة الفرنسية·

---

(١) فاطمة الحمراوى : المرجع السابق، ص ٣٧٠ ·

(٢) محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق، ص ٢٥٧ ·

(٣) Daure a Boudet Pharmacien en chef, le 26 Vendémiaire an IX (18 October 1800) Doc. No. 461, B6 157.

بمحفظة فترتها التاريخية من ١ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٠١ (١٥ فروكتيدور العام السابع الجمهورى إلى ١٠ نيفوز العام العاشر الجمهورى)·

ونتيجة لقلة ورود السفن القادمة من ينبع فى الفترة الأولى من الإحتلال الفرنسى للصعيد، ارتفعت أسعار البن فى القصير(١) حيث كان البن بمثابة السلعة الأساسية التى تحملها هذه السفن على ظهرها. ونتيجة لقلة ورود السفن القادمة من ينبع وجدة قلت ايرادات جمرك القصير فى تلك الفترة.

لهذا نجد سياسة الفرنسيين تتسم بالعمل على انشاء العلاقات الودية بينهم وبين شريف مكة وحاكم مدينة ينبع لكسب صداقتهم وحثهم على إرسال التجار بالتوجه إلى ميناء القصير.

وقد أشارت وثائق الحملة الفرنسية إلى عدد من المراسلات بين الجنرالات الفرنسيين فى صعيد مصر وبين كل من شريف مكة وحاكم مدينة ينبع ومن هذه المراسلات نجد رسالة من شريف مكة إلى الجنرال دونزلو حاكم القصير يرد فيها على رسالة بعثها له ويقول "ليكن فى علمكم أن رسالتكم وصلتنا وفهمنا كل ما بها، وأعلمنا تجار مكة أن يضعوا ثقتهم فيكم، وقد وثقوا فى كلامنا ونفذوه وبعد المراكب التى وصلتكم سيصلكم غيرها، وتأكدوا بعد الثقة التى وضعتموها فينا أنكم سترون الكثير من التجار(٢).

ويوصى شريف مكة فى رسالته الجنرال دونزلو بمعاملة التجار معاملة حسنة ويخبره أيضا أنه سيرسل معهم ابنه الشريف حسن ويوصيه أن يعتنى به ويعامله معاملة طيبة(٣).

---

(١) Donzelot au général Belliard, Cosseir, le 19 Fructidor an 7 (5 Septembre 1799) Doc. No. 61.

ملف رقم ٤ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠

(٢) Traduction de la litter en Francais de la lettre en arabe du grand cherif de la Mecque au général de brigad Donzelot, le 21 Decembre 1799, Doc. No. 1744.

ملف رقم ١٠، بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩.

(٣) نفس الوثيقة السابقة.

كذلك بعث محمد أغا حاكم مدينة ينبع برسالة إلى الجنرال دونزلو حاكم القصير يطلب فيها منه أن يرسل إليه الفرنسيون الحبوب وهو سيرسل لهم البن فى المراكب القادمة إلى القصير، ويخبره أن السنة الماضية كان البن قليلاً فى اليمن ولم يكن مثل الأعوام التى سبقته ولكن هذا العام سوف يصل الكثير من البن، ويؤكد له فى رسالته أن بن جديد قد وصل من اليمن إلى جده، وعندما يصل إلى ينبع قريبا سوف تحمله المراكب أو السفن القادمة إلى القصير(١).

وفى رسالة من لابانوز الوكيل الفرنسى لإقليم طيبة إلى شريف مكة يطلب منه استمرار علاقات الصداقة والتجارة بين الفرنسيين وبينه ويعده بإرسال الحبوب إليه قائلا "نحن نعلم إحتياجكم للحبوب لهذا سوف نرسلها لكم على وجه السرعة، وتبعا لاختصاصى فى موقعى هذا كوكيل Commissaire للحكومة الفرنسية، فتأكدوا أنى لن أدخر جهدا لكى أكلف التجار بتحميل الحبوب من القصير، ومن جانبكم أرجو أن ترسل لنا الكثير من البن، وهذا التبادل بيننا سينتج عنه غنى مصر ومكة على السواء(٢). وواضح من المراسلات السالفة الذكر أنها كانت ترمى إلى مزيد من التبادل التجارى بين مصر وبلاد العرب.

ومن الجدير بالذكر أن الجنرالات الفرنسيين بصعيد مصر كانوا فى مراسلاتهم السالفة الذكر يسيرون على نفس النهج الذى سار عليه نابليون حيث كان نابليون هو أول من اتبع سياسة التفاهم مع شريف مكة من أجل انعاش التجارة بين مصر وبلاد العرب.

وكانت تفرض ضريبة على الجمال المحملة بالبن والمتجهة إلى قنا، حيث كانت البضائع التى تصل إلى القصير تنتقل إلى قنا على جمال مستأجرة، وكانت هذه الجمال

---

(١) Traduction de la lettre en arabe écrite par mohamed aga gouverner de la ville de limba au général donzelot, le 22 Decembre 1799, Doc. No. 1745.
ملف رقم ١٠، بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩.

(٢) Lapanouse agent de la province de thebes au grand cherif de la Mecque, en date du Janvier 1800.
ملف رقم ١٦، B6 40 بدوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٣١ يناير سنة ١٨٠٠.

فى رجوعها من قنا إلى القصير تحمل القمح وحبوب أخرى للسفن الراسية بالقصير كى تحملها لدى عودتها إلى بلاد العرب، وكانت تفرض على الجمال المحملة بالقمح ضرائب قدرت قيمتها بـ ٦٠ بارة[١] Para على الجمل المحمل بالقمح[٢] بالإضافة إلى ثمانى بارات على كل جمل والتى تجمع لصالح الوكيل القبطى لديوان القصير، يضاف إلى ذلك أن القائمين على جمع هذه الضرائب كانوا يحصلون زيادة عن الضرائب المقررة من ١ إلى ٢ بارة عن كل جمل لأنفسهم. ويعلق دونزلو فى رسالته إلى الجنرال بليار على ذلك بقوله "كل هذه الإجراءات تزعج Deplaire التجار جدا"[٣].

وعمل الجنرال دونزلو على الحد من هذه الإجراءات يعاونه فى ذلك الجنرال بليار الذى قام بمعاقبة القبطى الذى أخذ ٢ بارة عن كل جمل بدون تصريح لهذا بعث إليه الجنرال دونزلو يشكره على ذلك ويقول له "سأعلن هذا العقاب لسكان القصير لكى يعلموا أن الفرنسيين أعداء لكل من يحاول إعاقة التجار"[٤].

كما عمل الجنرال دونزلو طوال التسعة شهور التى أقامها فى القصير على اجتذاب الكثير من التجار وتوفير الأمان لهم سواء فى حياتهم أو ممتلكاتهم[٥]. وهكذا

---

(١) البارة : عملة نقدية من العملات السائدة فى ذلك العصر وقيمتها ربع مليم وبالتالى فهى تساوى ١: ٤٠ من القرش، ولقد أطلق الأتراك على الفضة اسم "بارة" الفارسية ويرادف اسم "البارة" و"الفضة" فى عصر الجبرتى اسم "نصف فضة" و"مؤيدى" وقد كانت هذه العملة وسيلة هامة لتحقيق مرونة العمليات التجارية فى مصر.

لمزيد من التفصيل انظر : عبد الرحمن فهمى : المرجع السابق، ص ص ٥٧٣، ٥٧٤.

(٢) Donzelot au général Belliard, Cosseir, le 19 Fructidor an 7 (5 Septembre 1799) Doc. No. 61.

ملف رقم ٤، بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠.

(٣) Donzelot au général Belliard, Cosseir le 19 Fructidor an 7 (5 Septembre 1799) Doc. No. 61.

ملف رقم ٤ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠

(٤) Donzelot au général Belliard, Cossier, le 26 Fructidor an 7 (12 Septembre, 1799).

ملف رقم ١٦ بنفس المحفظة السابقة.

(٥) Le général de brigade Donzelot au énéral en chef, Assioute, Le 9 Messidor an 8 (8 Juillet 1800).

ملف رقم ٩ B6 47 بدوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من ١ يونيو إلى ٩ يوليو سنة ١٨٠٠

قام الفرنسيون فى صعيد مصر بكل ما فى وسعهم من أجل انعاش التجارة بين ميناء القصير وبين مينائى بلاد العرب ينبع وجدة فى الفترة التى كان فيها ميناء القصير يقع تحت السيطرة الفرنسية، ولكن بعد أن وقع الفرنسيون مع مراد بك معاهدة صلح فى ٥ أبريل سنة ١٨٠٠ والتى بمقتضاها تخلى الفرنسيون عن ميناء القصير لمراد بك، بدأ الفرنسيون يفكرون تفكيرا جديا من أجل انعاش التجارة بميناء السويس مع مينائى بلاد العرب أكثر من ميناء القصير الذى أصبح تحت سيطرة مراد بك(١)٠

ولما كان تجار شبه الجزيرة العربية يفضلون ميناء القصير لأنه يسهل لهم التزود بحبوب مصر العليا رأى الفرنسيون أن يقوموا بالإجراءات اللازمة لتوفير الحبوب بالقرب من السويس لتشجيع تجار بلاد العرب للمجئ إلى السويس، ورأى رينييه من خلال بحث قدمه إلى الجنرال منو فى ٧ يوليو سنة ١٨٠٠ أنه لكى يرغم تجار شبه الجزيرة العربية على اختيار ميناء السويس بدلا من ميناء القصير ينبغى رفع تكاليف الواردات عبر ميناء القصير بجمرك أسيوط(٢)٠

ويبدو أن الجنرال منو قد اقتنع بما جاء فى بحث رينييه وعمل على تطبيقه بالفعل، ويتضح ذلك من خلال أمر أصدره منو فى ١٦ فروكتيدور العام الثامن الجمهورى الموافق ٣ سبتمبر سنة ١٨٠٠ حدد من خلاله الرسوم التى ينبغى دفعها على مختلف البضائع سواء الصادرة أو الواردة إلى مصر، وما يهمنا من هذا الأمر هو البند الثالث الذى ينص على أن البضائع الواردة من القصير سوف تدفع فى أسيوط رسم يقدر بـ ١٨٪ من القيمة الإجمالية للبضائع(٣)٠

وكان الغرض من زيادة نسبة الرسوم إلى هذه الدرجة أن تتحول تجارة بلاد العرب من القصير التى تتبع مراد بك إلى السويس التى تتبع الفرنسيين وبدأ منو فى

---

(١) فاطمة الحمراوى : المرجع السابق، ص ٣٥١ ٠

(٢) نفس المرجع، ص ص ٣٥١، ٣٥٢ ٠

(٣) لمزيد من التفصيل عن بنود هذا الأمر انظر :

Sala Din Boustany : Op. Cit. Volume Nine. Part. I, P. 96-111.

مراسلة شريف محة من أجل إرسال رعاياه إلى السويس فكتب إليه فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٠٠ بأن بونابرت قد كلفه بأن يعمل على تجديد معاهدات الود والصداقة مع الشريف، وأن ينتهز هذه الفرصة حتى ينبئه بأن جميع رعايا الشريف فى وسعهم أن يحضروا إلى السويس دون خوف أو وجل ويؤكد له أن التجار لن يدفعوا أية إتاوات أو مغارم كما أنه لن يقع لهم ما يزعجهم، وقد أفلحت خطة منو فجاءت السفن من جدة وينبع إلى السويس فى شهرى نوفمبر وديسمبر محملة بالأنسجة القطنية والشيلان الصوفية والحرائر والبن[١] وأثر ذلك على حركة التجارة بالقصير وتأثرت معها الحركة الملاحية فى النيل وقلت يوما بعد يوم ويذكر لوروى Le roy مدير البحرية فى رسالته إلى الجنرال منو عن هذا الموضوع قائلا "أعتقد أن تعطيل التجارة بالقصير قد أضر بالزراعة والملاحة بصعيد مصر[٢]".

وهكذا أدى اهتمام الفرنسيين بميناء السويس إلى قلة ورود سفن ينبع وجدة إلى ميناء القصير مما أدى إلى تعطيل التجارة بالقصير، ولم يحدث أن تعطلت التجارة بالقصير إلا بعد أن تنازل الفرنسيون عنه لمراد بك.

ومن العرض السابق يتبين لنا أن ميناء السويس قد نافس ميناء القصير فى الفترة الأخيرة من عهد الحملة الفرنسية خصوصا بعد أن تنازل الفرنسيون عن ميناء القصير لمراد بك، ولم يستطع مراد بك أن يقوم بمحاولة لانتعاش حركة التجارة من جديد بين ميناء القصير ومينائى بلاد العرب خصوصا بعد أن رفع الفرنسيون نسبة الرسوم على البضائع الأتية من القصير بجمرك أسيوط.

وهكذا أدى تقسيم الصعيد بين الفرنسيين والمماليك إلى خلق حواجز جمركية وإلى عرقلة التجارة الداخلية بالصعيد وانكماش دور الصعيد فى التجارة الخارجية لمصر أحيانا.

---

(١) نقلا عن : محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق، ص ٢٥٦.

(٢) Le préfet maritime de L'Egypte Le roy au général en chef, au Kaire, le 13 Fructidor an 9 (30 Aout 1801) Doc. No. 401.

ملف رقم ٤، B6 58 بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٠٠

ومن العرض السابق للأوضاع الإقتصادية للصعيد يتضح لنا أن معظم الإصلاحات التى شملت النواحى الإقتصادية سواء تعلق الأمر بتشجيع الزراعة وإصلاح نظم الرى واصلاح نظام الضرائب وتنشيط التجارة، كلها مشاريع حدثت فى فترة حكم الجنرال منو، وبدون شك أن المبادرة الأولى فى هذا المجال كانت على بونابرت الذى لم تسنح له الظروف لتنفيذ محاولاته، بينما سنحت الفرصة للجنرال منو للقيام بتنفيذ محاولاته إلى حد ما، وليس هناك شك فى أن محاولات الجنرال منو كانت تدل على أنه كان ينظر إلى مصر على أنها قد أصبحت قاعدة فرنسية فى الشرق أو أنها مستعمرة فرنسية يرتبط مصيرها بمصير فرنسا. وتبقى فى النهاية كلمة وهى أنه مما لا شك فيه أن الظروف الحربية قد وقفت عائقا أمام الجنرال منو لتنفيذ خططه ومشاريعه الإقتصادية فى مصر بعد الهزائم العسكرية التى لحقت بالفرنسيين فى مصر على يد القوات الإنجليزية والعثمانية مما أدى إلى اضطرار الجيش الفرنسى للإنسحاب من مصر. وفى نهاية حديثنا عن الأوضاع الإقتصادية يمكن القول بأن الفرنسيين قد وضعوا مشروعات للإصلاح الإقتصادى فى مصر ولم يتمكنوا من تنفيذها لجلائهم عن البلاد، ومع ذلك فقد مهدت تلك المشروعات الطريق للإصلاح ووجهت الأنظار إليه، وكان محمد على أول من نفذها على طريقته الخاصة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر.

الفصل السادس

موقف القوى الإجتماعية فى صعيد مصر من الحملة الفرنسية

الفصـــل الســــادس

موقـــف القـــوى الإجتماعيـــة فى صعيـــد مصر من الحملـــة الفرنسيـــة

تمهيـــــد

المماليـــك

الفلاحـــون

العربـــان

الأقبـــاط

موقف القوى الإجتماعية فى صعيد مصر من الحملة الفرنسية

تمهيد :

سوف نتناول فى هذا الفصل موقف القوى الإجتماعيه فى صعيد مصر من الحملة الفرنسيه، والدور الذى لعبته هذه القوى فى حركة الصراع الدائر فى الصعيد بين الفرنسيين وبين هذه القوى، وسوف نتعرف أيضا على موقف الفرنسيين من هذه القوى، حتى نستطيع أن نحكم على دور هذه القوى فى تلك الفترة الهامة من تاريخ الصعيد، تلك الفترة التى شهدت بالرغم من قصرها العديد من المواقف والأحداث للقوى الإجتماعية فى صعيد مصر والتى سنعرض لها كالتالى :

١- المماليك :

شكل المماليك فى مصر العثمانية قوة عسكرية ممتازة شاركت العثمانيين فى السيطرة على الشعب المصرى، وكان ذلك حسب أوامر السلاطين العثمانيين لكى يكونوا عنصر موازنة إزاء الباشا ورجال الحامية العثمانية. وقبيل مجئ الحملة الفرنسية كانت الحامية العثمانية قد ضعفت إلى حد كبير ولم يعد لها وجود يذكر، وفى نفس الوقت كانت قوات المماليك تزيد من سيطرتها على البلاد وعلى حساب سلطة العثمانيين منذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر ودخلت بذلك فى صراع طويل مع الدولة صاحبة السيادة.

وفى نهاية القرن الثامن عشر كان الأمراء المماليك قد نجحوا فى أن تكون لهم السيطرة فى كافة المجالات السياسية والعسكرية والإقتصادية، وبالتالى كانوا قوة إجتماعية ذات شأن كبير.

وجاءت الحملة الفرنسية إلى مصر بحجة تأديب البكوات المماليك الذين كانوا يلحقون الضرر بمصالح التجار الفرنسيين، كما أوضح بونابرت فى منشوره الذى وجهه إلى سكان مصر عقب وصوله أنه جاء أيضا ليخلصهم من ظلم المماليك(١)، وحتى يؤكد بونابرت

---

(١) لمزيد من التفصيل عن هذا المنشور انظر : عبد الرحمن الجبرتى : تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، الجزء الثانى، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ. ص ١٨٢-١٨٤.

للأهالى أن الحرب ستكون بينه وبين المماليك طلب منهم أن يقفوا على الحياد وحذرهم من أن يعتمدوا على المماليك فى محاربة الفرنسيين قائلا "طوبى ثم طوبى لأهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلو مراتبهم، طوبى أيضا للذين يقعدون فى مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين فإذا عرفونا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب، لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك فى محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقا إلى الخلاص ولا يبقى منهم أثر"(١).

وهكذا اتضح للماليك موقف الفرنسيين منهم فماذا عن موقف المماليك من الحملة الفرنسية؟. عندما سمع المماليك بأن حملة بونابرت قد استولت على جزيرة مالطة وأنها فى طريقها إلى مصر للاستيلاء عليها لم يعطوا لها أهمية تذكر واستهانوا بقوة هذا الجيش الغازى وظهر ذلك فى حديث مراد بك لقنصل النمسا فى القاهرة المسيو روستى الذى ألح على مراد بك فى اتخاذ وسائل الحيطة للذود عن البلاد، فكان جواب مراد بك عليه أن أغرق فى الضحك وقال "ماذا تريد من إخافتنا من الفرنسيين ألم يكونوا أشباه الخواجات - التجار - الذين نراهم بيننا؟ إنه ليكفينى إذا نزلوا إلى بر مصر فى مائة الف من رجالهم، أن أبعث للقائهم بعض التلاميذ من المماليك ليقطعوا رؤوسهم بحد الركاب(٢).

ويدخل فى هذا السياق ما رواه الجبرتى عن موقف الأمراء المماليك لما جاءهم الخبر بقدوم أسطول الأميرال نلسن إلى الإسكندرية للتفتيش عن العمارة الفرنسية فقال "أما الأمراء (البكوات المماليك) فلم يهتموا بشئ من ذلك ولم يكترثوا به اعتمادا على قوتهم وزعمهم أنه إذا جاءت الإفرنج لا يقفون فى مقابلتهم وأنهم يدوسونهم بخيولهم(٣).

وهذه كانت نظرة المماليك للفرنسيين، وإذا ما حكمنا على نظرتهم هذه من أول وهلة فإننا سنحكم عليهم بالغرور والجهل، ولكن إذا ما علمنا بأن المماليك لم يكن لديهم فى ذلك

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، ص ص ١٨٣، ١٨٤ .

(٢) كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر : ترجمة محمد مسعود، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، دار الموقف العربى، القاهرة ١٩٨٢، ص ص ١٧١، ١٧٢ .

(٣) الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، ص ١٨٠ .

الوقت من ذكريات عن الفرنسيين إلا ذكريات الحروب الصليبيه وحملة لويس التاسع، والانتصار العظيم الذى حققه المماليك على لويس التاسع وجنوده عام ١٢٥٠م٠ وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على العزلة التى عاشها الشعب المصرى وعاشها المماليك فى ظل الحكم العثمانى هذه العزلة التى جعلت المماليك القابضون على زمام الحكم والسيادة فى مصر يعتقدون أنهم فى طليعة جيوش العالم منعة وعزة جانب٠

وقد ظل المماليك مدة خمسة قرون ونصف على حالهم وقد خيل إليهم – بطبيعة الحال – أن الفرنسيين لم يتغيروا إلا بمقدار ما تغيروا هم أنفسهم، ولذا فإنهم عندما سمعوا بأن نابليون اجترأ على النزول فى الإسكندرية حسبوا أنهم سيذيقونه ما أذاقوه من قبل للقديس لويس التاسع(١)، فقد كان ظن المماليك أن المسألة لا تتعدى فرسانا يقاتلون فرسانا، ولما كان المماليك خير من ركب جواد، ولعب بسيف فليس هناك شك أن هزيمة الفرنسيين لن تستغرق منهم وقتا طويلا، وهكذا ركب المماليك خيولهم وانطلقوا وفى نيتهم أن يطأوا الغزاة تحت سنابك خيولهم، ولكن سرعان ما حلت بهم الهزيمة فى موقعة شبراخيت (١٣ يوليو سنة ١٧٩٨ ثم تلتها هزيمة أخرى فى موقعة (إمبابة ٢١ يولية سنة ١٧٩٨)، وهنا أدرك المماليك أن جنود بونابرت يختلفون من حيث التسليح عن جيوش لويس التاسع، وفرنسا الثورة غير فرنسا العصور الوسطى، وأحس المماليك أنهم قد تخلفوا كثيرا عن مسايرة تطور الفنون العسكرية العالمية ولكن هل كان بمقدورهم أن يتصدوا للحملة الفرنسية؟٠

تجدر الإشاره إلى أن المماليك كانوا فى ذلك الوقت قد تخلوا عن تقاليدهم الموروثة وخرجوا عليها فلم يكن لهم رأى موحد ولا قيادة موحدة، فبعد معركة إمبابة انسحب مراد بك إلى الصعيد ومنه إلى الواحات للاستمرار فى مقاومة الفرنسيين من داخل مصر، وخرج إبراهيم بك من مصر إلى الشام وانضم إلى قوات الدولة العثمانية، وهكذا يمكننا أن نقول بأن المماليك قد انقسموا إلى فريقين : الأول يحاول استعادة سيطرته على البلاد وانتزاعها من أيدى الفرنسيين وهذا الفريق يتزعمه مراد بك، والثانى بزعامة إبراهيم بك يحاول الاستعانة بالعثمانيين على إخراج الفرنسيين من مصر ويقوم فى ذلك بدور التابع للدولة العثمانية والذى يعنينا هنا هو موقف الفريق الأول الذى يتزعمه مراد بك الذى انسحب إلى الصعيد

---

(١) آلان مورهيد : النيل الأزرق، ترجمة نظمى لوقا، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦، ص ١٠٩ ٠

ليستمر فى مقاومة الفرنسيين فى محاولة منه لانتزاع البلاد من أيديهم، ولكن هل نجح مراد بك فى تحقيق ما عزم عليه؟ فى البداية يمكن القول بأن مراد بك لم يكن وحده فى الميدان بل كانت معه مماليكه وانضم إليه حسن بك الجداوى بمن معه، كما انضم إلى جانبه معظم القبائل العربية المنتشرة فى الصعيد، بالإضافة إلى عرب الحجاز، بالإضافة إلى القوة الأساسية والتى لعبت دورا أساسيا فى المقاومة ضد الفرنسيين ألا وهى قوة أهالى الصعيد.

كل هذه القوى شجعت مراد فى حربه ضد الفرنسيين واستمر فى مقاومته للفرنسيين كما سبق أن ذكرنا منذ موقعة سدمنت (٧ أكتوبر سنة ١٧٩٨) وحتى احتلال الفرنسيين للقصير فى (٢٩ مايو سنة ١٧٩٩)(١) واعتبر الفرنسيون احتلال ميناء القصير ختام الحركات الحربية التى تم بها فتح الصعيد، ولكنهم فى نفس الوقت قد أدركوا أن سلطتهم مهددة باستمرار طالما ظل المماليك بقيادة مراد بك فى الصعيد، حيث كان الفرنسيون يخشون دائما من دور المماليك فى إثارة الأهالى على الفرنسيين بصعيد مصر وعلى سبيل المثال فلقد ذكر الجنرال ديفرنوا فى مذكراته "أن كل القرى من بنى عدى حتى القاهرة قد ثارت على الفرنسيين لأن محمد بك الألفى ينتقل فيما بينها مع المماليك، وأقنع الجميع بأن الفرنسيين قد دمروا Exterminés فى مصر العليا"(٢).

وتذكر وثائق الحملة الفرنسية أن مراد بك ينشر منشورات الصدر الأعظم ومنشورات الباب العالى فى كل مكان يصل إليه ليشعل الثورة بين الأهالى(٣) وخشى الفرنسيون من أن ينجح المماليك فى إشعال الثورة بين الأهالى من جديد، وإذا ما نظرنا إلى المماليك على أنهم بطبيعتهم رجال حرب لا يعرفون مهنة سواها فإن القضاء عليهم سوف يجعل مركز الفرنسيين أقوى أمام الأهالى، ومن ثم يمكن السيطرة على الأهالى بسهولة،

---

(١) عن مقاومة مراد بك وقواته والقوى التى تسانده للفرنسيين فى تلك الفترة انظر الفصل الأول والثانى والثالث.

(٢) Memoires due général Desvernois, Paris 1898, P. 188.

(٣) Kleber général en chef au directoire exécutif, Kaire, le 16 Novembre 1799, Doc. No. 1241.

ملف رقم ١٤ بدوسيه رقم ١ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩ (٢٥ بروميير إلى ٢٤ فريمبير العام الجمهورى)

وهذه كانت نظرة الفرنسيين تجاه المماليك فلقد كتب ديزيه إلى كليبر قائلا إذا تخلصنا من المماليك مصر العليا ستكون هادئة وفى سلام، فالشعب فيها أفضل من أى مكان آخر، فهو صاحب أرض وقد دافع بقوة عن حريته ولكنه أسهل فى القيادة من أهل مصر السفلى(١)" وفى رسالة من الجنرال كليبر إلى قائد المنيا ذكر له فيها ما يلى "أشجع القضاء على مراد بك حتى يستتب الأمن فى الصعيد(٢)"، كما كتب الجنرال ديزيه إلى الجنرال فريان قائلا "أود القضاء على مراد بك بأى ثمن Prix كان (٣)"

وفى تلك الفترة كان مراد بك ومن معه من المماليك يفرون إلى الصحراء كلما أحسوا بأن الفرنسيين يجهزون حملات للحاق بهم والقضاء عليهم، وكانت الصحراء هى الملاذ للمماليك بل هى الحصن الحصين الذى لم يستطع الفرنسيون أن يقتحموه وأن يقضوا على ما فيه من المماليك.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه بالرغم من تقدم الفرنسيين على المماليك عسكريا بما يملكون من مدافع وأسلحة حديثة متطورة بالقياس بما يملكه المماليك إلا أنهم لم يستطيعوا القضاء على المماليك، والسر يرجع إلى أن الفرنسيين لم تكن لديهم فى تلك الفترة أية خبرة بإقامة المعسكرات وإدارة الحملات فى الصحراء، ويؤكد هذا حديث دار بين الجنرال فريان ومساعدوه من الضباط فى منطقة تقع ما بين أسيوط والمنيا نقله لنا ديفرنوا على النحو التالى "تكلم أحد الضباط قائلا منذ ثلاثة أيام لم نسمع أى شئ عن الأعداء (أى المماليك) فزد عليه فريان قائلا : هذا بالرغم من أنهم همج Barbares ويبدو أنهم شديدوا الجهل بفنون الحرب

---

(١) Le général Desaix au général Kleber, Doc. No. 180, Le 12 Septembre 1799.
ملف رقم ١٦ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠ (٢ إلى ١٣ فروكتيدور العام الثامن الجمهورى).

(٢) B6 112, Kleber à Boyer Commandant La Province de Miniet, Le 6 Vendemaire an 8 (28 Septembre 1799, Doc. No. 436.
بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٤ أغسطس سنة ١٧٩٩ إلى ١٩ سبتمبر سنة ١٨٠٠ (٨ فروكتيدور العام السابع الجمهورى إلى ٥ تكميلى من العام الثامن الجمهورى)

(٣) Le général Desaix au général Friant, Kené, le 4 Septembre 1799.
ملف رقم ١ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠.

إلا أنهم أساتذة لنا فى الحرب هنا، فقد قاموا بتفرقتنا فى أماكن عديدة وبعد ذلك سنفقد قوتنا، فقال لاسال هذا هو رأيى لكننى كنت أخشى قوله(١)".

والواقع أن فريان ولاسال لم يقولا ذلك إلا بعد العناء والمشقة الذى بذلهما الفرنسيون فى اللحاق بمراد بك وباقى البكوات المماليك وفشلهم فى ذلك فشلا ذريعا بالرغم من كل إمكاناتهم العسكرية الحديثة والمتطورة والتى كانت تعد أحدث معدات عسكرية فى العالم فى تلك الفترة. وبالرغم من ذلك لم يفقد الفرنسيون الأمل فى اللحاق بالمماليك والقضاء عليهم، لأن المماليك لم يقضوا كل الوقت فى الصحراء، وسوف يعودون بسرعة منها لأن الصحراء حيث يلجأون تجبرهم على العودة سريعا إلى الأراضى الخصبة، واعتقد الفرنسيون أنهم بعدد قليل من الجمال يستطيعون طردهم والقضاء عليهم(٢) وجمع الجنرال ديزيه ٦٠٠ جمل وكون بهم صفين كاملين من الجنود القناصة على درجة عالية من الكفاءة وأرسل ديزيه إلى الجنرال فريان قائلا "سأرسل لك عمال المدفعية، قم بتشغيلهم فورا لكى ينتهوا من إصلاح المدافع التى ستصحب الجمال، إذا كانت تنقصك قطع غيار أرسل فى طلبها من القاهرة لأننى أريد أن تكون القوات كاملة عندما ألاحق مراد بك وينتهى الأمر فى ١٧ سبتمبر سنة ١٧٩٩"(٣).

ولا شك فى أن استعدادات الجنرال ديزيه هذه تدل على رغبته الأكيدة فى القضاء على المماليك بصعيد مصر حتى ينعم بالراحة، وعلى حد تعبيره فى رسالته إلى الجنرال كليبر "لا أطلب غير القضاء على المماليك والعرب لأنعم بالراحة، وإذا تم ذلك لن يكون

---

(١) Mémoires du général Desvernois, Op. Cit. PP. 191, 192.

ويؤكد فيفان دينون ذلك بقوله "إن المماليك كانوا يملكون الصحراء ويتحدوننا فيها فى القدرة على التحمل" انظر :

- Nivant Denon, Voyage dans La Basse et La Haute Egypte Pendant Les campagnes du général Bonaparte, Tome Premier, Quatriem, Édition, Paris, 1803, P. 269.

(٢) Le général Desaix au général Kleber, Doc. No. 180, Le 12 Septembre 1799.

ملف رقم ١٦ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠ .

(٣) Le général Desaix au général Friant, Kéné, Le 4 Septembre, 1799.

ملف رقم ١ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠ .

هناك داعى لوجود الفرسان فى الصعيد، وتستطيع أن تأخذهم جميعا إذ سيصبحون أكثر فائدة فى أماكن أخرى"(١)٠

ولكن ماذا عن موقف المماليك فى تلك الفترة؟

تذكر وثائق الحملة الفرنسية أن موقف المماليك فى تلك الفترة كان كالتالى :

حسن بك الجداوى وعثمان بك حسن وسليمان بك أبو دياب يرابطون جنوب الشلالات على بعد يومين ومعهم ٢٠٠ فارس ويحيون حياة بائسة، لكن عندما تترك الجنود الفرنسية أسوان سيتجهون إليها وسينظمون صفوفهم ويبرهنون أنهم أعداء شديدوا السطوة يهددون الوجود الفرنسى فى تلك المنطقة٠

ويوجد بالقرب من أسيوط ثلاثة من البكوات ومعهم حوالى ١٠٠ عربى، أما مراد بك، ومحمد بك المنفوخ، وعثمان بك البرديسى، وعثمان بك الطنبورجى، فلقد اتحدوا بعد المفاجأة التى حدثت لهم بالقرب من جرجا ومجموعهم حوالى ٢٠٠ رجل٠ وتبعا للتقارير الأخيرة فهم الان ما بين أسيوط والفيوم، ويذكر ديزيه فى تقريره إلى الجنرال كليبر "أنه من العبث الذهاب وراءهم لأنهم يهربون باستمرار(٢)" وذكر له أيضا أن الفرق فى إسنا وأسوان مهمتها منع حسن بك الجداوى من التحرك بدلا من استخدام فرقة من ٢٠٠ رجل لمهاجمته لأنه يهرب بمناورات ليس لها عدد٠

ومما هو جدير بالذكر أن المماليك لم يستهدفوا لمواجهة الجيش الفرنسى وتركوا عبء القتال على عاتق الأهالى ففى غالبية المعارك التى وقعت فى صعيد مصر كانوا يفرون إلى الصحراء تاركين عبء القتال على عاتق الأهالى، ولكن هل كان هذا جبنا من المماليك الذين عهدنا فيهم الشجاعة فى الظروف العادية أم ما هو السبب الذى كان وراء هذه الظاهرة؟

---

(١) Le général Desaix au général Kleber, Siout, Le 15 Septembre, 1799, Doc. No. 290.

ملف رقم ١٩ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠ ٠

(٢) Le général Desaix au général Kleber, Doc. No. 180, Le 12 Septembre, 1799.

ملف رقم ١٦ بنفس المحفظة السابقة٠

لا شك فى أن المماليك لم يثبتوا فى ميادين القتال فى الوجه القبلى أمام الفرنسيين، ويرى الباحث أن سبب هذه الظاهرة هو خوف المماليك من نيران البنادق والمدفعية الفرنسية المتطورة التى كانت ستحصدهم عن آخرهم إذا ما حاولوا الوقوف أمامها، وكانت أمنية الفرنسيين أن يلحقوا بالمماليك ليضربوهم بنيران مدفعيتهم وبنادقهم أو أن يقف المماليك أمامهم فى ميدان القتال، ولا شك أن النصر سيكون حليف الفرنسيين فى هذه الحالة لما يملكونه من إمكانات عسكرية متطورة، لذلك كان الفرنسيون فى غاية الضيق من فرار البكوات المماليك الذين كانوا يهربون منهم بمناورات ليس لها عدد، بينما يفسر هيرولد ظاهرة انسحاب المماليك إلى الصحراء بقوله "وكان أهم سبب دفع المماليك الذين عهدنا منهم الشجاعة فى الظروف العادية إلى المبادرة فى كل معركة بالهرب إلى الصحراء، هو أمل كل منهم فى الإبقاء على قواته بينما يحطم الفرنسيون جيوش منافسيه وهذا الضرب من السياسة بين الحلفاء إبان المعركة مسلك شائع مألوف فى الحرب، وإن تستر وراء مختلف الحجج والمعاذير، ولم يحل منتصف مارس من عام ١٧٩٩ حتى كانت قوات المماليك قد انقسمت أشتاتا تحاول كل فصيلة منها أن تدبر لنفسها ما تستطيع من أقوات، وتقهقر مراد بك إلى الواحة الخارجة ومعه عثمان بك البرديسى، وعثمان بك الطنبورجى ومحمد بك المنفوخ، أما حسن بك فقد يمم صوب قنا جنوبا مع عدة أمراء بقواتهم، كما فعل محمد بك الألفى هو وكتيبته وراح غيرهم من البكوات والكشاف يضربون فى أرجاء الريف، أما سليمان بك فقد جاوز أسوان جنوبا"(١).

ونعتقد أن هيرولد قد جانبه الصواب فيما ذكر لأن البكوات قد اتحدوا جميعا فى وجه الاحتلال الفرنسى(٢) الذى جاء إلى مصر واضعا فى الدرجة الأولى نصب عينيه القضاء

---

(١) كرستوفر هيرولد : بونابرت فى مصر : ترجمة : فؤاد أندراوس، مراجعة، محمد أحمد أنيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦، ص ص ٢٧٠، ٢٧١ .

(٢) والدليل على ذلك اتحاد حسن بك الجداوى مع مراد بك ويندهش "هيرولد" عن انضمام حسن بك الجداوى إلى مراد بك ويقول "ولا يعلم أحد على التحقيق ما الذى وعد به حسن بك ولكن لابد أنه أجزل له الوعود" هيرولد : المرجع السابق. ص ٢٥٧ .

ونحن نقول لم يعده بشئ بل أن حسن بك الجداوى رأى أن الوضع الجديد المتمثل فى وجود الحملة الفرنسية يفرض عليه الإنضمام لمراد بك ومقاومة الغازى المحتل وهنا تجدر الإشارة إلى أن =

على المماليك، ومن الملاحظ أن المماليك كانوا يفرون جميعا من ميدان القتال، ولو فرت مجموعة منهم وتركت الأخرى فى ميدان القتال تلقى حتفها لقلنا أن وجهة نظر "هيرولد" صحيحة، ومن ناحية أخرى ربما يكون فرار المماليك بهذا الشكل أى فرار كل منهم فى جهة معينة خطة مملوكية الغرض منها تشتيت الجيش الفرنسى فى أكثر من مكان وبالتالى لو تمكن الفرنسيون من القضاء على مجموعة من المماليك لبقيت مجموعة أخرى منهم تحاول أن تلم شمل المماليك فى الصعيد وأن تجمع حولها الفلاحين والعربان وأن تنظم صفوفها فى محاولة لإعادة سلطة المماليك من جديد وقد يكون رأى "هيرولد" سليما فى حالة عدم وجود الجيش الفرنسى أى قبيل الحملة الفرنسية عندما كان الصراع بين المماليك بعضهم البعض فى محاولة سيطرة أحدهم على النفوذ والسلطة.

وفى الفترة السابقة للحملة الفرنسية كان المماليك يفرون إلى الصعيد لينظموا صفوفهم أو هربا من السلطة بالقاهرة وبالتالى كانوا يعرفون الصعيد جيدا ولهم علاقات وطيدة بمشايخ القبائل العربية وبمشايخ القرى فى الصعيد، لهذا نجد كل بك من البكوات المصرية بالصعيد يفر إلى المنطقة التى يتمكن فيها من تدبير حاجاته من الأقوات، والتى يحس فيها بالأمان وبمعاونة الأهالى والعربان له.

وأحيانا يتحد البكوات المماليك عندما يجدون فرصة لذلك بل ويجمعون الأهالى حولهم فى محاولة لشن هجوم على الجنود الفرنسية بالصعيد، وتؤكد ذلك إحدى وثائق الحملة الفرنسية ففى رسالة من بليار إلى فريان يقول له "لقد أخبرتك أن ساكرو Sacrot قد اشتبك مع حسن بك وعثمان بك وإنهما قد اتجها لملاقاة مراد بك ووفقا لما قاله لى قائد جرجا كل البكوات كانوا بالقرب من أخميم منذ أربعة أيام، فاليت Valette قال لى إنهم جمعوا ٥٠٠٠ رجل، اعتقد أن هذا رقم مبالغ فيه وإلا كان كل الأهالى اتحدوا معهم، على أية حال سوف أهاجمهم إذا كانت الأخبار صحيحة سوف أجمع فرقة إسنا على فرقتى"(١).

= فرمانات (منشورات) السلطان العثمانى كانت تحث على ترابط المماليك فيما بينهم ضد الفرنسيين الكفرة انظر. سجلات محكمة إسنا: سجل رقم ٥٠، وثيقة رقم ٢٧٨ مؤرخة فى ٣ جمادى أول سنة ١٢١٣هـ، ص ١١٦-١١٨.

(١) Belliard au général Friant, Kéné, Le 15 Décembre, 1799, B6 104.

ملف رقم ١٥ بدوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩.

وكان الفرنسيون يخشون من التقاء البكوات المماليك بعضهم ببعض وكانوا يعملون على منعهم من الالتقاء(١)٠ ويجب أن نذكر أنه لولا ما كان يتلقاه مراد بك ومماليكه من مساعدة من جانب فلاحي وعرب الصعيد ما استطاع المماليك في الصعيد أن يستمروا في مراوغة الفرنسيين طوال هذه الفترة، وكانت سياسة الفرنسيين إزاء مراد بك ومماليكه هي العمل على منعهم من التزود بالمؤن من القرى(٢)، ومهاجمة مراد بك باستمرار حتى لا تزداد قوته في حالة تركه بلا هجوم وبالتالي مهاجمته باستمرار حتى يظل دائما في الصحراء على أقل تقدير(٣)٠

ويدل هذا على أن الفرنسيين كانوا يريدون القضاء على مراد بك إما بالمواجهة العسكرية وإما بملاحقته هو ومماليكه في الصحراء ليموتوا جوعا، وهنا يظهر دور أهالي الصعيد من فلاحين وعربان الذين وقفوا بجوار المماليك وأظهروا تعاطفا كبيرا معهم كما تذكر وثائق الحملة الفرنسية، فلقد ذكرت إحدى وثائق الحملة أن مماليك مراد بك وحسن بك وعثمان بك اتحدوا الان وجمعا معهما عددا يتراوح ما بين أربعة إلى خمسة الاف من العربان والفلاحين، وهنا يذكر بليار إلى جيلي فيو "ويبدو أنهم سيصعدون في النيل وأنا لا أعتقد ذلك لكن يجب أن نكون مستعدين لذلك، وحد صفوفك في إسنا واستعد للتحرك عند أول أمر أرسله لك، وأرسل بعد ذلك إلى قنا السفينة المسلحة واشحنها بالبارود الذي تحتاجه(٤)"٠

---

(١) Rovier au général Friant, Minieh, Le 5 nivôse an 8 (26 Décembre 1799) Doc. No. 1890.

ملف رقم ٥، B6 38 بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩ (٢٥ فريميير إلى ١٠ نيفوز العام الثامن الجمهوري)٠

(٢) Friant au général Kleber, à Charouné, Le 6 Décembre 1799, Doc. No. 1514.

ملف رقم ٥ بدوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩ ٠

(٣) Damas au Friant, Le 17 Novembre 1799, Doc. No. 1245.

ملف رقم ١ بدوسيه رقم ١ بنفس المحفظة السابقة٠

(٤) Belliard au gilly vieux, Kéne, Le 14 Décembre 1799, B6 106.

ملف رقم ١٣ بدوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩ ٠

وفى رسالة من فاليت إلى بليار يذكر له فيها "أن مراد بك وحسن بك وعثمان بك قد باتوا ليلتهم أمام أخميم على بعد ميل فى اتجاه الجبل ومعهم الكثير من العرب والكثير من شيوخ القرى وأنه عندما تزداد قواته سوف يهجم على الفرنسيين الضعاف.فى مواقعهم، وأنه بهذه الوسيلة سيهزمنا فى الوقت الذى سيهجم فيه الصدر الأعظم على القاهرة"(١).

وهكذا شكل مراد بك مع من معه من المماليك قلقا كبيرا بالنسبة للفرنسيين زاد من حدته انضمام الأهالى والعربان للماليك، وخشى الفرنسيون من ازدياد قوة المماليك خصوصا وأن مراد بك كان يغير معسكره كل يوم(٢)، وبالتالى لم يكن يعطى الفرنسيين الفرصة كى يمسكوا به أو يحاربوه فهو وباقى البكوات المماليك ومماليكهم لم يكونوا مستقرين بمكان معين وإنما كانوا فى حالة دائمة من التحرك والترحال من منطقة لأخرى فى شتى أنحاء الصعيد مما كان يسبب قلقا كبيرا على الوجود الفرنسى بالصعيد، لهذا نجد القائد العام للجيش الفرنسى فى مصر يامر الجنرال فريان بإنزال كل الفرق الموجودة بمصر العليا وملاحقة مراد بك بـ ٥٠٠ أو ٦٠٠ رجل(٣).

ولم تشهد تلك الفترة اشتباكات حقيقية بين المماليك والفرنسيين إلا نادرا ومن هذه المعارك معركة دارت رحاها فى صحراء سدمنت فى ٩ أكتوبر سنة ١٧٩٩ بين الجنود الفرنسيين بقيادة المساعد العام بوابيه Boyer وبين المماليك والعرب بقيادة مراد بك وكان المماليك والعرب ماهرين فى حربهم فوق الجمال وكادوا أن ينتصروا لولا.أن استمات

---

(١) Vallet au général Belliard, Girgé, Le 13 Décembre 1799, Doc. No. 1636.
ملف رقم ١٢ بدوسيه رقم ٢ بنفس المحفظة السابقة.

(٢) Le général de brigade Rampon au général de division Dugua, Le 30 Novembre 1799 Doc. No. 1439.
ملف رقم ١٤ بدوسيه رقم ١ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩.

(٣) Kleber général en chef au général Friant à Benisouef, Le 27 brumaire an 8 (18 Novembre 1799). Doc. No. 1262.
بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٨ أغسطس سنة ١٧٩٩ إلى ١٠ أغسطس سنة ١٨٠٠ (١٢ فروكتيدور العام السابع الجمهورى إلى ٢٥ تيرميدور العام الثامن الجمهورى.

الفرنسيون في الدفاع بقوة بما يملكون من بنادق وسيوف، وانتهت المعركة بهروب المماليك والعرب، وقام الجنود الفرنسيون بملاحقتهم وكانت خسارة الفرنسيين في هذه المعركة جندي واحد قتيلا وسبعة عشر جريحا، أما المماليك والعرب فقد بلغت خسارتهم أربعون قتيلا(١). وبعد هذه المعركة ظل مراد بك يتنقل من مكان إلى آخر، وأحيانا يقترب من القاهرة، وهنا يكتب كليبر إلى الجنرال فريان قائلا "أعتقد أنك حاليا تلاحق مراد بك وتجبره على العودة إلى الصعيد لأنه لا يجب أن يظل مطلقا absolument بالقرب من القاهرة، إذا تمكنت من القضاء عليه فقد كتبت مجدك Gloire بيدك"(٢). وظل مراد بك طليقا حرا ولم يتمكن الفرنسيون من القضاء عليه، وبالتالي لم يستطع أحد منهم أن يكتب مجده بيده.

وعلى كل حال فلقد استمر الصراع المملوكي الفرنسي في صعيد مصر فترة طويلة تدهورت فيها حالة المماليك الإجتماعية إلى حد أن باع كثير منهم سلاحه للأهالي لكي يعيشوا Pour vivre وفضل آخرون أن يختبئوا في القرى، وعرض بعضهم نفسه على

---

(١) Kleber général en chef au directoire exécutif, Kaire, Le 16 Novembre 1799, Doc. No. 1241.

ملف رقم ١٤ بدوسيه رقم ١ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩.

وتجدر الإشارة إلى أن الجبرتي قد أشار إلى هذه المعركة في عبارة واحدة حيث قال ضمن أحداث شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٤هـ (أكتوبر سنة ١٧٩٩) "وفيه أرسلوا جملة عساكر من الفرنسيس إلى مراد بك بناحية الفيوم وعليهم كبير فوقع بينهم وبينه أمور لم أتحقق تفصيلها" انظر: الجبرتي: المصدر السابق، جـ٢ حوادث شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٤هـ، ص ٣٠٧، وهذه الأمور التي لم يتحقق الجبرتي من تفصيلها هي المعركة التي دارت بين الفرنسيين وبين مراد بك في صحراء سدمنت بالفيوم في ٩ أكتوبر سنة ١٧٩٩ والتي عرضنا لها بأعلاه، ثم ذكر الجبرتي عبارة أخرى تلي العبارة السالفة الذكر قائلا وترددت بين مراد بك وبين ساري عسكر الرسال والمراسلات ووقع بينه وبينهم الهدنة والمهاداة، واصطلح معهم على شروط منها تقليده إمارة الصعيد تحت حكمهم" نفس المصدر، ص ٣٠٧ وهنا سبق الجبرتي الأحداث حيث كان الفرنسيون في تلك الفترة وبعدها بشهور يطاردون مراد بك ويودون القضاء عليه.

(٢) B6 123, Kleber au général Friant, Le 4 Décembre 1799, Doc. No. 1446.

ملف رقم ١ بدوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩.

الفرنسيين ليضموهم إليهم(١)، وتذكر بعض المصادر أن حالتهم كانت سيئة جدا(٢). وبصرف النظر عن الحجج التى تعلل بها هؤلاء المماليك الفارين من جيشهم عندما هرولوا للإنضمام إلى الجيش الفرنسى، فإن الفرنسيين قد قبلوهم فى صفوفهم وصاروا من رجالهم الأمناء الشجعان(٣).

ولا شك فى أن طول فترة الحرب والترحال الدائم من مكان إلى آخر، والمطاردة الدائمة من الفرنسيين للمماليك قد جعلت البعض من المماليك الذين لم تتحمل نفوسهم مشقة الترحال فى الصحراء الانضمام إلى الفرنسيين طمعا فى مصير أفضل. وبالطبع كان الفرنسيون يرحبون بانضمام المماليك الفارين من جيشهم إليهم ويعاملونهم بإكرام ليحصلوا منهم على معلومات عن باقى المماليك ومقدار قوتهم والأماكن التى يفرون إليها ومعرفة العديد من الأخبار التى تساعد الفرنسيين فى القضاء على المماليك.

وأحيانا يهجم الفرنسيون على معسكر أحد البكوات المماليك ويأسرون البعض منهم ويتم قتلهم رميا بالرصاص فى القلعة بأمر القائد العام للجيش الفرنسى وذلك بعد الحصول منهم على المعلومات المطلوبة(٤). وأحيانا يتشفع أرباب الديوان فى أسرى المماليك فيطلق الفرنسيون صراحهم(٥).

---

(١) Berthier, mémoires du maréchal Berthier, Campagne d'Egypte. Ire parti, Paris, 1827, P. 131.

كرستوفر هيرولد : المرجع السابق، ص ٢٦٠ .

(٢) Memoires du général Desvernois, Op. Cit. P. 180.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر . عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، دار المعارف ١٩٨١، ص ٣٧٣ .

(٤) Damas au général Dugua, Le 31 Décembre 1799, Doc. No. 1410.

ملف رقم ١٦، B6 38 بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩ .

(٥) الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، حوادث شهر صفر عام ١٢١٣هـ، ص ١٩٦ .

ولم يكن ظاهرة انسحاب بعض المماليك من جيشهم قاصرة على المماليك فقط فنحن نجد لها مقابل أيضا فى الجيش الفرنسى حيث تذكر وثائق الحملة الفرنسية حالات لفرار بعض الفرنسيين وانضمامهم للمماليك طمعا فى مصير أفضل بدون شك(١).

ولا شك فى أن المماليك استقبلوهم أيضا بترحاب شديد ليتعرفوا منهم على معلومات عن خطط الفرنسيين العسكرية وكيفية مواجهتها وفى الوقت الذى كان فيه الفرنسيون يحاولون القضاء على قوة المماليك العسكرية بصعيد مصر كان الفرنسيون بالقاهرة يعملون من جهة أخرى على القضاء على نفوذهم ومركزهم الإجتماعى المستمد من وضعهم الإقتصادى المتميز فقاموا بمصادرة ممتلكات البكوات والمماليك الذين كانت لهم قصور وبيوت فخمة فيها كل ما يمكن أن يعبر عن غنى وترف أصحابها، وصادروا أيضا حصص الإلتزام التى كانت بيد البكوات والمماليك بحيث استحوذ الفرنسيون بهذه الطريقة على ثلثى أراضى مصر(٢). أما عن معاملة الفرنسيين لنساء الأمراء المماليك فلقد أعلن الفرنسيون لهن بالأمان والسماح لهن بسكنى بيوتهن ولكن على أساس إظهار ما لديهن من أمتعة أزاجهن فإن لم يكن عندهن شئ من متاع أزواجهن يصالحن على أنفسهن ويأمن فى دورهن فذهبت السيدة نفيسة زوجة مراد بك، وصالحت على نفسها وأتباعها من نساء الأمراء والكشاف بمبلغ قدره مائة وعشرون ألف ريال فرانسا وأخذت فى تحصيل ذلك من

---

(١) أشارت وثائق الحملة الفرنسية إلى أن هؤلاء الفرنسيين لم يعد لهم أى أهمية أو موقع عند المماليك بعد أن عقد الفرنسيون اتفاقية سلام مع مراد بك فى ٥ أبريل سنة ١٨٠٠ لذلك رغب البعض منهم فى العودة إلى المعسكر الفرنسى انظر رسالة :

Le général Donzelot au général en chef, à siout, le 30 vendemaire an 9 (22 Octobre 1800).

ملف رقم ١٢، B6 55 بمحفظة فترتها التاريخية من ١٥ أكتوبر إلى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٠٠ (٢٣ فاندمييير إلى ٧ بروميير العام التاسع الجمهورى).

ولقد استمر البعض من الفرنسيين لدى المماليك بالصعيد حتى بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر، وانتفع محمد على باشا بخدماتهم حيث كانوا يعلمون جنوده علوم حرب الإفرنج. لمزيد من التفصيل انظر : نقولا ترك : مذكرات نقولا ترك. لنشرها وترجمها وعلق عليها جاستون فييت، مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٠، ص ١٢٣ .

(٢) فاطمة الحمراوى : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى عهد الحملة الفرنسية : رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٨٨، ص ٤٠٦ .

نفسها وغيرها"(١) وتمكن الفرنسيون بذلك من جمع أموال كثيرة ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان الفرنسيون يلقون القبض على بعض زوجات البكوات المماليك الموجودين بالصعيد بحجة أنهن يراسلن أزواجهن ويبعثن إليهم بالنقود التي تعينهم في حربهم ضد الفرنسيين، وحدث ذلك مع زوجة عثمان بك الطنبورجي التي ألقى الفرنسيون القبض عليها بحجة أنها بعثت لزوجها بنقود، ورغم أن القاضي لم يثبت عليها شيئا فإنهم قرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسا(٢)، كما قرروا على زوجات حسن بك الجداوى مبلغ وقدره ثلاثة آلاف فرانسة والسبب في ذلك "أن حسن بك التف على مراد بك وصار يقاتل الفرنسيس معه، وقد كانت الفرنسيس كاتبت حسن بك وأمنته وأقرته على ما بيده من البلاد وأن لا يخالف ويقاتل مع الأخصام فلم يقبل منهم ذلك"(٣).

وهكذا يتبين لنا أن الفرنسيين لم يكتفوا بمصادرة ممتلكات وأموال البكوات المماليك بل استولوا أيضا على ممتلكات زوجات البكوات المماليك الموجودين بالصعيد خشية أن يبعثن لأزواجهن بالأموال التي يحتاجونها، وبذلك يستفيد الفرنسيون بتلك الأموال ويحرمون البكوات المماليك منها حتى تضعف شوكتهم وبالتالي يسهل القضاء عليهم.

ولكن هل استطاع الفرنسيون رغم كل هذه الإجراءات السالفة الذكر أن يقضوا على بكوات المماليك الموجودين بالصعيد؟

في الحقيقة لم يتمكن الفرنسيون من القضاء على مراد بك ومماليكه وأعوانه من البكوات المماليك، وضاقت نفسية الفرنسيين من الإقامة في الصعيد وتمنوا أن يأتي اليوم الذي يسحقون فيه الشيطان daible مراد بك كما تمنوا الرحيل إلى مرسيليا ليستدفئوا بالشمبانيا بدلا من ماء النيل الذي ثلج أحشاءهم(٤).

---

(١) الجبرتي : المصدر السابق، جـ٢، حوادث شهر صفر عام ١٢١٣هـ، ص ص ١٩٦، ١٩٧ .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر : الجبرتي : المصدر السابق، جـ٢، حوادث شهر ربيع الأول عام ٢١٣ هـ ص ص ٢٠٧، ٢٠٨ .

(٣) نفس المصدر : جـ٢، حوادث شهر المحرم عام ١٢١٤هـ، ص ٢٩١ .

(٤) Lasalle au général Dugua, Atfehy, Le 4 Décembre 1799.
ملف رقم ٩ بدوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩ .

ويبدو أن مراد بك هو الآخر قد مل من حياة الترحال فى شتى أنحاء الصعيد وهو الذى اعتاد على حياة الترف والبذخ فبدأ يفكر فى نفسه وفى استقراره حتى ولو كان ذلك على حساب مصر، ومن هنا بدأ مراد بك يرقب تطورات الموقف بالنسبة للفرنسيين خاصة بعد عقد كليبر لمعاهدة العريش (٢٤ يناير سنة ١٨٠٠) مع العثمانيين من أجل الإنسحاب من مصر ثم إلغاء تلك المعاهدة والأحداث التى أعقبتها من إحراز الفرنسيين النصر فى معركة عين شمس (٢٠ مارس سنة ١٨٠٠) على القوات العثمانية، وفى هذه الأثناء كان مراد بك معكسرا بالجيزه مع مماليكه يرقب نتيجة القتال بين الأتراك والفرنسيين لينضم إلى الفريق الغالب، فلما رأى أن النصر حليف الفرنسيين فى معركة عين شمس صمم على إبرام الصلح مع الفرنسيين بشرط أن يتركوا له حكم الصعيد ويكون تابعا لهم، وأرسل مراد بك حسين كاشف ومصطفى كاشف لمقابلة الجنرال كليبر وأخبروه باقتراحات مراد بك لعقد سلام مع الفرنسيين ورحب كليبر بمقترحات مراد بك حيث كانت مصلحته تقتضى بأن يتم هذا الاتفاق لذلك أرسل إلى مراد بك قائلا "من كليبر القائد العام إلى مراد بك المحارب الشهير الذى سبب الكثير من المشاكل للفرنسيين وأظهر قوة تحمل وشجاعة كبيرة، حسين كاشف ومصطفى كاشف قابلونى وأخبرونى باقتراحاتكم للسلام، ومنذ فترة طويلة وأنا أعد لعقد سلام معكم ولكن الأحوال لم تكن جيدة، ولقد أخبرت رسلك باقتراحاتى بخصوصكم وسوف يخبرونك بها، وكذلك بكل اقتراحاتى عما يجب أن تقدمونه، إن حياتكم وسمعتكم ستعتمدان على الاتفاق الموقع بيننا وأنا سأقدم كل الوسائل اللازمه للحفاظ عليها"(١).

وانتهت هذه المباحثات بعقد معاهدة صلح بين كليبر ومراد بك فى ٥ إبريل سنة ١٨٠٠(٢). والحقيقة أن الفرنسيين قد أحسنوا صنعا بإتفاقهم مع مراد بك نظرا لما سبقت الإشاره إليه من القلق الذى كان يسببه لهم مراد بك باستمرار، ونظرا أيضا لما كانت ملاحقة هذا البك تكلف الفرنسيين الكثير من العتاد والجنود بالإضافة إلى ذلك التأثير الذى يمكن أن يكون لهذه المعاهدة على سكان مصر، ويرى البعض أنه بفضل تحالف كليبر مع مراد بك

---

(١) Kleber général en chef à Mourad Bey, Kaire, Le 2 avril 1800.

ملف رقم ١، B6 43 بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٣٠ إبريل سنة ١٨٠٠ (١١ جرمينال إلى ١٠ فلوريال العام الثامن الجمهورى).

(٢) لمزيد من التفصيل عن نصوص هذه المعاهدة: انظر الفصل الرابع.

كان الفرنسيون يتسلمون من الصعيد ضريبة ثابتة دون أن يضطروا إلى إدارته وبفضل هذا التحالف وما يتمتع به مراد بك من سمعة وهيبة توقفت الثورات في القاهرة والوجه البحرى[١].

هذا إلى جانب أن كليبر قد ضمن بهذا الإتفاق هدوء الأحوال بالوجه القبلي فلقد توقفت ثورات الفلاحين بعد توقيع هذا الإتفاق، كما استكانت القبائل العربية التى كانت تساعد مراد بك فى حربه ضد الفرنسيين، بل إنها عقدت معاهدات صلح مع الفرنسيين بعد اتفاق كليبر مع مراد، وكان مراد بك هو الواسطة بينهم وبين الفرنسيين[٢].

وهكذا فإن مراد بك كان مثلا أعلى لعربان وفلاحى الصعيد في الخنوع والاستسلام بعد أن كانوا ينظرون إليه على أنه المثل فى الصمود والمقاومة، ولا شك فى أن مراد بك بعقده هذه المعاهدة يدل على أنه كان يتمتع بجهل فاضح وقصر نظر قل أن وصل إليه واحد من حكام مصر، ففى الوقت الذى كان فيه الشعب يعانى الأهوال خلال ثورة القاهرة الثانية (٢٠ مارس - ٢١ أبريل سنة ١٨٠٠) كان مراد بك ومماليكه يعقدون صلحا مع الفرنسيين ويلتزم مراد بك فى نصوص هذا الإتفاق بمساعدة الفرنسيين فى حالة وقوع عدوان عليهم بأن يوفر قوات تعادل نصف قواته العسكرية وأن يوفر وسائل المواصلات[٣] أو ما كان من الأولى أن يوفر مراد بك قواته للإنضمام فى صفوف ثوار القاهرة الذين كانوا يأملون أن تلوح لهم جنود مراد بك من الجنوب، ولكن خاب أملهم فى ذلك لأن مراد بك كان لا يعبأ بشئ غير أن يضمن لنفسه الحكم وأن يقبض على الأمر، فلم يتحرك لمساعدة الثائرين بالقاهرة، ولم يقتصر أمر مراد بك على أنه تخلى عن مساعدة الثائرين فى ذلك المأزق الحرج، بل جعل يرسل إليهم ينصح لهم بالتسليم والمصالحة[٤].

---

(١) كرستوفر هيرولد : المرجع السابق، ص ٣٨٤ .

(٢) Binot a Friant, Chéronné, Le 29 Thermidor an 8 (17 Aout 1800).

ملف رقم ٣، B6 50 بمحفظة فترتها التاريخية من ١٠ يوليو إلى ١٩ أغسطس سنة ١٨٠٠ (٢١ ميسيدور إلى ١ فروكتيدور العام الثامن الجمهورى).

(٣) انظر المادة الثامنة من معاهدة الصلح بين كليبر ومراد بالفصل الرابع.

(٤) محمد فريد أبو حديد : زعيم مصر الأول السيد عمر مكرم : سلسلة كتاب الهلال، العدد رقم ٧، القاهرة ١٩٥١، ص ٨٨ .

هكذا كان موقف مراد بك الذى عمل مع الفرنسيين على إذلال الشعب إبان ثورة القاهرة الثانية، ولو أنه انضم بمماليكه مع ثوار القاهرة وبعث برسله إلى عربان الصعيد وفلاحيه وأتت هذه الجموع للإنضمام إلى ثوار القاهرة لما انتهت الثورة بهذا الشكل وما استطاع الفرنسيون القضاء عليها بهذه الصورة الوحشية، ولكن خيانة مراد بك للقضية الوطنية جعلت الفرنسيين يتمكنون من القضاء على الثورة ومن الانتقام من أهالى القاهرة بأبشع ما يكون الانتقام.

وهنا يمكن القول أن مقاومة مراد بك للفرنسيين بصعيد مصر لا تعد عملا من أعمال الوطنية أو الغيرة على الدين، لأن مراد بك استغل مقاومته للفرنسيين فى الحصول على مكاسب شخصية على حساب مصر. وتجدر الإشارة إلى أنه فى الوقت الذى تخلى فيه مراد بك ومماليكه عن ثوار القاهرة وقبل أن يحكم الصعيد تحت حماية الحكومة الفرنسية كان هناك قلة من الأمراء المماليك الشرفاء الذين كان لهم موقف ثابت من الوجود الفرنسى يتمثل فى تحرير مصر من الاستعمار الفرنسى ونذكر من هؤلاء محمد بك الألفى(١) وهو الذى حارب الفرنسيين فى صعيد مصر ورفض أن ينضم لمراد بك فى صلحه مع الفرنسيين حيث يذكر الجبرتى عنه ما يلى "ولما اصطلح مراد بك مع الفرنساويه لم يوافقه على ذلك واعتزله"(٢) وانضم محمد بك الألفى إلى الثوار فى ثورة القاهرة الثانية حيث ذكر الجبرتى "وجاء محمد بك الألفى فى ثانى يوم وتترس بجهة الأزبكية وبذل الهمة وظهرت منه ومن مماليكه شجاعة وإقدام"(٣).

كما رفض حسن بك الجداوى الإنضمام إلى مراد بك فى صلحه مع الفرنسيين واشترك مع الثوار فى ثورة القاهرة الثانية وأبلى الأمير المصرى الشجاع حسن بك الجداوى

---

(١) عن ترجمته انظر : عبد الرحمن الجبرتى : تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار : الجزء الثالث، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، حوادث عام ١٢٢١هـ، ص ١٤٧-١٧٣.

(٢) الجبرتى : المصدر السابق، جـ٣، ص ١٥٢.

وتؤكد وثائق الحملة الفرنسية على أن محمد بك الألفى لا يطيع أوامر مراد بك. انظر رسالة
La général Donzelot au général en chef, le 14, Juillet 1800.
ملف بدون رقم، B6 47، بمحفظة فترتها التاريخية من ١٠ يوليو إلى ١٩ أغسطس سنة ١٨٠٠.

(٣) عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، تحقيق وشرح حسن محمد جوهر وعمر الدسوقى، الطبعة الأولى، لجنة البيان العربى ١٩٦٩، ص ٢٠٨.

بلاء حسنا فى هذه الثورة فما يكاد يسمع أن العدو يزحف على أحد أحياء القاهرة حتى يسرع بجنوده لنصرة ثوار هذا الحى ويأخذ الفرنسيين أخذا وبيلا وعلى حد تعبير الجبرتى "ورأى الناس من إقدامه على الحرب وشجاعته على مجالدة العدو ليلا ونهارا ما ينبئ عن فضيلة نفس وقوة قلب وسمو همة، وقل إن وقع حرب فى جهة من الجهات إلا وهو مدير رحاها ورئيس كماتها"(١)٠

ويذكر أحد الكتاب أن حسن بك الجداوى كانت الأقدار تدخره "لكى يكفر عن كل سيئات المماليك بما بذله فى هذه الثورة من جهد"(٢)٠ ولو أن مراد بك كان لديه من شجاعة وإقدام حسن بك الجداوى ومحمد بك الألفى وانضم إلى الثوار فى ثورة القاهرة الثانية لكان من الممكن أن ينتصر الثوار ولكنه ظل يقدم خدماته للفرنسيين وظل وفيا معهم إلى أبعد ما يكون الوفاء والإخلاص وتفانى فى خدمتهم بعد توقيع معاهدة الصلح معهم لأنه كان يعلم أنه ليس له اتجاه آخر إلا مشاركة الفرنسيين فى مصيرهم "لأن العثمانيين لن يغفروا له أبدا وأنه لا يثق فى وعودهم ومتوقع خداعهم له، وفى هذه الظروف ليس له ملجأ آخر إلا الإلتجاء للفرنسيين والإحتماء بجمهوريتهم"(٣)٠

وكان الفرنسيون يعملون على التوافق فيما بينهم وبين مراد بك، وظل مراد بك وفيا لهم حتى وفاته فى ١٨ أبريل سنة ١٨٠١ وحزن عليه الفرنسيون حزنا شديدا لأنهم فقدوا بموته حليفا قويا مخلصا لهم٠ وهكذا انتهت حياة مراد بك(٤) وهو يسعى لنجدة الفرنسيين ولم نجد أبلغ من كلمات الجبرتى الذى أبنه بقوله "إنه كان من أعظم الأسباب فى خراب الإقليم

---

(١) الجبرتى : المصدر السابق، ص ٢٠٨، ويذكر الجبرتى فى ترجمته عنه "أنه أبلى بلاء حسنا شهد له بالشجاعة والإقدام كل من العثمانية والفرنساوية والمصرلية"
لمزيد من التفصيل عن ترجمته انظر : الجبرتى : عجائب الآثار، جـ٢، حوادث عام ١٢١٥هـ، ص ٤٥٠-٤٥٢ ٠

(٢) محمد جلال كشك : ودخلت الخيل الأزهر، دار المعارف ١٩٧٨، ص ٣٠٨ ٠

(٣) Donzelot au général en chef, à siout, le 10 Frimaire an 9 (1 Decembre 1800)
ملف رقم ١، B6 58 بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٠٠ ٠

(٤) عن ترجمته انظر الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، حوادث عام ١٢١٥ هـ، ص ٤٤٤ - ٤٥٠ ٠

المصرى بما تجدد منه ومن مماليكه وأتباعه من الجور والتهور ومسامحته لهم فلعل الهم يزول بزواله"(١).

وقد أقلق موت مراد بك المفاجئ الفرنسيين إذ تخوفوا من تغير موقف مماليك مراد بك تجاههم، كما تخوفوا من استقطاب الإنجليز والعثمانيين لمماليك مراد بك لذلك بعث الفرنسيون بمندوب إلى مماليك مراد بك ليقنعهم أن الإنجليز لم يأتوا إلى مصر خدمة فى الأتراك أو المماليك لكن من أجل مصالحهم الخاصة، وإذا استقر الأتراك فى مصر سوف يعزلون المماليك للتخلص من أى قوة تهدد سيطرتهم على البلاد، وبالتالى فإن من مصلحتهم أن يظلوا متحدين مع الفرنسيين الذين يتمنون لهم المجد Gloire ويعملون من أجل مصلحتهم(٢).

وفى نفس الوقت بعث الفرنسيون برسائل تعزية للأمراء المرادية يعزونهم فى أستاذهم مراد بك(٣)، وأمر القائد العام منو بأن يصرف للسيدة نفيسة أرملة مراد بك معاش سنوى وقدره ٦٠,٠٠٠ جنيه(٤)، كما كان يرسل لها بين الحين والاخر بالخطابات والهدايا وكانت السيدة زبيدة زوجة الجنرال منو تذهب لزيارتها هى وابنها سليمان لتخفف عنها مأساتها، وكانت السيدة نفيسة تشكر الجنرال منو على ذلك وتدعو له أن تكون نهايته حسنه(٥).

---

(١) الجبرتى المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٥٠ .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر :

Orders du Belliard au Citoyen Petruccy, B6 133, Le 6 Floréal an IX (26 Avril, 1801).

ملف رقم ٦، B6 67 بمحفظة فترتها التاريخية من ٢١ أبريل إلى ١٢ مايو سنة ١٨٠١ (١ إلى ٢٢ فلوريال العام التاسع الجمهورى).

(٣) الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، حوادث عام ١٢١٥هـ، ص ٤٢٦ .

(٤) Extrait du courrier de L'Egypte. No. 113, Le 20 Floreal an IX (10 Mai, 1801).

ملف رقم ٢، B6 68 بمحفظة فترتها التاريخية من ٢١ أبريل إلى ١٢ مايو سنة ١٨٠١ .

(٥) Madame Moured Bey à Menou, B6 71, Le 17 Messidor an 9 (6 juillt 1801).

ملف ٣٥، B6 70 بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ يونيو إلى ٢٢ يوليو سنة ١٨٠١ (١ ميسيدور إلى ٣ نير ميدور العام التاسع الجمهورى).

ويدل هذا على المكانة التى كانت تتمتع بها هذه السيدة عند الفرنسيين خصوصا وأنها كانت لها دور فى معاهدة الصلح بين زوجها والجنرال كليبر(١)، ولهذا زادت مكانتها لدى الفرنسيين بعد عقد زوجها مراد بك اتفاق صلح مع الفرنسيين، واحترمها الفرنسيون حتى بعد وفاة زوجها كما ذكرنا أما عن موقف مماليك مراد بك فقد اختير عثمان بك الطنبورجى خلفا لمراد بك، واعتمده الفرنسيون خليفة لمراد بك وأميرا على الصعيد، وأرسل الطنبورجى إلى الجنرال بليار يعرب له عن ولائه وولاء المماليك للفرنسيين وتمنى بليار ذلك، لكن الطنبورجى نقض المعاهدة لما رأى كفة الإنجليز والأتراك راجحة، واتصل بإبراهيم بك زميله القديم الذى جاء صحبة الصدر الأعظم(٢).

ويدل ذلك على أن المماليك كانوا يرتبطون دائما بالطرف الأقوى، ويبدو أن مراد بك كان فى نيته قبيل موته أن ينضم للإنجليز إذا ضمنوا له أن الصدر الأعظم لن ينتقم منه(٣).

ونجح الجنرال هتشنسون فى ضم المماليك من خلفاء مراد بك إلى صفوفه فانضم عثمان بك الطنبورجى للبريطانيين فى ٢٨ مايو سنة ١٨٠١ هو و١٥٠٠ فارس من المماليك(٤) ويدل هذا على أن مماليك مراد بك كانوا يريدون الإستناد إلى قوة خارجية يستندون إليها ماداموا قد شعروا بعداء كل من العثمانيين والمصريين لهم، حيث أثبتت الأحداث على أنهم كانوا يعملون من أجل مصلحتهم فقط لا غير.

---

(١) جلال يحيى : مصر الحديثة ١٥١٧– ١٨٠٥ منشأة المعارف، الإسكندرية، دون تاريخ، ص ١٧٤، والجدير بالذكر أن الفرنسيين قد حملوا لهذه السيدة هذا الجميل لذلك نجد الجنرال بليار قبل رحيله من القاهرة يبعث برسالة إلى الصدر الأعظم يوصيه فيها بتمكينها من وضع يدها على عدة قرى دون أن ينالها أى ضرر لأنها تستحق كل تقدير لمميزاتها الشخصية ومن أجل مآساتها Son malheur أنظر :
Ordres de Belliard au Grand Vizir, B6 134, Doc. No. 202, Le 6 Juillet 1801.
ملف رقم ٢٢، B6 71 بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ يونيو إلى ٢٢ يوليو سنة ١٨٠١ . ولأن السيدة نفيسة كانت إمرأة متعددة النواحى واسعة الحيلة، فإنها قد احتفظت بمكانتها حتى بعد خروج الفرنسيين.
(٢) لمزيد من التفصيل انظر : الفصل الرابع.
(٣) كرستوفر هيرولد : المرجع السابق، ص ٣٩٢ .
(٤) نفس المرجع، ص ٣٩٢ .

وخرجت الحملة الفرنسية من مصر بعد أن ساعدت على تحطيم قوة المماليك، ولكن ماذا عن موقف المماليك المرادية بعد خروج الفرنسيين من مصر؟

عملت الدولة العثمانية بعد خروج الفرنسيين من مصر على إعادة سيطرتها على البلاد، وأصدرت تعليماتها لقادة قواتها فى مصر بضرورة التخلص من بقية المماليك حتى لا تقوم لهم قائمة فى البلاد بعد ذلك، وفى نفس الوقت كان المماليك يحاولون استعادة حكمهم فى مصر وحجتهم أنهم حكامها الأقدمون الذين دانت لهم البلاد السنين الطوال، وقد فطنوا إلى أن الأتراك يأتمرون عليهم ويريدون التخلص منهم بشكل نهائى، فدفعهم هذا الشعور أو دفع بعضهم إلى محاولة الإستناد إلى القوات الإنجليزية لتثبيت أقدامهم فى مصر . وكان هذا القطاع من المماليك بقيادة محمد بك الألفى الذى سيسير مع الإنجليز لعدة سنوات، ولكن هناك قطاع آخر من المماليك المرادية بقيادة عثمان بك البرديسى كان يرى ضرورة الإستناد إلى فرنسا والإستنجاد بها لتثبيت الأوضاع فى صالح المماليك واستنادا إلى نصوص اتفاقية مراد بك مع الجنرال كليبر، وكان هناك قطاع ثالث من بين المماليك المرادية يرى اتخاذ موقف الحياد وموالاة الأتراك وعلى رأسهم عثمان بك حسن(١).

ولم تنجح محاولات المماليك فى الاستنجاد بنابليون لإعادة سلطتهم التى هدمها هو وجنوده(٢) ولم تنجح جهود البريطانيين فى ردهم إلى سابق مكانتهم، وكان من الصعب بل من المستحيل بعد أن تمكنت الحملة الفرنسية من زعزعة الثقة فى قدرة المماليك، وهزت صورتهم أمام الشعب، وبعد أن ظهر المماليك أنهم يبحثون دائما عن مصالحهم فى كل الأوقات أن يعود المماليك إلى الحكم، لذلك فشلت كل محاولاتهم فى العودة إلى الحكم من جديد، وتمكن محمد على أن يقضى على البقية الباقية منهم فى مذبحة القلعة عام ١٨١١ لتنتهى دولة المماليك إلى الأبد، وما كان ذلك ليتحقق بهذه السرعة لولا قدوم الحملة الفرنسية التى لم تنجح فى مصر فى شئ أكثر مما نجحت فى القضاء على قوة المماليك.

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر : الجزء الثانى، الطبعة الرابعة، دار المعارف ١٩٨١، ص ٢٥٩-٢٦١، جلال يحيى : المرجع السابق، ص ٥٥٤، ٥٦٠ .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر : عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ٢، ص ص ٢٩٦، ٢٩٧ .

٢- الفلاحـــون :

كان الفلاحون يتعرضون لشتى أنواع الظلم والتعسف علـى يـد الممـاليك قبيل مجئ الحملة الفرنسية، واعتقد الفرنسيون أن فتح هذه البلاد لـن يكلـف الفرنسـيين نقطـة دم واحده وذلك على حد قول تاليران[١] الذى علل ذلك لعداء المصريين الظاهر للبكوات المماليك إلـى حد أنه تصور أنهم لو أعطوا سلاحا لقتال الفرنسيين الغزاه لاستخدموا هذا السلاح فـى قتـال المماليك الذين طغوا فى حكمهم وبغوا عليهم.

وبذلك تصور الفرنسيون أن غزوهم لمصر سوف يكون رحلة ترفيهيـة ولـن يكلفهم الأمر شيئا إلا معارك بسيطة أمام المماليك الذين سيهزمونهم بأسرع مـا يمكـن خصوصـا أن الأهالى سوف ينضمون إلى الفرنسيين ويرحبون بهم من أجل انقاذهم من المماليك الطغاه.

وجاءت الحملة الفرنسية إلى مصر وهـى تعتقد ذلـك وفوجئت بمـا لم تتوقعه على الإطلاق حيث اشتعلت الثورات فى شتى أنحاء القطر المصرى، وحمل الأهالى فى كل مكان السلاح ضد جنود الاحتلال الفرنسى، فماذا عن موقف فلاحى الصعيد من الحملة الفرنسية؟

بعد موقعة إمبابة فر مراد بـك إلـى الصـعيد فأرسل بونـابرت حملـة بقيـادة الجنـرال ديزيه للقضـاء علـى مـراد بك وإخضـاع الصـعيد. ووقـف الفلاحـون بصـعيد مصـر موقـف الرفض للوجود الفرنسى على أراضيهم وشـدوا مـن أزر الممـاليك واشتركوا معهـم فـى كـل المعارك التى دارت فى شتى أنحاء الصعيد، ولولا تأييد الفلاحين لمراد بك ومماليكه بصـعيـد مصر لما سمع للمماليك صوتا ولا انبعث لهم حركة بعد هزيمتهم فى معركة إمبابة.

وتذكر وثائق الحملة الفرنسية الكثير عن مـؤازرة الفلاحيـن لمـراد بـك، ففـى الوقـت الذى كان الفرنسيون يعملون فيـه علـى منـع مـراد بـك مـن التزود بـالمؤن مـن القـرى كـان الفلاحون يتعاطفون مع مراد بك ويمدونه بالمؤن[٢]. كما كان شيوخ القـرى يجلبـون لمـراد

---

(١) نقلا عن : محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، دار الفكـر العربـى دون تاريخ، ص ٧٢ .

(٢) Friant au général en chef Kleber, Benisouef, Le 30 Frimaire an 8 (21 Décembre 1799) Doc. No. 1743).

بك ولمماليكه الخيول التى هم بحاجة إليها(١)، وكان مشايخ القرى يتعرضون بسبب تعاونهم مع المماليك وإمدادهم لهم بالزاد لعقاب صارم من الفرنسيين، فلقد عوقب شيوخ الفيوم بدفع عشرة آلاف بوطاقة كغرامة نقدية بسبب تقديمهم المأوى لكشاف ومماليك مراد بك(٢)، بل وصل الأمر إلى حد قطع رأس شيخ البهنسا لأنه زود مراد بك بالخبز du pain أثناء وجوده بشارونة وضواحيها(٣).

وكان الجنرال ديزيه يأمر ضباطه بتدمير القرى التى ساعدت مراد بك حيث ذكر فى رسالة له إلى موران Morand بجرجا ما يلى : دمر القرية التى ساعدت مراد بك، يجب أن نتخلص من كل أعدائنا فالذين يحمون المماليك عندهم أمل فى عودة حكمهم وسيكونون دائما معارضين لنا"(٤).

ولم يكن مراد بك يجبر الفلاحين على شئ من ذلك، بل كان وقوف الفلاحين مع المماليك ضد الفرنسيين يؤكد رفض الفلاحين للوجود الفرنسى بصعيد مصر، وهكذا كان توقع الفرنسيين بانضمام الأهالى مع الفرنسيين ضد المماليك توقعا غير صحيح بدليل تحالف الأهالى مع المماليك ضد الفرنسيين، وهذا يدل على أن الفلاحين كانوا يفضلون حكم المماليك المسلمين عن الفرنسيين الكفرة كما تنعتهم المصادر المعاصرة(٥) ولو كان بونابرت مسلما

---

(١) Vallet au général Belliard girgé, le 13 Décmbre 1799, Doc. No. 1636.
ملف رقم ١٢ بدوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩ .

(٢) Kleber général en chef au genéral Friant, à Benisouef, Doc. No. 1260, Le 18 Novembre 1799
ملف رقم ٢ بدوسيه رقم ١ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩ .

(٣) Friant au général Kleber, a charouné, Le 6 Décembre 1799, Doc. No. 1514
ملف رقم ٥ بدوسيه رقم ٢ بنفس المحفظة السابقة .

(٤) Le général Desaix au chef de brigade Morand à girgeh.
ملف رقم ١٧ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩ .

(٥) لمزيد من التفصيل انظر، سجلات محكمة اسنا، سجل رقم ٥٠، وثيقة رقم ٢٧٢، مؤرخة فى ٢١ ربيع الأول عام ١٢١٣هـ، ص ١١١-١١٤ .

لرضى به المصريون مخلصا لهم من جور المماليك ولكن بونابرت وجنوده الذين كانوا يتبعون الديانة المسيحية ظاهرا وينكرون البعث والدار الآخره ويحكمون العقل فى كل الأشياء والقوانين ويرون أن الشرائع المنسوبة للأنبياء إنما هى قوانين وضعها هؤلاء لتناسب أهل زمانهم(١).

وهكذا كان الأهالى يرون فى الفرنسيين مجرد كفار دخلوا أرض السلطان وينبغى محاربتهم وطردهم بشتى الطرق، وبالرغم من أن الفلاحين كانوا يعلمون أنهم يخوضون معركة غير متكافئة بينهم وبين الفرنسيين، فلا قبل لقرية من القرى بالمدافع والبنادق الفرنسية، ومع هذا فلم يخطر ببال أحد من الفلاحين الفرار ولا فكر فى الاستسلام، وعمت المقاومة الشعبية كل قرى الصعيد حتى ليستحيل أن تذكر قرية على جانبى النهر لم تسجل صفحة بطولة فى سجل مقاومة الغزو الفرنسى ولم تقدم أكثر من شهيد وشهيدة وتؤكد وثائق الحملة الفرنسية أن شعب الصعيد قد دافع بقوة عن حريته(٢) كما أشارت المصادر المعاصرة بشجاعة الفلاحين من أبناء الصعيد(٣).

ولقد قام الفلاحون من أبناء الصعيد بالدفاع عن أرضهم ضد الغاصب المحتل وقاوموه بكل ما يملكون من أدوات، وكانت حماسة أبناء الصعيد، وعقليتهم، وروح فروسيتهم عوامل تتجمع لكى تخلق منهم قوات هجوم ممتازين يشكلون خطرا على أى جيش يتوغل فى بلادهم. واشتعلت المعارك بين الفلاحين وبين الفرنسيين، وكانت كل معركة تترك لهم ثأرا على الفرنسيين، وبذلك لا تنتهى معركة إلا وتولد معركة أخرى، وكانت قوات

---

(١) عبد الله الشرقاوى : تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاه والسلاطين، القاهرة ١٢٨١هـ، ص ٧٥، ويذكر آلان مورهيد "أن جانبا كبيرا من جيش فرنسا الثورى كانوا ملحدين أو - على أقل القليل - غير مكترثين بالبابا وبنبى الإسلام على السواء لأن الثورة الفرنسية كانت تسعى إلى إقامة ملكوتها الخاص فى هذا العالم الأرضى. انظر : آلان مورهيد : المرجع السابق، ص ٨٦.

(٢) Le général Desaix au général Kleber, Doc. No. 180, Le 12 Septembre 1799.
ملف رقم ١٦ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠.

(٣) Mémoires du Général Desvernois, Op. Cit. P. 185.

الفرنسيين موزعة على خطوط طويلة، وكان من الصعب على الفرنسيين القضاء على المقاومة فى هذه المنطقة التى تمتد لما يقرب من ألف كيلو متر

وكانت مقاومة المصريين للفرنسيين تظهر فى كل وقت، وفى كل بلدة وقرية من قرى الصعيد وبشكل يصعب على المؤرخ حصرها، أو إعطاء هيكل عام عن تحركاتها(١). وكان رد الفرنسيين قاسيا وصارما لكل القرى التى تمردت وثارت عليهم، وعندما كان الفرنسيون يجدون أنفسهم عاجزين عن القضاء على ثورة قرية من القرى كانوا يقومون بإشعال النيران فيها حدث ذلك على سبيل المثال فى قرية أبو جرج(٢) وفى بنى عدى(٣) وفى أبنود(٤)، وكان الجنرال ديزيه قائد الحملة التى تولت إخضاع الصعيد يشجع مساعديه على اتباع سياسة إحراق القرى الثائرة حيث كتب ديزيه إلى الجنرال بليار قائد طيبة (قنا) يوصيه بالصرامة والقسوة فى إخضاع الأهالى وعلل ذلك بقوله "إن هذه هى الوسيلة التى نحصل بها على كل شئ من النفوذ والسلطة والطمأنينة، وعليك أن تأمر بقطع رأس كل من لا يطيع أوامرك من مشايخ البلاد (العمد) وقطع النخيل وإحراق القرى الثائرة"(٥).

كما كان الجنرال ديزيه يعتقل بعض الأعيان بصفة رهائن من كل بلد ليكونوا مسئولين عن الحوادث والإضطرابات فى بلادهم، وبلغ عدد هؤلاء الرهائن الذين اعتقلهم من جرجا وما يليها إلى أسيوط مائتى رجل من الأعيان أبقاهم أسرى فى أسيوط، وكتب إلى الجنرال بليار يوصيه باعتقال الرهائن من منطقته وأن يكون عددهم أكثر ما يبلغه الإمكان(٦). كما بعث كليبر إلى قائد المنيا برسالة جاء فيها "أوافق على معاقبة القرى

---

(١) جلال يحيى : المجمل فى تاريخ مصر الحديثة، الطبعة الثانية، الإسكندرية ١٩٨٤، ص ص ١٧١، ١٧٢ .

(٢) Mémoires du Général Desvernois, Op. Cit. P. 188.

(٣) لمزيد من التفصيل : أنظر الفصل الثانى.

(٤) لمزيد من التفصيل : أنظر الفصل الثالث.

(٥) نقلا عن عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر، الجزء الأول الطبعة الخامسة، دار المعارف، ١٩٨١، ص ص ٣٩١، ٣٩٢ .

(٦) نقلا عن عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٩٣ .

الثائرة، وأنا كلى أسف لاتخاذ هذا القرار"(١) وبالرغم من ذلك فإن المقاومة لم تهدأ ويعبر ديزيه عن الواقع الذى عاشته الحملة الفرنسية فى صعيد مصر فى رسالة إلى نابليون قائلا "على أنى لا أكتمك الحقيقة وهى أننا لن نكون سادة البلاد لأننا إذا أخلينا بلدة لحظة واحدة من الجنود عادت إلى حالتها القديمة"(٢).

وعانى الفلاحون بصعيد مصر كل ويلات الاحتلال العسكرى على أيدى الفرنسيين، فكلما نزل الفرنسيون قرية واستقروا بها، وجد الفلاح أدواته ومحاريثه وأبوابه وسقوفه وكل شئ قابل للاشتعال وقد أحرقه هؤلاء الجند لطهى طعامهم، ثم يقدمون على تحطيم آنيته الفخارية، واستهلاك غلاله، وذبح دواجنه وحمامه وشيها على النار والتهامها، ثم الأخطر من كل هذا هتك عرض بناته ونسائه(٣).

وتحت تهديد السلاح وسناكى جيش الاحتلال تعرضت الكثير من النساء فى كثير من القرى والمدن بصعيد مصر لهتك أعراضهن واغتصابهن(٤)، وكان الجنرالات الفرنسيون يسمحون لجنودهم باغتصاب النساء ليرفعوا من معنويتهم(٥)، وأمام هذه القسوة والوحشية لجنود الاحتلال الفرنسى كانت بعض الأمهات يشوهن بناتهن حتى لا يغتصبن على يد الفرنسيين(٦).

وهكذا فإن كل قرية حاربت الفرنسيين كان جزاؤها نهب أموالها وقتل رجالها وهتك أعراض نسائها(٧). وسمع الفلاحون عن سلب ونهب واغتصاب الفرنسيين للقرى التى

---

(١) B6 112, Kleber à Boyer Commandant La province de Miniet, Le 6 vendemaire an 8 (28 Septembre 1799) Doc. No. 436.

بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٤ أغسطس سنة ١٧٩٩ إلى ١٩ سبتمبر سنة ١٨٠٠.

(٢) نقلا عن عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق، جـ١، ص ٣٨٠.

(٣) كرستوفر هيرولد : المرجع السابق، ص ٢٥٤.

(٤) لمزيد من التفصيل أنظر : ليلى عنان : الحملة الفرنسية بين الأسطورة والحقيقة، سلسلة كتاب الهلال، العدد رقم ٥٠٠، دار الهلال ١٩٩٢، ص ٦٩-٧١.

(٥) كرستوفر هيرولد : المرجع السابق، ص ٢٦٧.

(٦) نفس المرجع : ص ٢٦٦.

(٧) عبد الله الشرقاوى : المصدر السابق، ص ٧٦.

يمرون عليها، وانتشرت الأخبار في قرى الصعيد، وبدأ الأهالى يخلون قراهم ويفرون بعيدا عنها حاملين معهم ما يستطيعون من أمتعة وأموال وغلال وحبوب وماشية، وتركوا مساكنهم خالية خوفا من مهاجمة الفرنسيين لها ونهبها، هذا من جهة ومن جهة أخرى رفضوا رفضا باتا التعاون مع المحتلين، وذكر الجنرال بليار في يومياته عن ذلك قائلا إن كل القرى التي نجتازها نجدها خالية من السكان لأنهم يخلون قراهم قبل أن نصل إليها"(١).

كما كتب بليار إلى الجنرال ديزيه قائلا إننا نعيش هنا عيشة ضنكا، فإن جميع القرى Tous les village تخلو من السكان كلما اقتربنا منها ولا نجد فيها شيئا من القوت ولا نرى فلاحا واحدا يدلنا أو يأتينا بالأخبار أو يحمل رسائلنا ولا أدرى السبب في هذه الحالة، على أننا مع ذلك لا نعمل عملا ضارا في البلاد التي نجتازها(٢).

وبعد أن قام الفرنسيون بحرق وسلب ونهب الفلاحين واغتصاب بناتهم وزوجاتهم يتساءل الجنرال بليار عن أسباب هجر الفلاحين لقراهم وعدم تعاونهم مع الفرنسيين، والأغرب من هذا أنه يقول إنهم (أى الفرنسيين) لا يعملون عملا ضارا في البلاد التي يجتازونها، ويبدو أن السلب والنهب والاغتصاب كانوا من الأشياء النافعة للفلاحين في نظر الفرنسيين أبناء الثورة الفرنسية، ومن هنا كان الفرنسيون يتضايقون من الفلاحين عندما يقومون بالثورة ضدهم إذ كيف يثور الأهالى على الفرنسيين الذين جاءوا لخيرهم، ولم يجد الفرنسيون الوقت الكافي لموعظة الأهالى بأنهم جاءوا لصالحهم، وإن كانوا قد وجدوا الوقت لعقابهم بشدة أو على حد قول دينون من الضرورى أن نعاقب بشدة من يصرون على عدم تصديقنا عندما نقول لهم إن كل ما نفعله ما هو إلا لصالحهم"(٣).

وإن كان دينون قد ناقض نفسه بعد ذلك قائلا "كان كل ما نقوم به تجاه الأهالى يزيد من حالة الحرب والكراهية وعدم الثقة"(٤) والغريب بعد كل هذا أن تذكر المصادر والمراجع

---

(١) نقلا عن : La Jonquiére, L'Expédition d'Egypte 1798-1801, 5 Vols, Tome III, Paris 1899-1907, P. 596.

(٢) نقلا عن : La Jonquiére, Op, Cit. P. 597-600.

(٣) Vivan Denon, Op. Cit. T.1 P. 314.

(٤) Ibid. P. 315.

الفرنسية أن الأهالى أطلقوا على الجنرال ديزيه لقب السلطان العادل Sultan le Juste، وأن الجنرال ديزيه أقام على أطلال سلطة طاغية، سلطة أخرى تعمل على إعادة الرخاء إلى الصعيد وترميم ما أصابه خلال الحروب(١)٠

ويرى الباحث أن هذا الكلام بعيد عن الواقع الذى عاشه الفلاح فى صعيد مصر فى عهد الحملة الفرنسية، فلم يطرأ على الفلاح أى تغيير إلى الأحسن بل ازدادت حالته سوءا عما كانت عليه قبيل الحملة الفرنسية، ولعل التغيير الوحيد الذى طرأ على الفلاح فى تلك الفترة هو ثورته الدائمة على الوجود الفرنسى بأراضيه٠

وتجدر الإشارة إلى أنه كانت هناك عقبات كثيرة وقفت حائلا فى طريق الفرنسيين وأدت إلى فشلهم فى محاولة جذب الأهالى إليهم ومنها اختلاف العادات والتقاليد وأهم من ذلك اختلاف الدين واللغة، كل هذه العوامل أدت إلى نفور الفلاحين من الفرنسيين وأدت إلى ثورتهم الدائمة عليهم، ولم يتقاعس الفلاح المصرى فى صعيد مصر عن خوض المعارك حتى الموت طالما كان الهدف هو الدفاع عن الأبناء والزوجة والأرض٠

وكانت القوة المسلحة، والقسوة، والإرهاب هى الوسائل التى تمكن بها الفرنسيون من إخضاع ثورات الفلاحين، وكان الفلاحون لا يصبرون على الحكم الفرنسى إلا بأمل التخلص منه٠ ولا شك فى أن الفلاحين كانوا يشكلوا السواد الأعظم من سكان الصعيد، وهم الذين تصدوا للاحتلال الفرنسى بأراضيهم وكانوا يشكلون قوة من أهم القوى التى تصدت

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر :

Dominique DI Pietro, Voyage Historique en Égypte pendant campagnes des Généraux Bonaparte, Kléber et Menou, Paris 1827, P. 174, Martha Beker, Le général Desaix, Paris 1852, P. 344.

ويبدو أن الكتاب الفرنسيين أرادوا أن يجعلوا من الجنرال ديزيه صورة مماثلة لشخص الأمير همام بن يوسف الهوارى عظيم بلاد الصعيد والذى عمل بالفعل على ازدهار الزراعة، وتحقيق الرخاء للأهالى الذين ذكروه فى حياته وبعد مماته بالخير، أما الجنرال ديزيه التى تصر المصادر والمراجع الفرنسية أن تصفه بالسلطان العادل، فهو الذى أمر بإحراق القرى الثائرة وسمح لجنوده بارتكاب كل أعمال القسوة والإرهاب فكيف يكون عادلا إذن؟ وأين الوقت الذى وجده ديزيه ورجاله ليعملوا على رخاء الصعيد، وقد قضوا معظم وقتهم فى محاولة اخماد ثورات الأهالى التى لم تهدأ يوما ما٠

للفرنسيين، وإن كانوا فى نفس الوقت هم القوة الوحيدة التى تحملت الكثير من الأعباء والتضحيات طوال فترة الاحتلال الفرنسى لأراضيهم.

ويمكن القول بأن تاريخ الحملة الفرنسية فى صعيد مصر كان عبارة عن سلسلة متصلة شبه يومية من أعمال القمع والإبادة والنهب والاغتصاب والتنكيل الوحشى يقوم بها جيش الاحتلال الفرنسى، وثورة دائمة ومقاومة مستميتة ومتزايدة باستمرار من جانب الفلاحين الذين أدركوا أن أبشع حكم محلى أشرف وأحسن من أفضل حكم أجنبى استعمارى.

٣- العربـــــان :

لعب عربان الصعيد دورا فى الفتن السياسية والصراعات العسكرية التى كانت كثيرا ما تحدث بين البيوت المملوكية قبيل مجئ الحملة الفرنسية وكان رؤساء العربان بسبب قوتهم الحربية يرجحون كفة طائفة من البكوات المماليك على كفة خصومها(١). ومن المعروف أن القبائل العربية كانت منتشرة فى شتى أنحاء الصعيد(٢)، وكان العربان يمثلون قوة اجتماعية لعبت دورا كبيرا فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية قبيل قدوم الحملة الفرنسية فماذا عن موقف العربان من الحملة الفرنسية بصعيد مصر؟

كان العربان يفتخرون بأنه بدو ويكنون الاحتقار mépris للأوربيين ولكل ما هو غير عربى(٣)، لذلك وقف العربان المستقر منهم والمتجول موقف الرفض للوجود الفرنسى

---

(١) فعلى سبيل المثال كان الهوارة يرجحون دائما الكفة التى ينضمون إليها من الأمراء المماليك المتنافسين. لمزيد من التفصيل انظر : ليلى عبد اللطيف أحمد : الصعيد فى عهد شيخ العرب همام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧.

(٢) عن القبائل العربية المنتشرة فى الصعيد فى تلك الفترة انظر :

Jomard, Observation sur les Arabes de L'Egypte Moyenne, in Déscription de L'Egypte, Etat moderne, Tome Douziéme, Second Édition, Paris 1823, P. 267-327, Amédée Jaubert, Nomenclature des tribus d'Arabes qui campent enter L'Egypte La Palestin, in Déscription de L'Egypte, Etat moderne, Tome Seiziémé, Second Edition, Paris 1825, P. 131-135, Du - Bois - Aymé, Mémoire sur les Tribus Arabes des déserte de L'Egypte, in Déscription de L'Egypte, Etat moderne, Tome Douziéme, Second Edition, Paris, 1823, P. 329-389.

(١). Jomard, Op. Cit. P. 322.

فى صعيد مصر، وتعرضت قوات الجنرال ديزيه فى الصعيد لهجمات هؤلاء العربان حتى أصبحت قواته تعمل حسابا لهم فى كل منطقة اتجهت إليها بشهادة رجال الحملة أنفسهم(١).

واشترك العربان فى معظم المعارك التى حدثت فى صعيد مصر بين الفرنسيين من جهة وبين الأهالى والعربان والمماليك من جهة أخرى، وعلى سبيل المثال فلقد شارك عربان الفيوم الأهالى فى منطقة الفيوم فى مطاردة الفرنسيين أثناء هجوم الثوار على مدينة الفيوم(٢)، كما اشترك العربان فى ثورة بنى عدى(٣)، وقام عربان الجهمة بشد أزر أهالى قرية أبو جرج ضد الفرنسيين(٤) بل إن ديفرنوا قد ذكر فى مذكراته أنهم أى عربان الجهمة قد أثاروا فلاحى قرية أبو جرج ضد الفرنسيين(٥).

ولم يقتصر دور العربان فى مقاومة الفرنسيين على الاشتراك فى المعارك مع الأهالى ضد الفرنسيين أو تحريض الأهالى ومساندتهم، بل إنهم تعاونوا مع المماليك فى مقاومة الحملة التى دهمت البلاد، وأوى العربان الأمراء المماليك فى المناطق المختلفة بصعيد مصر وقدموا لهم الكلف والمؤن مؤازرة منهم فى مقاومة الحملة(٦).

بل أكدت العديد من وثائق الحملة الفرنسية على تحالف بعض القبائل العربية بصعيد مصر مع مراد بك مثل عرب أبو كرايم الأقوياء بـ ٨٠٠ فارس(٧) وعرب الجهمة(٨) بـ ٢٥ فارس مما جعل قائد المنيا يعجز عن مقاومة هذه القوات وانتظر وصول الجنرال

---

(١) Jomard. Op. Cit. P. 275-319

(٢) لمزيد من التفصيل، أنظر : الفصل الأول.

(٣) لمزيد من التفصيل، أنظر : الفصل الثانى.

(٤) لمزيد من التفصيل، انظر : الفصل الأول.

(٥) Mémoires du Général Desvernois, Op. Cit. P. 188.

(٦) Le chef de brigade silly au général de brigade Billard commandant premiere errondissement à Kéné.

ملف رقم ١، B6 38 بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩.

(٧) سبقت الإشارة إلى مقر إقامتها بالفصل الثانى.

(٨) سبقت الإشارة إلى مقر إقامتها بالفصل الأول.

فريان لمعاونته فى الهجوم على مراد بك والعربان المتحالفين معه(١)، كما أشارت إحدى وثائق الحملة الفرنسية إلى انضمام ٢٠٠ رجل من قبيلة المعازة(٢) إلى مراد بك لمساندته فى مقاومة الفرنسيين(٣)، وازعج الفرنسيون انضمام هذه القبائل لمراد بك ومماليكه فعملوا كل ما فى وسعهم لمنع اتحاد هذه القبائل بمراد بك(٤) حتى لا تزداد قواته وبالتالى يسهل على الفرنسيين القضاء عليه مما يؤدى إلى هدوء Tranquille البلاد(٥)، وحاول الفرنسيون إرضاء بعض القبائل العربية الموجودة فى مصر الوسطى حتى يبعدوها عن التحالف مع مراد بك، وفى هذا الصدد يذكر الجنرال ديزيه فى رسالة له إلى الجنرال كليبر أنه قام "بإغداق الخيرات على قبيلة الجهمة حتى لا يتحالفوا مع المماليك لهذا أعطيتهم أراضى وقمح وكل شئ يكفل لهم حياة كريمة، ولم يكن لهم من قبل وسيلة للعيش سوى بيع الجمال التى يصطادوها من أى مكان ولكن ما أن ابتعدت عنهم قليلا حتى ثاروا وهاجموا الكثير من المناطق وسببوا خسائر"(٦) وإزاء هذه الحالة قرر الفرنسيون مهاجمة عرب الجهمة الذين أقاموا معسكرهم فى الصحراء وكانوا على أهبة الاستعداد للرحيل فى أى وقت، لذلك كان من الصعب على رافييه قومندان مديرية المنيا اللحاق بهم، ويذكر فى رسالته إلى فريان "كان من المستحيل بالنسبة لى اللحاق بهم، حاليا وهم على بعد عدة أميال شمال ملوى، إذا

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر رسالة :

Boyer au général Kleber, Miniet, Le 14 Septembre 1799. Doc. No. 218.

ملف رقم ١٨ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠ .

(٢) كانت قبيلة المعازة من أشد القبائل العربية بأسا وأبعدها شهرة فى مصر الوسطى. انظر كلوت بك : المرجع السابق، جـ٣، ص ١٠٨ .

(٣) B6 161, Reynier au général Friant, Bénisouef, Le 7 Frimire an 8.

ظرف فترته التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ٣١ يناير سنة ١٨٠٠ بمحفظة فترتها التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ١٨ يونيو سنة ١٨٠١ .

(٤) Silly au général Belliard à siout, Le 20 Décembre 1799, Doc. No. 1711.

ملف رقم ٤، carton 38 بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩ .

(٥) Ravier au général Friant, Minieh, Le 5 Décembre 1799, Doc. No. 1508.

ملف رقم ١٦ بدوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩ .

(٦) Le général Desaix au général Kleber, Le 12 Septembre 1799, Doc. No. 180.

ملف رقم ١٦ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠ .

سنحت لى فرصة الاقتراب منهم سأبذل كل جهدى فى محاربتهم"(١) وليس هناك شك فى أن عربان الصعيد كانوا يشكلون قلقا للفرنسيين، وأنهم رفضوا الخضوع لهم، وكانوا يقطعون الطريق عليهم ويقتلون منهم كل من يصادفونه، ورفضت بعض القبائل المستقرة فى مصر الوسطى دفع الضرائب للفرنسيين، ولاقى الفرنسيون مشقة فى جمع الضرائب فى كثير من القرى التى يقطنها العربان(٢).

وبالرغم من ذلك فإن أحد علماء الحملة الفرنسية يذكر أن الفرنسيين وجدوا فى القرى التى يسكنها العربان تعاونا أفضل مما يجدوه فى القرى التى يسكنها الفلاحون(٣). ولقد عدد جومار أسباب ذلك بأن القرية العربية يوجد بها مشايخ عديدون لابد أن يكون من بينهم ولو واحد على الأقل يتقدم الصفوف ويتعهد بتقديم المؤن المطلوبة شريطة أن يحصل على ثمنها، ومنها كذلك أنه مع تساوى درجة مقت الفلاحين والعرب للأوربيين إلا أن ما لدى العرب من ثروات غذائية ودواب ما يفوق ما لدى الأولين، ومنها أخيرا أن الشيوخ فى القرى العربية يبدون أكثر سطوة على مزارعيهم من ذلك النفوذ الذى يحوزه الشيوخ فى القرى الأخرى(٤).

وتجدر الإشارة إلى أنه طالما كان مركز الفرنسيين قويا سعى العربان إلى التصالح معهم مؤقتا بينما كانوا يتبعون عكس هذه السياسة حينما يدب الضعف فى صفوفهم. إذ سرعان ما ينقضون على الحاميات الفرنسية فى عمليات خاطفة ثم يسارعون بالهروب إلى الصحراء، ويبدو أن الفرنسيين قد فهموا ذلك جيدا حيث ذكر الجنرال زايونشك قومندان بنى سويف فى رسالة له إلى القائد العام لجيش الحملة يطلب منه زيادة عدد قواته لكى يرسل

---

(١) Ravier au général Friant, Miniet, Le 22 Janvier 1800, Doc. No. 2073.

ملف رقم ١٢، B6 39 بدوسيه رقم ١ بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٣١ يناير سنة ١٨٠٠ (١٨ نيفوز إلى ١١ بلوفيوز العام الثامن الجمهورى).

(٢) Jomard, Op. Cit. P. 272-275.

(٣) Ibid. P. 278.

(٤) Ibid. P. 278.

٢٠٠ رجل إلى مدينة الفيوم لأن هذه المنطقة مليئة بالعربان منذ الفيضان(١) ثم يقول زايونشك والحق يقال أنهم فى سلام معنا ولكن لا يجب الاتكال على ذلك لأنى أخشى أن يسبب اقتراب مراد بك عودتهم إلى الحرب"(٢)٠

ونفهم من ذلك أن الفرنسيين قد أدركوا أن الصداقة مع العربان لن تستمر إلا إذا كانوا هم أقوياء وقادرين على كبح جماح العربان فى أى وقت٠ وظل العربان متحالفين مع مراد بك حتى عقد مراد بك معاهدة صلح مع الفرنسيين فى ٥ إبريل سنة ١٨٠٠ فانضم معظم شيوخ القبائل العربية إلى مراد بك لكى يتفقوا على معاهدة سلام مع الفرنسيين(٣)٠

وتذكر وثائق الحملة الفرنسية أن شيوخ عرب المعازة قد اتجهوا إلى مراد بك لكى يتفقوا على توقيع معاهدة سلام مع الفرنسيين وكان هذا خبرا سعيدا Bonne nouvelle بالنسبة للفرنسيين(٤)٠

---

(١) يؤكد مارتان ذلك حيث ذكر أنه لم يتمكن من النفاذ إلى الفيوم إلا فى الأيام الأولى من شهر نيفوز من العام التاسع الجمهورى (نهاية ديسمبر سنة ١٨٠٠) وتعطل عن العمل لمدة ثلاثة شهور بسبب فيضان غير عادى لبحر يوسف أدى إلى صعوبة الاتصال بين بنى سويف والفيوم وتسبب عزلة الولاية الأخيرة فى كل كارثة كبيرة تصيبها، ذلك أن العرب الغرباء لا يترددون مطلقا فى اغتنام هذه الفرصة كى يأتو لينهبوا السكان، وحدث ذلك خلال هذه الفترة وحين قام قائد بنى سويف بإنفاذ قوات النجدة التى أرسلها إلى مدينة الفيوم كان العربان الذين تلقوا تحذيرا بالأمر قد اختفوا ومعهم أسلابهم قبل أن تصل إليهم الفرق الفرنسية انظر :

Martin, Description hydragraphique des provinces de Benysoueyf et du Fayoum, Dans Description de L'Egypte, Tome seizéme, paris 1825, P. 20.

وتجدر الإشارة إلى أن التجمع العام للقبائل العربية التى تحيط بإقليم الفيوم يطلق عليها اسم السمالو، والسمالو هم العربان الوحيدون الذين اتخذوا لأنفسهم مقر إقامة ثابت فى الفيوم٠ لمزيد من التفصيل عن القبائل العربية التى تقطن ولاية الفيوم انظر : Martin, Op. Cit. PP. 67, 68.

(٢) Le général de brigade zayonchek au général en chef, au quatier général de Bénisouef, le 20 fructidor an 7 (6 Septembre 1799) Doc. No. 69.

ملف رقم ١٠ بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠ ٠

(٣) Friant au général en chef Menou, au Caire, Le 23 Aout 1800.

ملف رقم ٤، B6 51، بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠ ٠

(٤) Binot a Friant, Chéronné Le 29 Thermidor an 8 (17 Aout 1800).

ملف رقم ٣، B6 50 بمحفظة فترتها التاريخية من ١٠ يوليو إلى ١٩ أغسطس سنة ١٨٠٠ ٠

ويدل هذا على أن العربان كانوا قوة اجتماعية لها دور مؤثر وإلا ما كان الفرنسيون سعوا إلى الاتفاق معهم لتحقيق مصالحهم من جهة وخشية لبأسهم من جهة أخرى، ويدل أيضا على أن مراد بك كان له نفوذ لدى قبائل العربان بدليل سعيهم إليه ليتوسط لهم لدى الفرنسيين فى عقد تحالف معهم والدليل على ذلك رسالة من مراد بك إلى الجنرال دنزلو حاكم ولاية أسيوط ومنفلوط والمنيا يوصيه فيها مراد بك بالعمل على راحة شيخ العرب على محمد كريم شيخ عربان طرهونه[1] ويقول له "فإن المذكور صادق فى الخدمة إن كان فى طرفكم أو فى طرفنا قبل حضوركم والمراد منكم راحة المذكور فى كامل أحواله وتريحوه غاية الراحة، ولم تسمعوا فيه كلام أحد من المكرهين وتعطوه أمانا كافيا من حضرتكم السعيدة ولم نعرف راحة المذكور إلا منكم كما هو العشم فيكم واحنا نعرف ونتحقق أنكم لم تعوزوا وصية من قبل الذين طرفنا وثانيا أن المذكور خدامكم وخدامنا والحال واحد"[2]. كما أشارت جريدة كورييه دى ليجيبت فى عددها الصادر فى ٨ يناير سنة ١٨٠١ إلى أن القائد العام لجيش الحملة قد عقد صلحا مع عبد الله بن محمود وافى شيخ قبيلة الطرفة Tatféh بالقرب من أسيوط[3].

ويتضح من ذلك أن القبائل العربية كانت قد ملت من كثرة إغارات الفرنسيين عليهم فرأوا الخلود إلى الراحة عن طريق عقد السلام مع الفرنسيين مثلما فعل مراد بك الذى ضرب لهم المثل الأعلى فى التصالح مع الفرنسيين، أما البقية الأخرى من القبائل العربية التى لم تعقد صلحا مع الفرنسيين، فقد قامت القوات الفرنسية بمطاردتهم مثلما حدث مع عربان أولاد على[4]، فعندما حاول الفرنسيون مطاردة فريق منهم عند سمالوط، كان عربان

---

(١) سبقت الإشارة إلى مقر إقامتها بالفصل الثانى.

(٢) وثيقة رقم ٥٣ مؤرخة فى ١١ محرم سنة ١٢١٥ هـ (٤ يونيو سنة ١٨٠٠ م) بمحفظة بدون رقم ولا تاريخ بمكتبة جامعة القاهرة.

(٣) Courrier de L'Egypte. No. 96, Le 18 Nivose an IX (8 Janvier 1801).

(٤) انسحب عربان أولاد على أمام ضغط الفرنسيين عليهم من ضواحى الإسكندرية فى صيف عام ١٨٠٠ إلى الصعيد، وقدم أكثر من ألف فارس من أفراد القبيلة وأقاموا فى ادمو بالقرب من المنيا. انظر: Jomard, Op. Cit. PP. 309, 313.

أولاد على قد علموا بذلك فى الوقت المناسب وفروا بعيدا عن أعين الفرنسيين دون أن يخسروا رجلا واحدا(١).

ويمكن القول بأن العربان قد أزعجوا جيش الحملة الفرنسية فى صعيد مصر، وأيضا قام البعض منهم بمهاجمة بعض القرى ونهبها ففى رسالة من بليار إلى عثمان بك الطنبورجى يذكر له فيها ما يلى "علمت أن العربان يسيئون جدا للأهالى، أرجوا إبعادهم بأقصى سرعة لتأمين سلامة وأمان القرى"(٢).

ومعنى ذلك أن المماليك الذين عقدوا صلحا مع الفرنسيين وجب عليهم أن يقوموا بما يجب أن يقوم به الفرنسيون ألا وهو مطاردة العربان والقضاء على المتمردين منهم. وعلى كل حال فإن الحملة الفرنسية لم تتمكن طوال إقامتها فى مصر إلا من التقليل من غارات العربان وتقليم أظافرهم فقط، ولم ينجحوا فى الحد من نفوذهم أو القضاء عليهم باعتبارهم قوة إجتماعية كان لها تأثيرها على المجتمع الريفى أو حتى كمجرد قوة ألحقت بهم هم أنفسهم الكثير من الأضرار(٣).

وإذا كان الفرنسيون قد فشلوا فى القضاء على قوة ونفوذ العربان نتيجة لقلة إمكاناتهم المتمثلة فى قلة عدد جنودهم، وانشغال الحملة بأمور عسكرية أخرى أكثر أهمية تتمثل فى رد الحملات العثمانية، إلى جانب الاضطرابات التى شملت القطر المصرى ككل مما أدى إلى توزيع الجنود الفرنسيين فى أماكن عديدة.فإن محمد على قد توفر له من الوقت والإمكانات التى مكنته من كبح جماح العربان والسيطرة عليهم.

---

(١) Jomard, Op. Cit. PP. 309, 313.

(٢) Ordres de Belliard à Aosman Bey Tombourgi, Le 11 Floreal an IX (1 Mai 1801, B6 133, Doc. No. 1594.

ملف رقم ١١، B6-68، بمحفظة فترتها التاريخية من ٢١ أبريل إلى ١٢ مايو سنة ١٨٠١.

(٣) سلوى العطار : التغيرات الاجتماعية فى مصر منذ الحملة الفرنسية حتى بناء الدولة الحديثة، رسالة دكتوراه غير منشورة قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس عام ١٩٧٩، ص ١٧٣.

٤- الأقبـــــاط :

عاش الأقباط فى صعيد مصـر قبيل مجئ الحملـة الفرنسـية(١) جنبـا إلـى جنـب مـع مواطنيهم المسلمين فى وئام، يمارسـون مثلهـم شـتى الأنشـطة مـن زراعـة وتجـارة وحـرف مختلفة(٢)، كما تخصص الأقباط فى الشئون المالية والحسابية، فعملـوا فـى خدمـة الملـتزمين بالقرى، كما عهد إليهم البكوات المماليك والكشـاف بتحصيـل الضرائـب وتقديرهـا وتوزيعهـا على الأطيان والحاصلات، فكانت لهم فى هذه الناحية من إدارة الحكومـة سلطة لا ينـازعهم فيها منازع(٣).

وظل الأقباط يعيشون داخل المجتمع المصـرى إلـى جـانب المسـلمين يمـرون بنفس الأحداث والمؤثرات التى يمر بها باقى سكان مصر سواء الأحـداث السياسـية أو الإقتصاديـة أو الإجتماعية حتى قدوم الحملة الفرنسية فما هو موقف الأقباط فى صعيد مصر من الحملـة الفرنسية؟

كان من المنطقى أن يتعاطف الأقباط من "أصحاب المصالح" مـع الغـزاة الجـدد وأن ينظروا إليهم باعتبارهم "مخلصين" سوف يحررونهم مـن ربقـة الخضـوع لسـلطان المسـلمين ويرفعون عنهم إصرهم والأغلال التى كانت تقيدهم من غريب الأوامر والعادات(٤) فاندفعوا

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن الغالبية العظمى من أقباط مصـر كـانوا يقطنـون فـى صعيـد مصـر، وفـى بعض أنحاء الصعيد قرى يسكنها الأقباط وحدهم، ويرجع البعض التركيز السكانى النسبى للأقباط فـى الصعيد إلى أن الصعيـد كـان أكثر أمنـا مـن الوجـه البحـرى. لمزيـد مـن التفصيـل انظـر : ادوارد وليـم ليـن : المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم (فـى القرن التاسـع عشـر) ترجمـة عدلـى طـاهر نـور، الطبعـة الأولى مطبعة الرسالة ١٩٥٠، ص ٣٩٨، محمد عفيفى : الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى، سلسلة تاريخ المصريين، العدد رقم ٥٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢، ص ص ١٩٨، ١٩٩ .

(٢) لمزيد من التفصيل عن النشاط الإقتصادى للأقباط فى العصر العثمانى. انظر : محمد عفيفى : المرجع السابق، ص ١٥١-١٨٩ .

(٣) لمزيد من التفصيل عن الأقباط والإدارة المالية فى العصر العثمـانى، انظـر نفس المرجـع، ص ١٠٥-١٤٨ .

(٤) كان الأقباط يخضعون من حين لأخر لبعض القيود التى كان جهاز الحكم يفرضـها عليهم من حين لآخر ومن بين تلك القيود التى كانت مفروضة عليهم، القيود على الملابس بحيث كانت ملابسهم تتميز بألوان-

يرحبون بهم، ويعرضون عليهم خدماتهم، فهم قبل كل شئ مسيحيون مثلهم وغزوهم البلاد يمثل تغييرا جذريا لنظام الحكم وبنيته، وكان من المنطقى كذلك أن يرحب الفرنسيون بتعاطف الأقباط معهم، وبخاصة بعد أن لمسوا عدم ترحيب سائر المصريين بهم أو تصديقهم لما أذاعوه من ادعاءات، فأخذوا منذ أن استقر الأمر لهم فى القاهرة يستعينون بالأقباط لتيسير مهمة قواتهم الزاحفة لإتمام احتلال البلاد، ولمساعدة الجهاز الإدارى على تدبير شئون الحملة وتحقيق الاستقرار لنظام الحكم والمحكومين على السواء(١).

وتذكر المصادر المعاصرة أن أهل مدينة قوص La ville de Kous بصعيد مصر وغالبية سكانها من الأقباط Cophtes وبالتالى مسيحيون Chrétiens كانوا يهتمون بأخبار الفرنسيين ويتعاطفون معهم ويتمنون لجيشهم النجاح ويخبرونهم بأخبار القوات المصرية التى سيلتقون بها، وتذكر هذه المصادر أن مصدر هذه المشاعر لم تكن بسبب وحدة الدين فقط ولكن بسبب ما أحاطهم به ديزيه من عناية وكرم حتى أطلقوا عليه لقب العادل Le surnom de Juste وكان هؤلاء الأقباط يخافون على الفرنسيين من أى خطر يتهددهم(٢).

كما تشير وثائق الحملة الفرنسية إلى خوف الأقباط إذا ما فلت زمام الأمور من الفرنسيين ففى رسالة من فاليت قائد جرجا إلى بليار يقول له "الريف عندى هادئ ولكن أهل أخميم قلقين، إن جميعهم مسيحيون وهم يخشون أن يقتلوا إذا ما فلت منا زمام الأمور"(٣)،

- خاصة حتى يتميزوا عن المسلمين، كذلك حرم عليهم ركوب الخيل، وكذا حمل السلاح والتقلد بالسيوف وتعلية منازلهم أكثر من منازل المسلمين وما إلى ذلك من قيود. لمزيد من التفصيل انظر. ليلى عبد اللطيف أحمد : المجتمع المصرى فى العصر العثمانى، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجامعى، القاهرة ١٩٨٧، ص ٦٣ .

(١) أحمد حسين الصاوى : المعلم يعقوب بين الأسطورة والحقيقة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٦، ص ص ١٣، ١٤ .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر :

P. Martin, Histoire de L'Expédition Francaise en Egypte, Tome Premier, Paris 1815, PP. 360, 361, Dominique DI Pietro, Op. Cit. P. 138.

(٣) Vallet au général Belliar,d girgé, Le 13 Décembre 1799, Doc. No. 1636.

ملف رقم ١٢ بدوسيه رقم ٢، Carton 37، بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩ .

وفى رسالة من زايونشك قائد بنى سويف إلى الجنرال دوجا يقول له "الحالة تبدو هادئة ولكن أهل القرى يكتسبون يوما فيوما بعض الشجاعة، أما الأقباط فيبدو عليهم الخوف"(١).

ولكن لماذا يخاف الأقباط ولماذا يخشون أن يفلت زمام الأمور من الفرنسيين؟ لا شك أن خوف الأقباط يدل على تعاونهم مع الفرنسيين وتعاطفهم معهم وأن هذا الشعور من الأقباط بالتعاطف تجاه الفرنسيين قد ظهر للمسلمين من أبناء الصعيد، فخشوا إذا ما فلت زمام الأمور من يد الفرنسيون أن ينتقم المسلمون منهم.

ولهذا بادر ديوان القاهرة بإرسال فرمان إلى حضرات القضاة والحكام "حاكم الشرع الشريف بولاية إسنا وإقطاعها وكل العلماء والسادات الأشراف والأعيان والمتكلمين وجميع من يخاطب من مشايخ البلاد والعربان" يوصوهم بأهل الذمة "الطايفة النصرانية والرعايا القبطية تعاملوهم معاملة الأمن والأمان القاطنين بالنواحى والبلدان حيث أنهم يدفعون الجزية الشرعية لهم ما لنا وعليهم ما علينا"(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن أبرز الشخصيات القبطية التى تعاونت مع الفرنسيين بإخلاص شديد ووفاء لا مثيل له كان المعلم يعقوب(٣) الذى كان الساعد الأيمن للجنرال

---

(١) Zayounchek au le général Dugua, à Benisouef, Le 22, Janvier 1800.
ملف رقم ٦، B6 40 بدوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٣١ يناير سنة ١٨٠٠.

(٢) سجلات المحاكم الشرعية : سجلات محكمة اسنا، سجل رقم ٥١ فترته التاريخية من ٢٠ ربيع أول إلى ٣ شوال سنة ١٢١٤هـ، وثيقة رقم ٦٧٦ مؤرخة فى ٢٥ شهر ذى القعدة سنة ١٢١٤هـ (٢٠ أبريل سنة ١٨٠٠) ص ٢٨٤.

(٣) ولد المعلم يعقوب حنا فى ملوى حوالى عام ١٧٤٥ من أسرة قبطية متوسطة، وقد التحق فى طفولته بأحد الكتاتيب القبطية وفيه تعلم مبادئ القراءة والكتاب والحساب، وحفظ بعض المزامير والنصوص الكنسية، وعمل يعقوب فى صباه مساعدا لبعض الكتبة من أبناء طائفته حتى أتقن حرفتهم فالتحق مثلهم بخدمة الأغنياء فى مجال تحصيل الأموال وضبط الحسابات، ثم استقر فى العمل مع سليمان بك أغا الذى كان من كبار أغنياء المماليك، يدبر التزامه فى أسيوط ويجبى أمواله ويضبط دفاتر حساباته وقد جنى يعقوب من نشاطه المالى ثروة طائلة، كما اكتسب خبرة واسعة فى الشئون المالية، وكان يعقوب يتمتع ببنية قوية مكنته من التدريب على مهارات الفروسية مع من عمل فى خدمتهم من المماليك،=

ديزيه فى حملة الصعيد ضد مراد بك وعرب الحجاز وأبناء الصعيد ورفض أن تكون مهمته مقصورة على تدبير المال والإشراف على شئون تموين الجيش الفرنسي بل اشترك اشتراكا فعليا فى الحرب إلى جانب الفرنسيين، ولما انتصر يعقوب فى واقعة القوصية El-Qousieh قلده الجنرال ديزيه فى مساء ذلك اليوم سيفا كتب على نصله اسم الواقعة(١).

وكان يعقوب يدل الفرنسيين على المواقع الهامة فى حملة الصعيد، وكان لجهوده هذه كما يقول من أرخوا له أكبر الأثر فى نجاح حملة ديزيه(٢) ويذكر الجنرال بليار فى مذكراته أن "المعلم يعقوب القبطى يلعب الان دورا هاما فى البلاد، فالأهالى يعتبرونه كسلطان Sultan كما كان يطلق على فرقة الجيش الفرنسي بالصعيد جيش المعلم يعقوب(٣) L'armée de moallem Jacob ويؤكد الجبرتى تعاون المعلم يعقوب مع الجنرال ديزيه بصعيد مصر فيذكر "سافر عدد من الإفرنج إلى جهة الصعيد وعليهم صارى عسكر المتولى على الصعيد اسمه دزه (ديزيه) وبصحبتهم يعقوب القبطى ليدبر لهم الأمور ويعمل لهم أنواع المكر والخداع، ويطلعهم على الخبايا ويصنع لهم الحيل"(٤) ولقد استعان الفرنسيون بعدد وافر من أقباط الصعيد ليسدوا بهم النقص فى صفوفهم، حيث ذكر الجبرتى ضمن حوادث شهر المحرم سنة ١٢١٥هـ (مايو – يونيو ١٨٠٠م) ما يلى : "وفيه طلبوا عسكرا من القبط فجمعوا منهم طائفة وزيوهم بزيهم وقيدوا بهم من يعلمهم كيفية حربهم ويدربهم على ذلك

= وساعده على ذلك ما اشتهر عنه من نزوع إلى القتال والنزال، وقد حارب يعقوب بالفعل فى صف المماليك ضد قوات القبطان حسن باشا التى نزلت إلى مصر لتثبيت الحكم العثمانى قبيل قدوم الحملة الفرنسية بفترة قصيرة. لمزيد من التفصيل. انظر : أحمد حسين الصاوى : المرجع السابق، ص ١٧، وما بعدها.

(١) Gaston Homsy, Le Général Jacob et L'Expédition de Bonaparte en Égypte (1798-1801) Marseille 1921, P. 60.

(٢) أحمد حسين الصاوى : المرجع السابق، ص ٢٠ .

(٣) نقلا عن : La Jonquiére. Op. Cit. T. 111. P. 510.

(٤) عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس، حوادث شهر ربيع الأول سنة ١٢١٣هـ، ص ٥٥ .

وأرسلوا إلى الصعيد فجمعوا من شبانهم نحو الألفين وأحضروهم إلى مصر وأضافوهم إلى العسكر (١)".

ولقد أدى العجز فى عدد الجنود الفرنسية إلى دفع الفرنسيين بتجنيد عدد من شباب الأقباط وتكوين كتيبة قبطية فى الجيش الفرنسى تقوم بمساندته فى رد الهجمات التى يتعرض لها، وتؤكد الوثائق الفرنسية على رغبة القائد العام للجيش الفرنسى فى تجنيد العديد من المصريين فى الجيش الفرنسى وإن كانت غالبيتهم من الأقباط ففى رسالة من دونزلو قائد أسيوط إلى القائد العام منو قال فيها "أقوم بتجنيد مصريين كل يوم، ولقد وصل عددهم ٩٨ رجل وهم يذهبون إلى المدرسة à Lécole مرتين فى اليوم، وأنا مسرور منهم، وقد حلقوا ذقونهم وارتدوا ملابس الجيش الفرنسى وحتى وصول أوامر أخرى منك، سأواصل عمليات التجنيد فى منطقتى، أغلب الجنود من الأقباط وأنا احتاج أموالا لصرف مرتباتهم وهى بسيطة لتكفى احتياجاتهم، أرجو أن تقوم بإرسالها لى"(٢).

فرد عليه القائد العام منو قائلا "سوف تقدم لى خدمة كبيرة وللجمهورية إذا أمكنك أن تجند Recruter مسلمين وأقباط، فأنا أوافق على تجنيدهم فى الجيش الفرنسى على أن يقوموا بحلق ذقونهم leur barbe Couper ، إذا أمكن حاول أن يكون عددهم ١٥٠ فى كل فرقة لأن هذا مفيد جدا"(٣).

وفى رسالة من بليار إلى قائد جرجا يقول له "قائد الكتيبة القبطية La Légion cophte ذاهب إلى جرجا للحصول على قائمة بأسماء كل الرجال المنضمين لهذه الكتيبة،

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار، جـ٢، ص ٣٥٧ .

(٢) Donzelot au général en chef au Kaire, Asiout, Le 13, Messidor an 8 (2 Juillet 1800)

ملف رقم ٣، B6 47، بدوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من ١ يونيو إلى ٩ يوليو سنة ١٨٠٠ (١٢ بريريال إلى ٢٠ ميسيدور العام الثامن الجمهورى).

(٣) Ménou à Donzelot à siout le 23 Messidor an 8 (11 Juillet 1800) Doc. No. 314, B6 122.

بمحفظة فترتها التاريخية من ١٠ يوليو إلى ١٩ أغسطس سنة ١٨٠٠ .

أرجوك العمل على عدم مضايقته فى مهمته واعمل على الاتفاق معه بخصوص هذه القائمة بحيث تشمل العدد الكامل لهؤلاء الرجال مع العناية بوضع ملاحظاتك حول سنهم، حالتهم ومقدرتهم"(١).

وتجدر الإشارة إلى أن الفرقة القبطية قد أنشأها الفرنسيون وقاموا بتدريبها وتسليحها لتكون أداة لتثبيت الاحتلال الفرنسى فى مصر، وقام الجنرال كليبر بتقليد المعلم يعقوب حنا قيادة الفرق العسكرية التى كونها من شباب الأقباط(٢) ومنحه رتبة أغا ثم رقى فى عهد الجنرال منو إلى رتبة جنرال General فى مارس سنة ١٨٠١(٣).

ولا شك فى أن مكافأة الجنرال منو ليعقوب بترقيته إلى رتبة جنرال كانت نظير خدماته المخلصة للفرنسيين، وظل الجنرال يعقوب مخلصا للفرنسيين حتى خرجت الحملة الفرنسية من مصر فرحل معها وركب يعقوب ومن معه الفرقاطه بالاس Pallas وهى السفينة نفسها التى أقلت الجنرال بليار وعددا من جنوده وضباطه وأبحرت بالاس بقيادة

---

(١) Beillard au commandant de la place de girgeh, le 10 Fructidor an 8 (28 aout 1800).

بمحفظة فترتها التاريخية من ٣١ أغسطس إلى ١٤ سبتمبر سنة ١٧٩٩ (١٥ إلى ١٩ فروكتيدور العام الثامن الجمهورى).

(٢) ذكر الجبرتى ضمن حوادث عام ١٢١٥هـ ما يلى : "ومنها أن يعقوب القبطى لما تظاهر مع الفرنساوية وجعلوه سارى عسكر القبطة جمع شبان القبط وحلق لحاهم وزياهم بزى مشابه لعسكر الفرنساوية مميزين عنهم بقبع يلبسونه على رؤوسهم مشابه لشكل البرنيطة وعليه قطعة فروة سوداء من جلد الغنم فى غاية البشاعة مع ما يضاف إليها من قبح صورهم وسواد أجسامهم وزفارة أبدانهم وصيرهم عسكره وعزوته وجمعهم من أقصى الصعيد وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى التى هو ساكن بها خلف الجامع الأحمر وبنى له قلعة وسورها بسور عظيم وأبراج وباب كبير يحيط به بدنات عظام وكذلك بنى ابراجا فى ظاهر الحارة جهة بركة الأزبكية وفى جميع السور المحيط والأبراج طيقانا للمدافع وبنادق الرصاص على هيئة سور مصر الذى رممه الفرنساوية ورتب على باب القلعة الخارج والداخل عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلا ونهارا وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية" انظر الجبرتى : المصدر السابق، جـ٢، ص ص ٤٣٧، ٤٣٨.

(٣) Homsy, Op. Cit. P. 121.

القبطان جوزيف إدموندس Edmonds فى ١٠ أغسطس سنة ١٨٠١، وبعد أن أقلعت السفينة بيومين أصيب يعقوب بالحمى وما لبث أن اشتد عليه المرض ومات فى عرض البحر بعد أربعة أيام فى ١٦ أغسطس، وقد كانت آخر كلماته وهو يحتضر للجنرال بليار أن يدفن مع صديقه ديزيه فى قبر واحد، ولم يلق ربان السفينة بجثة يعقوب إلى البحر كالمعتاد فى مثل هذه الحالة، بل استمع إلى رجاء من معه فاحتفظ بالجثة فى دن من الخمر حتى وصلت السفينة إلى مرسيليا وهناك تم دفنها فى جبانة المدينة(١).

ويمكن القول بأن يعقوب قد ساند بكل ثقله وإمكاناته الغزاة الفرنسيين وعاونهم فى إحكام قبضتهم على مصر، واحتمى بقوتهم وحسب أن حكمهم بداية لمرحلة جديدة سوف تتغير فيها موازين القوى ويصبح للأقلية القبطية تحت الحماية الفرنسية مكانة متفوقة تتناسب وما قدمه هو وفيلقه لسلطات الحملة من خدمات(٢).

وعلى أية حال وبالرغم من تعاطف الأقباط فى صعيد مصر مع الفرنسيين إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بأن كل الأقباط فى الصعيد قد تعاونوا مع الفرنسيين، وكان تعاطف الأقباط فى مدن الصعيد يبدو واضحا عنه فى قرى الصعيد، ويبدو أن دعاية المعلم يعقوب القبطى بين الأقباط فى الصعيد هى التى خلقت هذا التعاطف بين أقباط الصعيد إلى حد ما.

ويرى الباحث أن غالبية الأقباط فى ريف الصعيد قد شاركوا فى الثورات جنبا إلى جنب مع مواطنيهم المسلمين ضد الغزاة الفرنسيين الذين قاموا بحرق القرى المتمردة ونهبها واغتصاب نسائها.

ويتساءل الباحث هل كانت النيران تفرق بين بيت مسلم وآخر مسيحى وهل كان الجنود الفرنسيون يفرقون بين أمرأة مسلمة وأخرى مسيحية فى حالات الاغتصاب التى تعرضت لها المرأة الصعيدية فى مناطق عديدة من الصعيد على يد الجنود الفرنسيين: بالطبع لا! فلم تكن النيران تفرق بين مسلم ومسيحى، ولم يكن الجنود الفرنسيون يفرقون **بين**

---

(١) أحمد حسين الصاوى: المرجع السابق، ص ص ٥٠، ٥١.

(٢) نفس المرجع، ص ٨٢.

إمرأة مسلمة وأخرى مسيحية، ومعنى ذلك أن الأقباط قد تعرضوا في كثير من القرى لما تعرض له المسلمون من حرق لبيوتهم ونهب لمحاصيلهم، واغتصاب لنسائهم، ومعنى ذلك أن الأقباط قد شاركوا المسلمين فى الدفاع عن عرضهم (شرفهم) وعن بيوتهم وعن أرضهم ضد الغزاه الفرنسيين، وإذا كانت المصادر الفرنسية المعاصرة لم تذكر حالات من هذا النوع وربما تعمدت ذلك عن قصد، وإن كانت فى نفس الوقت قد ذكرت حالات لتعاطف الأقباط فى الصعيد مع الفرنسيين عن عمد لتثبت أن كل القوى الإجتماعية لم تقابل الوجود الفرنسى بالرفض والثورة عليه. وأن طائفة الأقباط كانوا متعاونين ومتعاطفين مع الفرنسيين، وإذا كنا نتفق مع هذه المصادر بأنه ظهر تعاطف من جانب المنتفعين من الأقباط مع الفرنسيين إلا أننا أيضا نرى أن الجانب الأكبر من الأقباط فى الصعيد قد شاركوا باقى القوى الإجتماعية فى الثورة على الوجود الفرنسى بالصعيد.

ولكن ما هو مصير الفئة التى تعاونت من الأقباط مع الفرنسيين بعد خروج الفرنسيين من مصر؟ بعد خروج الفرنسيون من مصر وعودة مصر للسيادة العثمانية من جديد، تغاضت الدولة العثمانية عن تعاطف الأقباط مع الفرنسيين أو المتعاونون معهم وحثت فرمانات السلطان العثمانى سليم الثالث[1] على معاملة الأقباط معاملة حسنة وأن يعودوا إلى ما كانوا عليه والتماس العذر لمن تعاون منهم مع الفرنسيين قائلا "إنا محيطون علما أن طائفة القبط لأجل صيانة أعراضهم وحفظ أموالهم تبعوا الكفره الفرنسيس وأن طائفة القبط رعية دولتنا العلية ويعطوا الجزية فالمطلوب يرجعوا إلى محلاتهم وأماكنهم ويكونوا فى بيوتهم منشرحين القلب كما كانوا فى السابق لأنهم رعية دولتنا العلية ويلتزم حمايتهم وصيانتهم من كل الوجوه"[2].

وأكثر من هذا فإن العثمانيين بعد استعادتهم مصر من ايدى الفرنسيين حرصوا على أن يستعينوا بكتبة الأقباط وصيارفهم فى تحصيل الضرائب المستحقة للحكومة كما كان الحال قبل الاحتلال الفرنسى[3].

---

(١) تولى الحكم من ١٧٨٩ إلى ١٨٠٧ .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: سجلات المحاكم الشرعية، سجلات محكمة إسنا، سجل رقم ٥٣، وثيقة رقم ٢٦٩ مؤرخة فى شهر ربيع الأول عام ١٢١٦هـ، ص ١١٣ .

(٣) أحمد حسين الصاوى : المرجع السابق، ص ٥٠ .

وهكذا عادت الأمور إلى مجاريها بين المسلمين والأقباط، وفشلت الحملة الفرنسية فى محاولتها وضع ما يمكن أن نطلق عليه إسفين بين الوحدة الوطنية المصرية بتقريبهم الأقباط ظنا منهم أنهم بهذا يضمنون خلق طائفة ذات ولاء لهم ولكنهم لم يدرسوا واقع المجتمع المصرى على حقيقته.

الخاتمة

الخاتمـــة

اتضح من العرض السابق لفصول البحث أن حملة الجنرال ديزيه فى صعيد مصر قد واجهت ثلاث قوات مجتمعة هم الأهالى من أبنـاء الصعيد، والممـاليك، وعرب الحجـاز، واجتمعت هذه القوى ووقفت بكل شجاعة ضد الجنود الفرنسيين فى صعيد مصر، وبالتالى لم تكن مهمة الجنرال ديزيه سهلة حيث كانت المقاومة فى الصعيد تمتاز بميزة التنظيـم، وكثرة التجمعات مما جعل الحرب فى صعيد مصر تتخذ شكل الحركات الحربيـة الحقيقيـة اذا مـا قورنت بالمعارك التى دارت فى الوجه البحرى فالفرق بين الصعيد والوجه البحرى هـو أنـه كان يسهل إمداد القوات المحاربة فى الوجه البحرى لسهولة التنقل فيها، أما الجنوب، فلم يكن الإمداد سهلا وطول المسافات كان فى صالح المدافعين ومنهكا لقوى المهاجمين، ولا شك فى أن طبيعة الأرض فى الصعيد، ووجود العصبيات فى هذه المنطقة، ونظرة الأهالى إلى معنى الحياة وقيمتها، كانت عوامل تساعد على ضراوة عمليات المقاومة فى الصعيد.

كما كانت حماسة أبنـاء الصعيد، وعقليتهم، وروح فروسيتهم، عوامـل تتجمـع لكـى تخلق منهم قوات هجوم ممتازين تشكل خطـرا علـى الفرنسيين باستمرار. وكـانت مقاومـة أهالى الصعيد للفرنسيين تظهر فى كل وقت كمـا رأينـا من خـلال عرضنـا للفصـول الثلاثـة الأولى من البحث، حيث اشتعلت المقاومة فى شتى أنحاء الصعيد.

ولم يستسلم الأهالى يوما ما للوجود الفرنسى فـى الصعيد بـالرغم مـن حـرق القرى وحرق المحاصيل ونهبها، واغتصاب النساء، وضرب الأطفال، **ويدل هذا علـى أن أبنـاء الصعيد قد دافعوا بكل قوة وبكل شجاعة عن أرضهـم وعرضهـم ضد المستعمر الفرنسـى، لأنهم وضعوا نصب أعينهم تاريخا يسطر وأجيـالا قابلـة ستحكم علـى مدى كفـاحهم، ولأن الحرية تجرى فى عروقهم مع دمائهم.** ووقف عرب الحجاز بجوار إخوانهم من أبنـاء الصعيد واشتركوا فى كثير من المعارك التى دارت فى الصعيد وأشادت المصـادر الفرنسية بشجاعتهم وبسالتهم فى ميدان القتال، وهكذا وجدنا أبناء الجزيرة العربيـة يقـاتلون الفرنسيين فى الصعيد جنبا إلى جنب مع إخوانهم من أبناء الصعيد، حيث كان عـرب الحجـاز خصومـا أشداء للفرنسيين فى الصعيد إذ صمموا على الاستشهاد، وكان من بينهم عدد مـن الأشـراف

وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على أن **مقاومة الحملة الفرنسية كانت مظهرا رائعا للأخوة العربية والترابط العربى، وأثبتت أن الشعوب العربية هى شعوب أمة واحدة تظهر أصالتها ويبرز تضامنها وتساندها إبان الشدائد.** ووقف المماليك بجوار الأهالى وعرب الحجاز فى كثير من المعارك، وخططوا لبعض المعارك، ولكنهم ظهروا فى نهاية الأمر أنهم كانوا يبحثون عن مصالحهم ومنافعهم بدليل سعى زعيمهم مراد بك إلى عقد الصلح مع الجنرال كليبر فى ٥ إبريل سنة ١٨٠٠، حيث قبل مراد أن يحكم الجزء الجنوبى من الصعيد تحت السيادة الفرنسية وأن يكون تابعا وخادما مطيعا للفرنسيين.

ولم يهدأ للفرنسيين بال ولم يستقر لهم قرار، بل كانوا هدفا للمفاجآت والمعارك غير المنتظرة من جانب أبناء الصعيد، واضطرتهم هذه المقاومة إلى مداومة الحملات، والرحلات المنهكة للقوى دون أن يتمكنوا من التغلب على خصم لا ينال.

وكانت القوة المسلحة، والقسوة، والإرهاب، والفظائع، هى الوسائل التى تذرع بها الفرنسيون لمكافحة قوات المقاومة فى الصعيد، وهكذا ظل جيش الجنرال ديزيه يطارد قوات شتى لا عداد لها، ولا يكاد يتغلب عليها حتى تتجمع وتعود ثانية للقتال، وصار ديزيه يحارب حربا لا نهاية لها، فى ميدان واسع مترامى الأطراف يمتد من الجيزة شمالا إلى أسوان جنوبا، ومن القصير شرقا إلى واحات الصحراء الكبرى غربا، دون أن يصل إلى اخضاع البلاد اخضاعا تاما أو إقرار السلطة الفرنسية فيها.

وبالنسبة للنظام الإدارى الذى وضعه الفرنسيون فى الصعيد فلم يكن له من غرض سوى خدمة الفرنسيين بالدرجة الأولى، وتجدر الإشارة هنا إلى أن بونابرت لم يرم بانشاء الدواوين فى مصر كما توهم البعض إلى خلق النظام البرلمانى، فبونابرت لم يكن ممن يعجبون به أو يرتضيه لفرنسا دع عنك مصر، بل رمى بها إلى إنشاء وسائل تمكنه من الاتصال بأعيان البلاد، وتفهم ما يجرى فى أنفسهم وتفهميهم حقيقة مشروعاته ونواياه حتى لا يبقى مجال لدس الدساسين وسوء الفهم.

وعن الأوضاع الاقتصادية فقد رأينا كيف زادت الأعباء على الفلاح فى الصعيد، فزادت الضرائب وقلت الثروة الحيوانية عما كانت عليه قبيل مجئ الفرنسيين نتيجة لاستيلاء

الفرنسيين على الكثير من دواب الحمل لاستخدامها فى حملاتهم العسكرية، ولم يعمل الفرنسيون على إنعاش الصناعة المصرية عموما، وتراجعت التجارة عما كانت عليه قبيل مجئ الحملة الفرنسية نظرا للظروف العسكرية التى عاشتها الحملة فى مصر مما أدى إلى ضيق حجم التبادل التجارى، ولم يتح الوقت للفرنسيين للعمل على تطوير الاقتصاد المصرى بل إنها عملت على تحميله أكثر مما يطاق طوال ثلاث سنوات قضتها الحملة معزولة عن فرنسا واعتمدت فيها على اقتصاد مصر مما أدى إلى إنهاكه.

وعن موقف القوى الاجتماعية فى الصعيد فإن الحملة الفرنسية قد عملت على إظهار موقف هذه القوى فقد رأينا موقف الرفض التام من الفلاحين للفرنسيين، وعدم التعاون معهم، في حين ظهر المماليك بزعامة مراد بك فى موقف المتعاون مع الفرنسيين إلى حد أنه كان يعتبر مواطنا فرنسيا، وأدى هذا الموقف إلى لفظ الأهالى للمماليك ولفظ السلطان العثمانى لهم، ولم يجد المماليك من يساندهم بعد جلاء الفرنسيين عن مصر مما أتاح الفرصة لمحمد على بعد ذلك لأن يقضى عليهم لتنتهى دولة المماليك، وكان الفضل فى ذلك للحملة الفرنسية التى عملت على ثل عرش المماليك وتقويض أركان دولتهم. وتصالحت بعض قبائل العربان مع الفرنسيين على غرار صلح مراد بك معهم، كما ظهر بعض الأقباط تعاطفا وتعاونا مع الفرنسيين وعلى رأسهم المعلم يعقوب الذى حصل على رتبة جنرال فى عهد الفرنسيين نتيجة لجهوده فى خدمتهم حتى أصبح المعلم يعقوب جنرالا فرنسيا.

وفى النهاية تبقى كلمة وهى أن الحملة الفرنسية قد فشلت من الوجهة العسكرية، ولكنها نجحت من الوجهة الثقافية فى كشف صورة الحضارة فى أرض الكنانة للعالم وللإنسانية.

الملاحق

ملحــق رقم ١

رسالة من مراد بك إلى الجنرال دنزلوه صارى عسكر حاكم ولاية أسيوط ومنفلوط والمنيا، وثيقة رقم ٦٠ مؤرخة فى غرة شهر صفر سنة ١٢١٥هـ
(مصدر الوثيقة محفظة بدون رقم ولا تاريخ محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة)

إلى جناب حضـرة أعز المحبين الدستور المكرم حضـرة محبنـا العزيـز الجنـارال دنزلوه صارى عسكر حاكم ولاية أسيوط ومنفلـوط والمنيـا دام بقاه بعد مزيـد السلام عليـه وكثرة الأشواق إليه أسبغ الله تعالى جزيل نعمته وفضله عليه٠ إن خاطرنا عندكم كثير قوى وان سألتم عنا فإننا طيبين بخير ولم نسأل إلا عنكم وغير ذلك أن حضر لنا جوابكـم وقرينـاه وفهمنا ما فيه بالحرف الواحد وذكرتوا أنه حصل أمر الله تعالى إلى حضرة محبنـا الصـادق كليبر صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية، وحصل لنا غم شديد وبكاء لأنه كـان محمب لطرفنا ويعشمنا بكامل الخير، وسلطتنا غير حكم ما كنا أول ولكن هذا أمر الله تعالى لم فيـه اندفاع، وان شاء الله تعالى تكون البركة فى حضـرة محبنـا العزيـز الدسكتور المكرم مينـو صارى عسكر أمير الجيـوش الفرنساوية، وبقـا عشمنا فـى حضرتـه السـعيدة حكم مـا كـان عشمنا فى حضرة كليبر صارى عسكر فى كامل الوعد الذى أوعدنا به نرجـو مـن حضرتـه راحتنا فى كامل الأمور وتكون المحبة ما بيننا وما بين الجمهور الفرنساوى مثل أول وتزيـد، ويكون الصلح وكامل الشروط على ما هى عليه، وأن الواصل إلى عندكم جواب الى حضـرة محبنا العزيز الدستور المكرم مينوا صارى عسكر أمير الجيوش الفرنسـاوية صحبـة الأمـير ابراهيم أغا كتخدا تابعنا تطلعوا عليه قبل توجهوا وتفهموا مضمونه، وترسلوا صحبتـه واحـد من طرفكم بتوصية إلى حضرة صارى عسكر ولم نعرف راحتنا مـن قبـل المباشـر وخلافـه إلا من حضرتكم السعيدة حكم ما أرسلنا عرفناكم سابق تاريخـه وبـاقى الكـلام يعرفكم عنـه الأمير إبراهيم كتخدانا وترسلوا لنا أخباركم لأجل الطمأنة عليكم والله تعالى يحفظكم والسـلام فى غرة شهر صفر سنة ١٢١٥ ٠

أمير اللواء السلطانى

مـراد بك

الجناب مقام اعز المحبين الدستور المكرم [illegible]

ديز لوم صاري عسكر [illegible] ولم نشاه

[illegible] بالسلام عليكم [illegible] الله تعالى [illegible]

[illegible] علي [illegible] امانا [illegible]

[illegible] الاعتناء [illegible] وقربنا [illegible]

ما فيه الحرف الواحد [illegible] امر الله تعالى [illegible]

الممادة في كلبير صاري عسكر الجيوش الفرنساوية [illegible]

[illegible] كان [illegible]

[illegible] امر الله تعالى [illegible]

[illegible] وان شاء الله تعالى يكون [illegible]

الدستور المكرم [illegible] صاري عسكر الجيوش الفرنساوية

[illegible] ما كان [illegible]

كلبير صاري عسكر في كامل [illegible]

[illegible] الامور [illegible] المحبة [illegible]

[illegible] ويكون الصلح

وكامل [illegible] والى العساكر [illegible]

[illegible] الوزير الدستور المكرم [illegible] صاري عسكر [illegible]

الفرنساوية [illegible] ابراهيم [illegible]

[illegible]

[illegible] صاري عسكر [illegible]

[illegible]

وباقي الكلام [illegible] ابراهيم [illegible]

[illegible] والسلام

[illegible] ١٢١٤

... resa, ed abbiamo capito ciò che in ... per parola, davate detto ciò che c' ... Dio Grande) al vostro amoroso servi... Generale de Francesi, ed ho avuto ... e piantto, perchè veramente ci ... sempre speranza di tutti i Beni, ... come eravamo per il Passato, ma ... Dio Grande, a Noi è forza di ... Dio voglia che la Benedizione si ritro... Di questo amore Bravo Generale ... e lungi di nostre Speranze a lui ... Speranza sopra di Cleber ... ci aveva notificato, speriamo ... in tutte le cose, e che l'amore ... Repubblica Francese sia come p...

... e ... , aviamo ... e vi mando una Lettera per ... amore Bravo Generale del ... con il Principe Abrahim Chichia ... di Spadillo, e capirete ... Con lui uno di vostra parte ... il Generale e ... vostro volere, ed altro se non ... abbiamo fatto capire per ... Lettera, ed il ... il Portatore ... Chichia.

... del mese di ... anno 1215

ملحـــق رقـم ٢

صورة جواب حضرة أمير اللوا مراد بيك
١٥ شهر صفر ١٢١٥ إلى عبد الله مينو صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية،
مؤرخ فى ١٥ شهر صفر سنة ١٢١٥هـ
مصدر الوثيقة محفظة بدون رقم ولا تاريخ محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة

إن حضر لنا جوابكم وعرفتونا بما حصل إلى حضرة محبنا العزيـز صـارى عسـكر كليبر وهذا أمر الله تعالى لم أحدا بيده حيله وأمر الله تعالى لابد عن نفلاه والذى سلط علـى قتله مثل واحد كبير زى ده لم هو شأن الأميرى ويبقـا خـائن وقليل المـروة ولكـن مـن قديـم الزمان الخوانة لهم وكل أحدا جزائه على الله تعالى وذكرتوا لنا فـى جوابكـم أن الجمهـورى سلموا لكم كامل الأمـور والحكم وحصـل لنـا غايـة الفرح والسرور لأن سـابق بلغنـا عنكـم الأخبار الطيبة وشكر أنه عن حضرتكم من الناس جميعا يمدحوكم بكل خير واحنـا الأخريـن حصل لنا فرح بذلك وزاد حبنا لطرفكم وإن شاء اللـه تعالى يكون راحتنـا علـى اللـه تعـالى وعلى حضرتكم السعيدة وأننا على المحبة والشروط على ما هو عليـه حكـم الأول وإن شـاء الله تعالى تزيد المحبة والتوفيق وقبل تاريخ ارسلنا لكم جواب صحب الأمـير ابراهيـم أغـا كتخدا تابعنا وعرفنا الأمير ابراهيم كتخده يعرف حضرتكم عن راحتنـا وحضرتكـم تتحملونـا وتقبلوا عذرنا فى سنة تاريخه لأن حاصل لنا تعب من قبل المعايش والأمر بالله تعالى وإلـى حضرتكم السعيدة وترسلوا لنا كامل أخباركم لأجل الطمأنينة عليكم والله يحفظكم.

[illegible] حضرة [illegible] الاكرم
[illegible] الى عبد الله سيدي [illegible]
[illegible] الزنانية

لما حضر لنا جوابكم وعرفتونا ما حصل الى
حضرة محبنا [illegible] عسكر [illegible]
امر الله تعالى لراحتنا بيت [illegible] وامر الله
تعالى [illegible] فالذي سلط على
قتله [illegible] واحد كبير [illegible] لم [illegible]
الاوري [illegible] وقليل المروة ولكن
[illegible] الزمان الخوانة [illegible] وكل احدا
[illegible] على الله تعالى ودلكم لنا في جوابكم
ان [illegible] شملوا لكم كامل الامور لكم حصل
لنا غاية الفرح والسرور [illegible] علم
الاخبار الطيبة وشكرانية عن حضرتكم [illegible]
[illegible] خير [illegible]
الامر حصل لنا [illegible] وزاد حبنا
لحضرتكم وان الله تعالى [illegible] على الله تعالى
على حضرتكم النعمة [illegible] على المحبة والشوق
على ما هو عليه [illegible] الاول وانشا الله تعالى
تزيد المحبة والتوفيق [illegible]
[illegible]

وعرفنا الامر [illegible] حضرتكم
على [illegible] حضرتكم تتحملوا وتقبلوا
عذرنا في سنة [illegible] ان حاصل لنا
تعب من قبل [illegible] الى
الله تعالى والى حضرتكم [illegible]
لنا كامل [illegible] عليكم [illegible]
كمطلوب

copie [illegible] letter [illegible]

ملحــق رقــم ٣

رسالة من مراد بك إلى جناب أعز المحبين الصادقين الدستور المكرم حضرة محبنا العزيز الجنرال دنزلوه صارى عسكر حاكم ولاية أسيوط ومنفلوط والمنيا دام بقاه، وثيقة رقم ٩١ (مصدر الوثيقة محفظة بدون رقم ولا تاريخ محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة)

بعد مزيد السلام عليه وكثرة الأشواق اليه اسبغ الله تعالى جزيل نعمه وفضلـه عليـه أن خاطرنا عندكم كثير ولم نسأل إلا عنكم وغير ذلك أن الواصل لكـم الأمـير محمـد كاشـف تابعنـا يتوجـه مصـر بجوابـات إلـى حضـرة محبنـا العزيـز صـارى عسـكر أمـير الجيـوش الفرنساوية لأجل مقابلته ويفهم عن أمور المكرهين لنا لأن فى هذا الوقت الذى يكرهونا كثير إن كان عثملى ولا خلافه على شان صلحنا معكم ويسلطوا الناس المنافقين لأجل مـا يفسـدوا ما بيننا وما بينكم وإن المراد منكم يا محبنـا تكتبـوا جـواب من عندكـم إلـى حضـرة صـارى عسـكر أمـير الجيـوش الفرنسـاوية أنـه لـم يسـمع فينـا كـلام المكرهين لأن احنـا عشـمنا فـى الجمهور بكل الخير والراحة والحمد لله تعالى انتم قريبين منـا ونـاظرين احوالنـا واحنـا تبـع الجمهور بالصدق والمحبـة ولـم نمشـى فـى أمـور شـرك بفـم خـاطر الجمهـور وترسلوا لنـا أخباركم لأجل طمأنا عليكم وأحنا عشمنانين فى حضرتكم لأنكم خـاص المحبيـن لنـا واحنـا كذلك.

فى ٦ جمادى أول ١٢١٥

أميــر اللوا السلطانى

مــراد بــك

Vi mando il nostro amir Mahamet
Cafsij il quale parte con lettere
al nostro Amico Generale Grande,
Capo dei Francesi, acciò possi
abboccarsi con lui, e fargli sapere
la cosa della Gente cattiva, che
ci odia, perchè in questo tempo
si trova molta Gente, che mi
odia, che siano Osmanli, ovvero
Alevi per la pace, che abbiamo
fatto con voi, e voltava la
Gente ti spiadda, per fare rompe-
re già oie voi la pace, e per-
ciò desidero da voi o mio Amico
che voi scriviate una lettera da
vostra parte al Generale Grande, che
si senta sopra di noi il parlare dei
nostri inimici, e noi abbiamo tutte le
nostre speranze sopra la Republica
Francese, e la nostra quiete, e ringra-
zio Iddio, che voi siete vicino di
noi, e vedete e sentite il nostro cami-
nare con la Republica con verità
ed amore, e il camino in cosa
vera, che possino esser fedeli
[illegible] alla Republica,
mandateci tutte le vostre novità
per esser sicuri della vostra salute
e noi abbiamo molte speranze
sopra di voi, essendo voi il nostro
più veridico Amico

li 6 del mese di Gemad
a vai anno 1215

من عند كبير الحضرة ماري عسكر الجيوش الديار
الى المحترم [illegible] الكلام المكرم [illegible]
عثمان بيك الجمهور [illegible] الخير والكرم وبعد [illegible]
[illegible] الجمهور [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
واما بعد [illegible]
[illegible]
[illegible] ماري عسكر
[illegible] دام بقاه
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ماري عسكر الجيوش [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ملحق رقم ٤

عرضحال من أهالى ناحية طهطا الواضعين اسمأهم وختومهم فيه خطابا إلى الدستور المكرم والجنرال المعظم الجنرال دنزلو صارى عسكر الجيوش الفرنساوية بولاية المنيا والأسيوطية وفقه الله تعالى للشفقة على الرعية، مؤرخة فى ٢٣ شهر رجب عام ١٢١٥هـ (مصدر الوثيقة محفظة بدون رقم ولا تاريخ محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة)

نعلمه أن بلدتنا ناحية طهطا المذكورة فى حين حضر الجمهور الفرنساوى فى بر مصر وهى فى راحة والرعية يبيعوا ويشتروا بالحق والانصاف ويدفعوا جميع ما عليهم من الجمرك المعتاد للديوان وكل يوم داخل البلد جميع ما يحتاج إليه معاش الرعية والفقراء والمساكين وأهل البلاد المجاورة وخلافها ويبيعوا ويشتروا والناس حاصل لها راحة ولم يكن عليهم حوادث إلا الجمرك المعتاد.

والان حصل عندنا حوادث على جميع الذى يباع ويشترى فى غلال ومواشى وتبن ووقد وطيور وتجارات وخلافه وذلك لم يكن معتاد قبل حضور الفرنساوية ولا بعده فبسبب ذلك امتنع جميع ما يدخل البلد من معاش الرعية وتعطل حال البلد وحصل لأهلها تعب ومشقة عظيمة بسبب التعطيل الحاصل فى هذه الحوادث ونرجوا من حضرة جنابكم أن تشفعونا فى رفع هذه الحوادث التى عطلت أحوال الرعية لأجل راحة الناس ويبيعوا ويشتروا ويدفعوا الجمرك المعتاد عليهم للديوان أن من عادتكم راحة الرعية والشفقة عليهم وتحبوا عمار البلاد وجميع الرعية داعية لكم وحاصل لها سرور بكم أنه فى حين قدومكم لم يحصل منكم إلا الراحة للرعية وعمار المحلات والله يوفق لفعل الخيرات.

تحريرا فى ثالث عشرين شهر رجب عام ١٢١٥ خمسة عشر ومائتين وألف

الفقير	الفقير	الفقير	الفقير عبد الله	الفقير إلى الله تعالى
عبد الرحمن محمد	مسعود أبو السعود	محمد عمر أفندى	على أحمد شيخون	السيد محمد عابدين
	المالكى بطهطا	بطهطا		

[illegible]

عرضحال

من أهالي ناحية طنطا الواضعين أسماهم وختومهم فيه خطابا إلى الدستور المكرم والجنرال المعظم الجليل دنولو صاري عسكر الجيوش الفرنساوية بولاية المنوفية والغربية وفقه الله لما فيه الشفقة على الرعية

نعلم [illegible] أن بلدتنا ناحية طنطا المذكورة من حين حضر الجمهور الفرنساوي في مصر [illegible] وهي في راحة [illegible] الجمرك المعتاد للديوان والرعية يبيعوا ويشتروا بالحق والإنصاف ويدفعوا جميع ما عليهم من الجمرك [illegible] وأهالي البلاد المجاورة وكل يوم يدخل البلد جميع ما يحتاج إليه معاش الرعية والفقراء والمساكين [illegible] من الحوادث إلا الجمرك المعتاد وحلاقة [illegible] ويبيعوا ويشتروا والناس حاملين في الراحة ولم يكن عليهم حوادث [illegible] وقل والآن حصل عندنا حوادث على جميع الذي يباع ويشترى من غلال ومواشي [illegible] وطيور وعقارات وخلافه وذلك لم يكن معتاد قبل حضور الفرنساوية ولا بعده فبسبب ذلك امتنع جميع ما يدخل البلد من معاش الرعية ونقص حال البلد وحصل للأهالي تعب ومشقة [illegible] عليهم بسبب التعطيل الحاصل من هذه الحوادث ونرجوا من حضرة جنابكم أن تشفقوا [illegible] ويدفعوا الجمرك المعتاد الحوادث التي عطلت أحوال الرعية لأجل راحة الناس ويبيعوا ويشتروا ويدفعوا [illegible] عليهم للديوان لأن من عادتكم راحة الرعية والشفقة عليهم ويحبوا عمار البلاد وجميع الرعية داعيين لكم وحاصل [illegible] أن من حين قدومكم لم يحصل منكم إلا الراحة للرعية وعمار الحالات والله يوفقكم لفعل الخيرات [illegible] ١٢١٥ [illegible] رجب الفرد الحرام من شهور سنة

الفقير عبد الرحمن [illegible] — السيد [illegible] السعودي الأكبر — الفقير محمد محمد أفندي — الفقير عوض أحمد [illegible] — [illegible] الملتزم [illegible] طنطا

ملحـــق رقـــم ٥

رسالة مراد بك إلى حضرة أعز المحبين الدستور المكرم حضرة محبنا العزيز الجنارال دنزلوت حاكم ولاية أسيوط ومنفلوط والمنيا، مؤرخة فى ١١ محرم سنة ١٢١٥هـ
مصدر الوثيقة : محفظة بدون رقم ولا تاريخ محفظة بمكتبة جامعة القاهرة

بعد مزيد السلام عليه، وكثرة الأشواق إليـه، أسبغ اللـه تعـالى جزيـل نعمـه وفضلـه عليه إن خاطرنا عندكم كثير قوى وغير ذلك نعرف حضرتكم مـن قبـل شـيخ العـرب علـى محمد كريم شيخ عربان طرهونة فإن المذكور صادق فى الخدمة إن كان فى طرفكـم أو فـى طرفنا قبل حضوركم كنا كتبنا له جوابات إلى حضرة محبنا العزيز الدستور المكـرم صـارى عسكر دام بقاه وأن الجوابـات بـالتخمين إنهـا لـم وصلـت، ولكـن لمـا حضـرتـوا وبقـى راحـة المذكور على الله تعالى وعلى حضرتكـم السـعيدة. المـراد منكم راحـة المذكـور فـى كـامل أحواله، وتريحوه غاية الراحة ولم تسمعوا فيه كلام أحدا من المكرهين وتعطوه أمـان كـافى من حضرتكم السعيدة ولم نعرف راحة المذكور إلا منكم كما هـو العشـم فيكـم واحنـا نعـرف ونتحقق أنكم لم تعوروا وصية من قبل الذين طرفنا وثانيا أن المذكور خدامكم وخدامنـا وأن الحال واحد ولم نحتاج إلى شرح لكم كثر كلام والله تعالى يحفظكم والسلام :

١١ محرم سنة ١٢١٥ م

أمير اللواء السلطانى

مـراد بك

٥٣

53

Risp.

Lettera di Raccomandazione per il sciech Maramer Ghaq[illegible] ai 11 di Maharram anno 1815

[illegible]

دام بقاه

[illegible]

دام بقاه [illegible]

[illegible] الدكتور المكرم [illegible]

[illegible]

[illegible] والسلام

١١ محرم [illegible]

ملحـــق رقــم ٦

رسالة دونزلو إلى القائد العام الجنرال منو
وثيقة بدون رقم مؤرخة فى أسيوط بتاريخ ١٠ فريميير العام التاسع الجمهورى
(مصدر الوثيقة : ملف رقم ١، B6 58، بمحفظة فترتها التاريخية من ١ ديسمبر إلى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

سيـــدى القائـــد

قائد كتيبة التنظيم "تونسار Tonsard الذى أرسلته إلى قنا مع فرقة بها ٢٥ رجل سوف يعود ومعه ١٥ مدفع كانت فى القلعه ١٣ منها حديد من أنواع ٨، ٦، ٤ والاثنان الأخران صلب وغير صالحان.

قلب القلعة قد دمر تماما بعد رحيلنا والمياه غمرت جزء من السور. مراد بك الذى أعلمته مسبقا بوصولهم استقبلهم بحفاوة. هذا البك ما زال يقطن "هو How" ولن يتأخر فى الذهاب للإقامة فى جرجا.

لقد عجلت بإرسال المواطن تونسار له ليخبره بإمتنانك وبرغبتك فى نقل الجنود من القصير إلى السويس. أكد له أنه سيقوم بتقديم كل التسهيلات لهم وإرسال مرشدين من المماليك والعرب معهم وكل شئ يستطيع تقديمه. تبعا لتقارير وصلت إلى هذا البك إن الجيوش الإنجليزية قد تركت جدة والبحر الأحمر. لم تصله أخبار مباشرة من سوريا. بضعة مماليك جاءوا لرؤيته أخبروه أن الوزير ينظم صفوفه ومن بين قواته سيكون بعض "الألبان" و"الأرمن" وسيقوم ببضعة هجمات على مصر. لكنه أكد لى أنه إذا كنا نشك فيه - وهو غير صحيح. فإنه ليس له اتجاه آخر إلا الإنضمام لنا ومشاركتنا فى مصيرنا، لأن العثمانيين - كما يقول - لن يغفروا له أبدا وأنه لا يثق فى وعودهم ومتوقع خداعهم له. فى هذه الظروف ليس له ملجأ آخر إلا الالتجاء للفرنسيين والاحتماء بجمهوريتهم.

أنا أحاول بكل قوتى الحفاظ على التوافق بيننا وبين هذا الأمير ولكنى آسف لأننا لم نعطيه مقابل يساوى الخدمات التى قدمها لنا والتى باستطاعته تقديمها فى المستقبل. الفرنسيون الذين هربوا من العسكرية والموجودون معه لا يريدون تركه، بالرغم من تأكيدنا لهم بالعفو الذى أرسلناه مع المواطنين "زوسار Zousard".

سأجد طريقة أخرى لاجبارهم على العودة. إنهم يرتدون ملابس الفلاحين ولا يأكلون مع المماليك. إنهم لا يركبون الخيل ولا يوجد معهم سلاح ومراد بك قرر أن هذا هو حالهم دائما لكى لا يتهم بجذب جنود فرنسيين إلى صفوفه.

سلامى واحترامى

دونزيلو

à Siout le 10 frimaire an 9

Le général de brigade Donzelot
Au général en chef

Mon général,

Le chef de bataillon du génie Lonsard que j'avais envoyé à Kéné, avec un détachement de 48 hommes, est de retour. Il a rapporté 15 canons qui étaient dans le fort; 13 sont en fer du calibre de 8, 6 et 4, et les deux autres en bronze d'une livre et hors de service.

L'intérieur du fort a été totalement dégradé après notre départ. Les eaux ont aussi lézardé un bastion.

Mourad, que j'avais prévenu, a parfaitement accueilli le détachement. Ce Bey est toujours à Hou. Il ne tardera pas à revenir s'établir à Girgé, les communications devenant libres.

Je lui avais dépêché plus particulièrement le citoyen Lonsard pour le mettre à même de lui parler de la reconnaissance que nous étions dans l'intention de faire faire de Kosseir à Suès. Il a assuré qu'il donnerait toutes les facilités possibles, qu'il fournirait des guides de Mamelouks et d'Arabes, et tout ce qui dépendrait de lui.

Suivant des rapports faits à ce Bey, il paraît que la croisière anglaise a quitté Djeddah et la mer Rouge.

Il n'a pas reçu directement des nouvelles de la Syrie. Quelques Mamelouks qui sont venus le joindre, lui ont rapporté que le Visir cherchait à réorganiser son armée; qu'elle serait en partie composée d'Albanais et d'Arnautes; et qu'il pourrait se faire qu'il fît encore quelques tentatives sur l'Égypte; mais il m'a fait de nouveau assurer que dans le cas où nous éprouverions quelques revers, ce qu'il ne présumait pas, il ne lui restait d'autre parti que de se joindre à nous avec tous ses moyens et de suivre notre sort. Les Osmanlis, dit-il, ne lui pardonneront jamais, et il n'a aucune confiance dans leurs promesses, étant convaincu de leur perfidie. Dans cette circonstance, il m'a encore renouvelé ses protestations d'attachement aux Français, et ses espérances dans la protection de la République. C'est par tous les moyens qui sont en mon pouvoir que je maintiens l'harmonie qui existe entre nous; mais je vois avec regret que l'on n'a pas toujours pour ce prince les égards que méritent les services qu'il nous a rendus et peut nous rendre encore.

Les Français déserteurs qui sont avec lui n'ont pas voulu revenir, malgré l'assurance de leur pardon que je leur avais envoyée par le citoyen Lonsard; j'aviserai à quelque autre moyen de les faire descendre. Ils sont vêtus comme les paysans; ils ne mangent pas avec les Mamelouks. Ils ne sont pas montés ni armés, et Mourad a assuré qu'ils ne seraient pas autrement, par la raison qu'il ne voulait pas qu'on dît qu'il les retint, et qu'il cherche à attirer des soldats français.

Salut et respect

Donzelot

ملحــق رقــم ٧

خطاب موجه من السيدة نفيسة حرم مراد بك إلى القائد الأعلى عبد الله جاك مينو
مؤرخ فى ١٧ ميسيدور السنة ٩ (٢٤ صفر سنة ١٢١٦هـ)
(مصدر الوثيقة ملف ٣٥، B6 70، بمحفظة من ٢٠ يونيو إلى ٢٢ يوليو سنة ١٨٠٠،
محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة)

بعد سلامنا وبعد دعواتنا لكى يحيطكم الله بنعمته، إذا كنتم تسألون عن أخبارنا فنحن بأتم صحة، نحمد الله ونرغب فى معرفة حالة صحتكم.

لقد تلقينا خطابكم وهداياكم التى أرسلتموها، فليزيد الله رخاءك ونحمد الله على صحتكم ونحن ندعوه أن تكون نهايتكم حسنة.

منذ بضعة أيام جاءت السيدة زبيدة، زوجتكم لرؤيتنا مع سليمان ابنكم الغالى، ورغبنا فى أن يقيموا عندنا بضعة أيام لكى يستريحوا ولكى نتحادث سويا ولكنهم لم يستطيعوا لأنهم لم يتلقوا الأمر أو الإذن من جانبكم، نحن نصلى يا صديقنا أن تستمر فى إرسال الخطابات لكى نطمئن على أحوالكم وحماك الله من كل شر.

نفيسه الكبرى، السيدة الشريفة
٢٤ صفر ١٢١٦ هجرية
بصمة ختمها يحمل حرف (ن) وهو أول حرف من اسمها الشخصى

Madame Mourad bey à Menou 17 messidor an 9

Lettre de madame Nefissé, femme de Mourad Bey au général en chef Abdallah Jacques Menou, que Dieu lui donne la puissance !

Après nos salutations et après les voeux que nous faisons pour que Dieu vous comble de ses grâces, si vous demandez de nos nouvelles, nous nous portons bien, Dieu merci et nous désirons savoir l'état de votre bonne santé.

Nous avons reçu votre lettre et le bien que vous nous avez fait, que Dieu augmente votre prospérité, et nous le remercions en Dieu de votre bonne santé, et nous lui demandons de faire que la fin soit bonne. Il y a quelques jours que madame Zebeidé, votre épouse, est venue nous voir avec Soliman, votre cher fils ; après nous avoir rendu visite, nous avons désiré qu'ils séjournassent chez nous quelques jours pour se reposer et nous entretenir ensemble, mais ils n'ont pas pu, parce qu'ils n'avaient ordre ni permission de votre part.

Pour la perte du feu notre mari, nous sommes persuadés que le chagrin qu'elle vous a occasionné est vrai. Nous vous prions, notre ami, de continuer toujours de nous envoyer de vos lettres pour nous tranquilliser sur votre compte, et que Dieu vous préserve de tout mal.

La grande Nefissé, dame honnête.

Le 24 Saffar 1216 de l'hégire

L'empreinte de son cachet porte en lettres arabes [illegible], initiales de son nom [illegible].

ملحق رقم ٨

رسالة من شريف مكة إلى قائد اللواء الجنرال دونزلو مؤرخة فى ٢١ ديسمبر سنة ١٧٩٩ وثيقة رقم ١٧٤٤

(مصدر الوثيقة ملف رقم ١٠، بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

ترجمة حرفية بالفرنسية للرسالة العربية من شريف مكة الكبير إلى قائد اللواء دونزلو.

بسم الله الواحد الأحد، له كل الصلوات، الذى منه كل الخيرات والسلطات، و كلمتى أنا أمير مكة، إليك أنت دونزلو، الأمير الجنرال القومندان بالقصير، ليكن فى علمكم أن رسالتكم وصلتنا وفهمنا كل ما بها واعلمنا تجار مكة أن يضعوا ثقتهم فيكم وقد وثقوا فى كلامنا ونفذوه. وبعد المراكب التى وصلتكم سيصلكم غيرها، وتأكدوا بعد الثقة التى وضعتموها فينا أنكم سترون الكثير من التجار . استقبلوهم وعاملوهم بنفس الطريقة التى أفهمتهم إياها. وقد قررنا ذهاب بعضهم إليكم لأن بين أيدينا رسائل كضمان أمن وثقة من أمراء فرنسيين، وهؤلاء الأمراء لا يخونون الكلمة أبدا ولا يتكلمون إلا لغة واحدة. ومن أجل هذا يصل عندكم إبننا الشريف حسن. اعتنوا به حبا لنا وما ستعملونه له كأنكم تعملونه لى شخصيا ولكم منا التحية.

إمضاء الشريف عبد الله

٢٣ من رجب ١٢١٤ هـ

21 décembre 1799

1744

Traduction littérale en français de la lettre en arabe du Grand Chérif de la Mecque —
au général de brigade Donzelot

Au Dieu seul, il n'y a pas d'autre Dieu; à lui sont dues toutes sortes de prières; les dons, les biens sont sous sa puissance et viennent de lui, par ma parole de prince de la Mecque, à vous Donzelot, prince général commandant à Cosseir, qu'il vous soit connu que votre lettre nous est arrivée, que nous avons compris tout ce qui est écrit, et que nous avons fait comprendre à tous les marchands de la Mecque leur confiance et sûreté en vous; ils ont cru à vos paroles et s'y sont abandonnés, après les barques qui sont déjà venues à vous autres, vous viendront encore, et soyez sûr en vérité que, dans la confiance que vous nous avez donnée, vous verrez beaucoup de marchands; recevez-les et traitez-les de la même manière que je leur ai fait comprendre; et nous les disposerons et exciterons à venir auprès de vous, parce que nous avons dans nos mains des lettres, gages de sûreté et de confiance, des princes français; et ces princes ne trahissent point leur parole, et n'ont qu'un seul langage; aussi pour cela, il arrive auprès de vous notre fils, le chérif Hassane, ayez soin de lui, par amour pour nous, et ce que vous ferez pour lui, c'est comme si vous le faisiez à moi-même; et nous vous faisons savoir que nous vous saluons.

Signé: le Chérif, Esclave de Dieu.

L'an 1214, le 23 du mois Ragiab.

Pour copie conforme.
A. J. Lapanouse

ملحــق رقــم ٩

رسالة من محمد أغا حاكم مدينة ينبع إلى الجنرال دونزيلو مؤرخة فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٧٩٩، وثيقة رقم ١٧٤٥،

(مصدر الوثيقة ملف رقم ١٠ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

ترجمة عن العربية لرسالة محمد أغا حاكم مدينة ينبع إلى الجنرال دونزيلو

إلى دونزيلو حاكم القصير، الله أكبر يحفظه ويعطيه طول العمر، وبعد سلام عميق يمن الله عليه برحمته وبركاته.

علمنا أنكم تذكرونا. حمدا لله أننا بصحة جيدة ونرجو أن تكونوا أنتم كذلك وبعد...

سيصلكم الشريف حسن ابن العبد لله، ومعه خطابنا. وإذ كنتم تسألون عن المراكب فإن بعضها سيصل معه والبعض الاخر بعده، يوجد بها الكثير من البضائع. بعد ذلك سيصلنا الكثير من البضائع، فأرسلوا الينا مراكب الحبوب وسنبعث اليكم بالبن.

السنة الماضية كان البن قليلا فى اليمن ولم يكن مثل الأعوام التى سبقته ولكننا نأمل أن يصلنا الكثير منه هذا العام. وقد وصل فعلا بن جديد من اليمن إلى جده، وإذا أراد الله تصلنا قريبا.

أرجو لكم الصحة والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

محمد أغا من ينبع

٢٤ من رجب ١٢١٤هـ

1,5 22 doi. 1/33

Traduction de la lettre en arabe, écrite par Mahammed Aga, gouverneur de la ville de Lïomba au général Donzelot.

A Donzelot, gouverneur de Cosseïr, Dieu grand le conserve et lui donne longue vie; et, après une grande paix, que Dieu lui accorde sa miséricorde et lui donne sa bénédiction, et vous pensant à nous, sachez. Louanges à Dieu, que nous sommes en bonne santé, et nous espérons qu'il en sera de même à vous, ensuite de ses paroles, voilà qu'il vous arrive le Chérif Hassan, fils de l'Esclave de Dieu, notre seigneur et notre maître, et avec lui; c'est notre lettre, comme vous savez et si vous passez aux barques, certaines viennent après lui, et d'autres marchant après lui; il y a beaucoup de marchandises; après cela, il nous viendra encore d'autres biens, et vous envoyez-nous des barques de grains, et nous vous enverrons du café. L'année passée, il y a eu peu de café à Yémaine, et il n'y en a pas eu comme les autres années; mais celle-ci, nous espérons qu'il en viendra beaucoup; et il est déjà arrivé du café nouveau du pays de Yémaine en Geddah; et Dieu veille qu'il vous arrive sous peu; soyez en bonne santé; et la paix soit à notre grand prophète Mahomet et à tous ses descendants.

L'an 1214, le 26 Rayab.

Signé: Mahamet. Aga de Lïomba

Pour copie conforme,
A. J. Lapanouse.

ملحـــق رقـم ١٠

استيف الصراف العام ورئيس لجنة المؤن إلى لجنة الحبوب ببنى سويف
وثيقة رقم ٢٠٤٠ مؤرخة فى ١٨ نيفوز العام الثامن الجمهورى
(مصدر الوثيقة ملف رقم ٨ B6 39 بدوسيه رقم ١، بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٣١ يناير سنة ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

لقد قرأت بالأمس فى مقر لجنة المؤن خطابكم بتاريخ ١٣ من الشهر الحالى والذى تخبرونا فيه بإرسال ٥٠,٠٠٠ أردب شعير وفول وقمح من بنى سويف.

نحن نرجوكم أن تقوموا بكل استطاعتكم لكى تصل كمية ال ٢٠,٠٠٠ أردب قمح، والتى هى ضمن الكمية المذكورة سابقا، تبعا لأمر يوم ٩ من الشهر الحالى.
إن وصولها إلى القاهرة حيوى وبدونها ستكون حالة مؤن الجيش سيئة.

سلامـــى
استيــف

2040

Au Kaire, le 18 nivôse an 8

Estève, payeur général, président de la Commission des subsistances.

à la Commission des grains, à Benisouef.

J'ai lu hier, citoyens, à la Commission des subsistances votre lettre du 13 courant, dans laquelle vous nous annoncez le prochain départ, de Benisouef, de 30.000 ardebs d'orge, fèves ou blé.

Nous vous prions de faire tous vos efforts pour arriver aux 20.000 ardebs de froment qui doivent se trouver dans cette quantité, conformément à l'ordre du jour du Général. Leur arrivée au Kaire est indispensable, et sans elle la subsistance de l'armée est compromise.

Je vous salue
Estève

ملحــق رقــم ١١

أمر الجنرال كليبر المؤرخ فى يوم ١٧ فلوريال العام الثامن الجمهورى

إلى الإدارة العامة بالقاهــرة

مصدر الوثيقة ملف رقم ٧ B6 44، بمحفظة فترتها التاريخية من أول مايو إلى ٣١ مايو سنة ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

أمر يوم ١٧ فلوريال العام الثامن الجمهورى

الجيش قد أنبئ أن القائد الأعلى، باسم الجمهورية، قد أعطى السلام لمراد بك، وقد منح امتياز عوائد ريف جرجا.

أمر يوم ١٧ فلوريال عام ٨

"بقيــة"

من الان فصاعدا

المديرية الأولى ستشمل مديرية أسيوط والمنيا

المديرية الثانية، مديرية بنى سويف والفيوم

المديرية الثالثة، مديرية إطفيـــح، والجيزة

المديرية الرابعة، مديرية الشرقية والقليوبية

المديرية الخامسة، كما فى السابق، مديرية البحيرة ورشيـد

المديرية السادسة كما فى السابق، مديرية دمياط والمنصورة

المديرية السابعة كما فى السابق، مديرية الغربية

المديرية الثامنة كما فى السابق، مديرية منوف

أمــر يوم ١٧ فلوريال عام ٨

"بقيــــة"

قائد اللواء دونزلو Donzelos سيرأس المديرية الأولى

قائد اللواء زايونشك Zayonchek المديرية الثانية

قائد الفرقة فريان Friant المديريـــة الثالثـــة

قائد الفرقة رينييه Reynier المديريـــة الرابعة

قائد الفرقة لانوس Lanusse المديرية الخامسـة

قائد الفرقة رامبون Rampon المديرية السادسة

قائد الفرقة فردييه Verdier المديرية السابعة والثامنة

Au quartier general du Kaire le 17 floreal an 8

Ordre du jour du 17 floréal an 8

L'armée est prévenue que le général en chef au nom de la République, a accordé la paix à Mourad-Bey, en lui faisant concession du revenu de la [illegible] [illegible]

Ordre du jour du 17 floréal an 8.

(suite)

Désormais, le premier arrondissement [illegible]
les provinces de Seyouth et Minyeh,

le deuxième, des provinces de Beny-Souef et du Fayoum,

le troisième, des provinces d'Atfyeh [illegible] et de Gyzeh,

le quatrième, des provinces de Charqyeh et de Qelyoubeh,

le cinquième, comme ci-devant, des provinces de Boukhyreh et de

le sixième, comme ci-devant, des provinces de Rosette [illegible] et de Menouf [illegible]

le septième, comme ci-devant, de la province de Gharbyeh

le huitième, comme ci-devant, de la province de Mansoura

Ordre du jour du 1er pluviôse an 8

suite

Le général de brigade Donzelot commandera la première demi-brigade
Le général de brigade Zayonchek - - - - - - le deuxième
Le général de division Friant - - - - - le troisième
Le général de division Reynier - - - - le quatrième
Le général de division Lanusse - - - - le cinquième
Le général de division Rampon - - - - le sixième
Le général de division Verdier - [illegible]

ملحق رقم ١٢

رسالة من لابانوز الوكيل الفرنسى لمديرية طيبة إلى الشريف الكبير بمكة مؤرخة فى يناير ١٨٠٠

(مصدر الوثيقة ملف رقم ١٦ B6 40 بدوسيه رقم ٢، بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٣١ يناير سنة ١٨٠٠،محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة)

لقد أعطيتنا أيها الشريف الكبير دليل مؤثر على صداقتكم بوجود إبنكم الشريف حسن فى وسطنا الان لكى يجلب لنا أخباركم، ولقد سعدنا جدا لرؤيته. وقد أظهرنا له معزتنا وشعورنا تجاه سموكم. فتكونوا متأكدين أن أكبر طموحاتنا هو استمرار علاقات الصداقة والتجارة بيننا وبينكم. أرجو أن تعلمونا ما هى رغباتكم من هذا البلد الذى نحكمه نحن الان وستجدونا دائما فى خدمتكم على قدر استطاعتنا. نحن نعلم احتياجكم للحبوب، لهذا، سوف نرسلها لكم على وجه السرعة، وتبعا لاختصاصى فى موقعى هذا كوكيل للحكومة الفرنسية، فتأكدوا أنى لن أدخر وسعا لكى أكلف التجار بتحميل الحبوب من القصير، ومن جانبكم أرجو أن ترسل لنا الكثير من البن. وهذا التبادل بيننا سينتج عنه غنى مصر ومكه على السواء. لنكون أصدقاء دائما وليمت سوء الظن والكراهية الوحشية البربرية التى طالما تسببت فى محاربة الاتراك للمسيحيين والمسيحيين للاتراك.

إن الأمة الفرنسية قد استنارت وعادت لها المبادئ الإنسانية وجاءت إلى هذه المنطقة لتصلح المعتقدات الخاطئة. إننا جميعا بشر، كلنا اخوة، المسيحى والمسلم واليهودى، كلنا خلقنا إله واحد وله وحدة محاكمة البشر وله وحده الادانة فى التصرفات والمعتقدات وله وحده العقاب ولا يجب أن يلجأ البشر إلا لله.

فليرجع الأتراك إذن عن اخطائهم القديمة وليطمئنوا ويثقوا بنا نحن الفرنسيين. لقد جاء الفرنسيون إلى هذا البلد ليخلصه من العبودية وليرقى به.

وأنتم يا حضرة الشريف الكبير، الرئيس الروحى للديانة الإسلامية، والمسلمة لك المبادئ المقدسة والحامى للأماكن المقدسة لدى الأتراك والمسلمين عامة، نرجو أن تستمروا فى شهادتكم عن الصداقة التى تربطنا، وهى صداقة نعتز بها جدا هذه الشهادة سوف تقوى

أكثر فأكثر التوافق والوحدة الموجودة بيننا وبين الأتراك وستوفر سلام دائم بين الأمتين للفائدة المشتركة.

أتمنى لك كل السعادة وليزيد الله فى عمرك سنين عديدة وليحرسك الرسول العظيم، أنت وكل أبنائك حتى آخر الأيام..ألخ ألخ.

الوكيل الفرنسى ريف طيبا

لابانوز

ملحوظة : هذه الوثيقة كانت مرفقة لخطاب من القائد لابانوز إلى الجنرال بونابرت بتاريخ ٢٧ أكتوبر سنة ١٨٠٢

Cette pièce était jointe à une lettre du c[itoy]en Lapanouse au 1er Consul Bonaparte du 17 octobre 1802

Janvier 1800.

VD

Lapanouse, agent français de la province de Thèbes au grand Chérif de la Mecque.

Vous nous avez donné, Grand Chérif, une preuve bien marquée de votre amitié, en envoyant ici au milieu de nous votre cher fils, le Chérif Hassan, pour nous apporter de vos nouvelles; nous avons eu le plus grand plaisir de le voir et de pouvoir lui manifester tous nos sentiments pour votre personne vénérable. Soyez bien certain que notre ambition sera toujours de conserver avec vous toutes sortes de relations d'amitié et de commerce. Faites nous donc connaître quels peuvent être vos désirs sur ce pays, dont nous sommes maintenant possesseurs, et vous nous verrez toujours bien empressés à vous servir en tout ce qui dépendra de nos pouvoirs. Nous savons que vous avez besoin de grains, eh bien, nous vous en enverrons beaucoup; et pour ce qui me concerne dans ma place ici de commissaire du Gouvernement français, vous pouvez être assuré que je ne négligerai rien pour engager [illegible] marchands à apporter beaucoup de grains à Cosseir; et, de votre côté, Grand Chérif, envoyez-nous aussi beaucoup de café; cet échange réciproque de commerce entre nous fera la prospérité, la richesse, et de l'Egypte et de la Mecque. Ainsi, soyons donc amis pour toujours, et que ce préjugé cruel et barbare qui de tous temps a armé les Turcs contre les Chrétiens, et les Chrétiens contre les Turcs, se dissipe, s'anéantisse aujourd'hui. La Nation française, éclairée et rendue à tous les vrais principes humains, est venue dans ces contrées abjurer de semblables erreurs; nous sommes tous hommes, nous sommes donc tous frères, le Chrétien, le Mahométan, l'Hébreu, tous sont créés par le même Dieu; à lui seul appartient de juger les hommes, et de les blâmer dans leur culte et leur croyance, et à lui seul appartient de les punir. Ce n'est qu'à lui qu'ils doivent compte de leurs actions. Que les Turcs donc revenant de leurs anciennes erreurs et désormais qu'ils se livrent à toutes sortes de sentiments de confiance

et d'amour envers les Français ; ils sont venus dans ce pays pour les sortir d'esclavage et les rendre plus heureux ; et vous, Grand Chérif de la Mecque, chef visible du culte mahométan, dépositaire de ces lois sacrées et gardien du lieu le plus vénéré par les Turcs, continuez-nous toujours vos mêmes témoignages d'amitié, ils nous sont très précieux ; ils ne peuvent que contribuer à établir de plus en plus cette bonne harmonie et union entre les Français et les Turcs, et à amener enfin une éternelle paix entre ces deux nations pour leur commun bonheur. Je vous souhaite toute sorte de contentements, que Dieu vous conserve un grand nombre d'années et que le grand prophète vous protège, vous et tous vos descendants jusqu'à la fin des siècles &c. &c.

L'agent français de la province de Thèbes
— M. J. Lapanouse.

Pour copie conforme,
M. J. Lapanouse.

ملحق رقم ١٣

من قائد الكتيبة دونزلو إلى القائد العام الجنرال مينوا
أسيوط فى ٢٥ ميسيدور العام الثامن الجمهورى
(مصدر الوثيقة ملف بدون رقم B6 47، بمحفظة فترتها التاريخية من ١٠ يوليو إلى ١٩ أغسطس سنة ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

سيدى الجنرال

عاد الضابط الذى بعثته برسائلك إلى مراد بك وإليك رده كما عرضه على. لقد اسعدته رسالتك جدا وفى رسائله وأقواله يوحي اليك هذا البك أنه حسن النية. وأول شئ أظهره شدة تأثره لمقتل الجنرال كليبر الذى كان يعتبره صديقه وراع مخلص ويخشى ألا يجد من خليفته نفس المشاعر تجاهه. وقد اطمأن من التأكيد الكامل بأنك ستلتزم من ناحيته بكل ما وعد به سلفك. ثم تحدث عن سوريا والعداء الواضح من الصدر الأعظم وأرسل لإحضار خطاب من ابراهيم بك وحسن بك وطلب قراءتها عليه. وهى تجوى الأخبار التى أرسلتها لك فى العاشر من ميسيدور الماضى. لكن البكوات سجلوا أن الكثير من الشكاوى وصلت ضده، واتهموه أنه وفر مواد مشتعلة لحرق القاهرة أثناء الحصار، وأن الوزير فى شدة غضبه أرسل تقريرا للصدر الأعظم، ولكنهما قدما عنه شتى الأعذار متعللين أن مراد بك لم يتعاون معنا إلا لرغبته فى الهروب من الفقر والبؤس والهروب من سكنى الصحراء حيث أصبح العيش مستحيل، وانتهاز الفرص لاسترداد قوته وقد ختما الرسالة بقولهما أن الوزير لا ينقصه إلا القليل ويبعث بجيش كبير للقضاء على هؤلاء الكفار.

بعد هذه الرسالة اعتقد أن ابراهيم بك وحسن بك لهما نفس المصلحة التى للعثمانيين، وقد طمأن مراد الضابط من ناحية اعتماد الفرنسيين على وفائه ولن يتراجع أبدا عن تصميمه فى مقاسمتنا المصير وأن كل الوعود المعطاه له من جهتهم تخفى أحط النوايا الخبيثة. ولا يشك أن لرأسه ثمنا مثل كليبر وأنه يعلم أكثر منا ومنذ زمن طويل نوايا مبعوثى الصدر الأعظم وبالنسبة لاستعدادات الأتراك فقد أخبرنا بأننا سنهاجم من الجيش التركى وبأن ٥٠٠٠٠ رجلا سيرحلون من يافا فى طريقهم للقاهرة وأن ٣٠,٠٠٠ سيصلون

بين رشيد والإسكندرية للالتقاء فى نفس الموقع عند الضفة اليسرى للنيل، وهذه المجموعات مكونة من انكشارية وأرمن وألبان ولن يكون هناك فرسان بالإضافة لبعض العرب مع حوالى من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ من المماليك ٠

وقد أعلن مراد بك أن محمد بك الألفى لا يطيع أوامره وأنه فى الغالب ينتظر فى الصحراء بالقرب من القاهرة وصول الجيش التركى للانضمام له أو ربما كان مكلفا بتجنيد العرب وكان يجب تنبيهه بالانضمام له أو العودة للوراء٠ وفى حالة العصيان يجب تشتيت جيوشه والقضاء عليه قبل وصول الاتراك٠ وسينال منه اليأس٠

عندما يعلم أن أحدا من رجاله لم يقبل الانضمام لأعداء الفرنسيين٠ عندما سألته عن أخبار القصير أجاب بأن بارجه انجليزية غادرت الميناء بعد تأكدها أن الفرنسيين لم يعودوا يحتلوا الموقع وكان قد أنبأك بهذا يوم طلب منك امدادات من الأسلحة لاستخدامها فى حالة حدوث انزال من الأعداء، وقد علم أنه فى حالة الشك فى حسن نواياه ستمنع عنه هذه الإمدادات٠ عموما لقد تلقيت هذه الرسالة المرفقة لنفس الموضوع، وقد أجبت أنه ليس لدى أسلحة إلا ما يكفينى٠ وقد كتب لك رسالة فى نفس الوقت يحملها ابراهيم أغا، واعتقد أنه لو كنت أصدرت الأمر بإعطاء مدافع فلن تكون ذات عون كبير وسيتبين لك أنه فى حالة الرغبة فى إعطاء مراد بك دليل على الثقة به فلن يكون من اللائق ارسال بعضها إليه٠ عند مغادرة القصير تركت ١٦ قطعة وسبعة مدافع قطع ٦ حديد مع معدات بحرية لكن دون بودرة أو ذخيرة٠

إذا كانت اسلحتك تختلف عما كان لدى سلفك، فيجب، ليس فقط تموين هذه المدافع، ولكن العمل أيضا على تقوية هذا الموقع الذى لم ينتهى عند اخلائه عثرت على كمية من المونة، وأربعين قنبلة بالإضافة إلى ٣٠٠ عيار ٢٤ وبعض من عيار ١٦ وعيار ١٢ وانى انتظر يا سيدى الجنرال أوامرك بخصوصها٠

نعود لحديث مراد، انتهى إلى القول أنه شديد الوفاء والصداقة مع الفرنسيين وله كلمة واحدة يحافظ عليها بحياته وأننا لا يجب الشك فيه٠ وأن مصيره مرتبط بمصيرنا وإذا حدث لا قدر الله مكروه وانقلب الحظ ضدنا سينظم لنا فورا ولىس لديه أى جانب آخر

يناصره. وسينتهز الفرصة المتاحة الان لتدريب بعض المماليك لتكون على مستوى مشاركتنا كل الأعمال إذا دعت الضرورة لذلك وسيستمر فى مراسلة عدونا المشترك ولن يضيع دقيقة فى تبليغنا أى شئ وفى حالة الهجوم علينا حلف براسه أنه سيحافظ على أمن صعيد مصر من أول أسوان حتى أبوب القاهرة ولكن ليس أبعد من ذلك.

أخيرا بدون تعليقاته هذه أخبرنى الضابط أنه لاحظ حسن النوايا على وجه مراد بك مما لا يترك أى مجال للشك.

حاليا سيدى الجنرال لديك الان رده وأرجوك اتخاذ القرار فى طلباته بخصوص تأجيل الميرى لهذا العام وزيادة بضعة قرى، وكان لى الشرف فى الكتابة لكم فى هذا الموضوع.

تحياتى واحترامى

دونزلو

a Siout, le 25 messidor an 8

Le général de brigade Donzelot
au général en chef.

Mon général,

L'officier que j'ai envoyé porter vos dépêches à Mourad est de retour. Je vous adresse la réponse qu'il vous a faite ainsi qu'à moi. Votre lettre lui a causé beaucoup de joie. Dans ses écrits comme dans ses paroles, ce Bey donne toujours à penser qu'il est de bonne foi. Voici le résultat des différentes conversations qu'il a eues avec cet officier. Il a d'abord témoigné combien il était sensible à l'assassinat du général Kleber, qu'il considérait comme ami et protecteur sincère, et qu'il craignait de ne pas trouver dans son successeur les mêmes sentiments pour lui. Il fut tranquillisé par l'assurance de votre entière et ferme volonté de vivre en bonne harmonie et de faire, pour lui tout ce que votre prédécesseur lui avait promis.

On parla alors de la Syrie et des dispositions hostiles du Grand Visir. Il envoya chercher une lettre d'Ibrahim-Bey et d'Osman-Bey, dont il fit faire la lecture. Les nouvelles qu'elle contenait sont celles que je vous ai adressées le 10 messidor dernier. Mais ces Beys mandaient en outre qu'il était venu au Visir beaucoup de plaintes contre lui; qu'on l'accusait même d'avoir fourni des combustibles pour incendier le Kaire lors du siège; que le Visir furieux en avait rendu compte au Grand Seigneur; qu'ils l'avaient néanmoins excusé autant qu'ils l'avaient pu, en l'assurant que Mourad n'avait traité avec vous que pour se soustraire à l'indigence, pour cesser d'habiter les déserts où il ne pouvait plus tenir et pour se donner le temps de rétablir ses forces; enfin ils finissaient par dire que sous peu le Visir se mettrait en marche avec une armée nombreuse et qu'ils espéraient que les païens seraient détruits. Il faut croire, d'après cette lettre, que ces deux Beys font cause commune avec les Osmanlis. Mourad a assuré l'officier que les Français pouvaient compter sur sa fidélité; que rien ne l'ébranlerait dans sa résolution de partager notre sort; que toutes les promesses qu'on lui faisait cachaient les plus noires perfidies; qu'il ne doutait pas que sa tête ne fût mise à prix, comme celle de Kleber, et qu'il connaissait mieux que nous et de bien plus longtemps les intentions des envoyés du Grand Seigneur. Quant aux hostilités, il pense, d'après ce qu'on lui a mandé ces dits,

que nous serons incessamment attaqués par les armées turques ; que 50.000 hommes doivent partir de Jaffa pour marcher sur le Kaire ; que 30.000 doivent débarquer entre Rosette et Alexandrie, pour se réunir sur le même point par la rive gauche du Nil ; que ces troupes seront composées de Janissaires, d'Arnautes et d'Albanais, et qu'ils y auraient peu de cavalerie, si ce n'est quelques Arabes et environ 500 mamelouks.

Mourad a bien recommandé de dire que Mahamed Bey l'Elfi n'est point obéissant à ses ordres ; que probablement il attend dans les déserts voisins du Kaire l'arrivée de l'armée turque pour se joindre à elle ; que peut-être il est chargé d'insurger les Arabes et qu'il fallait lui notifier de le rejoindre ou de retourner chez le Visir, et, dans le cas de non obéissance, à le disperser et le détruire avant l'arrivée des Turcs. Il serait au désespoir que l'on crût, ni que l'on dît, qu'aucun des siens se fût réuni aux ennemis des Français.

Lui ayant demandé des nouvelles de Cosseir, il a répondu qu'il avait fait un bâtiment de guerre anglais qui, ayant appris que les Français n'occupaient plus le fort, était reparti de suite ; qu'il vous avait mandé cette nouvelle en vous demandant de l'artillerie de bataille pour s'en servir au besoin contre un débarquement, ajoutant que si l'on doutait de sa foi et de l'amitié qu'il avait jurée aux Français, on pourrait se dispenser de la lui envoyer.

D'ailleurs, j'ai reçu la lettre ci-jointe pour le même objet. Je réponds que je n'ai que l'artillerie qu'il me faut. Il vous a écrit en même temps une lettre, qu'Ibrahim Aga vous portera. Je pense que si vous êtes décidé à donner des canons, ils devraient être très faible calibre ; vous jugerez si, pour donner à Mourad un témoignage de confiance en lui, il ne convient pas de lui en envoyer quelques-uns.

En quittant Cosseir, j'y ai laissé une pièce de 16 et sept canons de 6 en fer, avec des affûts marins, mais sans poudre ni fers coulés. Les ordres sont différents de ceux de votre prédécesseur, il conviendrait non seulement d'approvisionner ces canons, mais de travailler aux fortifications de ce fort qui n'est point achevé. En m'en allant, j'y ai aussi enterré un mortier de 8 pouces, une quarantaine de bombes, plus 300 boulets de 24, quelques boulets de 16, de 12 et des boulets ramés. J'attends, mon général, vos ordres sur ce que vous jugez convenable qu'il soit fait.

Revenant à l'entrevue de Mourad, il a fini par dire qu'il avait juré fidélité et amitié aux Français ; qu'il n'avait qu'une parole, qu'il y tiendrait au péril de sa vie, que nous ne devions pas douter

D'après les circonstances, que son sort se fût lié au nôtre ; que si par un malheur imprévu, l'armée française éprouvait un revers, il s'unirait à nous sur-le-champ ; qu'il n'avait pas d'autre parti à prendre ; qu'il allait profiter du moment de repos, pour instruire ses Mamelouks, les monter, réarmer, et se mettre en état de partager honorablement nos travaux, s'il en était besoin ; qu'il continuerait sa correspondance avec l'ennemi commun comme il l'avait promis ; qu'il ne perdrait jamais un instant à nous instruire de tout ; qu'au surplus, dans le cas où nous serions attaqués, il répondait sur sa tête de la tranquillité de la Haute-Egypte, depuis Syène jusqu'aux portes du Caire, mais pas plus loin.

Enfin, dans ces différentes conversations, l'officier dit avoir remarqué un air de bonne foi qui ne laisse aucun doute sur les intentions de Mourad.

Actuellement, mon général, vous avez sa réponse ; je vous prie de prononcer sur les diverses demandes qu'il a faites à l'égard de la remise du miri pour cette année et de quelques villages d'augmentation. J'ai eu l'honneur de vous écrire à ce sujet.

Salut et respect

Donzelot

ملحــق رقــم ١٤

من كليبر إلى حكومة الإدارة ٢٥ بروميير العام الثامن الجمهورى (١٦ نوفمبر ١٧٩٩)
وثيقة رقم ١٧٤١ بملف رقم ١٤، دوسيه رقم ١، بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

السـادة الأجـلاء

هذا تقرير بالأحداث التى مرت على مصر بعد آخر تقرير أرسلته بتاريخ اليوم السادس التكميلى من العام ٧ (٢٢ سبتمبر)

الصعيـد

مراد بك بعد هزيمته على يد المساعد العام موران يهيم فى صحراء الصعيد ولا يقترب من الوادى إلا لكى يتزود بالمؤن. الجنرال ديزيه كان يريد التخلص من هذا العدو الذى لا يكل بأى ثمن، لذلك جمع طابورين من الجنود على الجمال والخيول والمدفعية هذا الجيش تحرك من أسيوط أوائل شهر فاندميير، يقود الطابور الأول الجنرال ديزيه والطابور الثانى الجنرال بواييه.

يوم ١٧ منه (٩ أكتوبر) المساعد العام بواييه - بعد ثلاثة أيام من السفر- تقابل مع مراد بك فى صحراء سدمنت، ما أن ترجل الجنود من على الجمال وجمعوا صفوفهم إلا كانوا قد تعرضوا لهجوم مشترك من المماليك والعرب، لكنهم دافعوا بقوة بالبنادق والسيوف، لكن العدو كان ماهرا فى حربه فوق الجمال وكاد أن ينتصر ثلاثة مرات لكن جنودنا ردوا ببسالة. فى النهاية هرب المماليك والعرب وقام الجنود بملاحقتهم بالجمال. فقدنا فى المعركة جندى واحد و١٧ جريح ترك العدو فى الرمال أكثر من ٤٠ قتيل.

أعطيت أوامرى إلى الجنرال ديزيه أن يعود إلى القاهرة ليقود مجموعة فى الجيش الذى سيحارب الوزير القادم من سوريا.

الجنرال بواييه سيتابع الحرب مع مراد بك الذى يهرب منه دائما هذا البك مل من الهروب المستمر، عبر النيل يوم ٣٠ فاندميير (٢٢ أكتوبر) من عند أطفيح وهو يتجنب

قوات الجنرال رمبان ودخل إلى الصحراء الشرقية وأخذ طريق السويس ثم توقف وعاد إلى الصعيد، وفى كل مكان كانت تلاحقه قواتنا دون أن تستطيع الإمساك به، وفى كل مكان يصل إليه ينشر إعلانات الصدر الأعظم ليشعل الثورة بين الأهالى دون جدوى.

الجنرال بوابيه أظهر شجاعة عالية فى حروبه وكان جيشه مكون من الكتيبة ٢١ المدفعية الخفيفة والفيلق ٨٨ .

Au quartier général du Kaire, le 25 Brumaire an 8 (16 nov 1799)

Kleber, général en chef,
au Directoire exécutif.

Citoyens Directeurs,

J'ai à vous rendre compte des événements qui ont eu lieu en Egypte depuis la dernière relation que j'ai eu l'honneur de vous adresser, en date du 6e jour complémentaire an 7.

Haute Egypte

Mourad-Bey, après la défaite que lui fit éprouver l'adjudant-général Morand, errait dans le désert de la Haute Egypte et ne rentrait dans le pays cultivé que pour y faire des vivres ou prendre quelque repos. Le général Desaix qui cherchait, à quelque prix que ce fût, à se débarrasser de cet infatigable ennemi, organisa deux colonnes mobiles composées d'infanterie montée à dromadaires, de cavalerie et d'artillerie; ces colonnes partirent de Siout dans les premiers jours de vendémiaire, commandées l'une par le général Desaix lui-même et l'autre par l'adjudant général Boyer.

Le 17 du même mois, l'adjudant-général Boyer, après trois journées de marche forcée, joignit Mourad-Bey dans le désert de Sédiman. A peine notre infanterie eut-elle le temps de mettre pied à terre et de réunir ses dromadaires, qu'elle reçut la charge de Mamelouks et des Arabes réunis. Elle la repoussa avec vigueur, et par la baïonnette, et par un feu de mousqueterie à bout portant. Cependant les dromadaires devinrent l'objet de la convoitise des ennemis et trois fois ils tentèrent de s'en rendre maîtres; mais nos troupes ne s'ébranlèrent point et répondirent avec la même valeur à ces attaques réitérées. Enfin, les Mamelouks et les Arabes prirent la fuite, et notre infanterie, remontée sur ses chameaux se mit à la poursuivre aussitôt. Nous eûmes dans cette affaire un homme de tué et dix-sept blessés. L'ennemi abandonna dans les sables plus de quarante cadavres.

Je donnai alors l'ordre au général Desaix de se rendre au Kaire pour prendre le commandement d'une division dans le corps d'armée destiné à agir contre le grand visir qui s'achemine de la Syrie.

L'adjudant-général Boyer poursuit aux talons Mourad-Bey.

qui toujours lui échappe au moment où il croit l'atteindre. M. Bey fatigué de ces courses continuelles, passe le Nil le 30 vendémiaire à la hauteur d'Atfyéhhly; il évite les troupes du général Rampon qui se trouvait alors dans cette province, s'enfonce dans la vallée de l'Égarement, prend la route de Suez, s'arrête, revient sur ses pas et retourne dans la Haute Égypte. Il est partout poursuivi et harcelé sans que pourtant jusqu'ici il ait pu être atteint. Dans sa course, il répand avec profusion et des proclamations du grand visir et des firmans de la Porte, pour exciter les habitans à la révolte; mais ces adresses multipliées n'ont encore produit aucun effet.

Je dois les plus grands éloges à l'intelligence et à l'infatigable activité de l'adjudant-général Boyer; son détachement était formé de la 21e d'infanterie légère et de la 88e de bataille.

Frontières de la Syrie.

Pendant que ceci se passait dans la Haute Égypte, le Grand Visir avec son armée s'acheminait de Damas vers Gaza, où il a établi son quartier général; son avant-garde est déjà à Khan-Younès. On estime la totalité de ses forces à soixante-mille hommes, non compris les troupes de débarquement envoyées directement de Constantinople, et dont il sera parlé ci-après.

Dès que ce mouvement du Visir parvint à ma connaissance, je fis partir du Kaire la division Reynier, pour aller camper à Belbeis, et renforcer les postes d'El-Arich, Qatyeh et Salehhyéh.

Connaissant aussi la pénurie des subsistances qu'éprouvait l'armée ennemie, et sachant que les Arabes, par de nombreuses caravanes partant d'Égypte contribuaient à l'alimenter, j'ai défendu, sous peine de mort, toute espèce d'exportation, et j'ai abandonné aux troupes la valeur des prises qui pourraient être faites par elles. Cette mesure m'a procuré en très peu de temps environ huit cents chameaux ou dromadaires qui ont été distribués aux corps et aux différents services de l'armée. On peut dire en ce moment que les déserts de l'isthme de Suez, ceux de la Haute Égypte et de la Bahyréh sont presque aussi connus des soldats français, que des Arabes qui y demeurent ou les parcourent habituellement.

A moins que le grand Visir, éclairé sur les intérêts de la Porte, ne prête l'oreille aux propositions que je lui ai faites dans les négociations que j'ai ouvertes avec lui, je m'attends à être attaqué avant quinze jours.

Il me reste à vous entretenir de ce qui s'est passé sur les côtes et particulièrement à Damiette.

Basse Égypte.

Les mouvements de l'armée de Syrie, ceux de Mourad Bey m'auraient annoncé quelque entreprise sur les côtes, si je n'en avais pas été prévenu par le grand visir lui-même.

Déjà, le 2 vendémiaire, dix-huit bâtiments turcs mouillaient devant la

ملحــق رقــم ١٥

من مديــر البحريـــة لــوروى إلى القائـــد الأعلى

وثيقة بدون رقم مؤرخة فى القاهرة ١٣ فريمير العام التاسع الجمهورى، ملف رقم ٤ 58 B6، بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

القائــد المواطـــن

ليس من اختصاصى أن أخبرك بأى شئ خارج اختصاص البحرية ولكن لن أكون عند حسن ظنكم إذا لم أطلعكم على هذه الشكوى التى وصلتنى.

الحركة الملاحية فى النيل تقل يوما بعد يوم أعتقد أن تعطيل التجارة بالقصير قد أضر بالزراعة والملاحة بصعيد مصر. وأنا واثق أن القائد الأعلى سيكون عنده الحل اللازم لهذه المشكلة.

سلامى واحترامى

لو روى

Au Kaire, le 13 frimaire an 9

Le Préfet maritime de l'Égypte Le Roy
au général en chef.

Citoyen général,

Il ne m'appartient pas de vous entretenir d'autres objets que de la Marine, mais à coup sûr je deviendrais mal en intentions si je ne vous communiquais l'extrait ci-dessous de ma correspondance :

« La navigation du Nil diminue tous les jours ; je crains qu'on n'ait fait un grand tort à l'agriculture et à la navigation de la Haute Égypte, en cherchant à arrêter le commerce par Cosseir. Mais, si cela est, sans doute le général en chef, qui ne s'occupe que du bien de l'Égypte, y portera le remède nécessaire. »

Salut, respect

Le Roy

(Original)

ملحـــق رقـــم ١٦

من الجنرال ديزيه إلى الجنرال كليبر القائد العام لجيش مصر
وثيقة رقم ١٨٠ مؤرخة من أسيوط فى ٢٦ فروكتيدور العام السابع الجمهورى
١٢ سبتمبر ١٧٩٩، ملف رقم ١٦، محفظة فترتها التاريخية من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس
١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

الجنرال ديزيه إلى الجنرال كليبر القائد العام لجيش مصر

لقد وصلت يا سيدى القائد من الصعيد حيث قمت بجولة، لقد أردت أن أذهب لأرى "القصير" ولكن خبر رحيل القائد الأعلى منعنى من ذلك على أى حال كان يلزمنى ١٢ يوما لذلك وأنا كنت متعجل للعودة لأتمم استعداداتى لمتابعة مراد بك. لقد تلقيت الخطابات التى أرسلتها لى يوم ٩ من رشيد لقد تلقيت بكل البهجة خبر تعيينكم قائدا عاما للجيش وخبر رحيل القائد الأعلى إلى أوروبا. أنت تعلم التقدير الذى أكنه لك لذلك فأنت تعلم أنى سأخدم تحت إمرتك بكل إطمئنان وثقة. كلٌ الجيش يشاركني الرأى ولا يشعر بأى قلق ولك أن تطمئن أنه سيقوم باللازم لسلامته ولوجوده. الجميع مطمئن. القائد الأعلى الان فى فرنسا، لنا ثقة فى نشاطه وموهبته وقدراته لكى يحسن من موقفنا. يجب عليك يا سيدى القائد وأنت فى القاهرة أن تكون مدرك لموقفنا. لقد شرحته مسبقا للقائد الأعلى وللجنرال دوجا فى جملتين.

أما عن موقف أعدائنا فهو كما يلى : جنوب الشلالات حسن بك جداوى مع عثمان بك حسن، وجالا بك تحت إمرته حوالى ١٥٠ فارس ومعهم سليمان بك أبو دياب جريح ومعه ٥٠ رجل البكوات الأربع مرابطون جنوب الشلالات على بعد يومين، يحيون حياة بائسة. لكن عندما تترك جيوشنا أسوان سيتجهون إليها وسيعصفون بكل البلاد وسينظمون صفوفهم ويبرهنوا أنهم أعداء شديدى السطوة أو الخطورة.

وبالقرب من أسيوط يوجد سليمان بك، وعثمان بك وابراهيم أغا كاشف مراد بك وحوالى ١٠٠ عربى، بقى فى النهاية مراد بك مع محمد بك المنفوخ، وعثمان بك برديسى

وعثمان بك الطنبورجي، اتحدوا بعد المفاجأة التى حدثت لهم بالقرب من جرجا، مجموعهم حوالى ٢٠٠ رجل، وتبعا للتقارير الأخيرة فهم الان بين أسيوط والفيوم فى هذه المنطقة توجد عدة قبائل عربية اتحدوا معهم مثل الجهمة وبها حوالى ٣٠٠ فارس.

لقد أغدقت عليهم بالخيرات [يقصد قبيلة الجهمة] لأحلهم من ارتباطهم، لقد أعطيتهم أراضى وقمح، كل شئ يكفل لهم حياة كريمة ولم يكن لهم من قبل وسيلة للعيش سوى بيع الجمال التى يصطادوها من أى مكان ما إن ابتعدت عنهم قليلا حتى ثاروا وهاجموا الكثير من المناطق وسببوا خسائر هؤلاء هم كل أعدائنا.

لهزيمتهم هذه هى خطتى من العبث الذهاب ورائهم لأنهم يهربون باستمرار، أنا أتصور أنه يمكننى هزيمتهم على الجمال، ولقد جمعت عدد كبير منها وأمرت بصناعة سروج لها، طابور واحد من الجنود غير كافى لتدمير أعدائنا فهم يهربون منه، لابد من تطبيق طريقة الخطاف (الكماشة)، أنا احتاج إلى طابورين من الجنود يسير كل منهما على بعد ثمانية أميال من الاخر، إذا حاول البكوات الهرب سيضطرون لعمل دوران كبير جدا ومع خيولهم المجهدة سيصعب عليهم ذلك وسيجدون أنفسهم أمام جيشنا وهم فى غاية الإجهاد.

وهكذا يا سيدى القائد سأرحل مع طابورين من الجنود ومعى ٥٠٠ جمل تم تدريبها. الطابور الأول سيتكون من ٣٤٠ جمل ومدفعين صغيرين، لن يكون به أى خيل مما سيسهل حركته. الطابور الثانى يتكون من ٣٠٠ حصان و١٥٠ جمل وقطعتين من المدافع على بعد ١٠ أميال. بهذا الأسلوب لا أعتقد أن مراد بك يستطيع الفرار. فى نفس الوقت الجنرال بليار يجمع ٣٠٠ جمل وسيقسمها على طابورين، سيذهب حتى ٧ أو ٨ أميال جنوب الشلالات لتشتيت البكوات هناك.

وسيتبقى بعد ذلك مجموعة أخرى من المماليك وهم أغنياء وتصحبهم نساؤهم، تفكيرهم فى الراحة وليس فى الحرب. بعد أن نهزم مراد فى الصحراء، سأرسل لهم مجموعة لتفرقتهم، بعد الثلاث حملات، صعيد مصر سيكون بلا أعداء. سنطرد منه بسهولة

الباقين، ولكنهم يعودون بسرعة لأن الصحراء، حيث يلجأون، تجبرهم على العودة سريعا إلى الأراضى الخصبة، ولكن بعدد قليل من الجمال نستطيع طردهم.

إذا تخلصنا من المماليك، مصر العليا ستكون هادئة وفى سلام، فالشعب فيها أفضل من أى مكان آخر، فهو صاحب أرض وقد دافع بقوة عن حريته ولكنه أسهل فى القيادة عن أهل مصر السفلى، فلا يوجد بدو مما يسهل الأمور.

لكن يوجد موقع هام هو "القصير"، هذا الميناء الهام يستحق كل اهتمامنا فمنه المنطقة العربية تساعد أعدائنا ومنه سيهاجمنا الإنجليز. فمنذ شهر حدثت غارة من سفينتين من سفنهم وقد دمروا القلعة تقريبا بأربعة آلاف طلقة مدفع. الجنرال دونزلو الذى لا يكل قام بكل ما يستطيع لترميمها ولكن امكانياته قليلة والاصلاح يحتاج إلى أموال كثيرة. إذا كانت القلعة قد تم ترميمها وفى حالة جيدة لما خشيت شيئا لأن كل الأرض المحيطة بها صخرية شديدة ولكن يجب أن نمنع اقتراب السفن الأجنبية حتى لا تدمر القلعة تماما ونستطيع ذلك عن طريق وضع مدافع من الحجم الكبير على مسافات مناسبة. هناك إثنان من هذه المدافع فى قنا ولكنها من الكبر بحيث تحتاج إلى آلات ضخمة لجرها، الآلات المعتادة لن تستطيع نقلها. فى قنا نعد الشباك الحديدية والفحم وسنقيم فى القصير أفران، بهذه الطريقة نستطيع إبعاد سفن الأعداء. وأنا أكلفك يا سيدى القائد أن ترسل لنا مدافع من الحجم الكبير، وإذا لم يكن باستطاعتك، أرسل لنا الالات اللازمة لنقل مدافع قنا. سور القصير سمكه أربعة أقدام فقط ونحن نعمل لكى يكون بالسمك المطلوب. وهذه العلية تحتاج لكثير من الوقت. فى قنا أقمنا تبعا لأوامر القائد العام قلعة متينة من الأحجار محاطة بتحصينات بعرض ٣٠ قدم وهى فى حالة جيدة جدا، وفى خلال شهر المساكن ستكون جاهزة بحيث لا نخشى أى هجوم. هناك ٢٠٠ رجل سيقومون بحمايتها بضراوة.

هذه هى كل تحصيناتنا. هذه القلعة وقلعة القصير ستمنع خروج الحبوب بدون علمنا من الصعيد وهكذا نكون مسيطرين على أماكن التجارة على هذا الطريق. ولكى نحكمه احكاما دقيقا نستطيع أن نبنى برجان بجانب النبعين؛ وهكذا لن يستطيع أحد التحرك إلا بأمرنا عندما ننتهى من قلعة قنا سنشرع فى بناء البرجين. إذا طردنا المماليك تماما من

الصعيد، وبهاتين القلعتين وبداخلهما ٤٠٠ رجل لن نخشى أى شئ من مصر كلها. ولكن احتاج إلى عدد أكبر من الأفراد وهذه هى المشكلة.

بنى سويف والمنيا تحت حماية عدد قليل من فرقتى ولكنهما ليسا تحت إمرتى. أسيوط وجرجا وإسنا تحت قيادتى. فى كل مدينة يوجد معسكر به جنود يكفوا لمواجهة هجمات الأهالى أى حوالى ٥٠ جندى، عندى ٤٠٠ جندى من الفرسان منهم ٤٠ لا يملكون سروج وقد أمرت بتصنيعها على وجه السرعة. غير ذلك عندى ٥٠٠ جمل و١٠٠ رجل مجهدين ولا يستطيعون القيام بعملهم.

جرجا بها ٢٠٠ رجل، وقنا بها ٣٠ حصان وعدد مماثل من الفرسان و٣٠٠ رجل، ى القصير ٣٠٠ وفى إسنا ٣٠٠ وفى أسوان ٢٠٠، الخمسمائة جمل الموجودة فى أسيوط وبعض الفرسان من الجيش، متجهة لمهاجمة مراد والباقى سيبقى للحماية هنا فى جرجا. الجيوش التى ستبقى فيها ستطارد المماليك لأنهم دائما يلجأون إليها فى وقت الحروب. الصحراء فيها كثبان رملية والنيل له مسارات تسمح باختفاء البعض فيها.

فى القصير أحتاج إلى ٣٠٠ رجل لحمايتها وأيضا للعمل فالسكان لا يساعدونا إطلاقا فعددهم قليل كما أنهم يهربون عندما نسوقهم للعمل. الفرق فى قنا يجب أن تكون مستعدة لحماية القصير فى حالة الهجمات الكبيرة. ولحماية القلعة سأترك بها بعض الفرسان لكى يساعدوا المشاة الذين سأنزلهم فى القصير.

الفرق فى إسنا وأسوان مهمتها منع حسن بك الجداوى من التحرك بدلا من استخدام فرقة من مائتى رجل لمهاجمته لأنه يهرب بمناورات ليس لها عدد. فرقتان ستمنعان العدو من التحرك جنوب أسوان. هذا هو استخدام كل قواتنا.

إن الجنرال بليار هو الذى أطلعنى على هذا، مشكلة الحصول على سفن ومشكلة عدم قدرتى على التحرك مع هذا الهواء الشديد جعلتنى أقرر أن أصحب معى هذه الفرقة إلى الفيوم. من هنا تستطيع أن ترحل إلى القاهرة عن طريق السفن.

بخصوص الدخل من الأرياف فهو دخل مرتفع (أسيوط وجرجا وإسنا) بالرغم من أن المماليك قد حصلوا على جزء من الضرائب إلا أننا حصلنا على ١,٤٠٠,٠٠٠ جنيه، دفعنا منها مصاريف جيوشنا من شهر بروميير وحتى شهر ترميدور بالإضافة لشهرين من المتأخرات مما يجعل المجموع ١١ شهرا، فى خلال شهر سيكون علينا جمع ٢٥٠ ألف جنيه من طيبة ونفس المبلغ من جرجا، الفرسان فى حالة جيدة وتمارس عملها بكفاءة عالية فى المنطقة حيث توجد خيول من سلالات جيدة، بعد الفيضان إذا رغبت فى ٥٠٠ حصان يمكننى إرسالها بسهولة من أسيوط وجرجا ولكن فى إسنا لا نحصل إلا على الجمال فعندهم منها الكثير هذا هو كل ما يمكننى أن أطلعك عليه بخصوص موقعنا،

عندما ننتهى من مراد نستطيع أن نستخدم الفرسان المكلفون بهذه المهمة فى أى شئ أو حتى تخفيض عدد الحامية ولكن المهم هو التخلص من هذا العدو الذى لا يكل،

سلامـــى

ديزيـــه

أنا أفكر يا سيدى القائد فى أن أذهب خلف مراد بك خلال ستة أيام ولكن ما يعوقنى هو ٦٠ رجل لم يعودوا بعد، كما أن مدفعيتى فى حالة سيئة ولا أستطيع اصلاحها،

أريد الحصول على صناديق قطع غيار للمدافع رقم ٣، ٥ إذا استطعت إرسالها إلى القائد زايونشك الموجود بالفشن يستطيع أن يسلمنى إياها، وستكون هذه خدمة جليلة منك، أرجو أن ترسل لى أوامرك على بنى سويف وهم يستطيعون الاتصال بى، إذا انتهيت من مراد بك بسرعة سيمكننى أن أذهب لرؤيتك مما سيسعدنى كثيرا، أنا أعتقد أن مراد سيتجه إلى الإسكندرية من المهم متابعته ومهاجمته عندما أكون فى الفيوم، أرجو أن تأخذ هذا فى حسبانك،

ديزيـــه

Siout, le 26 fructidor an 7 (12 sept. 1799)

Le général Desaix
au général Kléber, commandant en chef l'armée d'Egypte

J'arrive, mon général, de la Haute Egypte où j'ai été faire une
tournée. Je voulais aller voir Cosseir. Mais le départ du général
en chef que j'ai appris dans cet intervalle m'en a dégoûté.
D'ailleurs, il m'aurait fallu douze jours et je suis pressé de revenir
pour terminer mes préparatifs pour achever Mourad-Bey. J'ai reçu
les lettres que vous m'avez adressées du 7 à Rosette. J'ai appris avec
la plus grande joie votre nomination au commandement de l'armée,
et le départ du général en chef pour l'Europe ; vous savez l'estime
que j'ai pour vous, ainsi vous devez voir que je servirai sous vos ordres
en toute confiance. Toute l'armée juge comme moi, elle est sans inquiétude
aucune, très contente et sait bien qu'elle ne fera avec vous tout ce qui sera
nécessaire pour son salut et son existence ; elle ne regarde pas cela
pour peu de chose. Nous sommes très tranquilles. Si le général en
chef arrive en France, nous espérons de son activité, de son zèle et
de ses talents qu'il améliorera notre sort. Vous devez à présent,
mon général, vous trouvant au Caire, connaître notre situation. Je
l'ai fait continuellement connaître au général en chef et au général Dugua.
En deux mots, voici où nous en sommes. Depuis Benisouef jusqu'à Siena
il y a la 21e ½ brigade légère et la 88e de ligne, la plus grande partie
des 22e chasseurs et 20e dragons, 70 hommes du 18e de dragons. Voici nos
ennemis : au dessus des cataractes, Hassan-Bey-Jeddaoui, avec Osman Bey
Hassan et Sala Bey qui sont sous ses ordres et environ 150 chevaux,
avec lui Sélim Bey Abou-Diab, blessé et estropié ; celui-ci a 50 hommes ;
ces 4 Beys se tiennent au dessus des cataractes, à deux journées, vivent
misérablement ; mais sitôt que nos troupes quittent Siène, ils descendent
dans le pays, y font des ravages, s'y organisent et sont prêts à nous
présenter des ennemis dangereux. Dans les déserts vis-à-vis Siout, se trouvent
Soliman-Bey, Osman-Bey, Ibrahim aga Silmardar Kiachef de Mourad,
plusieurs Arabes, environ cent hommes. Il reste enfin Mourad-Bey avec
Mohamed Bey El Manfoukh, Osman-Bey Tambourgi et Osman Bey Ottoumbaïgi
qui, après la dernière affaire près de Gizé se sont réunis à lui.

– ils forment 200 hommes [illegible] ; ils sont, d'après les derniers rapports, entre ici et le Fayoum ; dans cette partie se trouvent plusieurs tribus d'Arabes qui se sont unis avec eux, entre autres celle de [illegible] de 300 cavaliers. Je les avais comblés de biens pour les détacher de leur alliance, je leur avais donné des terres, du blé, enfin de quoi bien exister. Cette tribu n'avait pour tout moyen de vivre que des chameaux chassés de partout, elle n'avait aucun moyen de se soutenir. [illegible] qu'ils ont pillé partout et commis mille dégâts, [illegible] nos ennemis.

Pour les détruire, voilà mes dispositions. De l'infanterie suit [illegible] ces ennemis qui fuient toujours ; j'ai imaginé de les combattre monté sur des dromadaires ; à force de soin, je suis parvenu à en rassembler, à faire faire des selles, et j'espère en tirer bon parti. Une colonne seule ne suffit pas pour détruire ces ennemis ; ils jouent aux barres avec elle, l'évitant sans cesse par le moyen des crochets et lui échappent. Deux doivent être plus heureuses, marchant à 8 lieues l'une de l'autre ; si les Beys veulent les éviter, ils sont obligés à un détour immense. Avec leurs chevaux, ils auront de la peine à y réussir et se trouveront toujours très près de nous, de manière à tomber entre nos mains après des marches excessivement pénibles. Ainsi, mon général, je poursuivrai les ennemis en deux colonnes ; j'aurai ici 500 dromadaires tout prêts, sellés. La 1re colonne sera d'environ 360 de ces animaux, et deux petites pièces ; elle n'aura pas un cheval et pourra ainsi aller partout avec facilité ; la 2e d'environ 300 chevaux et 150 dromadaires pour les flanqueurs et deux pièces de canon, suivra à 10 lieues de distance. Marchant ainsi droit, j'espère que Mourad Bey n'échappera [illegible]. Dans le même temps, le général Belliard rassemble 200 dromadaires et, les divisant en deux colonnes, il ira jusqu'à [illegible] au-dessus des cataractes pour éloigner les Beys qui s'y trouvent et les forcer à se dissiper. Alors il nous restera les Mamelouks qui sont [illegible] à chasser. Ceux-là sont peu dangereux, riches et accompagnés de leurs femmes, ils pensent au repos et peu à la guerre. Après avoir jeté Mourad en Barbarie, comme je l'espère, on aurait bientôt fait [illegible] un détachement qui les chasserait. Alors, les [illegible] expéditions faites, l'Égypte supérieure sera sans ennemis. On en chasse facilement ceux qui s'y trouvent, mais ils reviennent bientôt ; le désert, qui [illegible], les oblige bientôt de rentrer dans le pays cultivé. Ce ne sera que par des dromadaires

que nous pouvons ne [illegible]

S'il n'y avait plus de Mameloucks, l'Égypte supérieure serait très tranquille et très en paix : le peuple est bien meilleur qu'ailleurs ; il est propriétaire, a bien défendu sa liberté, mais est plus facile à conduire que dans la Basse-Égypte ; il ne s'y trouve pas d'Arabes, ce qui fait une grande différence. [illegible] important dans le pays, c'est Cosseir. Ce point important [illegible] nos attentions. C'est par lui que l'Arabie nous vomit tous nos ennemis, c'est par lui que les Anglais nous tourmentent ; il y a un mois que deux de leurs frégates y ont paru ; ils ont presque ruiné le fort par 4000 coups de canon. L'infatigable général Donzelot y a fait tout ce qu'il était possible, mais les ressources sont si peu de chose qu'on n'y peut rien faire qu'à grands frais et grande peine. Si le port était très bon et bien fini, on n'aurait rien à craindre, tout le sol qui l'avoisine étant du roc vif. Mais il faut avant tout faire en sorte que les bâtiments ennemis ne puissent pas approcher du fort pour le détruire ; on y parviendra par le moyen de pièces de gros calibre qui éloigneront les vaisseaux. Nous avons bien deux pièces de gros calibre à Kéné, elles sont de 8 longues, mais elles sont si lourdes qu'il faudrait des machines propres à les conduire ; des affûts ordinaires n'y résisteront jamais. On prépare à Kéné des grils, du charbon, [illegible] fourneau ; avec cela alors on pourra éloigner les bâtiments ennemis. Je vous engage, mon général, à envoyer des pièces de gros calibre, et, si vous n'en avez pas, ce qu'il faut pour conduire les deux pièces que nous avons. Les murailles de Cosseir n'ont que 4 pieds d'épaisseur ; on travaille à leur donner l'épaisseur convenable et à les couvrir avec une espèce de glacis fait avec des caisses remplies de terre ou de sable. Tous ces ouvrages seront très longs à achever. A Kéné on a construit d'après les ordres du général en chef un bon fort à quatre bastions et [illegible], il a 20 pieds de relèvement ; il est très avancé, en bon état, et, dans un mois les logements seront assez avancés pour être très en état de ne rien craindre absolument de qui que ce soit. 200 hommes le défendront très bien [illegible] seront tous nos approvisionnements, munitions et autres objets ; ce sera important. Le grand objet de ce fort, avec celui de Cosseir, sera d'empêcher la sortie des grains de la Haute-Égypte ; de manière que nous soyons bien les maîtres de tous les denrées du pays ; pour bien être sûr de cette route, il importerait [illegible] de pouvoir construire [illegible]

fontaines qui sont sur la route à chacune seulement une tour pour en défendre les maîtres, aucune caravane ne pourrait aller et venir sans notre permission. Nous sommes bien sûr [illegible] jamais attaqué sur ce point-là. Le fort de [illegible] [illegible] de suite les deux tours qui seront bientôt achevées. Si les Mameloucks étaient chassés entièrement de la Haute Égypte avec un [illegible] de [illegible] 1000 hommes, on n'aurait rien à craindre du reste de pays; mais [illegible], il faut plus de monde. Voici la répartition: les provinces de [illegible] et de [illegible] sont gardées par peu de troupes de ma division, mais [illegible] les commandants. Siout, Girgé, Esné sont dépendantes de moi; dans chacune de ces villes, il y a une caserne fortifiée assez pour être à l'abri d'une attaque des habitants. 50 hommes peuvent s'y soutenir contre une insurrection à Siout, j'ai 400 hommes de cavalerie, dont 40 sans selles on en fatigue partout avec activité. Outre cela, 300 dromadaires et 200 hommes invalides, fatigués, estropiés pour faire la garnison. Girgé, 200 hommes d'infanterie et 30 chevaux à Kéné, autant de cavalerie et 200 hommes à Cosséir, 300 à Esné 200, Siène 200, les 500 dromadaires de Siout et ce qui est disponible de cavalerie marchant contre Mourad; le reste fera garnison ici, à Girgé. Les troupes qui y seront sont destinées à donner la chasse aux Mameloucks qui, toujours, s'y réfugient lorsqu'ils sont chassés. Les déserts ont des sources et le Nil fait des circuits qui donnent tout moyen de s'y cacher. À Cosséir, 200 hommes y sont nécessaires pour garnison et surtout pour travailler; les habitants ne nous sont d'aucune utilité; ils sont peu nombreux et s'enfuient quand on les y conduit. Les troupes de Kéné sont destinées à marcher au secours de Cosséir en cas de vives attaques et à tenir garnison dans le fort. J'y laisse un peu de cavalerie, elle serait utile pour battre l'infanterie qui débarquerait à Cosséir. Les troupes de Esné et Siène sont destinées à empêcher Hassan Bey de descendre de là; au lieu d'une seule colonne de deux cents hommes peut bien le combattre, le vaincre, mais elle échappe par des détours sans nombre. Deux colonnes jointes davantage et forcent l'ennemi à rester au dessus de Siène. Voilà l'emploi de tous nos moyens. Sur cela, il y a cent chevaux du 18e régiment que j'ai ordre de vous renvoyer; c'est le général Belliard qui me l'a donné. La difficulté d'avoir des barques, comme aussi celle de faire descendre avec les vents violents me décideraient à faire marcher cette troupe avec moi jusqu'au Fayoum; de là, elle pourrait aller par des barques jusqu'au Caire. Quant aux revenus des provinces, ils sont considérables, Siout, Girgé, Esné; quoique les Mameloucks aient touché une partie des impositions, que les commandants de ceux-ci comme les nôtres

ayant extrêmement causé de ravages, ont donné 144,000 livres, avec lesquelles nous avons payé toutes nos troupes depuis brumaire jusqu'en thermidor; avec cela les deux mois de l'arriéré, ce qui fait onze mois. Nous avons payé aussi à la Marine, aux savants qui sont venus d'en bas, à la cavalerie qui est venue chercher des remontes. Tous ces arriérés, nous n'avons plus rien à toucher; les garnisons n'ont plus rien à faire rentrer, mais elles protègent l'évacuation de 4000 mille ardeps de grains qui doivent aller au Caire. Un quart a déjà dû y être rendu, les trois autres s'y chargent continuellement. Dans un mois, il y aura à toucher dans la province de Thèbes le miri d'environ 150 mille livres, autant à Girgé.

Notre cavalerie est en bon état, parfaitement montée. Elle se remonte très bien dans le pays, où il y a quantité de chevaux de belle race. Après l'inondation, si vous avez besoin de 500 chevaux, vous les aurez facilement de Siout et Girgé; mais de bons, on n'aura que des dromadaires; il y en a en quantité.

Voilà tout ce que je peux vous apprendre de notre situation. Quand nous aurons fini Mourad, vous pourrez aisément tirer de cette partie toute la cavalerie pour l'employer où vous voudrez et diminuer les garnisons; mais le principal point est de détruire cet ennemi-là.

Je vous salue.

Desaix

Je compte, mon général, me mettre en route après Mourad-Bey, dans six jours au moins; ce qui me retarde, c'est des hommes qui ne sont pas arrivés et mon artillerie en très mauvais état que je ne peux pas rétablir. Je voudrais bien avoir des caissons de rechange de pièces de 3 et de 5. Si vous pouviez m'en envoyer de suite au général Zayonchek qui, se tenant à Illahun, me les ferait parvenir, vous me rendriez très grand service. Je vous prie de m'adresser vos ordres à Benisouef où ils pourront me joindre. Si je pouvais finir Mourad-Bey de suite, je profiterais de l'occasion pour m'approcher de vous et aller vous voir, j'en aurais grand plaisir. Je présume que Mourad descendra vers Alexandrie; il serait important de le faire suivre et attaquer sur ce point quand je serai vers le Fayoum. Je vous prierais de prendre des mesures pour cela.

Desaix

ملحـــق رقـــم ١٧

من فاليت قائد كتيبة إلى قائد اللواء بليار قائد طيبة فى قنا
وثيقة رقم ١٦٣٦، مؤرخة فى جرجا بتاريخ ٢٢ فريميير العام الثامن الجمهورى (١٣ ديسمبر سنة ١٧٩٩) بملف رقم ١٢، دوسيه رقم ٢ بمحفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

لقد قابلت الآن ثلاثة جواسيس أخبرونى أن مراد بك وحسن وعثمان قد باتوا ليلتهم أمام أخميم على بعد ميل فى اتجاه الجبل. وأكدوا لى أن معهم الكثير من العرب والكثير من شيوخ القرى وأنهم يجمعون كل المماليك الذين يجدونهم فى القرى ويعطوهم السلاح والخيل. وأنا لا أستطيع إلا تأكيد كلامهم تبعا للتقير الذى أرسله لى "قائمقام أخميم الذى قال إن مراد بك وأصحابه قد قضوا ليلتهم أمام أخميم وأن خدمه قد قالوا إنه يريد أن يسير أكبر مسافة ممكنة لتجميع مماليكه من كل القرى وأنه عندما يتقوى سيهجم على الفرنسيين الضعاف فى مواقعهم وأنه بهذه الوسيلة سيهزمنا فى نفس الوقت الذى سيهجم فيه الصدر الأعظم على القاهرة.

ولقد أخبرنا أيضا أن المماليك المخلصين له ذهبوا معه، وأن معه الكثير من العرب. وهو يقدر العدد الإجمالى لقواته بخمسة آلاف رجل كلهم تقريبا من راكبى الخيل ويوجد حوالى ٦٠ فقط يركبون الجمال. لأن شيوخ القرى المؤيدين له قد جلبوا له الخيول ولكن المعدات والأسلحة قد حصل عليها من القاهرة كما أخبرتك من قبل.

لقد أرسلت جواسيس آخرين ليخبرونى عن الاتجاه الذى سيسلكه وهل سيسير بالقرب من النيل كما فعل حسان وعثمان أم لا.

سأستعلم بدقة عن وجهتهم لكى أعلمك بها وسأكتب إلى الجنرال فريان وللمواطن سيلى لكى أخبرهم أيضا بهذه التحركات.

الريف عندى هادئ ولكن أهالى أخميم قلقين، إن جميعهم مسيحيين وهم يخشون أن يذبحوا إذا ما فلت منا زمام الأمور.

سلامى واحترامى
فاليـــت

Girgé, le 22 frimaire an 8 (13 d. 1799)

Vallet, chef de bataillon,
au général de brigade Belliard, commandant la province de Thèbes, à Kené.

Je viens de recevoir en ce moment trois espions qui m'annoncent que Mourad-Bey, et Hassan et Osman, ont couché en face [illegible] d'Ackmine, d'une lieue plus éloigné du côté de la montagne. Ils m'ont assuré qu'ils avaient beaucoup d'Arabes avec eux et plusieurs cheiks des villages, et que partout où ils passaient ils ramassaient tous les mameloucs qui étaient restés dans les villages, qu'ils les réarmaient et les remontaient. Je ne puis qu'ajouter foi à leur rapport, d'après [illegible] aujourd'hui le caïmacam d'Ackmine, qui nous a annoncé que Mourad-Bey et sa suite que je vous ai [illegible] avaient couché en face de leur ville et que plusieurs de leurs serviteurs avaient dit que son intention était de monter plus haut qu'il pourrait pour ramasser tous ses mameloucs, et que lorsqu'il serait en force, qu'il tomberait sur les Français qui sont très faibles dans les endroits qu'ils occupent, et que, par ce moyen, il nous détruirait du temps que le Grand Vizir attaquerait du côté du Kaire. Il nous a dit aussi que les mameloucs qui avaient pris des cartes de fidélité, comme ceux qui nous avaient, partaient avec lui. Il nous annonce aussi qu'il a beaucoup d'Arabes avec lui, de manière qu'il estime toute sa force à cinq mille hommes, presque tous montés, et il y en avait toujours plus qu'une soixantaine sur dromadaires, que tous les cheiks qui étaient avec eux leur avaient fait fournir des chevaux, mais que les armes et les effets immenses à ce qu'il nous assure qu'ils ont venaient du Grand Vizir, comme je vous l'ai déjà annoncé dans ma précédente.

J'ai encore fait partir plusieurs espions pour savoir la route qu'ils prendront pour remonter, et s'ils viennent à passer plus près du Nil qu'en face Esné et Assouan, j'irai leur rendre visite s'ils voulaient passer à la pointe de la montagne.

Je vais ponctuellement [illegible] faire instruire de leur marche, pour vous donner une exacte connaissance. Je l'ai aussi écrit au général Friant, ainsi qu'au citoyen [illegible], afin qu'ils connaissent aussi leurs mouvements.

La province est encore tranquille, mais le peuple du [illegible] [illegible], [illegible] des chrétiens, ils craignent que [illegible] nous [illegible] le [illegible] d'être [illegible].

Je vous salue avec tout le respect de votre très subordonné.

[illegible],

[illegible]

ملحـق رقـم ١٨

معاهدة صلح بين كليبر ومراد بك ١٥ مؤرخة فى ١٥ جرمينال العام الثامن الجمهورى (٥ أبريل سنة ١٨٠٠) وثيقة بدون رقم بملف رقم ١٩ B6 42 بمحفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٣١ مارس سنة ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

معاهـدة مع مـراد بـك

باسـم الله القـادر

الأمير الفائق الاحترام، المبجل بين الأمراء، مراد بك محمد، وبناء على رغبته التى أبداها بالعيش بسلام ووئام مع الجيش الفرنسى بمصر ومع القائد كليبر واعطائهما دليلا على التقدير الذى ناله منهما تبعا لشجاعته وحسن تصرفه تم الاتفاق على الاتى :

البند الأول : يعترف القائد العام للجيش الفرنسى بالنيابة عن الحكومة بمراد بك أميرا وحاكما للوجه القبلى ويخوله بهذه الصفة سلطة الحكم والانتفاع فى البلاد الكائنة بالبر الشرقى والبر الغربى للنيل إبتداء من ناحية "بلصفورة" بمديرية جرجا إلى أسوان فى مقابل أن يؤدى للجمهورية الفرنسية الخراج الواجب دفعه عن تلك الجهات لصاحب الولاية على مصر .

البند الثانى : يحدد هذا الخراج السنوى بمبلغ ٢٥٠ كيس بواقع الكيس ٢٠,٠٠٠ بارة علاوة على ١٥,٠٠٠ أردب قمح و ٢٠,٠٠٠ أردب شعير وغلال أخرى.

البند الثالث : الخراج الذى يدفع نقدا يؤدى على أربعة أقساط متساوية كل ثلاثة أشهر قسط، وتبدأ السنة بحساب التقويم الفرنسى، أما الخراج الذى يؤدى نوعا فيورد فى شون القاهرة من أول فلوريال إلى ٣٠ فركتيدور ويحاسب مراد بك على مصاريف نقل الغلال بواقع الأردب أربعين بارة تخصم من الخراج الذى يدفع نقدا.

البند الرابع : يكون لمراد بك دخل جمرك القصير وجمرك إسنا وتحتل ميناء القصير حامية فرنسية لا تقل عن مائتى جندى، وعلى مراد بك أن يؤدى نفقات هذه الحامية ويصرف لها ضعف ما يدفع عادة للجند، وعليه أن يخصص كتيبة من

المماليك ترابط فى القصير لمساعدة الحامية الفرنسية، وما يدفعه لنفقات لحامية يُخصم له من الخراج المذكور فى المادة الثانية.

البند الخامس : بما أن أمير الوجه القبلى ليس له إلا الدخل الناتج من الضرائب فليس له أن يتصرف فى ملكية أى بلد إلى حاشيته المتصلين به، ولكن له إدارة هذه البلاد بالطريقة التى يراها مرضية، والحكومة الفرنسية تضمن للأهالى ملكية الأراضى التى يملكونها بالطرق المشروعة وتمنع وقوع أى اعتداء عليها.

البند السادس : على كل طرف أن يرد إلى الطرف الاخر الجنود يلجأوا اللاجئين إليه من جيش الطرف الآخر، وليس لمزارعى القرى التابعة لأى من الفريقين أن يلجأوا إلى البلاد التابعة للفريق الآخر بقصد التخلص من أداء الضرائب أو لأى سبب آخر من هذا النوع.

البند السابع : يجعل الأمير حاكم الصعيد مدينة (جرجا) مقرا له وعليه أن يرسل للقائد العام حرسا من خمسة وعشرين مملوكا، وعليه أن يوفد أحد البكوات من أتباعه مندوبا مفوضا عنه يقيم باستمرار فى القاهرة.

البند الثامن : يضمن قائد الجيش الفرنسى لمراد بك الانتفاع بدخل حكومته ويتعهد بحمايته فى حالة مهاجمته، وإذا استهدفت الجهات التى تحتلها الجنود الفرنسية لهجوم عدائى أيا كان نوعه فعلى مراد بك أن ينفذ عددا من جنوده يبلغ على الأكثر نصف قواته لمعاونة القوات الفرنسية وعليه أن يقدم بالثمن المعتاد أدوات النقل المطلوبة ومؤونة الجنود التى ينفذها تكون على نفقة الحكومة الفرنسية.

البند التاسع : يعد القائد العام كليبر بأن لا يوافق على أى اقتراح أو اتفاق يحرم مراد بك من المزايا المبينة أعلاه وعليه أن يبلغ المعاهدة الحالية إلى الحكومة الفرنسية لترعى مصالح مراد بك فى المعاهدات التى قد تبرم بشأن مصر.

البند العاشر : أن الشروط الواردة فى المعاهدة الحالية والتى تقررت بمعرفة كل من الجنرال داماس قائد فرقة ورئيس أركان الحرب العام والمواطن جلوتييه قوميسير الحكومة (لدى الديوان) ومدير الشئون المالية المفوض عن القائد العام كليبر، وعثمان بك البرديسى المفوض عن مراد بك يصير التوقيع عليها من القائد العام كليبر ومن الأمير المعظم والملاذ الأفخم مراد بك محمد.

القاهرة فى ١٥ جرمينال العام الثامن بتقويم الجمهورية الفرنسية الموافق ١٠ ذو القعدة عام ١٢١٤هـ.

تعليق رسمى من القائد العام كليبر متعلق بالتصرفات الواجب اتباعها من جانب مراد بك تبعا لاتفاق ١٥ جرمينال العام الثامن الجمهورى.

١- يعسكر مراد بك بقواته على الضفة الغربية للنيل على مسافة ٤ فراسخ من الجيزة. يمكث هناك لمدة عشرة أيام حتى يمكن تجميع البكوات والمماليك الموجودين حاليا فى القاهرة، واستعمال تأثيره فى فصل الجانب العثمانى من القيادة الرئيسية للمدينة، بعد هذه الأيام العشر ينسحب مراد بك إلى الجيزة حيث مقره مع اتباعه.

٢- لا يستطيع مراد بك جمع جباية عينية أو نقدية من أقاليم الجيزة - بنى سويف - المنيا - أسيوط، طوال المدة المفروضة لإقامته.

٣- يعمل على الإسراع فى توصيل الحبوب القادمة فى النيل والتى أرسلها درويش باشا لإعاشة الجيش الفرنسى والجيش العثمانى. واتخاذ الخطوات السريعة لتوصيل الحبوب التى سيقوم القبطى المعلم يعقوب بكتابة قائمة بها مع تحديد مكان تخزينها.

٤- يرسل إلى القائد العام بالقاهرة كل العثمانيين الموجودين فى معسكره، كل من يستطيع التسليم منهم، كل اتباع درويش باشا والذين قبض عليهم مراد بك فى الصعيد دون أى استثناء ولا حتى الباشا نفسه.

٥- على مراد بك الإعلان بالقاهرة وبولاق على اتفاق السلام الذى أبرم بينه وبين القائد العام مع وعد من هذا الأخير بالعفو العام والخاص لكل من ينفصل عن العثمانيين وينضم لصفوف مراد بك أو الفرنسيين.

٦- يرسل مراد بك أحد بكوات حاشيته ليظل بجانب القائد العام مندوبا مفوضا من طرفه مخول بسلطاته لبحث كل الأمور المتعلقة بالمصلحة المشتركة.

ils vous en rendront compte, ainsi que de tout ce que j'exige de vous pour garantie de la sincérité de vos intentions. Votre existence, votre gloire et votre vie dépendent de l'arrangement que vous allez faire avec nous, il faut vous en rendre digne, je vous en fournis les moyens. Signé : Kleber.

Traité avec Mourad-Bey 15 Germinal an 8

Au nom du Dieu tout puissant. Le très honoré et très illustre parmi les Princes, Mourad-Bey. Mahamed, ayant témoigné le désir de vivre en paix et bonne intelligence avec l'armée française en Egypte, et le général en chef Kleber voulant lui donner des marques distinguées de l'estime qu'inspirent aux Français son courage et la conduite qu'il a tenue envers eux, il a été convenu ce qui suit.

Art. 1er. — Le général en chef de l'Armée française reconnaît, au nom du Gouvernement, Mourad-Bey. Mahamed en qualité de prince gouverneur de la Haute Egypte. Il lui concède à ce titre la jouissance du territoire sur l'une et l'autre rive, depuis et y compris le canton de Baras, Boura, province de Girgé, jusqu'à Syène à la charge de payer à la République française le Miry dû au Souverain d'Egypte.

Art. 2. — Cette redevance annuelle sera fixée et réglée à deux cent cinquante bourses de vingt milles médins chacune ; quinze mille ardebs de froment et vingt cinq mille ardebs de [illegible]

Art. 3. — Le Miry en argent sera payé par quart, de trois mois en trois mois, en réglant le commencement de l'année sur le calendrier français.

Le Miry en nature sera versé chaque année dans les magasins du Kaire, du 1er floréal au 30 fructidor, et il sera tenu compte à Mourad-Bey des frais de transport à raison de quarante médins l'ardeb, lesquels frais seront comptés en déduction dans le payement du Miry en argent.

Art. 4. — Le produit des Douanes de Cosseir et Esné est compris dans les concessions précédentes. Le port de Cosseir

sera occupé par les troupes françaises et Mourad-Bey sera tenu d'entre-
tenir dans cette place un corps auxiliaire de Mamelouks. Il appro-
visionnera en vivres et à ses frais la garnison française, qui
sera au moins de 200 hommes. La double solde qu'elle doit
recevoir sera acquittée en déduction de la redevance déterminée
dans l'article 1er.

Art. 5. La jouissance seule du revenu étant attribuée au gouverneur
de la Haute Egypte, il ne disposera de la propriété d'aucun
village en faveur des personnes qui lui seront attachées, sauf
à lui à pourvoir à leur entretien comme il le jugera convenable.
Les propriétés légitimement acquises par les particuliers seront
garanties par le Gouvernement français, et il ne pourra
y être porté aucune atteinte.

Art. 6. – Les déserteurs d'une armée à l'autre seront à l'avenir
et sur-le-champ renvoyés à leurs postes respectifs. Les cultivateurs
de chaque village ne pourront point, pour se soustraire au
payement des contributions ou autres motifs de cette nature,
se réfugier du Saïd sur le territoire occupé par les Français;
cette condition sera réciproque.

Art. 7. – Le Prince gouverneur de la Haute Egypte résidera à
Girgé; il fournira au général en chef une garde de vingt-
cinq Mamelouks; un Bey de sa maison demeurera habituellement
au Kaire en qualité de commissaire chargé de ses pouvoirs.

Art. 8. – Le général en chef de l'Armée française garantit
à Mourad-Bey la jouissance des revenus de son gouvernement
et s'engage à le protéger en cas d'attaque.

Si le territoire occupé par les troupes françaises est menacé
d'une agression ennemie, quelle qu'elle soit, Mourad-Bey
sera tenu de fournir un corps de troupes auxiliaires jusqu'à
la concurrence de la moitié de ses forces, et de procurer, au
prix usité, des moyens extraordinaires de transport. La
subsistance de ces troupes sera fournie par le Gouvernement français.

Art. 9. – Le général en chef Kleber promet de ne consentir

à aucunes propositions qui priveraient Mourad-Bey des avantages stipulés ci-dessus. Il fera connaître la présente convention au Gouvernement français, afin que les intérêts de Mourad-Bey soient réservés dans les traités qui pourraient être conclus relativement à la possession de l'Egypte.

Art. 10. — Les articles de la présente convention, arrêtés par le général de division Damas, chef d'état-major général, et le citoyen Poussielgue, commissaire du gouvernement et administrateur général des finances, chargés des pouvoirs du général en chef Kleber, et Osman-Bey-Bardissy, chargé des pouvoirs de Mourad-Bey, seront consentis et signés par le général en chef Kleber et par le très illustre et très honoré prince Mourad-Bey-Mohamed.

Fait et arrêté par les commissaires soussignés. L'original est écrit en langue française et porte en marge la traduction arabe.

Au Kaire, le 15 germinal de l'an 8 de la République française qui répond au 10 de la lune d'Ziel-qua. Déh, l'an de l'Egire 1214.

1.197. Note officielle de la part du général en chef Kleber concernant la conduite à tenir par le très illustre et honoré Mourad-Bey en conséquence de la convention du 15 germinal an 8.

1. Mourad-Bey établira son camp sur la rive occidentale du Nil à quatre lieues au moins au dessus de Gizeh. Il y restera pendant dix jours, pour être à même d'attirer à lui les Beys et Mamelouks actuellement au Kaire, et pour détacher par son influence du parti Osmanli les principaux chefs de la ville. Après ces dix jours, Mourad-Bey se retirera à Girgeh, lieu de sa résidence, lui et sa suite.

2. — Mourad-Bey ne pourra lever aucune contribution en denrées ni en argent dans les provinces de Gizeh, Benisouef, Minieh et Siout pendant le séjour qu'il sera nécessité d'y faire.

3. — Il accélérera l'arrivage des grains qui se trouvent embarqués sur le Nil et que Derwich Pacha avait fait descendre pour la subsistance des armées française et ottomane. Il prendra aussi des mesures promptes pour faire arriver au Kaire les grains dans le Copht[illegible]

ملحــق رقــم ١٩

أمر يوم ٧ فاندمبير العام التاسع الجمهورى من أوامر مينو Ordres du jour du général en chef Menou المحفوظة فى دوسيه يحتوى على أربعة وتسعين وثيقة مطبوعة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل.

أمر يوم ٧ فاندمبير إلى المركز الرئيسى بالقاهرة، ٧ فاندمبير العام التاسع من الجمهوية الفرنسية الواحدة الموحدة

القائد الأعلى رغب دون أن يؤثر على التجارة مع رفع المعاناة عن الشعب، رغب أن يرفع عن الملاحة النيلية ضريبة كانت مع بقية الضرائب والتحصيلات المأخوذة من مصر توفر للجيش الفرنسى المبلغ المحدد لدفع مصروفاته، لذلك أمر بالتالى :

أولا : بداية من أول فاندمبير الماضى كل الضرائب القديمة المفروضة على السفن، الجرم، الجرمون، الماطسن، الكياس، أو أى نوع آخر من المراكب السارية فى النيل والترع قد ألغيت.

ثانيا : من نفس التاريخ تسرى ضريبة جديدة واجبة الدفع وهى كالتالى : من آخر قرية فى مديرية أسيوط إلى القاهرة، كل مركب جرم من مصر العليا حمولتها :

من ١٠٠٠ أردب تدفع كل عام ١٥ Pataques من ٩٠ مدينى

من ٦٠٠ أردب تدفع كل عام ١٠ Pataques من ٩٠ مدينى

من ٥٠٠ أردب تدفع كل عام ٨ Pataques من ٩٠ مدينى

من ٢٠٠-٤٠٠ أردب تدفع كل عام ٨ Pataques من ٩٠ مدينى

من ٢٠-١٠٠ أردب تدفع كل عام ١٢ Pataques من ٩٠ مدينى

من ١٠ أردب تدفع كل عام ٦ Pataques من ٩٠ مدينى

كل جرم (مركب) من وجه بحرى حمولتها :

من ٤٠٠ أردب تدفع كل عام ٢٠ Pataques من ٩٠ مدينى

من ٣٠٠ أردب تدفع كل عام ١٨ Pataques من ٩٠ مدينى

من ٢٠٠ أردب تدفع كل عام ١٥ Pataques من ٩٠ مدينى

من ١٠٠ أردب تدفع كل عام ١٨ Pataques من ٩٠ مدينى

من ١٠–٩٠ أردب تدفع كل عام ١٢ Pataques من ٩٠ مدينى

ثالثـا : كل مركب أو أى سفينة تحت أى مسمى ستحصل على رقم سيعلق دائمـا عليها فـى مكان ظاهر وسيكتب عليه حمولة السفينة ٠

رابعـا : سيستخدم سجل لكل منطقة فى مصر يسجل فيه عدد السفن ورقمها والميناء الذى تتبعه، كذلك اسم صاحبها وريسها والقرى التى يقطنوها ٠

خامسا : الضريبة المفروضة سنويا على كل جرم أو سفينة سارية فـى النيل أو الترع الخارجية منه ستوجه لرخاء الدافعين ٠ وستدفع على ٤ دفعات متساوية كل ٣ شهور ٠ مع كل قسط صاحب المركب أو الريس سيتلقى وصل سليم سيقدمه عند دفع القسط التالى ٠

المحصل الذى سيفرض مبلغ أكبر من الموضح فى البند الثانى على كل سفينة، سيقبض عليه كخائن وسيسجن شهران فى سجن القلعة أى أى سجن آخر وسيدفع غرامة قيمتها مائة "تالارى Talarys" تسلم إلى المستشفيات المصرية ٠

سادسا : الضرائب المفروضة فى المادة الثانية على المراكب النيلية تسرى أيضا على سفن النقل السارية بين رشيد والإسكندرية، وبين رشيد والبرلس، وبين البرلس ودمياط، وبين دمياط وسواحل أسيا أو أى سواحل أخرى ٠ نفس الضرائب ستفرض على المراكب التى تسرى فى البحيرات ٠

سابعا : فى كل منطقة هو أن الرسوم على المراكب سوف تؤجر بمزاد علنى لمن يتقدم بطلبها وذلك حسب الأقاليم ٠

ثامنـا : المدير العام ومحاسب العوائد العامة سيعطى أوامر لتنفيذ الأوامر السابقة وسيقوم بكل الإجراءات اللازمة على شرط روح وحرفية الشروط المذكورة سابقا ٠

تاسعا : الأموال العائدة من بيع المنشآت ستسلم لخزانة المحصل العام أو وكلائه ٠

عاشرا : قواد الأقاليم والمدن وكل قائد عسكرى آخر سيتلقون الشكاوى التى يمكن أن ترفع عند تنفيذ الأمر السابق ٠ وسيساعدون بقوة الذين يحتاجون اليهم فى الحق، وسيبلغوا القائد العام بالمخالفات التى يمكن أن تحدث وسيمنعون بكل الوسائل الممكنة أى مضايقة تحدث للفلاحين ٠ لكن سيحصلون الأموال بمنتهى الدقة ٠

حادى عشر : الأمر الحالى سينشر ويعلق باللغتين أمام مكتب المدير العام ومحاسب العوائد الشعبية ٠

مينـــو

LIBERTÉ.  ÉGALITÉ.

36

REPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 7 vendémiaire an 9 de la République Française, une et indivisible.

Ordre du jour, du 7 vendémiaire an 9.

LE GÉNÉRAL EN CHEF voulant, sans nuire au commerce, et même en soulageant le peuple, retirer de la navigation du Nil et des canaux qui en dérivent, un droit qui, réuni aux autres impositions et contributions perçues dans l'Egypte, assure à l'armée française l'exact paiement de sa solde, ordonne ce qui suit :

ART. I.er A dater du premier vendémiaire dernier, tous les anciens droits existans sur les bâteaux, djermes, djermons, mâtches, cayasses ou tous autres bâtimens navigant sur le Nil et les canaux qui en dérivent, sont et demeurent supprimés.

II. A dater de la même époque, est recréé un nouveau droit payable [illegible] qu'il suit :

Depuis le dernier village de la province de Syouth jusqu'au Kaire, chaque [illegible] de la haute Egypte, du port

De	1000 ardebs, payera par chacun an	15 pataques de 90 médins.		
De	600 ardebs	*Idem*	10	*Idem*	*Idem*.
De	500 ardebs	*Idem*	8	*Idem*	*Idem*.
De	200 à 400 ardebs	*Idem*	8	*Idem*	*Idem*.
De	20 à 100 ardebs	*Idem*	12	*Idem*	*Idem*.
De	10 ardebs	*Idem*	6	*Idem*	*Idem*.

Chaque djerme de la basse Egypte, du port

De	400 ardebs, payera par chacun an		20	pataques de 90	médins.
De	300 ardebs	*Idem*	18	*Idem*	*Idem*.
De	200 ardebs	*Idem*	15	*Idem*	*Idem*.
De	100 ardebs	*Idem*	18	*Idem*	*Idem*.
De	10 à 90 ardebs	*Idem*	12	*Idem*	*Idem*.

III. Chaque djerme, ou tout autre bâtiment, sous quelque dénomination que ce soit, recevra un numéro qui sera toujours attaché à une de ses parties apparentes, et qui exprimera en même temps le port du bâtiment.

IV. Un registre sera tenu par chaque arrondissement de l'Egypte; il contiendra le nombre des djermes, le numéro et le port de chacune d'elles, ainsi que les noms des propriétaires et reys des djermes, et celui des villages où ils résident.

V. Le droit exigé annuellement sur chaque djerme ou autre bâtiment naviguant sur le Nil ou canaux en dérivant, sera, pour la commodité des contribuables, acquitté en quatre termes égaux de trois mois en trois mois. A chaque paiement, le propriétaire ou reys recevra une quittance bien en forme qu'il exhibera lors d'un nouveau paiement.

Celui qui exigerait un paiement plus fort que celui fixé par l'article II, pour chaque espèce de djerme, serait arrêté comme concussionnaire, détenu pendant deux mois à la citadelle du Kaire, ou dans toute autre maison de force, et payerait en outre une amende de cent talarys, applicable aux hôpitaux de l'Egypte.

VI. Les droits fixés par l'article II sur les djermes qui naviguent sur le Nil ou canaux en dérivant, seront les mêmes pour les djermes qui font le cabotage de Rosette à Alexandrie, de Rosette à Burlos, de Burlos à Damiette, de Damiette sur les côtes d'Asie ou toute autre côte.

Les mêmes droits seront payés par les djermes qui naviguent sur les lacs.

VII. Les droits énoncés par les articles précédens seront affermés aux enchères publiques; il y aura un bail pour chaque arrondissement.

VIII. Le directeur général et comptable des revenus publics donnera les ordres pour l'exécution du présent arrêté; il fera tous les réglemens qu'il jugera nécessaires, pourvu qu'ils soient dans l'esprit et la lettre des dispositions ci-dessus énoncées.

IX. Les prix provenant des prix des baux seront versés dans les caisses du receveur principal ou de ses préposés.

X. Les généraux commandant les provinces ou les places, et tous autres chefs militaires, recevront les plaintes qui pourraient s'élever sur l'exécution du présent ordre. Ils prêteront main-forte à ceux qui la requerront avec justice, et ils rendront compte au Général en Chef des délits qui pourraient se commettre: ils empêcheront par tous les moyens possibles les vexations des fermiers; mais aussi ils feront payer exactement les contribuables.

XI. Le présent ordre sera publié et affiché dans les deux langues, à la diligence du directeur général et comptable des revenus publics.

Signé MENOU.

Le Général de Brigade, Chef de l'Etat-major général,

Signé LAGRANGE.

L'Adjudant général, Sous-Chef de l'Etat-major général,

Réné

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

ملحـق رقـم ٢٠

تقرير من بوييه قائد المنيا إلى الجنرال كليبر القائد العام للجيش الفرنسي عن العمليات فى إقليم المنيا مؤرخ فى ٢٨ فروكتيدور العام السابع الجمهورى (١٤ سبتمبر سنة ١٧٩٩، ملف رقم ٢١٨، بمحفظة فترتها التاريخية من ٢٠ أغسطس إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠، محفوظة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة

المنيا فى ٢٨ فركتيدور عام ٧ (١٤ سبتمبر ١٧٩٩)

تلقيت اليوم رسالتك المؤرخة فى ٢٢ من هذا الشهر بعد غيابى ١٥ يوما فى جنوب إقليمى على الضفة اليمنى للنيل.

أحضر لى اليوم خادم الشيخ السادات طلب الإحاطة المرسل منك الخاص بحادثة "الزاوية" وكان الأمر سينتهى لو كان هؤلاء الشهود الأغبياء قد حضروا إلى بدلا من الهروب، وعلى العموم سأهتم بالأمر وأرد لخدم الشيخ ما تستحقه هذه الجريمة من العدالة. حدثت قلاقل كثيرة فى الإقليم، أثناء غيابى عن المنيا، ناحية بأكملها اسمها عميرة بنى مر ثارت ضدنا وامتنعت عن دفع الضرائب، وهذه الناحية المكونة من ثمانى قرى تشغى باللصوص والسفاحين يرتكبون افعالهم يوميا فى النيل مما يستحق العقاب الشديد، فقمت مع ١٢٠ رجلا بمحاصرة ثلاثة قرى فخضع المشايخ وسلموا لى اللصوص والسفاحين الذين اعدمتهم ودفعوا الضرائب المطلوبة ولو كانت قواتى أكبر من ذلك لقمت بتأديب بقية القرى ولكن كان ذلك غير مستطاع. الوطا ودير القصير والجزيرة وجرف سرحان قاموا بالعصيان المسلح اعتصم الفلاحون فى الوطا ومن هناك أخبرونى عن امتناعهم عن دفع الضرائب وزيادة على ذلك عزمهم على منعى من اجتياز قراهم. وقد جعلتهم يدفعون ثمن تمردهم، فاستوليت على هذه القرى وقتلت منهم ستون واحرقت ديارهم وذبحت مواشيهم وقطعت ٣٠٠ من أجود أنواع النخيل، وقد وقع فى يدى أحد أهم شيوخهم وقد أذقته طعم ١٠٠ جلدة على قدميه انتظارا لمصيره المحتوم. وقد فقدت أحد رجالنا فى هذه الحملة وقد هرب المتمردون لدير القصير وكان الجنرال ديزيه قد ترك لى ملحوظة عن هذه القرية وأنها مأوى اللصوص والسفاحين، وقد انضم العامة للتجمع الذى فى الوطا، وبناء على ذلك هاجمتهم وقتل منهم ١٢٠ واستولى رجالى على ٥٠٠ رأس من الماشية واحرقت القرية

أيضا وفقدنا رجلا آخر من رجالنا. وقد رضخت بعض القرى لهذا العمل ونأمل أن ترتدع هذه القرى بهذا العقاب. وقد طلبت دير القصير العفو والسماح بالعودة للقرية فأجبتها لذلك.

منذ ثلاثة أيام قامت قرية من إقليم الفيلى على بعد ٣ مسافات من هنا فنهبت مركبا عليه ١٥ رجلا وقتلوهم سأقوم بمعاقبتها مساء الغد، لأن الملاحة في النيل ستكون خطرة إن تركنا مثل هذه الأعمال دون عقاب والـ ١٥ قتيل هم مدنيين من طور.

لنتكلم الآن عن مراد، هذا الحاج موجود كما هو فى بلنصورة وهى قرية فى إقليمى على قناة يوسف ويوجد معه عرب أبو كريم الأقوياء بـ ٨٠٠ حصان والجهمة بـ ٢٥٠ كذلك الزايد والرديسى.

كنت قد عزمت على دخول القناة لإكراه هذا البك على ترك موقعة والارتماء فى أحضان الجنرال زايونشك فى سول، ولكن بمفردى هذا غير ممكن لأن الـ ١٢٠ رجلا فقط الذين معى سيكونون معرضين للضياع ضد مراد، وستصاب عملياتنا بالضرر إذا أعطيناه مجرد فكرة تفوقه علينا.

لم يصل الجنرال فريان من الصحراء فأرجأت دخولى القناة، لكننى اعتقد أن الجمال ستتجهز فى خلال ثمانية أيام، وأنا كذلك عندما سأكون عند مدخل القناة وسأدخلها فور علمى بوجوده فى محاذاتى. على كل سأنتظر الأحداث وأعلمك بها.

رأيت أشياء جميلة أثناء تفتيش أطلال ما زالت قائمة تثير الإعجاب، معبد مجهول ليومنا هذا، لفت نظرى إليه أحد المشايخ ويقع على أطراف اقليمى فى الصحراء وقد حفر وبنى بأكمله فى الصخر. جميل جدا بل رائع وسليم كله. تظهر الرسومات على سقفه وجدرانه تمثل وجوه فى غاية الوضوح، منها ملك على عرشه يرتدى التاج وحاشية كبيرة من الناس مع قرابين كثيرة وعلى وجوههم البشر والفرح مما يوحى بمناسبة هذه الصورة، واعتقد عن حق أن هذا المعبد قد شيد للشمس، حيث تجدها فى كل مكان، وقد رسمت المعبد لترى هده الروائع لدى عودتى للقاهرة. كذلك مداليات.وجدتها تمثل إحداها النيل وهى رائعة الجمال.

تحيـــة واحترامـــا

Boyer

تحياتى إلى **Dugnoneau** وأركان حربك

Miniet le 28 fructidor an 7 (14 sept. 1799)

Général,

J'ai lu aujourd'hui votre lettre du 22 de ce mois, au retour d'une absence de 15 jours sur le sud de ma province, sur la rive droite.

Un cavua du scheik Sadat m'a présenté aujourd'hui une deuxième pétition apostillée de vous pour l'affaire de Zaoui; ce serait une chose faite si les imbéciles de témoins de la partie lésée s'étaient présentés chez moi au lieu de fuir. Je vais m'occuper de cette affaire et ferai rendre aux sujets du scheik la justice que mérite l'assassinat.

J'ai fait beaucoup de tapage dans ma province pendant mon absence de Miniet, un canton entier appelé Anesa de Othman [illegible] contre nous et se refusait en entier à payer l'impôt; ce canton, composé de 8 villages, peuplé de voleurs et d'assassins qui journellement commettent leurs brigandages sur le Nil, méritait punition: avec un détachement de 120 h. j'ai surpris et bloqué trois villages; les scheiks se sont soumis, m'ont livré leurs voleurs et assassins que j'ai mis à mort, et m'ont payé leur part de l'impôt. Si ma troupe eut été plus considérable, j'en aurais fait autant aux autres villages, mais je ne le pourrais.

Aouata, Der. el. Cossair, El-Gésir et Gierf-Sarham se sont révoltés les armes à la main. Les paysans se sont réunis dans Aouata et de là m'ont fait dire que non seulement ils ne payeraient pas, mais encore qu'ils étaient décidés à me défendre le passage du village. Cette insolence a été payée; j'ai attaqué ces coquins, pris le village, tué une soixantaine d'eux, brûlé leurs maisons, égorgé leurs troupeaux et coupé 300 des plus beaux palmiers. Un des principaux scheiks du

pays m'est tombé entre les mains ; je lui ai fait savonner les pieds de 1000 coups de cravache en attendant son sort futur. J'ai perdu un homme dans cette affaire ; ces rebelles se sont enfuis à Der-el-Cosseir. J'avais depuis quelque temps une note du général Desaix sur ce village, comme étant plein de voleurs et d'assassins. La population s'était d'ailleurs jointe au rassemblement d'Aouata ; en conséquence j'ai marché sur : 120 coquins y ont péri et mes chasseurs en ont enlevé un troupeau de 500 moutons ; j'ai également brûlé le village ; notre perte a encore été d'un homme. Tous les villages des environs applaudissent à ces actes [illegible] et espérant que cette punition réprimera le brigandage de ces villages. Der-el-Cosseir m'a fait demander pardon et permission de rentrer dans son village : j'ai accordé l'un et l'autre.

Il y a trois jours qu'un village de la province d'Alfiely à 3 lieues d'ici a égorgé une barque sur laquelle il y avait 75 hommes ; demain soir j'irai punir ce village ; la navigation du Nil serait trop compromise si on laissait de pareilles horreurs impunies. Les égorgés sont des pèlerins de Targa.

Parlons actuellement de [illegible] : ce pèlerin est toujours à Balanzoura, village de ma province sur le Canal Joseph ; il a avec lui les Arabes d'Abou-Coraïm, qui sont forts de 800 chevaux, les Géama de 250, les Ziet et Rasaouié d'à peu près autant. Je comptais fermement entrer dans le canal pour déloger ce bey de ces cantons et le forcer de se jeter près du gal Zayonchek à Lion, mais je ne le pourrai faire seul, 120 h. ne pouvant être que compromis contre Mourad, et ce serait trop gâter nos affaires que de lui donn[er] entièrement l'idée d'un avantage

le général, ~

le gal Friant n'ayant pas descendu par le désert, j'ai suspendu mon entrée dans le canal, mais je crois que dans huit jours les dromadaires descendront ; moi de même, je serai à l'embouchure du canal et y entrerai du moment où je saurai qu'il sera à ma hauteur ; ainsi j'attends les événements et vous en ferai part

J'ai vu de belles choses dans ma tournée : les ruines d'Antinoé qui sont encore sur pied et dignes d'admiration, un temple inconnu jusqu'aujourd'hui qu'un scheik m'a fait voir ; il se trouve au couchant de ma tournée dans le désert, il est creusé et taillé en entier dans le roc, très beau, même magnifique, et conservé en entier ; ses plafonds et murailles sont chargés de figures très distinctes, un roi sur un trône avec une couronne, un grand concours de peuples, de grandes offrandes et beaucoup de sacrifices et de joie annonçant à peu près ce que signifie cette image ; et l'on croit distinguer avec raison que ce temple avait été érigé au soleil, car partout cet emblème existe ; j'en ai le plan ; à mon retour au Caire, je vous ferai voir mes curiosités, de même que quelques médailles et camées que j'ai trouvés ; une médaille d'or qui représente le Nil, qui est très belle.

Salut et considération

Boyer.

Mes amitiés à Duguaneau et à votre état major

ثبت الوثائق والمصادر والمراجع

الوثائق والمصادر والمراجع

أولا : وثائق غير منشورة

(١) وثائق باللغة العربية :

١- سجلات المحاكم الشرعية الموجودة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة، حيث اعتمدت الدراسة على :

أ - سجلات محكمة منفلوط الشرعية، سجل رقم ١ وفترته التاريخية من ٢٧ جماد أول سنة ١٢١٥هـ إلى ١٢ شوال سنة ١٢١٦هـ، سجل رقم ٤ وفترته التاريخية من عام ١٢١٢ إلى عام ١٢١٤هـ٠

ب- سجلات محكمة اسنا الشرعية، سجل رقم ٥٠ وفترته التاريخية من ٢٢ محرم ١٢١٣هـ إلى ١٥ ذى الحجة ١٢١٣هـ، وسجل رقم ٥١ وفترته التاريخية من ٢٠ ربيع أول سنة ١٢١٤هـ إلى ٣ شواهل سنة ١٢١٤هـ، وسجل رقم ٥٢ وفترته التاريخية من ٥ ربيع أول سنة ١٢١٥هـ إلى ٢٦ محرم سنة ١٢١٦هـ، وسجل رقم ٥٣ وفترته التاريخية من ٢٩ ربيع أول سنة ١٢١٦هـ إلى ١٨ رمضان ١٢١٦هـ٠

٢- محفظة بدون رقم ولا تاريخ موجودة بمكتبة جامعة القاهرة، وهى تحتوى على مجموعة من المراسلات الهامة التى يبلغ عددها ٦٩ خطابا مرسلة من مراد بك إلى الجنرال دنزلوه صارى عسكر أسيوط ومنفلوط والمنيا٠

(٢) وثائق باللغة الفرنسية وتشمل :

أ- محافظ الحملة الفرنسية الموجودة بدار الوثائق القومية بكورنيش النيل بالقاهرة، حيث اعتمدت الدراسة على المحافظ التالية :

- محفظة فترتها التاريخية من ٢٣ أغسطس سنة ١٧٩٩ إلى ٨ أغسطس سنة ١٨٠١ ٠ ٧ فروكتيدور العام الثامن الجمهورى إلى ٢٣ ترميدور العام التاسع الجمهورى٠
- محفظة فترتها التاريخية من ٢٤ أغسطس سنة ١٧٩٩ إلى ١٩ سبتمبر سنة ١٨٠٠ ٠ ٨ فروكتيدور العام السابع الجمهورى إلى ٥ تكميلى من العام الثامن الجمهورى٠

- محفظةفترتها التاريخية من ٢٨ أغسطس سنة ١٧٩٩ إلى ١٠ أغسطس سنة١٨٠٠ ٠
١٢ فروكتيدور العام السابع الجمهورى إلى ٢٥ ترميدور العام الثامن الجمهورى٠
- محفظة فترتها التاريخية من ٣١ أغسطس إلى ١٤ سبتمبر سنة ١٧٩٩ ٠
١٥ إلى ٢٩ فروكتيدور العام الثامن الجمهورى٠
- محفظة فترتها التاريخية من ١ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٠١ ٠
١٥ فروكتيدور العام السابع الجمهورى إلى ١٠ نيفوز العام العاشر الجمهورى٠
- محفظة فترتها التاريخية من ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى ١٨ يونيو سنة ١٨٠١ ٠
١٠ فاندميير العام الثامن الجمهورى إلى ٢ ميسيدور العام التاسع الجمهورى٠
- محفظة فترتها التاريخية من ١٠ أكتوبر سنة ١٧٩٩ إلى ٥ يوليو سنة ١٨٠٠ ٠
٢٠ فاندميير إلى ١٩ ميسيدور العام الثامن الجمهورى٠
- محفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر إلى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩ ٠
٢٥ برومير إلى ٢٤ فريمير العام الثامن الجمهورى٠
- محفظة فترتها التاريخية من ١٦ إلى ٣١ ديسمبر سنة ١٧٩٩ ٠
٢٥ فريمير إلى ١٠ نيفوز العام الثامن الجمهورى٠
- محفظة فترتهـــا التاريخية من ١ إلى ٣١ يناير سنة ١٨٠٠ ٠
١٨ نيفوز إلى ١١ بلوفيوز العام الثامن الجمهورى٠
- محفظة فترتها التاريخية من ٢٣ يناير سنة ١٨٠٠ إلى ٨ يناير سنة ١٨٠١ ٠
٥ بلوفيوز العـــام الثامـــن الجمهورى إلى ٢١ نيفـوز العام التاسع الجمهورى٠
- محفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٣٠ أبريل سنة ١٨٠٠
١١ جرمينال إلى ١٠ فلوريال العـــام الثامـــن الجمهـــورى٠
- محفظة فترتها التاريخية من ١ إلى ٣١ مايو سنة ١٨٠٠ ٠
١١ فلوريال إلى ١١ بريريال العـــام الثامن الجمهورى٠
- محفظة فترتها التاريخية من ١ يونيو إلى ٩ يوليو سنة ١٨٠٠
١٢ بريريال إلى ٢٠ ميسيدور العام الثامن الجمهورى٠
- محفظة فترتها التاريخية من ١٠ يوليو إلى ١٩ أغسطس سنة ١٨٠٠
٢١ ميسيدور إلى ١ فروكتيدور العام الثامن الجمهورى٠
- محفظة فترتهـــا التاريخيـــة من ١ إلـى ١٤ أغسطـس سنة ١٨٠٠
١٣ إلى ٢٦ ترميدور العام الثامن الجمهورى٠

- محفظة فترتهـــا التاريخيـــة من ٢٠ إلى ٣١ أغسطس سنة ١٨٠٠ ،
٢ إلى ١٣ فروكتيدور العام الثامن الجمهورى.
- محفظـــة فترتهـــا التاريخية من ١٥ إلى ٢٩ أكتوبـر سنة ١٨٠٠ ،
٢٣ فاندميير إلى ٧ برومير العام التاسع الجمهورى.
- محفظة فترتها التاريخية من ٢٥ سبتمبر إلى ١٤ أكتوبر سنة ١٨٠٠ ،
٣ إلى ٢٢ فاندميير العام التاسع الجمهورى.
- محفظـــة فترتها التاريخيـــة من ١ إلى ٢١ ديسمبـــر سنة ١٨٠٠ ،
١٠ فريمير إلى ١ نيفوز العام التاسع الجمهورى.
- محفظة فترتها التاريخيـة من ٢١ أبريل إلى ١٢ مايو سنة ١٨٠١ ،
١ إلى ٢٢ فلوريال العام التاسع الجمهورى.
- محفظة فترتها التاريخية من ٢٠ يونيو إلى ٢٢ يوليو سنة ١٨٠١ ،
١ ميسيدور إلى ٣ ترميدور العام التاسع الجمهورى.

(ب) أوامر منو Orders du jour du gènèral en chef menou المحفوظـة فـى دوسـيه يحتـوى علـى أربعـة وتسـعون وثيقـة مطبوعـة بـدار الوثـائق القوميـة بكورنيـش النيـل بالقاهرة.

ثانيا : وثائـــق منشـــورة :

- Henry Laurens, Klèber en Egypte 1798-1800, Klèber et Bonaparte 1798-1799, Institut Francais d'archéologie orientale, 2 Vols, Vol 2, Au Caire 1988.
- Jonquière, de la- L'Expèdition d'Egypte (1798-1801)- 5 Vols, Vol 3, Pairs 1899-1907.
- Napolèon Bonaparte : Correspondance de Napolèon Ier, publiée par ordre de L'Empereur Napoleon III, 32 Vols, Paris 1858-1870, Vol 5.
- Pieces Diverses Relatives aux opèration militaires et politiques du gènèral Bonaparte, Paris, An VIII.
- Rousseau, M.F.Klèber et Menou en Egypte depuis le Dèpart de Bonaparte (Aout 1799-Septembre 1801) Documents publiès pour la sociètè d'Histoire contemporaine, Paris 1900.

Saladin Boustany, Thy Journals of Bonaparte in Egypte 1798-1801 (in 10 Volumes) First Edition, Cairo 1971, Vols 9-10.

ثالثا : الدوريـــــات :

- Le courrier de L'Egypte

اعتمدنا على نسخة مصورة بمكتبة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

- La Dècade Egyptienne, 3 Vols, Beyrouth, Sans date, Vol I.

رابعا : المذكرات الشخصية :

(أ) مذكـــرات باللغـــة العربيـــة :

– نقــولا تــرك : مذكرات نقولا ترك، نشرها وترجمها علق عليها جاستون فييت، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ١٩٥٠.

(ب) مذكرات باللغـــة الفرنسيـــة :

- Berthier-Mèmoires du Marèchal Berthier... Campagne d'Egypte, Ire Parti, Paris 1827.
- Desvernois, Mèmoires du gènèral Desvernois, Publiès sous les de sa nièce Mme Boussu-Desvernois, Paris 1898.
- Mèmoires sur L'Egypte Publiès pendant les Campagnes du gènèral Bonapart dans les annèes VI et VII, avec la relation de ses campagnes en Égypte et en syrie, seconde paxtie, paris, fructidor an IX

خامسا : رحـــلات وأسفـــار :

(أ) رحـــلات وأسفـــار معربـــة :

– س.ف. فولنى : ثلاثة أعوام فى مصر وبـر الشـام : نقلها إلـى العربيـة إدوار البستانى، الجزء الأول الطبعة الثانية، بيروت ١٩٤٩.

(ب) رحلات وأسفار باللغة الفرنسية :

- Denon vivant : voyage dans la Basse et la Haute Egypte pendant les campagnes gènèral Bonaparte, Quatrième èdition, 3 Vols, Paris 1803.
- Dominique DI Pietro, Voyage historique en Egypte pendant les campagnes des gènèraux Bonaparte, Klèber et Menou, Paris 1827.

سادسا : المصادر المعاصرة :

(أ) مصادر باللغة العربية :

- أحمد شلبى بن عبد الغنى الحنفى المصرى : أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ العينى، تقديم وتحقيق وضبط وتصحيح د ،عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة ١٩٧٨ .
- أحمد الدمرداشى كتخدا عزبان : كتاب الدرة المصانة : تحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٩ .
- حسين أفندى الروزنامجى : ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية، تحقيق محمد شفيق غربال بعنوان مصر عند مفرق الطرق ١٧٩٨ - ١٨٠١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٨ .
- عبد الرحمن الجبرتى : تاريخ عجائب الآثار فى التراجم الأخبار، ٣ أجزاء، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ .
- ــــــــــــــ : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، تحقيق وشرح حسن محمد جوهر وعمر الدسوقى، لجنة البيان العربى، الطبعة الأولى ١٩٦٩ .
- عبد الله الشرقاوى : تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين، القاهرة ١٢٨١هـ .
- قانون نامة مصر الذى أصدره السلطان القانونى لحكم مصر : ترجمة وقدم له وعلق عليه د . أحمد فؤاد متولى الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٦ .
- لطف الله بن أحمد جحاف : نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر "نصوص يمنية مختارة من المخطوطة اليمنية "درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور على ورجال دولته الميامين (١١٨٩ - ١٢٢٤هـ) (١٧٧٥-١٨٠٩م) نشر وتحقيق.د . سيد مصطفى سالم، القاهرة ١٩٧٥ .

(ب) مصادر باللغة الفرنسية :

Chabrol de : Essai sur les moeurs des habitans modernes de L'Egypte, dans Description de L'Egypte, Sèconde èdition, Tome 18, Première partie, Paris 1826.

- Costaz : Mèmoire sur la nubie et les barabras, dans Description de L'Egypte, sèconde èdition, Tome 12, Paris 1823

- Du bois-Aymè : Mèmoire sur les Tribus Arabes dés deserte de L'Egypte, dans Description de L'Egypte, Sècond èdition, Tome 12, Paris 1823.
- Estève, le comte : Mèmoires sur les Finances de L'Egypte depuis sa conquète par le sultan selym Ier jusqu' a celle du gènèral en chef Bonaparte, dans Description de L'Egypte, Tome 12, Paris 1823.
- Girard, Mèmoires sur L'Agriculture L'Industrie et le Commerce de L'Egypte, dans Description de L'Egypte, sèconde èdition, Tome 17, Paris 1824.
- Jaubert, Amèdèe : Nomenclature des Tribus d'Arabes qui Campent enter L'Egypte et la palestin depuis khan Younes et Ghazzah Jusqu'a L'oronte et dans la partie septentrionale du dèsert qui sèpare la Meqqe de la syrie, dans Dscription L'Egypte, Tome 16, Paris 1825.
- Jomard : Observations sur les arabes de L'Egypte moyenne, dans Dèscription de L'Egypte, Tome 12, Paris 1823.
- Lancret, Michel-Ange : Mèmoire sur le système d'imposition territorial et sur L'Administration des provinces de L'Egypte dans les dernieres annèes du gouvernement des Mamlouks,dans Description de L'Egypte, Tome II, Paris, 1822.
- Martin, P. Histoire de L'Expèdition Francaise en Egypte, (2 Vols), Paris 1815.
- Martin,P.D., Description hydrographique des provinces de Benysoveyf et du Fayoum, dans Description de L'Egypte, seconde èdition, Tome 16, Paris 1825.

(جـ) مصادر أجنبية معربـــة :

- ادوارد وليم لين : المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم (فى القرن التاسع عشر) ترجمة عدلى طاهر نور، الطبعة الأولى، مطبعة الرسالة ١٩٥٠ .
- كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر، ترجمة محمد مسعود، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، دار الموقف العربى ١٩٨٢ .

سابعا : رسائل جامعية غير منشورة :

- أمين محمود عبد الله : تطور الوحدات الإدارية فى مصر العليا منذ العهد العربى : رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم الجغرافيا، كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٦٥ .

- سلــــوى العطـــار : التغيرات الاجتماعية في مصر منذ الحملة الفرنسية حتى بناء الدولة الحديثة، رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم التاريخ كلية البنات جامعة عين شمس عام ١٩٧٩ .
- فاطمة الحمراوى : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٨٨ .
- فرغلـــى على تسن : أسيوط فى النصف الأول من القرن التاســع عشر ١٨٠٠-١٨٥٠، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ، بآداب سوهاج، جامعة أسيوط، عام ١٩٨٥ .
- مرسى أحمد ابراهيم : أسوان وعلاقاتها مع جنوب الوادى فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ١٧٩٨-١٨٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ، كلية الآداب جامعة المنيا عام ١٩٨٢ .
- وجيه على أبو حمزة : القاهرة فى عصر الحملة الفرنسية : رسالة ماجستير غير منشورة بقسم التاريخ، بكلية الآداب جامعة المنيا عام ١٩٨١ .

ثامنـا : المراجـــع :

(أ) المراجـع العربيـة :

- ابراهيــم زكـى : الحالـة الماليـة والتطـور الحكومـى والاجتمـاعى فـى عهـدى الحملـة الفرنساوية ومحمد على، المطبعة العصرية بمصر، بدون تاريخ.
- ابراهيم عامـــر : الأرض والفلاح المسألة الزراعية فـى مصـر، مطبعـة الدار المصرية ١٩٥٨ .
- ابراهيم المويلحى : الأرض والفلاح فى العصر العثمانى ضمن الأرض والفلاح فى مصر على مر العصور، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة ١٩٧٤ .
- أحمد أحمد الحتة (الدكتور) : تاريخ مصـر الاقتصـادى فـى القـرن التاسـع عشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٥ .
- أحمد حسين الصاوى (الدكتور) : المعلم يعقوب بين الأسطورة والحقيقة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٦ .
- أحمـــد حافـظ عـوض : فتـح مصـر الحديـث أو نـابوليون بونـابرت فـى مصـر، مطبعـة مصر، القاهرة ١٩٢٥ .

- أحمد عزت عبد الكريم (الدكتور) : تاريخ التعليم فى عصر محمد على، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٣٨ .

- ـــــــــــــ : تاريخ مصر من الحملة الفرنسية إلى نهاية عصر إسماعيل ١٧٩٨ - ١٨٧٩ ضمن كتاب المجمل فى التاريخ المصرى، تأليف بعض أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب - جامعة فؤاد الأول (القاهرة) ونشره حسن ابراهيم حسن، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٦١هـ- ١٩٤٢م.

- أحمد عزت عبد الكريم (الدكتور)، وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربية، الأنجلو المصرية، القاهرة، دون تاريخ.

- أحمد موسى عبد العظيم : النضال الشعبى لمحافظة قنا، القاهرة ١٩٧٦ .

- أمين مصطفى عبد الله (الدكتور) تايخ مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥١ .

- أنور الرفاعى : بونابرت فى مصر والشام، دمشق ١٩٤٧ .

- إلهام محمد على ذهنى (الدكتورة) : مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر، سلسلة تاريخ المصريين، عدد رقم ٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢ .

- توفيق الطويل (الدكتور) : التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى، سلسلة تاريخ المصريين، عدد رقم ٢١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ .

- جلال يحيى (الدكتور) : مصر الحديثة ١٥١٧ - ١٨٠٥م، الإسكندرية، بدون تاريخ.

- ـــــــــــــ : المجمل فى تاريخ مصر الحديثة، الطبعة الثانية، الإسكندرية ١٩٨٤ .

- حسن عثمان : تايخ مصر فى العهد العثمانى ١٥١٧-١٧٩٨ ضمن المجمل فى التاريخ المصرى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٢ .

- حسين فوزى النجار : السياسة والاستراتيجية فى الشرق الأوسط، الجزء الأول، الطبعة الأولى، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٣ .

- خليل صابات (الدكتور) : تاريخ الطباعة فى الشرق العربى، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٨ .

- زينب عصمت راشد (الدكتورة): تاريخ أوروبا فى القرن التاسع عشر، دار الفكر العربى، القاهرة، دون تاريخ.

- سليم البستاني : تاريخ نابوليون بونابرت فى مصر وسوريا "نقلا عن تاريخ فرنسا الحديث"، الإسكندرية ١٩١٣ ·
- صبحى وحيدة : فى أصول المسألة المصرية، طبعة جديدة منقحة، مكتبة مدبولى، دون تاريخ·
- صلاح أحمد هريدى على (الدكتور) : دور الصعيد فى مصر العثمانية ١٥١٧-١٧٩٨، دار المعارف ١٩٨٤ ·
__________ : التعليم فى مصر فى القرن الثامن عشر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٩ ·
- عبد الرحمن فهمى (الدكتور) : النقود المتداولة أيام الجبرتى، بحث ضمن ندوة عبد الرحمن الجبرتى : دراسات وبحوث، تحت اشراف د·أحمد عزت عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦ ·
- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (الدكتور) : الريف المصرى فى القرن الثامن عشر، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٤ ·
__________ : فصول من تاريخ مصر الإقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ ·
- عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر، الجزء الأول، الطبعة الخامسة دار المعارف ١٩٨١ - الجزء الثانى، الطبعة الرابعة، دار المعارف ١٩٨١ ·
- عبد العزيز محمد الشناوى (الدكتور) : عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية، سلسلة أعلام العرب، عدد رقم ٦٧ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧ ·
__________ : دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر إبان الحكم العثمانى، من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس- ابريل ١٩٦٩، مطبعة دار الكتب ١٩٧٢ ·
- عبد العزيز محمد الشناوى (الدكتور) وجلال يحيى (الدكتور) : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف ١٩٦٩ ·
- عبد العزيز رفاعى (الدكتور) : الكفاح الشعبى فى مصر الحديثة صور تاريخية من البطولات الشعبية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦ ·

- عبد العظيم رمضان (الدكتور): الغزوة الإستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة، دار المعارف ١٩٨٥ .
- عبد الوهاب بكر (الدكتور) : الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، الطبعة الأولى، دار المعارف ١٩٨٢ .
- عراقى يوسف محمد (الدكتور): الوجود العثمانى المملوكى فى مصر (فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر) الطبعة الأولى، دار المعارف ١٩٨٥ .
- علـى الجريتلى (الدكتور) : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، دار المعارف ١٩٥٢ .
- قاسم عبده قاسم (الدكتور) : أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى دراسة وثائقية، الطبعة الثانية، دار المعارف ١٩٧٩ .
- ــــــــــــــــ : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك، الطبعة الثانية، دار المعارف ١٩٧٩ .
- ليلى عبد اللطيف أحمد (الدكتورة): الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٨ .
- ــــــــــــــــ : دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام إبان العصر العثمانى، مكتبة الخانجى، القاهرة ١٩٨٠ .
- ــــــــــــــــ : المجتمع المصرى فى العصر العثمانى، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجامعى، القاهرة ١٩٨٧ .
- ــــــــــــــــ : الصعيد فى عهد شيخ العرب همام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ .
- ليلى عنان (الدكتورة) : الحملة الفرنسية بين الأسطورة والحقيقة، سلسلة كتاب الهلال، العدد رقم ٥٠٠، دار الهلال ١٩٩٢ .
- محمد أنيس (الدكتور) : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤-١٩١٤، الأنجلو المصرية، القاهرة، دون تاريخ .
- محمد المجذوب : بطل من الصعيد وقصص وأخرى : دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٧ .
- محمد جلال كشك : ودخلت الخيل الأزهر : دار المعارف ١٩٧٨ .

- محمد رفعت بك : تاريخ مصر السياسى فى الأزمنة الحديثة : المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٤٨ .
- محمد رفعت رمضان (الدكتور) : على بك الكبير، القاهرة ١٩٥٠ .
- محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، الجزء الثالث، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٦٠، الجزء الرابع، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٣ .
- محمد سعيد العريان وجمال الدين الشيال (الدكتور) : قصة الكفاح بين العرب والاستعمار، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٠ .
- محمد صبيح : كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٦ .
- محمد عفيفى (الدكتور) : الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى، سلسلة تاريخ المصريين، العدد رقم ٥٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ .
- محمد فهمى لهيطة (الدكتور): تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة، القاهرة ١٩٤٤ .
- محمد فؤاد شكرى (الدكتور) : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، دار الفكر العربى القاهرة، دون تاريخ.
- ―――――― : الحملة الفرنسية وظهور محمد على، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، دون تاريخ.
- محمد فريد أبو حديد : زعيم مصر الأول السيد عمر مكرم، كتاب الهلال، العدد رقم ٧، دار الهلال ١٩٥١ .
- محمد فرج : النضال الشعبى ضد الحملة الفرنسية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دون تاريخ.
- محمد نور فرحات (الدكتور) : القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى، سلسلة تاريخ المصريين عدد رقم ١٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ .
- محمود الشرقاوى : دراسات فى تاريخ الجبرتى، مصر فى القرن الثامن عشر، الجزء الثالث، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٦ .
- محمود عودة (الدكتور) : الفلاحون والدولة. دراسات فى أساليب الإنتاج والتكوين الاجتماعى للمجتمع التقليدى، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٣ .

(ب) المراجع الأجنبية المعربة :

– بيـر : دراسات فى التاريخ الإجتماعى لمصر الحديثة : ترجمة وتقديم د٠عبد الخالق لاشين وعبد الحميد فهمى الجمال، الطبعة الأولى، مكتبة الحرية الحديثة جامعة عين شمس ١٩٧٦ ٠

– آلان مورهيد : النيل الأزرق، ترجمة الدكتور نظمى لوقا، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦.

– عيروط اليسوعى (الدكتور) : الفلاحون : نقله إلى العربية الدكتور محمد غلاب، القاهرة ١٩٤٣ ٠

– كرستوفر هيرولد : بونابرت فى مصر : ترجمة فؤاد أندراوس، مراجعة الدكتور محمد أحمد أنيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦ ٠

– هاملتون جب وهارولد بوون : المجتمع الإسلامى والغرب، الجزء الثانى : ترجمة د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة د٠ أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف ١٩٧١ ٠

– هربرت فشر : نابليون : نقله إلى العربية محمد مصطفى زيادة ومحمد نوفل، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٢ ٠

– هيلين آن ريفلين : الإقتصاد والإدارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر : ترجمة د٠أحمد عبد الرحيم مصطفى ومصطفى الحسينى، دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ ٠

(جـ) المراجع الأجنبية :

- Ibrahim El-Mouelhy : Le paysan d'Egypte atravers L'Histoire, le Caire 1954.
- Arthure. P. Brome Weigall, A history of events in Egypte from 1798 to 1914, London 1915.
- Homsy, Gaston, le Gènèral Jacob et L'Expèdition de Bonaparte en Égypte (1798-1801) Marseille 1921.
- Lacroix, Dèsirè, Bonaparte en Egype 1798-1801, Paris 1899.
- Laurens, Henry, L'Expèdition D'Egypte 1798- 1801, Paris, 1989.
- Brèhier, louis, L'Egypte de 1798 à 1900, Paris 1900
- Holt, P.M. The pattern of Egyptian political history from 1517-1798 in political and social change in modern Egypt, London 1968.
- Martha-Beker, F. Le gènèral Desaix, Paris 1852.
- Reybaud, Louis, Histoire Scientifique et militaire de L'Expèdition Francaise en Egypte, Vols 3, 5 Paris 1830-1836.
- Shaw, Stanford, J, The Financial and Administrative organization and development of Ottoman Egypte 1517-1798, New Jersy, 1962.

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٠٠٢/ ١٩٩٧

I.S.B.N - 977 - 01 - 5111 - 4



بالرغم من كثرة المؤلفات عن الحملة الفرنسية إلا أننا لا نجد فى المكتبة العربية مؤلفاً يحمل اسم «صعيد مصر فى عهد الحملة الفرنسية» بالرغم من الدور الكبير الذى قام به الصعيد فى تلك الفترة. ومن هنا تأتى أهمية هذا الكتاب الذى يتناول دور الصعيد فى المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسى. ويتناول المؤلف بالرصد والتحليل حركات المقاومة فى الصعيد، حيث شكل الأهالى من أبناء الصعيد مع المماليك وعرب الحجاز قوة ثلاثية عمل لها الفرنسيون حساب كبير.

وتميزت المقاومة فى الصعيد بميزة التنظيم وكثرة التجمعات، مما جعل الحرب فى صعيد مصر تتخذ شكل الحركات الحربية إذا ما قورنت بالمعارك التى دارت فى الوجه البحرى.

ولاشك فى أن طبيعة الأرض فى الصعيد ووجود العصبيات فى هذه المنطقة ونظرة الأهالى إلى معنى الحياة وقيمتها، وحماسة أبناء الصعيد، وعقليتهم وروح فروسيتهم، كانت عوامل تساعد على ضراوة عمليات المقاومة فى الصعيد.

كما تعرض هذا الكتاب لأوضاع الصعيد الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والكتاب فى الأصل رسالة علمية حصل بها المؤلف على درجة الماجستير فى الآداب من جامعة المنيا. واعتمد المؤلف على عدد كبير من الوثائق والمصادر والمراجع العربية والفرنسية. وهو على هذا النحو جدير بأن يقرأ وأن يجد مكانه فى المكتبة العربية.

السعر ١٧٫٥٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب